الجمهورية العربية المتحدة
وزارة الثقافة
مركز تحقيق التراث

نزهة النفوس والأبدان
فى تواريخ الزمان

للخطيب الجوهرى على بن داود الصيرفى

تحقيق

الدكتور حسن حبشى

مطبعة دار الكتب
١٩٧٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

على بن داود بن إبراهيم المعروف بالخطيب الجوهرى وبابن الصيرفى ممن أسهموا فى كتابة التاريخ وشغلوا أنفسهم بالنظر فيه ، وهو من أهل القرن التاسع للهجرة ، فقد ولد سنة ٨١٩ هـ ، ومات سنة ختام هذا القرن أعنى عام ٩٠٠ هـ ، وبذلك عاش فترة أربت على ثلاثة أرباع القرن كانت حياته خلالها موزعة بين العمل لكسب قوته ورزق أولاده وبين النظر فى كتب التاريخ وتدوينه ، وهو بين هذا وذاك مقبل إقبالا مجزوءاً أحياناً – تاماً أحياناً أخرى قليلة – على ما كان يدرس فى ذلك العصر ، متتلمذاً كلما أتيحت له الفرصة على أيدى من نبه الجيل باسمهم من شيوخ مختلف الفنون التى اهتم بها والتى كانت لها الصدارة وقتذاك .

أما تكسّبه فقد توزّعه نسخُه بعض مؤلفات شيوخه وكبار علماء عصره ، وعملُه فى بعض الأحيان فى سوق الجوهريين بالقاهرة صيرفياً : مهنةً شارك فيها أباه ثم ورثها عنه وسار فيها على منهاجه ، ولعل وجوده فى هذا السوق واحترافه الصيرفة خلعا عليه هذين اللقبين اللذين عرف بهما وهما « الجوهرى » تارة ، و « الصيرفى » أو « ابن الصيرفى » تارة أخرى ؛ على أنه إلى جانب ذلك كان يجلس فى بعض الحوانيت بمصطلح

أهل العصر ينسخ الكتب أو ينوب فى القضاء عن صاحب مذهبه قاضى القضاة الحنفية ابن الشحنة .

وابن الصيرفى من القلائل الذين تكاد تخلو كتب ذلك العصر والعصور التالية له من ترجمة مستفيضة له نستطيع منها الوقوف على خطوط حياته ونستبين منها حقيقته ، إذ ليس بين أيدينا سوى هذه الترجمة التى ضمنها السخاوى قاموسه « الضوء اللامع » (ج ٥ ص٢١٧ رقم ٧٣٨) وهى لا تعدو صفحة ونصف الصفحة ، وكذلك ترجمته لأبيه (نفس المرجع ج ٣ ص ٢١٠ رقم ٧٨٩) التى كانت فى أقل من ثلاثة أسطر ، على أن ترجمة السخاوى للإبن ترسم له صورة نكراء طابعها الجهل ، ذات أضواء قاتمة ، كما اشتملت خطوطها على استهجانه لأسلوب حياته وإن لم يفصح لنا عن مقومات هذا الاستهجان حتى يتأكد القارئ من صحة دعواه :

لقد وُجد ابن الصيرفى فى عصر حفل بالكثيرين من كتاب التاريخ فى مصر والشام وهو عصر قلّ أن شاهدت كتابة التاريخ مثله فى الكثرة العددية من المهتمين بها ، سواء أكانت هذه الكتابة تاريخاً بحتاً أو تراجم أو الاثنين معاً وهو الغالب ، ولقد كتب فى هذا الموضوع بعض الكتاب المحدثين مما لا يدع مجالا فى هذه الصفحات القلائل للإعادة[(1)] ، ولكن ثم مميزات اختصت بها هذه الحقبة من حيث الكتابة التاريخية التى اتسمت بما ظهر فيها من اتجاه إلى تدوين تاريخ شامل لعصر الكاتب الذى عاش فيه وإن قدّم له فى الغالب بإلمامة قد تطول — وهذا هو الأكثر — فترجع إلى الوراء البعيد حتى لتطغى الإلمامة على العصر ذاته ، ومثال ذلك كتاب البداية والنهاية لابن كثير ، وكتاب الجوهرى : نزهة النفوس والأبدان ، وإن قسمه أقساماً لكل جزء عنوان فرعى مستقل به :

(١) راجع كتاب دكتور محمد مصطفى زيادة : التاريخ والمؤرخون فى مصر الاسلامية فى القرن الخامس عشر ، دكتور صلاح الدين المنجد : المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، مايو ١٩٥٦ ، ص ٩٩ — ١٤١ .

ومن العلامات الفارقة للكتابة التاريخية أيضاً إذ ذاك إفراد تراجم لقرن بأكمله، وكان ابن حجر العسقلانى أول رائد فى هذا الميدان بكتابه الضخم « الدرر الكامنة فى أعيان المـائة الثامنة »(١)، ثم نهج على منواله السخاوى فى الضـوء اللامع لأهل القرن التاسع ثم الغزى و المحبى والمرادى .

وهناك من اهتم بتدوين تاريخ الحقبة التى عاشها فقط وعاش أحداثها كابن حجر أيضاً فى كتابه « إنباء الغمر بأنباء العمر » حيث بدأه من سنة مولده وانتهى به إلى عامين قبل وفاته فكان بذلك تاريخاً معتبراً لدى الناظرين فيه(٢) . وقد حاول أحد كتاب الشام فى القرن التالى له – وهو ابن الحمصى- تقليده فكان من ذلك كتابه : « حوادث الزمان ووفيات الشيوخ والأقران » .

وترتب على هذا أن ظهر مؤرخون معاصرون وضعوا كتباً وذيولا لكتب سواهم ولكنها تتعلق بالسنوات التى عاشوها هم أنفسهم، ومثالنا فى هذا كتاب إبراهيم بن على البقاعى « إظهار العصر لأسرار أهل العصر » الذى لا يزال مخطوطاً وإن كان قد ابتدأ فيه من سنة ٨٥٧ هـ وانتهى إلى سنة ٨٧٠ أى إلى قبيل وفاته بخمس عشرة سنة وجعله هو الآخر ذيلا على إنباء الغمر .

وإلى جانب هذا ظهر الاهتمام بالتراجم المطولة لشخص معين (بصرف النظر عن قواميس التراجم القصيرة) ومثل هـذه التراجم المطولة المسـتقلة كتاب « الجـواهر والدرر فى ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر » الذى وضـعه السخاوى عن شيخه فكان فتحاً جديداً فى فن كتابة الترجمة يكاد يكون فيه رائداً غير مسبوق، ومبدعاً غير ملحوق؛ ثم هناك « سيرة الأشرف قايتباى » لابن الصيرفى التى أشار إليها صاحب الضوء اللامع

(1) Gibb : Islamic Biographical Literature, (Historians of the Middle East, London, 1961) P. 56.

(٢) راجع مقدمتنا لإنباء الغمر جـ ١ .

وإن كنا غير واثقين من أنهـا الكتاب الذى نشرناه له بعنوان « إنباء الهصر بأنباء العصر » وتناولنا فى مقدمته هذا الموضوع الجانبى .

* * *

لقد عاصر ابن الصيرفى من مؤرخى عصره المقريزى وابن حجر والعينى وابن تغرى بردى والسخاوى والسيوطى وابن إياس ، وكل منهم علم فى هذا الفن وفى الكتابة التاريخية ، وقلّ أن اجتمع لقرن واحد وعلى فترات متقاربة بل موصولة الحلقات مثل هذا العدد من المؤرخين الثقات ، ولا شك أن صاحبنا عرف هؤلاء معرفة شخصية ارتقت فى بعض الأحيان إلى حد الملازمة والتلمذة عليهم كابن حجر والعينى ، أو الأخذ عنه كمعظمهم باستثناء السيوطى وابن إياس .

* * *

كانت ثقافة ابن الصيرفى هى الثقافة المألوفة فى عصره من حيث النظر فى كتب الفقه واللغة والنحو والقراءات وأصول الدين والتاريخ ، فكان ممن درس على أيديهم كبار رجالات هذه الفروع كابن الديرى والشمنى وابن حجر والأقصرائى والشروانى والأبدى والكافيجى والعينى[1] ، على أن هذه التلمذة — كما يبدو لنا — لم تؤد إلى أن تجعل منه تلميذاً نجيباً يستطيع فيما بعد أن يحل فى الصف مع أحد هؤلاء الشيوخ أو يحتل مكانه من بعـده ، وربما كان مرجع ذلك — كما بدا من مطالعة الجانب الأكبر مما تركه — ضعفه فى اللغة بصورة تكاد تكون ملحوظة فى كثير مما كتب ، ويبدو لنا أيضاً أنه كان حين يطلق نفسه على سجيتها فإنه كان يكتب بأساوب أقرب مايكون إلى أساوب العامة فيكثر من استعمال التعابير المصرية الدارجة ويخرج على قواعد اللغة ، على أن هذا الأساوب لا ينعكس فى كتابه « نزهة النفوس » قدر انعكاسه فى مؤلفه « إنباء الهصر » ، وربما كانت علة ذلك ما كان يتوفر بين يديه من كتب سابقيه ، ذلك أن محاولته تقليد هؤلاء السابقين جعلته يعنى — إلى حد ما — باختيار اللفظ وتهذيب الأساوب حتى يكون لهم

(١) انظر مقدمتنا لكتاب ابن الصيرفى : إنباء الهصر بأنباء العصر .

نداً ؛ أما حين يكتب شيئاً جديداً غير مسبوق فيه بأحد فتبدو أصالته ؛ ويبدو لنا أن ابن الصيرفي كان أقرب إلى أن تفهمه العامة في بعض مؤلفاته أكثر مما يمكن أن تفهم الكثيرين من المؤرخين سواه ، لأنه كان يكتب لها بالأسلوب الذي تتشافه به .

ويلاحظ في كتابات الصيرفي الخروج على قواعد اللغة بدرجات تتفاوت صعوداً وهبوطاً في مؤلفاته باختلاف بعضها عن بعض . كما أنه يميل لأن يختم — في بعض الأحيان — بعض الأخبار بالسجع الذي ربما أفسد على القارئ متعة الانطلاق بمتابعتـه الخبر وأخرجه من التفكير فيه ، وهذا الأسلوب أوضح في « إنباء الهصر » منه في « نزهة النفوس » ، هذا إلى جانب اقتباسه أبياتاً من الشعر أو الأمثال القديمة يتمثل بها حيث تدفعه الحاجة — أو قد لا تدفعه — للاقتباس ، كما أنه سار في كتابه « النزهة » على طريقة من كتبوا في هذه الناحية بالذات أعني من كتبوا عن الفترة الممتدة من عهد برقوق حتى السنوات الأولى من حكم السلطان جقمق فرجع إلى كتابات المقريزي وابن تغـري بردي والعيني وابن حجر على وجه الخصوص ، ولم يتحاش في بعض الأحيان أن ينقل عن الواحد منهم دون أن ينص على اسمه إلا في القليل النادر ، ولذلك سيلاحظ القارئ — في الحواشي — أننا رددنا هذه الأخبار إلى أصولها ناصين على مصدرها وصفحاتها وأسطرها حتى فيما لا زال منها مخطوطاً .

كان الرجوع إذن إلى كتب هذا العصر — لا سيما فيما نظر فيه ابن الصيرفي — ضرورة اقتضتها الحاجة إلى إخراج « النزهة » إخراجاً علمياً دقيقاً ، وقد حاولنـا أن نفسّر الأعلام ونعرّف بالمصطلحات الفنية وأن ندلّ على الأماكن الجغرافية سواء أكانت محلية أم خارجية بقدر ما وسعنا الجهد ، واقتضى ذلك أن تكثر الحواشي في الأقسام الأولى من الكتاب الذي نقدمه اليوم ، وطبيعي أن تقل كلما أوغلنا في السير قدماً في هذا الجزء وفي الجزئين التاليين له إن شاء الله تعالى .

ولقد اتبع المؤلف فى تدوين هذا التاريخ نظام الحوليات الذى كان شائعاً فى معظم كتب التاريخ الإسلامى وفى مؤلفات القرون السابع والثامن والتاسع بل والعاشر الهجرية ، وسار فى تدوين هذه الأحداث حسب الشهور والأيام ، وختم كل سنة بوفياتها غير مقتصر على مصر بل جاوزها إلى غيرها من بلاد العالم الإسلامى : شرقيه وغربيه ، ولم يحاول قط بدء الحدث أو الشهر أو السنة أو الوفيات بسطر جديد ، بل تأخذ عباراته بعضها بحجز البعض الآخر دون فاصل أو وقفة مما لا يؤمن معه الزلل فى تتبع الأحداث والتراجم ، يضاف إلى هذا أنه لم يراع تنقيط الكلمات فى كثير من الأحيان مما يجعل لبعضها أكثر من قراءة محتملة ، هذا إلى عديد من الأخطاء الإملائية ورسم بعض الأعـلام .

* * *

لم يشر السخاوى فى ترجمته لابن الصيرفى ومؤلفاته إلا إلى كتاب عمله فى «سيرة الأشرف قايتباى» ، وحملته كراهيته للمؤلف للاهتمام بالهجوم عليه هجوماً نسى معه أن يذكر ما له من تصانيف فى هذا الميدان ، وإن اكتفى بقوله إنه « نصب نفسه لكتابة التاريخ فكان تاريخاً لكونه لا تمييز له عن كثير من العوام إلا بالهيئة » ، بيد أننا نستطيع أن نقطع بأنه — إلى جانب ما نسخه من كتب غيره — قد أدلى بدلوه فى كتابة التاريخ ، فكان من ذلك كتابه الكبير « نزهة النفوس والأبدان » الذى حاول أن يجعل منه موسوعة تاريخية منذ صدر الإسلام حتى زمنه ، ويبدو أن الجزء الأول منه كان خاصاً « بأنساب الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتصل بنسب آدم إلى أن نصل إلى نسب سيد الأنام ومصباح الظلام » كما يقول هو فى الجزء الثانى[1] من نزهة النفوس المحفوظة بخطه فى مكتبة رضا رامبور بالهنـد تحت رقم ٣٥٣٧ ، وهذا الجزء هو الذى سمـاه

(١) توجد صورة على فيلم من هذا الكتاب فى مكتبة معهد المخطوطات العربيـة بالجامعة العربية بالقاهرة ، انظر فؤاد سيد : فهرس المخطوطات المصورة ج ٢ التاريخ ، القسم الثالث رقم ١٢٨٤ (منشورات جامعة الدول العربية — معهد المخطوطات العربية) .

« بالجوهرية » فى سيرة الرسول والتى يقول عنها إنه أوقف ابن تغرى بردى عليها ، فقد جاء فى كتابه إنباء الهصر قوله[(١)]: « وأوقفته أيضاً على تأليفى للسيرة الشريفة النبوية الملقبة بالجوهرية على من هى منسوبة له أفضل الصلاة والسلام » . وإن كان هذا النص نفسه قد يحمل البعض على إخراج « الجوهرية » من أن تكون جزءاً من كتابه « نزهة النفوس والأبدان » واعتبارها مؤلفاً مستقلا .

وإذا كان الجزء الثانى يحمل نفس العنوان الذى يحمله هذا الكتاب الذى أنشره اليوم فإنه يتضح لنا أنه أراد أن يجعل منه عنواناً شاملا لسلسلة من المؤلفات التاريخية متصلة الحلقات وتغطى الفترة الإسلامية بأكملها ، وهذا مما قد يدعونا للقول بأن « إنباء الهصر بأنباء العصر » ربما كان جزءاً من كتابه الكبير « نزهة النفوس والأبدان » .

* * *

أما المخطوطة ذاتهـا فتقع فى ٢٠٨ ورقة ، ومسطرتها ما بين ٣٩ و ٤١ سطراً ، وفى السطر الواحد ١٨ كلمة تقريباً وهى بخط المؤلف نفسه وليست مسودة أى أنها الصورة النهائية التى كان يريد ابن الصيرفى أن يكون عليها كتابه ، أما الورقة الأولى فليست بخطه بل عليها قراءات وتعليقات بخطوط متباينة ، وعلى الورقة الثانية قراءات وتعليقات ما بين عربية وفارسية لمن وقعت النسخة فى أيديهم وتسنى لهم قراءتها .

والنسخة الأصلية هذه فى المكتبة الأهلية بباريس، وتوجد منها صور شمسية بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة برقم ١٢٨٦١ ح ، كما توجد منها نسخة فى المكتبة الأزهرية وهى حديثة النسخ ، وتبدو فى هذه النسخة

(١) ابن الصيرفى : إنباء الهصر بأبناء العصر، ص ١٨١ .

الأخطاء الكثيرة لعدم معرفة الناسخ بحقيقة أسماء ذلك العصر ووظائفه المماوكية الواردة فى « النزهة » ، ومن ثم فهى ليست بذات قيمة فى المراجعة ، يضاف إلى هذا أن وجود نسخة باريس بخط المؤلف ذاته تَجُبّ كل ما عداها ويجعل لهذه الأخيرة الصدارة فى استعمالها كأصل للنشر وهى التى اتخذناها أصلا ، ومن ثم كان اعتبارى إياها النسخة الأم التى أنقل عنها مع مقارنة أحداثها ووفياتها بما ورد فى مخطوطات ذلك العصر ومطبوعاته .

وربما بدا الأمر يسيراً باعتبارها النسخة الأصلية التى كتبها ابن الصيرفى نفسه بخط يده ، على أن هذا الأمر ذاته كان علة صعوبة لاقيتها فى تفسير بعض ما أشكل قراءته ، ذلك أنه على الرغم من أن مؤلفها قد اتخذ من نسخ مخطوطات غيره حرفة يتكسب بها فى كثير من الأحيان إلا أنه تبين لى أن كتابته النزهة « لنفسه » لم يحمله على محاولة إجادة خطه . وتبدأ هذه المخطوطة بالورقة رقم ٢ ب بتولية السلطان برقوق وتنتهى فى الواقع بورقة ٢٠٧ ا وهى أحداث ذى الحجة سنة ٨٤٩ هـ ؛ وقد وقفت عند هذا الحد دون ذكر وفيات هذه السنة على الأقل ، أما ورقة ٢٠٧ ب فهى ليست تكملة لها بل تضمنت سطراً واحداً فقط يجرى على هذا النسق : « النبى صلى الله عليه وسلم ، واستقر عوضه فارس الطواشى الذى كان بالمدينة كبير الخدام » ويبدو أن المؤلف تركها دون أن يتمها حتى وافاه أجله ، بدليل ما جاء بعد ذلك من هذه العبارة بمشق كبير وبخط غير خط الناسخ :

« هذا كتاب من تأمله دخلت عليه المسرة من كل باب فى علم التاريخ ، رحم الله مؤلفه ومن قرأه ونظر هو لكل المسلمين أجمعين يا أرحم الراحمين . غرة المحرم سنة ١٢٠٠ » .

ولم نستطع التعرف على موضع هذا السطر من المخطوطة ذاتها ، اللهم إلا إذا كان من أحداث متأخرة زمنياً ، ذلك أن فارساً المشار إليه إنما هو فارس الأشرفى الرومى الطواشى ، والذى يقول السخاوى فى ترجمته إياه فى الضوء اللامع (٦ / ٥٤٥) إنه استقر فى مشيخة الخدام بالمدينة فى سنة اثنتين وأربعين عوضا عن الولوى ابن قاسم ،

وأنه توجه فى البحر إلى الينبوع ليسير منه إلى محل خدمته فوصلها فى أثنائها واستمر إلى أن عزل فى سنة خمس وأربعين ثم أعيد واستمر إلى أن عزل سنة أربع وخمسين »؛ وقول ابن الصيرفى : « كان بالمدينة كبير الخدام » يعنى أنه يتكلم عن حدث حدث فى سنة ٨٥٤ أو بعدها ، ومن هذا السطر نستدل على أن المخطوطة قد ضاعت أجزاء منها وأنه ربما وصل فيها إلى سنة ٨٥٤ .

* * *

ونقف لحظة عند الورقة ٢ ا نستجليها عنوان الكتاب ، فنرى أن هذه النسخة التى اعتمدناها أصلا للنشر تحمل عنوانين أحدهما بخط المؤلف وهو : « كتاب نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ (أهل !) الزمان ، جمع فقير رحمة ربه الودود ، على بن فقير مولاه داود ، الخطيب الجوهرى الحنفى ، عامله الله بلطفه الخفى ، وغفر له ورحم والديه ومشايخه والمسلمين آمين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

أما ثانى العنوانين فقد ورد فى ورقة ١ ا وهو : « نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان » ، وهذا العنوان على تلك الصورة وارد مرتين فى هذه الورقة ذاتها بخطين مختلفين ، وإذن فالاختلاف فى تحديد حقيقة العنوان واقع فى الشطر الثانى من هذا العنوان هل هو :

« فى تواريخ أهل الزمان » ؟

أم « فى تاريخ الزمان » ؟

على أنه يلاحظ أن كلمة « أهل » مضافة وإن كنا لا نستطيع الجزم عما إذا كانت بخط ابن الصيرفى نفسه أم بخط سواه ممن وقفوا على هذا التاريخ ، لا سيما وأنه قد أضيف بخط غير خط المؤلف (ورقة ٢ ا) : « هذا الجزء هو » ثم تليها مباشرة عبارة « كتاب نزهة النفوس والأبدان .... » .

على أن ابن الصيرفى أشار إلى تاريخه هذا حين ترجم فى كتابه « إنباء الهصر بأنباء العصر » للمؤرخ جمال الدين يوسف بن تغرى بردى المتوفى سنة ٨٧٤ فقال : « أوقفته

(أى أوقف ابن تغرى بردى) أنا على عدة مصنفات لى منها : نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ... »، وهذا نص صريح نستدل منه بما لا يدع ريبة لمرتاب على :

ا — عدم ورود كلمة « أهل » فى العنوان .

ب — استعماله كلمة « تواريخ » بدلا من « تاريخ » .

ثم إنه يشير فى موضع آخر من كتابه « إنباء الهصر » (ص ٩٨) إلى « النزهة » فيقول فى معرض كلامه عن ابن حريز القاضى المالكى « ... ووقف على تاريخى الكبير المسمى نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان ، وكتب لى عليه كتابة بليغة »، وإذا وضعنا فى الذهن أن كتاب « إنباء الهصر » الذى وردت فيه هذه العبارة مكتوب بخط ابن الصيرفى نفسه أدركنا أنه اختار لمصنفه هذا اسم: « نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان »، وأنه ارتضاه له عنواناً ، ثم أخذ يعرضه على الشيوخ والعلماء على هذه الصورة لتقريظه، ومن ثم فإنه يتجلى لنا جلاء بيناً أن ابن الصيرفى جعل هذه العبارة عنواناً للكتاب الذى ننشره اليوم لأول مرة؛ وحق لنا أن نهمل كلمة « أهل» وأن نعتبر كلمة « تواريخ » بدلا من « تاريخ » يؤكد هذا ما ورد على الصفحة الأولى من هــذا الكتاب : فى الجزء الخاص بالسيرة الشريفة[(١)] : المجلد الثانى من نزهة النفوس والأبدان فى تواريخ الزمان .

* * *

لقد تضمنت الورقتان الأولى والثانية من هذه المخطوطة تعليقات بعضها يتنــاول العنــوان كما أشرنا إلى ذلك فى الفقرات السابقة ، والبعض الآخــر تقريظات للكتاب ومؤلفه ، ثم تعليقات — وإن بدت جانبية عابرة — إلا أنها ذات أهمية تعين المشتغلين فى دراسة تاريخ هذه الحقبة على معرفة المجال السنوى لبعض كتب ذلك العصر التى لا زالت مخطوطة ؛ وهى تعليقات عن مدى سنوات كل من « نزهة النفوس » و« إنباء الهصر » لابن الصيرفى ، « وإنباء الغمر » لابن حجر ، و« إظهار العصر » للبقاعى :

(١) انظر ميكروفيلم رقم ١٢٨٤ بمعهد المخطوطات العربية بالقاهرة .

أما التقريظ الوارد فى ورقة ٢ أ فهذا نصه :

(١) الحمد لله .

(٢) اطلعت على هذا الروض الزاهر والبحر الزاخر ، ولا يستغرب

(٣) صدوره ممن تبحر فى العلوم ووروده وصدوره ، فهو بحمد

(٤) الله ليس فيه ما يقال فيه ، ولا يستبعد نظيره ممن مارس

(٥) العلم وبالسند ، بدونه باره الرد (؟) . كتبه

(٦) محمد بن محمد الطرابلسى الحنفى

(٧) عفا الله عنهما حامداً

(٨) ومصلياً ومسلماً .

وأول ما يلاحظ على هذا التقريظ أنه يحمل ما يدل على أنه قد كتب فى حياة المؤلف الذى ربما كان قد عرضه على صاحب التقريظ فكتب هذه العبارات التى تشير إلى أن الصيرفى كان لا يزال حياً فليس فيها ترحم عليه، بل فيها مايومئ إلى إرضائه، فهو « ممن تبحر فى العلوم » ثم إن الكتاب « لا يستبعد نظيره ممن مارس العلم » .

لكن من يكون الطرابلسى هذا ؟

هناك كثيرون ممن يلقبون « بالطرابلسى » ، و لقد جمع السخاوى تحت هذا الاسم فى باب الألقاب عشرة أشخاص عاشوا فى هذه الحقبة، وإن عددنا فى جزء واحد من ضوئه ١٧٣ واحداً كل منهم يلقب بالطرابلسى ، وهذه تسمية عادية جداً ؛ على أننا نرجح بعد مطالعة تراجم العديد من هؤلاء « الطرابلسيين » أن « محمدا بن محمد الطرابلسى » هذا إنما هو « محمد بن محمد بن يوسف بن سعيد الطرابلسى » المولود فى رجب سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة بطرابلس الشام . أى أنه يصغر ابن الصيرفى

بأربع عشرة سنة ، وكان يلقب أحياناً «بالمقرئ بن المقرئ» ، وقد جاء به أبوه إلى القاهرة وهو ابن ثلاثة عشر عاماً فدرس على أيدي الكثيرين من فقهائها وعلمائها وشيوخها على اختلاف مذاهبهم منهم ابن حجر العسقلاني والبلقيني والعز بن عبد السلام من الشافعية ، والعيني وابن الديري والأقصرائي والشمني من الحنفية ، وابن التونسي وابن المخلطة من المـــالكية ، ثم البدر البغدادي الحنبلي .

وعاد الطرابلسي إلى بلده لكنه لم يجد إقبالا ولم يجد حنفياً بها ، وقد يبدو هـــذا غريباً ، ومن ثم كرّ قافلا إلى الديار المصرية سنة سبع وخمسين وثمانمائة ، ويعلل السخاوي هذه العودة بما رآه الطرابلسي « من نقص نفسه في المذهب » ، على أنه في هذه المـــرة — مهما كانت الدواعي — لازم الأمين الأقصرائي يحيي بن محمد بن إبراهيم حتى موته ملازمة تامة حتى استطاع أن يتنزل بعنايته في كثير من الجهات ، ونستطيع من ترجمتـــه التي أوردها له السخاوي في الضوء اللامع (ج ١٠ رقم ٨٧) أن نتبين محاولة السخاوي النيل منه في أكثر من موضع ، فهو يراه « قد ترقى مع سرعة حركته في الكلام ومبادرته للكتابة» ، ولكنه يعترف بصيرورته المعول عليه في الفتاوى وإقبال الطلبة عليه « وإن كان فيهم من هو أمتن منه تحقيقاً وأحسن كلاماً وتصوراً » يضاف إلى هذا — في رأي السخاوي — «عدم تحاشيه عن التوجه لبعض الأمراء فمن دونهم للقراءة عليه» ونعته إياه « بعدم التبسط في معيشته » و « عدم مشيه المناسب » إلى أمثال هذه العبارات التي تقدح فيه من بعيد والتي كان السخاوي بارعاً في سوقها ضده وضد الكثيرين غيره ، فهل لنا أن نقول بعد استعراض ترجمته هذه أن صاحب الضوء كان كارهاً له ؟ وهل يجوز لنا أن نستنبط من هذا أن تلك الكراهية هي التي دفعت الطرابلسي لأن يقرظ ابن الصيرفي ويثني عليه وهو يعرف ما بين صاحبه وبين السخاوي من بغضاء تجلت واضحة في الترجمة التي ساقها لمؤلف النزهة ؟

إذا كان الأمر كذلك جاز لنا أن نقول إن هذا هو « محمد بن محمد الطرابلسي » وإن لم نجزم بذلك جزماً باتاً ولكنا نرجحه ونثبته هنا إلى أن يظهر لنا أو لغيرنا من ينقضه بناء على ترجمة قد لا نكون اطلعنا عليها حتى وقت كتابة هذه الكلمات.

* * *

أما التقريظ الثاني الذى تحمله صفحة العنوان فهو ثلاثة أبيات من الشعر تجرى على هذا النسق :

الحمد لله رب العالمين .

إنمــا نزهة النفــوس كتاب مفصح عن محاسن الأخلاق
فى عيون الأخبار حل ســناه كضياء العيون فى الأحداق
مطلق الحسن قيد الفكر وصفا لا يرى مثــله على الإطلاق

ويليهــا :

« كتبه ناظمه فقير رحمة ربه محمد بن أبى بكر القادرى ، غفر الله له ولوالديه ، ولجميع المسلمين . آمين » .

والإسم الكامل لناظم هذه الأبيات هو : « محمد بن أبى بكر بن عمر بن عمــران ابن نجيب بن عامر الأنصارى الأوسى السعداوى الدنجاوى ثم القاهرى الدمياطى الشافعى القادرى الجوهرى » وهو اسم يتضمن عرقه القبلى ، ثم البلاد التى حل فيها مولداً وإقامة ، ثم حرفته ؛ وقد نعته السخاوى (الضوء اللامع ، ج ٧ ترجمة ٤٤٣) بـ « الشاعر » : وكان القادرى هذا فى سن ابن الصيرفى تقريباً ، فالبعض يجعله أكبر منه بسنة واحدة ، والبعض الآخر يعده أصغر منه بعام واحد ، فقد ولد بدنجية بمركز شربين (١) قرب دمياط وليس من شك فى أنه عرف ابن الصيرفى ، فكلاهما قد تكسب فى سوق الجوهريين حسبما

(١) محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ج ٢ ق ٢ ص ٧٨ .

وردت الإشارة لذلك فى أكثر من موضع بالضوء[(١)] ، ولاجدال فى أن وقوف كل منهما فى هذا السوق خلع على كل منهما لقب « الجوهرى » ، كما أننا نعرف من ترجمة ابن الصيرفى أنه « دخل دمياط » وبقى فيها فترة من الزمن وإن كنا لانعرف مداها ؛ وغير بعيد — بل هو المحتمل — أن يكون قد التقى فى هذا البلد أيضاً بمحمد بن أبى بكر القادرى الذى نعرف أنه « تردد إلى دمياط وقطنها مراراً » ، يضاف إلى هذا أن كلا منهما درس على الشمنى وابن الديرى وابن حجر العسقلانى والأمين الأقصرائى ، وطبيعى جداً أن يكون كل من ابن الصيرفى والقادرى قد تعرف على الآخر فى مجالس هؤلاء العلماء وحلقاتهم ، ونشأت بينهما مودة دفعت ابن الصيرفى لأن يعرض عليه « نزهة النفوس » هذا ليقرظه فاستجاب لرجائه أو رغبته ، فكانت من ذلك تلك الأبيات الثلاثة السالفة .

* * *

ثم هناك تعليقات جانبية أخرى ، واحدة منها بأعلى صفحة العنوان (٢ ا) وهى :

(١) وصلى الله على عبده

(٢) فقير رحمة ربه الحنفى محمد بن عبد القادر

(٣) الرجبى الحنفى

(٤) .. ..

(٥) .. ..

(٦) سنة عشر وتسعما(ئة) :

ولسنا نعرف شيئاً عن محمد بن عبد القادر الرجبى هذا وإن كان أبوه قد نشأ فى كفالة أمه فاطمة زوجة قاسم البلقينى المتوفى سنة ٨٦١ هـ ، على أن الرجبى هذا لم يكن متصوفاً ومات سنة ٨٨٩ هـ أو فى التى بعدها .

ويلى هذه الأسطر ما يلى : « بخط مؤلفه وهو جميع ما كتبه إلى وفاته رحمه الله » :

(١) الضوء اللامع ، ج ٥ ص ٢١٨ س ١١ ؛ ج ٧ ص ١٨٨ س ٢٢ .

وهناك تعليقات أخرى وردت فى ورقة (١ أ) ، أحدها يتعلق بالعنوان ــ كما ذكرنا آنفاً ــ وهو :

(١) نزهة النفوس والأبدان فى تاريخ الزمان

(٢) لعلى بن داود الخطيب الجوهرى

(٣) وهو بخطه رحمه الله

(٤) وهو جميع ما كتبه

(٥) إلى وفاته .

لكن هذا التعليق يحتاج إلى تعليق وذلك لما يشوبه من الخطأ ، لأن ما وجد من هذه المخطوطة يقف عند سنة ٨٥٠ من عهد جقمق أو حتى نهاية أحداث سنة ٨٤٩ ، زد على ذلك أنه أصبح من المعروف لنا الآن أن ابن الصيرفى كتب تاريخ الأحداث إلى حكم قايتباى ، يؤكد هذا ما نشرناه من تحقيقنا لكتاب آخر للمؤلف ذاته هو « إنباء الهصر بأنباء العصر » الذى وصل إلينا منه ما كتبه عن عهده حتى سنة ٨٧٧ هـ وقد ضاع باقيه (١) .

على أننا قد نفسر قوله « وهو جميع ما كتبه إلى وفاته » بأن كاتب هذه العبارة قصد بها القسم الخاص من النزهة منذ عهد برقوق حتى السنوات الثمانى الأول من حكم الملك الظاهر جقمق أعنى إلى سنة ٨٥٠ .

على أنه يبدو أن هذا التعليق استرعى انتباه أكثر من قارئ لمخطوطة « النزهة » هذه فقد ورد فى نفس الصفحة ولكن بخطوط مختلفة :

« إنباه الغمر من سنة ثلاث وسبعين إلى آخر سنة خمسين وثمانمائه » .

ثم بخط آخر :

(١) انظر حسن حبشى : المقدمة لكتاب إنباء الهصر بأنباء العصر .

« ابتداء هذا التاريخ : نزهة النفوس من رمضان سنة ٧٨٤ ونهايته لغاية سنة خمسين وثمانمائه سنة ٨٥٠ » :

ثم يليهـــا :

« تاسع عشر شهر المبارك من رمضان سنة ٧٨٤ أربع وثمانين وسبعمائه » :

ثم تكررت العبارة ذاتها إلا أن يكون الكاتب قد أراد تجويد الخط أو لعله أراد أن يصل بينها وبين العبارة التالية :

« إلى غاية شهر ذى الحجة نهاية سنة خمسين وثمانمائة » :

ثم عبارة بخط آخر ولعلها تتمة لهذا القول أيضاً :

« انتهى نزهة النفوس إلى هذا المحل » :

ثم :

« ومن سنة إحدى وخمسين إلى سنة ست وسبعين (؟) وثمانمائة . إلى هذا المحل انتهى إنباء الهصر فى أنباء العصر» :

ثم يلى ذلك بخط مغاير لتلك الخطوط وبأسلوب نلحظ فيه العجمة :

« تاريخ بقاعى من سنة ٨٥٥ إلى غاية سنة ٨٧٠ » :

وبنفس هذا الخط ورد فى ورقة (١ ب) : « وفات الشيخ علاء الدين السيرامى فى سنة ٧٨٠ » :

ويبدو لنا من هذه التعليقات أنها كلها تتضمن إيماءة إلى مضمون نزهة النفوس فى أنه يشمل الأحداث والوفيات من ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ إلى ذى الحجة سنة ٨٥٠ ؛

وقد تكون الإشارة إلى بداية « إنباء الهصر » غير صحيحة — كما بيناها فى مقدمتنا لتحقيقنا إياه — وكذلك النهاية ؛

غير أن الإشارة إلى تاريخ إبراهيم بن عمر البقاعى صحيحة فى محلها ، يؤكد هذا أنه توجد فى مكتبة شيخ الإسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة نسخة من هذا التاريخ وهى مسودة المؤلف وبخطه وعنوانها « إظهار العصر لأسرار أهل العصر » وتوجد منه صورة على فيلم بمعهد المخطوطات العربية بجامعة الدول العربية بالقاهرة .

* * *

أما عملى فى المخطوطة فقد حاولت أن أنقلها كما هى إلا مع تصويب الأخطاء الإملائية والتنقيط والترقيم وتعديل بعض الكلمات وتصويبها ناصاً على ذلك فى الحاشية وإلا حيث يكثر التكرار فتجنبته بالإشارة فى أول مرة إلى تصويب اللفظ فيما يلى من الصفحات .

* * *

ولا يفوتنى أن أشكر الآنسة ليلى محمد المغاورى والسيد محمود رزق محمود الباحثين بمركز تحقيق التراث القومى لمساعدتهما إياى فى كثير من مراحل هذا الجزء .

وأرجو أن أكون قد وفقت لخدمة القارئ العربى بإخراج هذا المتن لينتفع به المهتمون بتاريخ تلك الحقبة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً .

ومن الله العون والتوفيق

الدقى فى ١٧ رجب ١٣٨٩ / ٢٩ سبتمبر ١٩٦٩

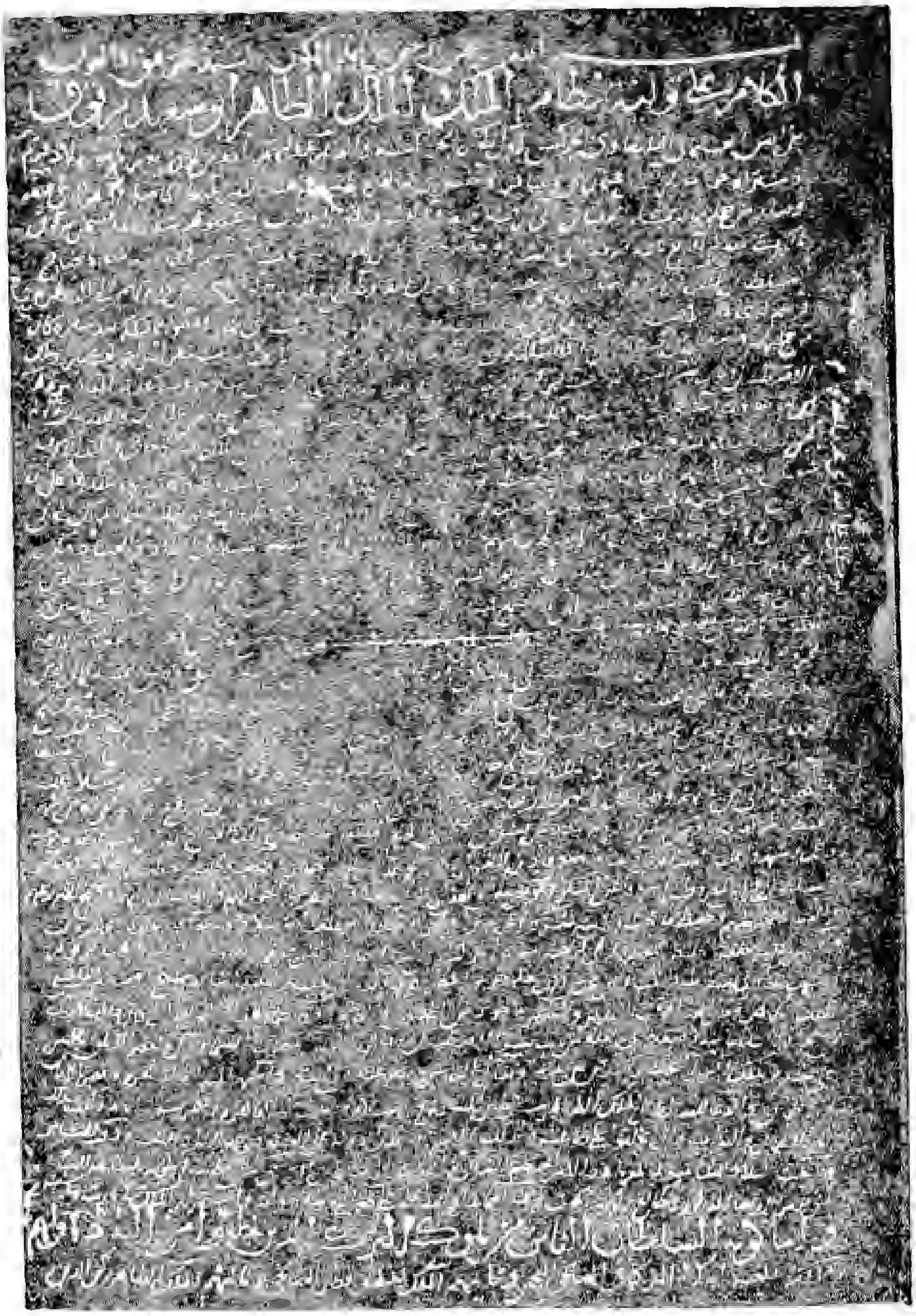
حسن حبشى



ورقة ١ أ من مخطوطة
نزهة النفوس والأبدان



ورقة ١٢ من مخطوطة
نزهة النفوس والأبدان



ورقة ٢ ب من مخطوطة
نزهة النفوس والأبدان بخط المؤلف نفسه

ثبت بأهم
المصادر والمراجع العربية والأجنبية
المستعملة فى حواشى كتاب
نزهة النفوس والأبدان

* * *

امين سامى : تقويم النيل ج ١ ، ٧ ، ٨ (المطبعة الأميرية ، ١٩١٦) .

ابن إياس : (محمد بن أحمد بن إياس الحنفى المصرى) :

بدائع الزهور (مطبعة كردستان العلمية بالقاهرة ١٤٣٨ هـ) .

ابن بهادر المؤمنى : (محمد بن محمد بن محمد بن بهادر المؤمنى) :

فتوح النصر فى تاريخ ملوك مصر .

(صور شمسية بدار الكتب المصرية ، ٢٣٩٩ تاريخ) .

ابن تغرى بردى (جمال الدين يوسف ٨٧٧ هـ) :

١ — المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى (ج ١ ، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ، مطبعة دار الكتب المصرية) انظر أيضا G. Wiet

٢ — مورد اللطافة فيمن ولى السلطنة والخلافة (كمبردج ، ١٧٩٢) .

٣ — النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا .

(مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠) .

ابن حجر (أحمد بن على ... العسقلانى ، ت ٨٥٢ هـ) :

١ — إنباء الغمر بأنباء العمر (ج ١) تحقيق حسن حبشى ، نشره المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ، ١٩٦٩ .

٢ — الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة (٥ أجزاء) تحقيق محمد سيد جاد الحق ، دار الكتب الحديثة بالقاهرة ، ١٩٦٧ .

٣ — رفع الإصر عن قضاة مصر (ج ١ ، ٢) نشر حامد عبد المجيد (ومخطوط بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥ تاريخ) .

ابن دقماق (ابراهيم بن محمد بن أيدمر بن دقماق ، ت ٨٠٩ هـ) :

كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار ، ج ٥ .

السخاوى (محمد بن عبد الرحمن ... ، ت ٩٠٢ هـ) :

١ — الذيل على رفع الإصر ، تحقيق جودة هلال ومحمد محمود صبيح ، الدار المصرية للتأليف والترجمة بالقاهرة (بلا تاريخ) .

٢ — الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (١٢ جزءا) نشرته مكتبة القدسى بالقاهرة ، سنة ١٣٥٥ .

السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن ، ت ٩١١ هـ) :

حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة .

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد بن الشحنة) :

الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب (نشره يوسف بن إليان سركيس) ، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٩ .

طافور (بيرو) :
رحلة طافور فى عالم القرن الخامس عشر الميلادى . ترجمة وتعليق حسن حبشى ، نشرته دار المعـارف ، مطبعة سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٦٨ .

الطباخ : (محمد راغب بن محمود بن هاشم) :
إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧ أجزاء) المطبعة العلميـة بحلب سـنة ١٩٢٣ — ١٩٢٤ .

ابن طولون : (شمس الدين ابن طولون الصالحى) :
قضاة دمشق ، الثغر البسام فى ذكر من ولى قضاء الشـام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، من مطبوعات المجمع العلمى العربى بدمشق ، دمشق ١٩٥٦ .

ابن عبد الحق البغدادى (صفى الدين عبد المؤمن ... ت ٧٣٩ هـ) :
مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (٣ أجزاء) تحقيق على محمد البجاوى ، نشرته دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ، ١٩٥٤ .

العزاوى (عباس) :
تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٢ (مطبعة بغداد الحديثة) سنة ١٣٥٤ = ١٩٣٦ .

ابن العماد الحنبلى (عبد الحى ، ت ١٠٨٩ هـ) :
شذرات الذهب فى أخبـار من ذهب ج ٦ ، ٧ ، نشرته مكتبة القدسى بالقـاهرة سنة ١٣٥٠ .

العينى (بدر الدين محمود ... ، ت ٨٥٥ هـ) :
عقد الجمـان فى تاريخ أهل الزمان (ج ٢٤) صور شمسية بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤ تاريخ .

ابن الفرات (محمد بن عبد الرحيم) :

تاريخ ابن الفرات .

ج ٩ ، نشره قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين ، بيروت . بالمطبعة الأميركية ببيروت ١٩٣٨

القلقشندى (أحمد بن على ، ت ٨٢١ هـ) :

١ — صبح الأعشى فى صناعة الإنشا (١٤ جزءا) . مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة سنة ١٩١٣ — ١٩١٩ .

٢ — قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، نشرته دار الكتب الحديثة بالقاهرة ١٩٦٣ .

٣ — مآثر الإنافة فى معالم الخلافة ، ٣ أجزاء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، الكويت ١٩٦٤ .

٤ — نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، تحقيق إبراهيم الإبيارى ، من سلسلة تراثنا العربى ، القاهرة ١٩٥٩ .

لسترانج (جى) :

بلدان الخلافة الشرقية (من مطبوعات المجمع العلمى العراق) ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة ، بغداد ١٩٥٤ .

محمد رمزى :

١ — القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ٣ أجزاء ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٣ — ١٩٥٤ .

٢ — فهرس القاموس الجغرافى ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٨ .

محمد كرد على :

١ — خطط الشام (ج ٤ ، ٥) ، مطبعة الترقى بدمشق ١٩٢٧ .

٢ — غوطة دمشق ١٩٤٨ طبعة دمشق — المجمع العلمى العربى ١٩٥٢ .

محمد مختار :

التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ، الطبعة الأولى ، المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٣١١ هـ .

المقريزى (أحمد بن على ، ت ٨٤٥ هـ) :

١ — السلوك لمعرفة دول الملوك ، صور شمسية بدار الكتب المصرية رقم ٤٥٥ ، ٤٦٢ تاريخ .

٢ — المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأمصار (جزءان) طبعة بولاق ١٢٧٠هـ .

يحيى بن الحسين بن القاسم (ت ١١٠٠ هـ) :

غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى ، ق ٢ ، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، نشر دار الكاتب العربى بالقاهرة ، ١٩٦٨ .

Ayalon (D.):

Studies on the Structure of the Mamlouk Army (Bulletine of the School of Oriental & African Studies), 1952.

Blochet (E):

Histoire d'Egypte de Makrizi (Leroux, Paris 1908).

Dozy (R):

Supplement aux Dictionnaires Arabes, 2 vols.

Dussaud (R):

Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievael, Paris, 1927.

Gaudefroy-Demombynes: La Syrie à l'Epoque des Mamlouks, Paris 1923.

Le Strange (G):

Palestine under the Moslem, London 1890.

Quatremère (E):

Histoire des Sultans Mamlouks de l'Egypte, Paris 1837, T. I, pt. 2.

Wiet (Gaston):

Les Biographies du Manhal Safi, (Memoires présentés à l'Institut d'Egypte, t. XIX, Le Caire 1937).

(٢ ب) بسم الله الرحمن الرحيم

من ممدّ الكون ، أستمدّ التوفيق والعون

[خلع حاجى وتولية برقوق]

الكلام على تولية نظام المُلك المَلك الظاهر أبى[1] سعيد برقوق أنس[2] العثمانى اليلبغاوى الجركسى ، أول ملوك الجراكسة والقائم بدولتهم

أخذ من بلاده صغيراً فأبيع ببلاد قِرم فاشتراه خواجا فخر الدين عثمان ابن مسافر وجلبه إلى القاهرة فابتاعه منه الأمير يلبغا[3] الخاصكى وهو الذى

(١) فى الأصل « أبو » .

(٢) وتكتب أحيانا بالصاد ويقال إنها الأصح ، راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ج ١ ص ٤١٧ حاشية رقم ١ ، وانظر Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 549

(٣) هو الأمير يلبغا العمرى ، وكان يكتب عنه « الأبواب من غير مطالعة » إلى نائب الشام ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ٨ / ٢١٨ ، والدرر الكامنة ٤ / ٥٠٧٩ ، وابن العماد الحنبلى : شذرات الذهب ٧ / ٢١٢ — ٢١٣ ، Wiet: op. cit. No. 2676

أعتقه وصار من حملة مماليكه الجلبان إلى أن قُتل يلبغا (١) ووقعت واقعة الأجلاب (٢) وشتتوهم شذر مذر ، فسجن برقوق بالكرك (٣) مدّة ثم أفرج عنه فتوجّه إلى الشام وخدم نائبها الذى هو الأمير منجلك (٤) [اليوسفى] واستمر فى خدمته مدة ، فاحتاج السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين إلى مماليك يلبغا فطلبهم ، فقدم برقوق صحبة مَن قدم منهم إلى القاهرة فرُسم له بخدمة الأسياد من حملة المماليك السلطانية .

(١) المعروف أن يلبغا الخاصكى استكثر من المماليك الجلبان وبالغ فى الإحسان إليهم وكانوا يخرجون معه فى موكب خاص ضخم ، أما « الجلبان » أو « الأجلاب » فهم المماليك « المشتروات » التابعون للسلطان الحاكم ، وهو لفظ متأخر زمنيا بعض الشىء عن قيام دولة المماليك الأولى ، وقد عم استعماله فى الدولة الجركسية ، انظر فى ذلك Ayalon: Studies on the Structure of the Mamlouk Army, (1), pp. 206-213.

(٢) السبب فى وقعة الأجلاب هذه أن مماليك يلبغا الجلبان أرادوا خلع الملك الأشرف شعبان سنة ٧٦٤ هـ الذى جمع معه جماعة من الأمراء الكبار والعامة ، وكانت النصرة للأشرفية الذين راحوا هم والعامة « يمسكون مماليك يلبغا ويحضرونهم عرايا مكشوفى الرءوس » كما يقول ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة ١١ / ٤٦ — ٤٨ .

(٣) الكرك من قلاع أطراف الشام الشديدة الحصانة وهى على جبل شاهق الارتفاع ، انظر ياقوت : معجم البلدان ٤ / ٣١٢ ؛ هذا وقد اختلفت المراجع العربية فى ضبط هذا الاسم فجعله ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ٣ / ١١٥٩ بسكون الراء ، وجعله غيره بفتحها كما جرت بذلك عادة أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ، وسار على هذا النهج أيضا Gaudefroy - Demombynes : La Syrie à l'epoque des Mamelouks, pp. 125, et seq.; Dussaud: Topographie Historique de la Syrie Antique et Medievale (Index de noms de lieux etc ...)

(٤) شغل منجك اليوسفى كثيرا من كبار وظائف الدولة فكان حاجب دمشق ثم وزيرا بمصر ثم أستادارا وولى إمرة حلب ، راجع ابن حجر : إنباء الغمر ١ / ١٠٠ — ١٠١ ، والدرر الكامنة ٥ / ٤٨٤٦ ، والمقريزى : الخطط ٢ / ٣١٩ — ٣٢٣ ، Wiet: op. cit No. 2535.

فلما سافر الملك الأشرف إلى الحجاز — ووثب (١) مماليكه بعد سفره — كان برقوق من جملتهم وانتقل من الجندية إلى الخاصكية (٢) ثم إلى إمرة (٣) طبلخاناه (٤) ثم إلى تقدمة الألف (٥)، ثم استقر أمير آخور (٦) كبيراً وملك الاصطبل وباب السلسلة (٧) ثم استقر في الإمرة الكبرى فانفرد بتدبير المملكة، فحسنت سيرته وساعدته المقادير بذهاب من يعانده، ولما استقر في الأتابكية (٨) أجمل المسيرة في الرعية

(١) في الأصل « وثبوا ». (٢) المقصود بذلك السلطان برقوق.

(٣) الخاصكية فرقة من مماليك السلطان الحاكم يكونون في العادة من جماعة المشتروات، وهم يلازمونه في خلواته ويجهزهم في المهمات الشريفة، أنظر في ذلك ابن شاهين: زبدة كشف الممالك ص ١١٥، وانظر أيضا G. — Demombynes: op. cit. Introd, p. xxxiii; Ayalon, op. cit.

(٤) أشار القلقشندي: صبح الأعشى ٤/٨ إلى أن « الطبلخاناة » لفظ يطلق على طبول متعددة وزمارات تختلف أصواتها على إيقاع مخصوص، وجرت العادة على أن تدق كل ليلة بالقلعة بعد صلاة المغرب، كما أنها تكون صحبة الجيوش ومع السلطان في سفره، وللطبلخاناة أمير يكون له من المماليك ما بين أربعين وثمانين مملوكا، (انظر نفس المرجع ٤/١٥، وابن خليل الظاهري: زبدة كشف الممالك ص ١١٣)، هذا ويبلغ إقطاع أمير الطبلخاناه ثلاثين ألف دينار، نقل ذلك صبح الأعشى ٤/٥٠ عن مسالك الأبصار.

(٥) معنى هذا أن الأمير برقوق أصبح أمير مائة مقدم ألف وهي مرتبة تؤهل صاحبها لشغل المناصب الكبرى في الدولة حينذاك سواء أكانت في مصر أو في بلاد الشام، ففي مصر: نائب السلطنة ونائب الغيبة والدوادار الكبير والأستادار، وأما في الشام: فنائب دمشق ونائب حلب.

(٦) هو المتحدث على إسطبل السلطان أو الأمير، راجع القلقشندي: صبح الأعشى ٥/ ٤٦١.

(٧) يسمى بالاسطبل السلطاني وهو يقوم داخل أسوار القلعة، وكان ينزل إليه السلطان من جانب إيوان القصر، يضاف إلى هذا أنه في ركوبه كان لابد له من النزول إليه ومنه إلى الميدان، أنظر المقريزي: الخطط ٢/٤ ٢٠، ٢٢٨، أما باب السلسلة فكان يعرف أيضا بباب الإسطبل أو باب الانكشارية.

(٨) الأتابكية — نسبة إلى أتابك — وهي وظيفة كانت لمن يشغل في هذا العصر وظيفة مقدم العساكر، وهي تجعل صاحبها «أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب والكفيل»، انظر في ذلك صبح الأعشى ٤/ ١٨، ويشير G. — Demombynes: op. cit. Introd, P. xxvii إلى أنه في منح المؤيد شيخ سنة ٨١٥ لقب «أتابك العساكر» قصد أن يكون المتصرف في جميع شئون الحكومة.

بالسياسة وشمل الناس منه أنواع الخيرات والفضائل ولولم يكن[له]إلا انقياده للشريعة المطهرة، وناهيك بها من منقبة ومفخرة[لكفى]، والسلطان إذ ذاك الملك الصالح حاجى[1] بن الملك الأشرف شعبان صغير لا يفهم الخطاب ولا يرد الجواب ، فأجمـــع أعيان المملكة وأمراؤها ومباشروها وأهل حلها وعقدها على أن الزمان الذى هم فيه محتاج إلى سلطان صاحب قوة وجنان ، ومعرفة وإتقان وعرفان يتعلق المملكة سيما الممالك التى فى البلدان ، فإن لم يفعـــلوا ذلك تضطرب[2] منهم الأمور وتكثر الشرور وينتشر الفساد فى البلاد والعبـــاد، ويكون إهمالهم سبباً فى طمع الأعداء فى البلدان ، فضربوا المشورة فيما بينهم ، واستجاروا الله الكريم المنّـــان أن يكون سيفُ الدين برقوقُ سلطانَ الإسلام والمسلمين لمـــا اجتمع فيه من الدين ، والمعرفة والشجاعة والتمكين ، فعنـــد ذلك حضر أمير المؤمنين المتوكل على الله أبو عبد الله محمد الهاشمى العبـــاسى وقضاة القضاة الأربعة وهم : قاضى القضاة بدر الدين [محمد] بن أبى البقاء السبكى[3] الشافعى ، وقاضى القضاة صدر الدين [محمد] بن منصور [الدمشقى] الحنفى ، وقاضى القضـــاة كمال الدين بن خـــير[4] المالكى ، وقاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى [العسقلانى] ، وعلماء العصر والمفتيون ، منهم : الشيخ

---

(١) Wiet: op. cit. No. 867. ، وانظـــر جدول أنساب أسرة قلاون تحت رقم ١٨٧٨ فى نفس المرجع .

(٢) فى الأصل « وإن لم يفعلوا ذلك وإلا تضطرب » .

(٣) انظر المراجع والمصادر عنـــه فى Wiet: op. cit No. 2318

(٤) هو عبد الله بن محمد بن خير السكندرى المـــالكى المتوفى ســـنة ٨٢٠هـ ، وكان أحد من قرأ عليهم ابن حجر وهو فى الثالثة والعشرين ، وكان موصوفا « بالعالم المســـند القاضى الرحلة » ، انظر فى ترجمته السخاوى : الضوء اللامع ٥ / ٢٣١ .

العلامة أكمل الدين[(١)] الحنفي والشيخ العمدة سراج الدين عمـــر البلقيني[(٢)] الشافعي إلى الإصطبل السلطاني، وأمروا قطلوبغا الكوكائي[(٣)] أمير سلاح[(٤)] وألطنبغا المعلم[(٥)] رأس نوبة النوب[(٦)] أن يتوجها إلى[(٧)] الملك الصالح حاجيّ فيأخذاه ويدخلاه إلى

(١) وكان شيخ الخانقاه الشيخونية وهي من أجل خانقاوات ذلك العصر.

(٢) نســبة إلى بلقينة من أعمال الغربية، وقد جاء في محمـد رمزي: القاموس الجغرافي للبـلاد المصرية (القسم الثاني، البلاد الحالية) ج ٢ ص ١٩ أنها قديمة ذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق وهي واقعة بين محـلة أبي الهيثم والمحلة الكبرى، ووصفها بأنها قرية كثيرة البساتين والغلات متصلة العمارة، وعرفها ياقوت في معجمه، وابن عبد الحق: مراصد الاطلاع ١ / ٢١٩ بأنها قرية من حوف مصر ويقال لها «البوب» أيضا، أما فيما يتعلق بالشـيخ سراج الدين البلقيني فراجع إنباء الغمر وفيات سنة ٨٠٥هـ، والضوء اللامع ٦/ ٢٨٦.

(٣) كان من حمـلة أمراء الألوف بالديار المصرية، ثم ولي كثـيرا من وظائف الدولة الكبرى كحجوبية الحجاب، ومات سنة ٧٨٥ هـ، أنظر عنه ابن حجر: إنباء الغمر ١ / ٢٨٥ ترجمة رقم ٢٥، وابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٨.

(٤) كانت وظيفة أمـير سلاح من كبرى مراتب أرباب السيوف الذين هم بحضرة السـلطان، ومهمة صاحبها حمـل سلاح السلطان في المجامـع الكبرى، كما كان له الإشراف على السلاحدارية من المماليك السلطانية، انظر صبح الأعشى ٤ / ١٨.

(٥) cf. Wiet: op. cit. No. 536.

(٦) رأس نوبة النوب من الألفاظ المحـدثة المركبة، وهي لقب يطلق على من يتحدث على مماليك السلطان أو الأمير وينفذ أوامره فيهم، وقد أشار القلقشندي (صبح الأعشى ٥ / ٤٥٥) إلى أن عبارة «رأس نوبة النـوب» تعبير خاطئ تطلقه العامة على أعلى الأمراء ممن يتـولى وظيفة رأس نوبة، ويشـير G— Demombynes: op. cit. Introd. p. LVI, note 4 إلى أن صاحب «المقصد الرفيـع المنشا» سماها «رأس نوبة الأمراء»؛ على أن هناك وظيفة «رأس نوبة ثاني» التي أصبحت منذ منتصف القرن التاسع الهجري تسمى برأس نوبة النوب، كما نص على ذلك أبو المحاسن ابن تغرى بردى في النجوم الزاهرة ١١/ ٢٢٧.

(٧) كان السلطان المـلك حاجي موجودا ساعتئذ في قاعة الدهيشة التي كان السلطان الملك الصالح إسماعيل بناها في سنة ٧٤٤.

الحريم ويأخذا منه النمجاة (١) فامتثلا لذلك وأحضرا بها إلى بين أيديهم ، وكل ذلك فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين وسبع مائة ، الموافق له من أشهر القبط آخر هاتور (٢) ، ومن أشهر الروم سادس تشرين الثانى ؛ فخلع الخليفةُ السلطانَ الملك الصالح بعد أن ثبت عنده ما يوجب ذلك، وشهد (٣) عليه القضاة بل ونفذوا خلعه ، وأذّن للظهر وبادر الجماعة فصلوا الظهر وخطب الخليفة خطبته على العادة ، فأمر السلطانَ (٤) فيها بالمعروف ونهاه عن المنكر ووصاه (٥) بالعدل فى الرعية والنظر فى أحوالهم والإحسان إليهم ودفع الضرر عنهم والقيام بحفظهم وحفظ ما تحت ولايته شرقاً وغرباً براً وبحراً ، وقلده أمر العباد والبلاد ، وبايعه فبايعه الحاضرون ، وأفيض عليه خلعة الخلافة المعظمة وهى فرجية سوداء بتركيبة زركش وطراز زركش وعمامة سوداء بطرف ذهب مرقوم وسيف بداوى بسقط ذهب، ومن تحت ذلك حلة حرير أخضر :

هذا بعد أن لقبه الخليفة — بإشارة شيخ الإسلام البلقينى — « الملك الظاهر » وقال : « هذا وقت الظهر ، والظهر مأخوذ من الظهيرة والظهور ، وقد ظهر هذا الأمير بعد أن كان خافياً » .

(١) « النمجاة » لفظ فارسى الأصل و يقصد به آلة شبه الخنجر مقوسة .

(٢) يتفق هذا وما جاء فى محمد مختار : التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٢ فى تحديد التاريخين العربى والقبطى ، أما التاريخ الميلادى فكان يوم ٨ نوفبر ١٣٨٢ وليس بالسادس منه كما فى المتن .

(٣) فى الأصل « وشهدوا » .

(٤) يقصد بذلك الخليفة .

(٥) فى الأصل « وتوصيته » .

وركب من الحراقة[(١)] السلطانية وصعد إلى القلعة من باب سر[(٢)] الإصطبل ، وحال ركوبه أمطرت السماء ونزل بالقصر الأبلق[(٣)] فجلس على سرير الملك ، وقبّل العسكر الأرض بين يديه وتفاءل الناس بالمطر عند ولايته ، وأشهر النداء بالقاهرة ومصر بالأمان والاطمئنان[(٤)] والدعاء للسلطان : « الملك الظاهر سلطان المسلمين والإسلام » وزينت له القاهرة ومصر سبعة أيام ، وكتب بذلك إلى الأعمال والنواب وأن يحلفوا على طاعته وكذلك الأمراء وأهل الدولة على العادة فتوجه[(٥)] البرد بذلك ودقت البشائر ، وزينت البلاد الشامية لمّا بلغها

(١) الحراقة في اللغة ضرب من السفن فيها مرامي نيران يرمى بها . غير أن ما يشير إليه المؤلف في المتن هو غير هذا الفرع من السفن الحربية ، ويستدل مما ورد في كتب هذا العصر أنها كانت تستعمل في مصر للنزهة في النيل ، انظر بدائع الزهور ٤/١٥٢ .

(٢) الأرجح أنه باب السرّ الذي وصفه القلقشندي : صبح الأعشى ٣/٣٧٠ بأنه الباب المخصوص لدخول وخروج أكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب السر وغيرهما ، يؤيد هذا خروج السلطان منه في هذا الموقف .

(٣) شرع الناصر محمد بن قلاوون في شعبان سنة ٧١٣ في بناء القصر الأبلق بقلعة الجبل بالقاهرة وكان يشرف على الإصطبل السلطاني واستغرق منه ذلك سنة كاملة ، وقد أراد به محاكاة قصر بهذا الاسم نفسه بناه الظاهر بيبرس بدمشق سنة ٦٦٨ هـ ، وقد استدعى الناصر محمد بن قلاون لعمارته صناع دمشق ومصر ، وكانت العادة قد جرت بأن يجلس به السلطان كل يوم للخدمة ما عدا يومي الاثنين والخميس فإنه يجلس فيهما للخدمة بدار العدل ، وكانت به رسوم وعوائد تغيرت بتغير السلاطين والأحداث ، راجع عن ذلك كله الخطط ٢/٢٠٩ ، والنجوم الزاهرة ٩/٣٦ — ٣٧ .

(٤) دأب المؤلف على كتابة « الاطان » بدلا من « الاطمئنان » في جميع صفحاته وكذلك في غيرها كإنباء الهصر (نشر وتحقيق حسن حبشي) ، وسوف تصحح فيما يلي من الصفحات كلما وردت دون الإشارة إلى التصويب اكتفاء بهذه الحاشية .

(٥) في الأصل « فتوجهوا » .

هذا الأمر العظيم الشأن بولاية هـــذا السلطان ووافق سلطنته فى الساعة السابعة(١) من يوم الأربعاء المذكور ، وطالع ركوبه الحوت ، وهذا مما يدلّ — والله أعلم — على طول أيامه دولته واستمرار الملك فى ذريته وحاشيته .

* * *

[سلاطين المماليك]

وأما(٢) كونه السلطان الثامن من ملوك الترك الذين جلبوا من البـــلاد فإن أولهم الملك المعز أيباك التركمانى الصالحى النجمى ، وثانيهم الملك المظفر قطز الصالحى ، وثالثهـــم الملك الظاهر ركن الدين (١٣ أ) بيبرس الصّالحى البندقدارى ، ورابعهم الملك المنصور قلاون الصالحى الألفى ، وخامسهم الملك العادل كتبغا المنصورى ، وسادسهم الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ، وسابعهم الملك المظفر بيبرس الجاشنكير(٣) ، وثامنهم الملك الظاهر برقوق بن أنس العثمانى اليلبغاوى وهو الخامس والعشرون من ملوك الترك وأولادهم الذين تولّوا السلطنة بعد انقراض دولة بن أيوب ، لأن أولهم الملك

(١) أنظر العينى : عقد الجمان ج ٢٤ لوحة ٢٧٩ .

(٢) أورد العينى ٢٤/٢٧٥ — ٢٧٨ أسماء الحكام والسلاطين الذين ولوا حكم مصر منـــذ المعز أيبك حتى برقوق ، وسار على هذا المنوال أيضا ابن الصيرفى فى هذه المخطوطة ، وكذلك ابن بهادر المؤمنى فى كتابه : فتوح النصر الذى يعده محقق هذه الخطبة للنشر .

(٣) فى الأصـــل « الجاششنكير » والصواب ما أثبتناه بالمـــتن ، وقد عرفه القلقشندى : صبح الأعشى ٥/٤٦٠ بأنه الشخص الذى يتصدّى لذوق المـــأكول والمشروب قبل السلطان أوالأمير خوف أن يكون بالطعام سم ، انظـــر فى ذلك : Dozy: Supplement aux Dictionnaires Arabes; G-Demonbynes: op. cit. Introd., P. LXI, note I, والمراجع المذكورة هناك .

المعز أيبك تولى السلطنة فى آخر يوم من شهر ربيع الأول من عام ست وأربعين وستمائة ، وقتل يوم الثالث والعشرين من ربيع الأول الذى هــو الثلاثاء من سنة خمس وخمسين وستمائة فتكون مدة سلطنته تسع سنين وثلاثة وعشرين يوماً . والثانى الملك المنصور نورالدين على بن الملك المعز أيبك تولى السلطنة بعد قتل أبيه بثلاثة أيام فى السادس والعشرين من ربيع الأول ســـنة خمس وخمسين وستمائة ثم خلع فى أوائل شهر ذى الحجة سنة سبع وخمسين وستمائة ، فكانت مدة ملكه سنتين وثمانية أشهر وأربعة أيام تخميناً . والثالث الملك المظفر قطز الصالحى تولى بعده وقتل فى يوم السبت سابع عشر ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة فتكون مدة سلطنته سنة واحدة وســـبعة عشر يوماً تخميناً . والرابع الملك الظاهر بيبرس الصالحى ، تولى يوم موت قطز ، وكانت وفاته ــ رحمه الله تعالى ــ بدمشق فى يوم الخميس السابع والعشرين من المحرم عام ست وسبعين وستمائة ، فكانت مدة ملكه سبع عشرة ســـنة وشهرين وعشرة أيام ؛ وتولى عوضه ولدُه الملك السعيد بركة وهو الخامس ثم خلع فى ربيع الأول من سنة ثمان وسبعين وستمائة ، فعلى هذا يكون ملكه سنتين وثلاثة أشهر تقريباً ؛ وولى عوضه أخوه الملك العادل بدر الدين بن سلامش وهو السادس ثم خلع بعد تمام مائة يوم من مملكته وتولى عوضـــه الملك المنصور قلاوون الصالحى الألفى ــ وهو السابع ــ فى يوم الخميس الثانى والعشرين من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ثم توفى يوم السبت السادس من ذى القعدة من سنة تسع وثمانين وستمائة ، فعلى هذا تكون سلطنته إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً تقريباً ، وتولى بعـــده ولده الملك الأشرف خليل وهو الثامن ثم قتل فى خامس عشر المحرم فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، فتكون سلطنته ثلاث سنين وشهرين وتسعة أيام تخميناً ،

وولى بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون أخوه وهو التاسع ثم خلعوه يوم الأربعاء تاسع المحرم من سنة أربع وتسعين وستمائة ، فتكون سلطنته أحد عشر شهراً وأربعة وعشرين يوماً ، ثم تولى بعده فى يوم الاربعاء المذكور الملك العادل زين الدين كتبغا وهو العاشر ثم خلعوه يوم الجمعة عاشر صفر من سنة ست وتسعين وستمائة ، فتكون سلطنته سنتين وشهراً واحداً ويوماً واحداً ، وتولى بعده الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى وهو الحادى عشر ثم قتل فى ليلة الجمعة حادى عشر ربيع الآخر من سنة ثمان وتسعين وستمائة ، فتكون مدة سلطنته سنتين وشهراً ويوماً واحداً . وولى بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون ثم عزل نفسه فى شوال من سنة ثمان وسبع مائة ، فيكون ملكه عشر سنين وستة شهور وأياماً تقريباً ، وتولى عوضه الملك المظفر بيبرس الجاشنكير — وهو الثانى عشر — إلى رمضان من سنة تسع وسبعمائة فتكون مملكته عاماً واحداً وأياماً أو لا أيام تخميناً ، وتولى عوضه الملك الناصر محمد وجلس على سرير الملك يوم الخميس ثانى شوال [سنة] تسع وسبعمائة ، ثم توفى فى يوم الأربعاء العشرين من ذى الحجة سنة إحدى وأربعين وسبعمائة وهو الثالث عشر ، فتكون مدة مملكته اثنتين وثلاثين سنة وشهرين وثمانية عشر يوماً تخميناً ، وتولى بعده الملك المنصور سيف الدين أبو بكر وهو الرابع عشر ثم خلعوه يوم الاثنين الثانى والعشرين من صفر سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فتكون سلطنته شهرين ويومين على التحرير ، وتولى بعده أخوه الملك الأشرف كجك وهو الخامس عشر منهم ثم خلعوه فى السابع والعشرين من رمضان سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة ، فتكون دولته على هذا سبعة شهور ، ثم تولى عوضه الملك الناصر أحمد فى يوم خَلْع مَن قبله وهو السادس عشر ، ثم خلعوه فى يوم الخميس الحادى والعشرين من المحرم من سنة ثلاث وأربعين

وسبعمائة فتكون مدة دولته ثلاثة شهور وثمانية وعشرين يوماً بالتقريب ، وتولى بعده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل يوم خلعه — وهو السابع عشر — إلى أن توفى يوم الأربعاء الثالث من ربيع الآخر من سنة ست وأربعين وسبعمائة فتكون مملكته ثلاث سنين وشهرين واثنى عشر يوماً ، وتولى بعده الملك الكامل شعبان وهو الثامن عشر ثم خُنِق في يوم الثلاثاء ثاني جمادى الآخرة من سنة ست وأربعين وسبعمائة فتكون دولته شهرين إلا يوماً واحداً وتولى عوضه الملك المظفر حاجي — وهو التاسع عشر — في يوم الأحد الثاني عشر من رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة ، فتكون دولته ثلاثة أشهر وعشرة أيام وذلك بالتقريب (٣ ب) ، وتولى بعده الملك الناصر حسن وهو العشرون ثم خُلع يوم الأحد السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة ، فتكون مدة سلطنته ثلاث سنين وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً ، وتولى عوضه الملك الصالح صالح وهو الحادى والعشرون ، ثم خلع يوم الاثنين ثاني شوال من سنة خمس وخمسين وسبعمائة ، فتكون سلطنته ثلاث سنين وشهرين وستة أيام ، وتولى بعده الملك الناصر حسن ثم قُتل في يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة فتكون مملكته ست سنين وتسعة أشهر وسبعة أيام وهو الثاني والعشرون ، وهذه التولية الثانيـــة لم يعتبروا العدة إلّا عشرين لعوده؛ وتولى عوضه الملك المنصور محمدبن الملك المظفر حاجّي وهو الثاني والعشرون لأن الناصر أعيد ، وما يُعدّ إلا بواحد ، ثم خلع يوم الثلاثاء الخامس عشر من شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة فتكون سلطنته أربع سنين تعجز ستة أيام ، ثم تولى عوضه الملك الأشرف شـــعبان ابن حسين بن الناصر بن قلاون وهو الثالث والعشرون ثم قتلوه خنقاً في يوم الاثنين الخامس من ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة ، فتكون مملكته

أربع سنين وخمسة أشهر وعشرين يوماً ، وتولى بعده الملك المنصور على بن شعبان وهو الرابع والعشرون ، إلى أن توفى يوم الأحد الثالث والعشرين من شهر صفر من سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة ، فتكون مدة سلطنته أربع سنين وثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً ، ثم ولى عوضه الملك الصالح أمير حاج وهو الخامس والعشرون إلى أن كان يوم الأربعاء التاسع عشر من رمضان من سنة أربع وثمانين وسبعمائة خلعوه من المماكة فتكون مدة دولته سنة واحدة وسبعة أشهر والعلم عند الله .

* * *

[ولاية برقوق الأولى]

ثم يوم الاربعاء تولى عوضه[1] السلطان الملك الظاهر سيف الدين أبو سعيد برقوق الجركسى العثمانى اليلبغاوى وهو السادس والعشرون من الترك وأولادهم كما بينا ذلك ، ولله الحمد .

ذكر ما قيل فيه من المدائح ، ولنقتصر منه على ما فيه كفاية ، والله ولى العناية . فمن ذلك ما أنشده الشيخ شهاب الدين بن الأعرج السعدى[2] من قصيدة :

تولى المُلكَ برقوقُ المفدى   بسعد الجد ، والأقدار حتم
نهـار الأربعاء بعيد ظـهر   وللتربيع فى الأفلاك[3] حكم
بتاسع عشر رمْضان لعام[4]   لأربـع مع ثمانين تـتم

(١) أى عوضا عن الملك الصالح حاجى .

(٢) ستَرد ترجمته فى وفيات سنة ٧٨٥ ؛ وانظر أيضا ابن حجر : الدرر الكامنة ١/٢٣٤ ، وإنباء الغمر ١/٢٨١ ترجمة رقم ٨ ، والحنبلى : شذرات الذهب ٦/٢٨٧ .

(٣) « الأملاك » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٢٢ .

(٤) « تمام » فى العينى : عقد الجمان ، لوحة ٢٨١ .

وسبع في مئين غابرات مضت فيها جديس ثم طسم (١)
ولما همّ هم السيفُ منه بحرب قيل إن الناس سلم
أتتــه أئمــة الإسلام طراً إلى أبوابه سعياً يــؤم
وجاء له الخليفــة في سواد فسلطنه وفي الآماق رغم (٢)
وقلده بسيف الملك طوعاً فيالك (٣) صارماً ما فيــه ثلم
وألبسه السواد فزاد حسناً كأن جبينــه بــدر متم
وسمى «ظاهراً» تصديق فأل نطقت به وما في ذاك إثم
وكنى عاجلا «بأبي سعيد» فوافق نجمه ســعد ونجم
وأرسلت السماء الغيث بشراً لأهل الأرض كلهمو تعــم
فقلت له: يتم الملك دهــراً لبرقوق فقــال: نعم يتم

وقال شهاب الدين بن العطار (٤) المصري:

ظهور يوم الأربعاء ابتدى بالظاهر المعــتز بالقاهــر
والبشر قد عم (٥) وكل امرئ منشرح الباطن «بالظاهر»

وقال شهاب الدين بن العطار أيضاً وهو صاحب الأبيات المتقدمة:

الحمــد لله نلنا غاية الأرب وفرج الله عنّــا أضيق الكرب
وسعدنا ظاهر لا يختفي أبــداً بالملك الظاهر المحفوظ في النوب

(١) «طلسم» في العيني، شرحه.
(٢) «فسلطنه والآفاق رغم» في العيني، شرحه.
(٣) في الأصل «أيا لك».
(٤) هو أبو العباس أحمــد بن محمد الدنيسيري المصري المعروف بابن العطار المتوفى سنة ٧٩٤ هـ، راجع عنه الدرر الكامنة ١/٢٣٢، وإنباء الغمر ١/٤٤١، والنجوم الزاهرة ١٢/١٢٨، وشذرات الذهب ٦/٣٣٣، والمراجع الواردة عنه في Wiet: Op. Cit. No. 296
(٥) «تم» في النجوم الزاهرة ١١/٢٢٢.

أبوسعيد سعيدُ الرأى من خضعت له جميع ملوك العجم والعرب
الله ينصره ، الله يعضـــده الله يحفظه من كيد مرتقب
الله يعطيه ما نرجوه من أمل الله يحميه بالآيات والكتب

وهى قصـــيدة طويلة جد اختصرتها طلباً للإجازة فى الكلام ، والله يهدينا إلى دار السلام .

* *

[مستهل عهده]

يوم الاثنين رابع عشريه قرئ عهد أمير المؤمنين للسلطان على الأمراء بحضرة الخليفة وقضاة القضاة ، وخلع على الخليفة وعلى الأمير أيتمش البجاسى (١) الذى هو أتابك ورأس نوبة كبير (٢) ، وعلى الأمير ألطنبغا الجوبانى (٣) أمير مجلس (٤) ،

(١) كان ممن أبلى مع السلطان بلاء حسنا ضـــد يلبغا الناصرى ، وكاد أن يلقى منيته فى حبسه بدمشق حتى خلصه برقوق بعد خروجه من الكرك وقد عرف له برقوق أياديه عليه فقرره وصيا على ابنه فرج حين حضرته الوفاة ، وقد عمر مدرسة للحنفية عرفت بالأيتمشية و برجا بطرابلس ومات سنة ٨٠٢ هـ ، راجع عنه إنباء الغمر ، وفيات سنة ٨٠٢ ، والضوء اللامع ٢/١٠٥٩ .

(٢) يقصد بذلك رأس نوبة النوب ، انظر ما سبق ص ٣٧ ، حاشية رقم ٦ .

(٣) كان ممن قتل فى وقعة منطاش سنة ٧٩٢ هـ ، وقـــد شغل عدة وظائف هامة فى عهـــد برقوق كأمير مجلس ونيابة الكرك ونيابة الشام ، ثم تغير عليه برقوق وحبسه حتى أطلقه الناصرى ثم حبسه منطاش ثم أطلقه برقوق وأرسله لمحاربة منطاش فلاقى فى حربه مصرعه ، انظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ١ / ٤٠٤ ، والدرر الكامنة ١/١٠٥١ ، والنجوم الزاهرة ١٢/١٢٠ .

(٤) كانت وظيفـــة أمير مجلس من الوظائف الكبرى فى الدولة المملوكية ، بل إنهـا صارت فى فترة من الفترات تلى وظيفة « الأمير الكبير » كما بين ذلك G- Demombynes: Op. Cit. Introd., p. LVII, note I. ، هذا وقد ذكر القلقشندى : صبح الأعشى ٥/٤٥٥ أن هذا اللقب كان يطلق على من يتولى أمر مجلس الســـلطان أو الأمير فى الترتيب وغيره ، وأضاف إلى ذلك قوله « الأفضل أن يقال فيه : « أمير المجلس » .

وكذلك على الأمير جركس[(١)] أمير آخور[(٢)] وكذا على الأمير سـودون الفخرى الشيخونى الحاجب[(٣)] بنيابة السلطنة[(٤)] بمصر وعلى الأمير قطاوبغا الكوكائى واستقر حاجب الحجاب وعلى ألطنبغا[(٥)] المعلم أمير سلاح عوضاً عن قطاوبغا الكوكائى الحاجب ، وعلى الأمير قردم الحسنى اليلبغاوى واستقر[(٦)] رأس نوبة ثانياً ،

(١) المقصود بذلك الأمير جركس الخليلى الذى كان له دور كبير فى أحداث الفـترة الأولى من ولاية برقوق ، كما أنه صاحب «خان الخليلى» المعروف بالقاهرة عند مسجد الحسين عليه السلام ، انظر المراجع عنه فى Wiet: op. cit. No. 798.

(٢) هو من الألفاظ المركبة من العربية والفارسية ، فآخور فى الفارسية يعنى بها «المعلف» وبذلك يكون معناه «أمير العلف» ويقصد به الشخص الذى يحدث على إصطبل السلطان أو الأمير وما يكون به من خيل وإبل وغيرهما ، أنظر صبح الأعشى ٥/٤٦١ ، ويلاحظ أنه كان فى العادة مقدم ألف وتحت إمرته ثلاثة من أمراء الطبلخانات وأمراء عشرات ، راجع G. — Demombynes. : op. cit Introd., PP. Lvii. et note 3.

(٣) كانت مهمة الحاجب فى الأصل هى الفصل فى المنازعات التى قـد تنشب بين الأمراء وبين الجند ، ويكون ذلك إما برأيه هـو ذاته أو باستشارة السلطان ، فإن لم يكن السلطان موجودا راجع فى الأمر نائبه ، ويذكر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/١٩ نقـلا عن مسالك الأبصار أن العادة جرت أن يكون هناك خمسة حجاب إثنان منهم من مقـدّمى الألوف ، وواحد يكون حاجب الحجاب ، أنظـر أيضا G. - Demombynes: op. cit. Introd., P. lviii, note 2. فلما كان القرن التاسع الهجرى أصبح لقب «الحاجب» يطلق على «من يقف بين يدى السلطان ونحوه فى المواكب ليبلغ ضرورات الرعية إليه ويركب بعصا فى يده ، ويتصدّى لفصل المظالم بين المتداعيين خصوصا فيما لاتسوغ الدعوى فيه من الأمور الديوانية ونحوها » ، أنظر صبح الأعشى ٥/٤٥٠ .

(٤) كانت نيابة السلطنة — كما يستدل من منطوقها — أكبر الوظائف فى الدولة المملوكية ويقوم متوليها مقام السلطان فى غيبته — على أية صـورة كانت هـذه الغيبة — بل إن له حق استخدام الجند دون مشاورة السلطان ولذلك قال فيه العمرى — وعنه نقل صبح الأعشى ٤/١٧ — « إنه سلطان مختصر بل هو السلطان الثانى » ، وقد يسمى صاحبها بالنائب الكافل أو كافل الممالك الإسلامية .

(٥) cf. Wiet : op. cit. No. 536.

(٦) كان استقرار قردم الحسنى رأس نوبة ثانيا بإمرة مائة وتقدمة ألف .

وعلى الأمير يونس[(١)] [بن عبد الله] النوروزى دواداراً[(٢)] عوضاً عن ألابغـا [العثمانى] وخلع على قضاة القضاة الأربعة وقضاة العسكر والمفتين بدار العدل[(٣)] وعلى المباشرين مثل كاتب السر[(٤)] والوزير[(٥)] وناظر الخاص[(٦)] وناظر الجيش[(٧)] ،

(١) هو عتيق الأمير جرجى الناصرى ، وكان موقرا عند السلطان برقوق وله به ثقـة ليست بالقليلة حتى لقد كان فى التجريدة التى جهزها برقوق لدفع قوة يلبغا الناصرى ولكنه لقى الهزيمة فى هذا اللقاء قرب دمشق وفر على وجهه حتى ظفر به الأمير عنقاء بن شطى فقتله متقربا به إلى الناصرى وذلك سنة ٧٩١ هـ ، وهو صاحب « خان يونس » قرب غزة ، أنظر فى ترجمته ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٩٠ ترجمة رقم ٤٥ ، والدرر الكامنة ٥/٢٠٤ ، والنجوم الزاهرة ١١/٢٢٧ .

(٢) يستفاد مما ذكره القلقشندى : صبح الأعشى ٥/٤٦٢ أن هذا اللقب كان يطلق على من يحمل دواة السلطان ويتولى أمرها بالإضافة إلى ما تقتضيه من الحكم وتنفيذ الأمور .

(٣) تطلق دار العـدل على اثنين فى تاريخ مصر فهناك دار العدل القديمـة التى كانت تحت القلعـة فى المكان الذى شغلته فيما بعـد الطبلخاناه ، وقد بناها الظاهر بيـبرس البندقدارى سنة ٦٦١ ، وظلت موجودة حتى اسـتجد السلطان الملك المنصور قلاون الإيوان فهجرت دار العدل ثم هدمها الناصر محمـد ابن قلاون سنة ٧٢٢ هـ ، أما « الإيوان » الذى أقامه المنصور قلاون فقـد أصبح يعرف بدار العدل وهو المقصود هنا فى المتن ، وأخذ السلاطين يجلسون فيـه أياما محددة فى الأسبوع للنظـر فى المظالم ، ثم تحوّل عنه الظاهر برقوق إلى الإصطبل السلطانى فى الأحكام وذلك منـذ رمضان سنة ٧٨٩ هـ ، أنظر فى ذلك خطط المقريزى ٢/٢٠٤ — ٢٠٨ .

(٤) هو صاحب ورئيس ديوان الإنشاء ، أنظر فى التعريف به صبح الأعشى ٥/٤٦٤ .

(٥) أصبحت وظيفة الوزارة فى سنوات هـذه المخطوطة من وظائف أرباب الأقـلام ، أنظر صبح الأعشى ٥/٤٤٩ .

(٦) كانت نظارة الخاص من وظائف كتاب الأمـوال ، ومهمة متوليها النظـر فى خاص أموال السلطان كما جاء فى صبح الأعشى ٥/٤٦٥ ، ويشير G.—Demombynes:op. cit P. 156 إلى ذلك ويذكر أن عمله فى دمشق كان النظر فى خاص أموال السلطان وغيره من كبار الأمراء .

(٧) اكتفى القلقشندى : صـبح الأعشى ٥/٤٦٥ بقوله عنه إنه هو الذى يتحدث فى أمر الجيوش وضبطها ، ويعنى القلقشندى بذلك الناحية التموينية على وجه الخصوص ، وكان يتولى فى الوقت ذاته الإشراف على إقطاعات الجيش فى مصر والشام .

ومحتسبي[(١)] القاهرة ومصر وغير ذلك من أرباب الوظائف ، وكان يوماً مشهوداً وجمعاً محموداً كثرت فيه الأفراح والتهاني ، ومما يستدل به (١٤) على حسن أيامه وخصبها أن يوم سلطنته انحط سعر الغلال : عشر دراهم الإردب .

وفى يوم الخميس السابع والعشرين منه استدعى السلطان الأمراء الأكابر والأصاغر وحلّفهم على الطاعة لله ورسوله وله فحلفوا .

وفيه خُلع على الأمير بهادر[(٢)] بن عبد الله المنجكي واستقر أستادار[(٣)] العالية وأضيفت له إمرة طبلخاناه وأضيفت إليه أستادارية الأمير محمد بن المقام الشريف .

يوم الاثنين التاسع من شهر شوال خلع على القاضي أوحد[(٤)] الدين عبد الواحد ابن مجد الدين إسماعيل بن ياسين الحنفي واستقر كاتب الأسرار بالديار المصرية عوضاً عن القاضي بدر[(٥)] الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري .

[وفى] حادى عشرى شهر شوال أمر السلطان بعرض المماليك الأشرفية فرسم لخمسة منهم أن يكونوا طرخانين[(٦)] وقرر لهم مرتباً يكفيهم وأمر أن يتوجهوا ببقية المماليك إلى عند الأمير سودون النائب ففعلوا ذلك وعرضهم ،

(١) فيما يتعلق بالمحتسب راجع صبح الأعشى ٥/١ ٤٥ — ٤٥٢ .

(٢) ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٨٥ ترجمة رقم ١٢ ، والدرر الكامنة ١/١٣٥٥ .

(٣) الصواب فى أصل التسمية — كما نص صبح الأعشى ٥/٤٥٧ — يكون بكسر الهمزة وتشديد الدال ، وقد يسقط البعض الألف مع كسر السين ، وقد تضم الهمزة فى أوله وتلحق ألف بعد الدال ، ووظيفة الإستادار هى النظر — أصلا — فى شئون مسكن السلطان وتنفيذ أوامره ، انظر أيضا :
G.-Demombynes: op. cit. Introd., p. LX., note 4.

(٤) ويعرف بأبي فيض الأفريقي المصري ، انظر الدرر الكامنة ٣/٢٣٢ .

(٥) انظر ترجمته فى الدرر الكامنة ٤/١٢٣ ، وإنباء الغمر ١/٤٨٢ ترجمة رقم ٢٢ .

(٦) الطرخان اصطلاح مملوكي يقصد به الأمير البطال الذى يعيش من إقطاعه فقط .

ورسم لأصحاب الأخباز(١) الثقال أن يكونوا مقدمى الحلقة وغير أصحاب الإقطاعات الثقال [أن] يكونوا من جملة أجناد الحلقة. واستدعى ابن المقسى فسأله عن أسماء المماليك الأشرفية الذين أخذ كل واحد منهم - بعد قتل أستاذه - عشرة وزاد له عدة خمسمائة نفر ، منهم أربعمائة مقطعون فى الحلقة فرسم(٢) لهم أن يلزموا دورهم وأن يأكلوا إقطاعاتهم، ووفر جوامك(٣) المائة الذين تأخروا من الخمسمائة واستقر عوضهم من مماليكه ، وقال(٤) هو : « لا آمن منهم على شىء لأنهم خونة وقد خانوا أستاذهم وأعانوا على هلاكه بشىء حقير من المال بعد أن خولهم فى نعمه مدة طويلة ، فلا بارك الله فيهم » ، فأصابهم ذل عظيم وخزى كثير . قال شيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى(٥) رحمه الله : « ولقد رأيت بعض من كان من أمراء الألوف فى أيام الأشرف وقد صار فقيراً يسأل الناس وعليه ثياب صوف يشبه عباءة » .

وفى هذا الشهر وصل الشيخ العلامة المفنن أبو زيد عبد الرحمن بن خلدون(٦) المالكى من بلاد المغرب واتصل بالأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس وصار

(١) الخبز هنا معناه الإقطاع من الأرض .

(٢) أى رسم لهم برقوق .

(٣) الجامكية هى الرواتب من مال ومطعم وملبس وغير ذلك مما يصرف لمماليك السلطان .

(٤) أى برقوق .

(٥) لم نجد نص هذا القول فى النسخة الموجودة بدار الكتب المصرية من عقد الجمان للعينى ، ص ٢٧٨- ٢٨٤ ، وإنما جاء ما يقاربه فى المقريزى فى السلوك ، ورقة ١٣٧ ب ، س ١٩ — ٢١ فى قوله : « ولقد رأيت بعض من كان من أمراء الألوف فى أيام الأشرف وقد صار فقيرا يسأل الناس ، وعليه ثياب صوف شبه العباءة » .

(٦) انظر Wiet: op. cit. 1383

عنده فى أوج العظمة وتصدّر لانتشار العلم وإقرائه بالجامع الأزهر ، فهرع الناس إليه وأقبلوا عليه وأعجبهم كلامه الرائق ومعناه الفائق .

وفى سابع ذى القعدة – الذى هو الاثنين – تغيّر السلطان على الصاحب علم الدين عبد الوهاب الطنبشاوى الوزير بالديار المصرية ويعرف بسن إبرة ، وصرفه عن الوزارة ، وطلب الأسعد أبا الفرج[1] النصرانى اليعقوبى كاتب الحوائج خاناه فأكرهه على الإسلام وخلع عليه وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش[2] زركش واستقر به ناظر ديوان المقام الناصرى محمد ولده ، رفيقاً للأمير بهادر المنجكى .

وفى العاشر منه خلع على الصاحب علم الدين سن إبرة خلعة الاستمرار بوظيفة الوزارة على عادته .

وفيه خلع على الأمير جلبان العلائى واستقر فى الحجوبية خامساً[3] ، قال العمدة تقى الدين المقريزى : « ولم[4] نعهد قبل ذلك خمسة حجاب فى الدولة التركية » . قلت[5] : هذا حدث فى الدولة الجاركسية وله نظائر حدثت فى هذه

(١) راجع عنه إنباء الغمر ١/٨٥ ؛ ترجمة رقم ٣٠ ، Wiet: Op. Cit. No. 2510

(٢) الكنبوش برذعة الحصان توضع تحت السرج كما جاء فى المحيط ، أنظر أيضا Dozy: Op. cit.

(٣) راجع النجوم الزاهرة ١١/٢٢٨ .

(٤) أنظر هذا النص فى المقريزى : السلوك ، ورقة ١٣٨ أ ، س ٥ – ٦ .

(٥) المتحدث هنا هو ابن الصيرفى ؛ والواقع أنه ليس لاعتراضه وتعقيبه موضع هنا إذ أنه يتكلم عن حجوبية خامسة وليس عن القضاء .

الدولة المذكورة منها استقرار موفق الدين العجمى أحد الصوفية بمدرسة شيخو (١) فى قضاء الحنفية بالقدس ولم يكن قبله فى الدولة التركية قاض حنفى ؛ وخُلع عليه فى اليوم المذكور .

وفيه وقع بحث عظيم بين شيخ الإسلام البلقينى الشافعى وبين بدر الدين (٢) ابن الصاحب فى مسألة علمية أفضى الأمر إلى أن كفّر البلقينى ابن الصاحب وطلبه إلى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى وأقام رجلا فادّعى عليه بأمور مرتبة ، فلزم من هذا أن عقد مجلساً اجتمع فيه قضاة القضاة ومشايخ الإسلام والعلماء والفقهاء والمفتيون وذكر ما ادّعى عليه به فلم يثبت منه شىء بوجه شرعى ، فانتصب بعض القضاة فحكم بعدم كفره وبقائه على دين الإسلام .

---

(١) المدرسة الشيخونية أو الخانقاه الشيخونية أو خانقاه شيخو نسبة إلى منشئها الأمير سيف الدين شيخو العمرى الذى أصبح فى الأيام الأولى من دولة الناصر حسن من رءوس المشورة « حتى صار زمام الملك بيده » واستبدّ بأمور المملكة حتى صار إليه الأمر والنهى كما جاء فى ترجمته فى الدرر الكامنة ٢ / ١٩٥٠ ؛ وقد أنشأ الجامع والخانقاة ، أما الجامع فقد أقامه سنة ٧٥٠ هـ ، وأما الخانقاه — التى تقع تجاهه — فقد أنشأها بعد ذلك بست سنوات أعنى ٧٥٦ هـ ، وكلاهما فى سويقة منعم تحت القلعة ، وكان موضع الخانقاه فى الأصل من جملة قطائع أحمد بن طولون ثم صارت مساكن للناس اشتراها منهم الأمير شيخو العمرى هذا ، وكانت مساحة هذه الأرض تزيد على فدان ، ويقول المقريزى : الخطط ٢ / ٤٢٠ فى شأنها : « إنه اختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت تعلوها بيوت لسكنى العامة ورتب بها دروسا عدة » كما جعل بها درسين أحدهما للحديث النبوى الشريف والآخر لإقراء القرآن بالروايات السبع ، وشرط على طلبتها حضور الدرس وحضور وظيفة التصوّف ، ورتب لطلبتها فى اليوم الطعام واللحم والخبز ، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون .

(٢) « زين الدين » فى السلوك ، ورقة ١٣٨ أ .

وفى تاسع عشريه — الذى هو يوم الثلاثاء — ركب السلطان من قلعة[1] الجبل وقصد البحر فمرّ على قناطر السباع[2] وعدّا من النيل ببولاق إلى الجيزة لأجل صيد الكراكى فاصطاد وعاد فى آخر يومه فى غاية ما يكون من المهابة والشهامة ، وقد ركب الأمير أيتمش البجاسى الأتابكى عن ميمنته والشيخ أكمل الدين — شيخ الشيخونية — عن ميسرته .

وفيه استقر البدرى بدر الدين محمد [بن أحمد بن إبراهيم] بن مزهر فى كتابة السرّ بالشام عوضاً عن فتح الدين محمد بن الشهيد[3] .

وفى هذا الشهر وصل الخبر بأن الأمير يلبغا الناصرى — كافل المملكة الحلبيّة — سار بعساكر حلب إلى البرية قاصداً من العربان التقدمة ، فوصل إليه الخبر بأن علاء الدين بن ألطنبغا السلطانى نائب أبلستين[4] عاص على السلطان[5] وأنه

---

(١) تقع قلعة الجبل على جبل المقطم ، وكان موضعها أولا يعرف بقبة الهواء ، ثم بناها صلاح الدين الأيوبى سنة ٥٧٦ هـ ، راجع بالتفصيل عنها خطط المقريزى ٢/٢٠٠ — ٢٠٦ .

(٢) هى من إنشاء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وعليها سباع من حجارة ، وكانت شديدة الارتفاع فتضرر من ذلك الناصر محمد بن قلاون وأمر « بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت ... » حتى انتهى منها فى جمادى الأولى سنة ٧٣٥ هـ ، ثم أعاد السباع لقالة قالتها الناس عنه فيها ، أنظر خطط المقريزى ٢/١٤٦ .

(٣) راجع الدرر الكامنة ٣/٣٣٢٠ ، وإنباء الغمر ١/٤٤٦ ترجمة رقم ٢٢ ، وشذرات الذهب ٦/٣٢٩ — ٣٣٠ ، Wiet: Op. Cit. No. 1989

(٤) الضبط من مراصد الاطلاع ١/١٧ — ١٨ ، وأنظر أيضا ياقوت : معجم البلدان ١/٩٣ — ٩٤ ، ولسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٧٨ — ١٧٩ ، وهى من مدن الثغور فى أيام الروم ، ويلاحظ أن نيابتها كانت تقدمة ألف وتوليتها من قبل الأبواب السلطانية بمرسوم شريف ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٢٢٨ .

(٥) يستفاد مما ذكره أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٢٢٩ أن الخبر وصل بعصيان ألطنبغا العثمانى وليس بعصيان علاء الدين بن ألطنبغا .

لم يحلف للسلطان وأنه استولى على قلعة دارنده (١) هناك ونقل ذخائره وما يخاف عليه إليها، ومسك من بها من (٢) الأمراء ، فركب العسكر — الذى بالمدينة — عليه (٤ ب) ومسكوا جماعة من أعوانه فطلب منهم الأمان وانهزم من القلعة إلى أبلستين ، فأرسل إليه الأمير يلبغا يخيفه ويهدده ويوبخه على ما فعله فلم يرجع ، وخرج هارباً (٣) على وجهه قاصداً بلاد الططر ، ورجع الأمير يلبغا إلى حلب .

وفى سادس ذى الحجة — الذى هو يوم الثلاثاء — رسم السلطان بالقبض على الأمير قرط [بن عمر التركمانى] نائب الوجه البحرى وذلك لما بلغ السلطان من أفعاله الخبيثة القبيحة وسيرته الذميمة وكذلك أفعال جماعته، فقبض عليه وأحضر لدى الأمير أيتمش البجاسى الأتابكى وضربه ضرباً مبرحاً ثم حبس وطلب منه المال فأظهر أنه يقوم بالمال ثم هرب ، فنودى عليه بالقاهرة ومصر وأردع بل وهُدّد من أخفاه أو يعلم طريقه .

وخلع على الأمير قرا بلاط [بن عبد الله] الأحمدى (٤) واستقر نائب الوجه القبلى عوضاً عن قرط بحكم عزله .

وفيه رسم للقاضى ولى الدين عبد الرحمن بن رشيد (٥) أن يستقر قاضى القضاة المالكية بحلب عوضاً عن علم الدين القفصى .

(١) أنظر عنها صبح الأعشى ٤/٢٢٨ .

(٢) الوارد فى المقريزى : السلوك ، ورقة ١٣٨ أ ، أنه ألقى القبض على « بعض » أمرائها .

(٣) يستفاد من النجوم الزاهرة ١١/٢٢٩ أن هربه كان راجعا إلى كراهيته لغلبة العنصر الجركسى حيث قال : « لا أكون فى دولة حاكمها جركسى » .

(٤) راجع عنه النجوم الزاهرة ١١/٣٠٦، وإنباء الغمر ١/٣٠٩ ترجمة رقم ٢٤، Wiet; Op. Cit. No. 1838

(٥) راجع السلوك ، ورقة ١٣٨ ب .

وفى سابع عشره — الذى هو يوم السبت — ركب السلطان من قلعـــة الجبل فتوجه إلى المطرية (١) من ناحية الصحراء ، واستمر منها قاصداً حتى وصل إلى قناطر [بحر أبي] المنجا (٢) فرجع ودخل إلى القاهرة من باب الشعرية (٣) ونفق (٤) لأوبته وهو فى أبهـــة زائدة بعد أن زينت بالحلى والحلل وأوقدت الشموع ،

(١) المطرية من ضـواحى شمال القاهرة وهى من الأماكن ذات القداسـة عند المسيحيين حيث توجد بهـا الشجرة المعروفة بشجرة العـذراء ، وتفيض كتب رحالة العصور الوسطى الذين زاروا القاهرة بوصفها ، أنظر على سبيل المثال L. Sudheim: Guide Book to Palestine, p. 32; Voyages de Georges Lengeherand (1485 - 6). pp- 172 - 175; ورحلة طافور ترجمة حسن حبشى ص ٧٠ — ٧١ ، وأنظر أيضا مراصد الاطلاع ١٢٨٤/٣ .

(٢) أشار المقـريزى ١٧٠/١–١٧١ أنه خليج ولكن العامة تسـميه بحر أبى المنجا وهو الذى حفـره الأفضل بن أمير الجيوش سـنة ٥٠٦ هـ ، وينسب إلى أبى المنجا بن شعيا اليهودى المشرف على أعمال الري يومذاك بمصر ، أما قناطر بحر أبى المنجا فمن إنشاء السلطان بيبرس البندقدارى سنة ٦٦٥ هـ ، وكان المتولى لعمارتها الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، راجـع الخطط ١٥٠/٢ ، وابن دقاق : كتاب الانتصار ٤٦/٥ ؛ هذا وقد أثبتت تحقيقات المرحوم محمـد رمزى فى النجوم الزاهرة ١٤٨/٧ حاشية رقم ٤ أن هذا البحر هو المعروف اليوم بترعة الشرقاوية .

(٣) باب الشعرية هو أحد أبواب القاهرة ، وهو يعرف بطائفة من البربر ذكر المقريزى فى الخطط ٣٨٢/١ أنهـم يسمون بالشعرية ممن نزلوا بالمنوفيـة ، وإن لم يرد لهم ذكر عنـد القلقشندى فى نهاية الأرب ، ص ٣٠٤ — ٣٠٥ ، ٤١١ ، وإن كان قد أشار إليهم فى قلائد الجمان ، ص ١٧٤ إذ نقل عن الحمدانى أن فى المنوفيـة جماعة من لواتة ومعهم أحلاف منهم بنو الشعرية ، ولقد أشار محمد رمزى فى تحقيقاته على النجوم الزاهرة ٢٣٠/١١ حاشـية رقم ٢ أن باب الشعرية كان قائما حتى سنة ١٨٨٤ حين هدم بمعرفة الضبطية لخلل فى مبناه وكان يعرف وقت هدمه باسم باب العدوى ، وليست بينـه وبين باب الشعرية الحالى صلة ما .

(٤) دأب المؤلف فى هذا الكتاب وفى إنباء الغمر على هذا الرسم ويقصد به « أنفق » .

ودخل من باب زويلة (١)، والناس يبتهلون إلى الله بدوام أيامه حتى صعد إلى القلعة فكان يوماً عظيما ، وفى الثانى والعشرين منه خلع على محمود بن على [بن أصفر عينه] أستادار الأمير سودون باق واستقر فى وظيفة شاد الدواوين عوضاً عن بهادر الأعسر ، وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه .

وفيه جاء الخبر على البريد بأن الأمير أقبغا [بن عبد الله بن محمد] نائب غزة هرب منها إلى بلاد ابن نعير .

وفيه أخلع على الأمير قرقماس الطشتمرى اليابغاوى واستقر خازندارا (٢) كبيراً .

وفى رابع عشريه ركب السلطان من القلعة وشق المدينة وقد تزينت له وأوقدت فيها الشموع واستمروا يدعون له بدوام أيامه عليهم حتى عدا من النيل إلى الجيزة وعاد من جهة بولاق إلى القلعة وهو فى غاية الشهامة والتريض.

وفى السابع والعشرين منه وصل الأمير ألطنبغا الجوبانى من مكة المشرفة وكان قد توجه إليها مع الركب الشامى.

* * *

(١) هو أحد بابين متجاورين للقاهرة من جهتها القبلية ، وقد بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير وإن كان المقريزى فى خططه ١/ ٢٨٠ يقول إن ابن عبد الظاهر ذكر فى كتابه « خطط القاهرة » أن الذى بناه هو العزيز بالله نزار بن المعز ، وفيه يقول أحد شعراء الوقت :

ياصاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا
باب تأزر بالمجرة وارتدى الـ * شعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هامانا

ويرى المقريزى أن ابن عبد الظاهر أخطأ فى نسبة هذا البناء إلى العزيز بالله فى قوله : « ومن تأمل الأسطر التى كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المنتصر وتاريخ بنائه » .

(٢) انظر السلوك ، ١٣٨ ب .

ذكر من مات فى هذا العام ممن له ذكر من الأعيان

١ — همام الدين أمير غالب بن قوام الدين أمير كاتب [الأتقانى] قاضى القضاة الحنفية بالشام وكان عارياً[(١)] من العلوم ممتلئاً من ضدّها ، وترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال[(٢)] : « وكان قد بلغ غاية فى الجهل ».

٢ — وتوفى قاضى القضاة بدر الدين عبد الوهاب بن الكمال أحمد بن قاضى القضاة علم الدين محمد بن أبى بكر بن عيسى بن بدران الأخنائى[(٣)] المالكى يوم الخميس سادس عشر رجب وهو مصروف عن القضاء :

٣ — ومات الصاحب [كريم الدين] عبد الكريم [بن عبد الله] المشهور بابن الرويهب فى سابع[(٤)] عشر رمضان وقد استراح فإنه آل أمره إلى الفقر الشديد وظهر عليه ذلك من قريب وبعيد .

٤ — وتوفى علاء الدين على بن سراج الدين عمر بن محمد بن قاضى القضاة تقى الدين محمد بن دقيق العيد ، وكان من موقعى الحكم العزيز فى الخامس[(٥)] عشر من شهر صفر :

---

(١) راجع الدور الكامنة ١/١٧٠٩ ، والنجوم الزاهرة ١١/٢٩٤ ؛ هـذا وقد ورد فى إنباء الغمر ١/٢٦٥ ترجمة رقم ٦ صور من جهله فى القضاء كما أشار إلى أن موته كان فى جمادى الأولى .

(٢) راجع السلوك ، ١٣٨ ب ، س ٢١ .

(٣) فى الأصـل « الأنصارى » وما أثبتناه بالمـتن منظور فيـه إلى ما ورد فى نسب أقاربه ممن ترجمت لهم الدرر الكامنة ٣/١٠٧٩ ، ١٠٨٠ والسـلوك ٢/٨١٤ ، ورفع الاصر ٢/٣٨٤ ، وانباء الغمر ١/٢٦٧ ، والشذرات ٦/٢٨٤ .

(٤) وردت وفاته فى العينى ، لوحة ٢٨٦ ، يوم ٢٧ رمضان .

(٥) فى السلوك ، ١٣٩ أ « خامس عشرين » .

٥ – ومات جمال الدين محمد بن على الأسوانى فى يوم الأربعاء[(١)] العاشر من ربيع الأول :

٦ – وتوفى الشيخ عز الدين عبد العزيز بن عبد الخالق الأسيوطى الشافعى فى يوم الأربعاء[(٢)] الحادى عشر من شهر ذى القعدة وكان من أهل العلم والفضل، درّس فأقبل الناس عليه للاشتغال سنيناً عديدة ، رحمه الله .

٧ – ومات الأمير فخر الدين إياس الصرغتمشى أحد الحجاب وأحد الطبلخانات فى الثالث من شهر ربيع الآخر :

٨ – وتوفى الأمير زين الدين زبالة الفارقانى نائب قلعة[(٣)] دمشق فى شهر شعبان بها ، والله تعالى هو الباقى[(٤)] .

(١) فى النجوم الزاهرة ١١/٢٩٥ والسلوك ١٣٩ أ « الاحد » ، وراجع ترجمته رقم ٣٤ مفصلة فى إنباء الغمر ١/٢٦٩ ويلاحظ أن أول ربيع الأول سنة ٧٨٤ هو الخميس كما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٢ .

(٢) وافقه المقريزى فى السلوك فى اليوم ولكنه جعله فى شهر ذى الحجة الذى يتفق معه فيه إنباء الغمر ١/٢٦٧ وإن جعل وفاته « فى أواخره » ، أما النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٦ فجعلتها يوم الأحد عاشر ذى القعدة .

(٣) فى إنباء الغمر ١/٢٦٦ أنه نائب دمشق .

(٤) سترقم وفيات المخطوطة كلها بأرقام متوالية دون النظر لسنة الوفاة .

* * *

سنة خمس وثمانين وسبعمائة من الهجرة

أهلت هذه السنة بيوم السبت :

فيه وصل المقـــر السيفى يلبغا الناصرى الأتابكى نائب حلب فتوجه للقاء المقر الأشرف الســـيفى سودون النائب وطاع به إلى القلعـــة ، فتمثّل لدى المواقف الشريفة وقبّل الأرض وجلس سودون النائب ، ونزل الأمير يلبغا نائب حلب إلى مكان أعد له وكان فى هذا عبرة للمعتبرين ، فإن يلبغامن أعيان المماليك الأشرفية وبرقوق من مماليك الأسياد ، والعادة إذا اجتمع الأشرفية والمماليك المنضمون[1] للأسياد تجلس الأشرفيـــة ويقف ما عداهم ، وكانت عادة برقوق إذا ضمه مجلس مع الناصرى قام على رجليه بين يديه ، فأعطاه الله الملك وصار الناصرى من جملة مماليكه وقبّـــل له الأرض وامتثل أوامره ونواهيه ، فسبحان الملك العظيم الذى يفعل ما يشاء ، ولا يسؤل عن أفعاله :

وفى السادس منه (١٥) خلع على نائب حلب الذى هو الأمير يلبغـــا الناصرى فاستقر [أمره] على عادته ونزل من الخدمة وهو راكب ، وعلى يمينه الأمير أيتمش الأتابكى ، وعن يساره الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس

(١) فى الأصل « المنضمين » .

وخلفه من الجنائب السلطانية ـ بالقماش المذهب والسروج الذهب ـ سبع جنائب (١) ، أنعم عليه السلطان بها من الإصطبل السلطانى ، وهذا خارج عما أنعم عليه به من القماش والذهب وخارج عن ما قدّمه له الأمراء وأصحاب الوظائف من التقادم الجليلة المعظمة القدر .

ولما كان يوم السبت ثامنه ركب المقام الشريف السلطانى ورسم للأمير يلبغا الناصرى بالركوب معه فركب فى خدمته وتوجها إلى بولاق فعديا من النيل إلى الجيزة ، فاصطاد السلطان وعاد آخر يومه إلى القلعة .

وفى العاشر منه توجه الأمير يلبغا الناصرى إلى محل كفالته بعد أن خلع عليه خلعة السفر ، فتوجه من وقته وفوره وخرج إلى وداعه الأكابر والأصاغر ، والله الولى والقادر .

وفى سابع عشره ـ الذى هو الاثنين ـ خلع على الشمسى إبراهيم كاتب أرلان (٢) واستقر فى وظيفة الوزارة عوضاً عن العلمى سن إبرة بعد تقاعس وتمنّع منه فى ذلك وما استقر إلا بألف جهد بشروط منها : أنه ينفرد بالكلام فى الدولة ولا يشارك فيه وأنه يستبد بالأمور من غير مشورة ، وأن لا يلبس تشريف الوزارة بل يلبس خلعةً من صوف كخلع قضاة القضاة وطرحة ، فأجابه السلطان إلى ما سأل وأمره أن تكون يده فوق أيدى أهل الدولة ،

---

(١) الجنائب هى الخيول التى تسير خلف ركب السلطان إذا ما خرج للحرب فقد تجد ثم حاجة إليها ، أنظر محيط المحيط ، Dozy: op cit.

(٢) أورده أبو المحاسن فى النجـوم الزاهرة ١١/٢١٢ باسم « أرنان » وضبطه بضم الهمزة ، وجرى على هـذه التسمية Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 13 وإن ضبطه بفتحها ، ثم عاد أبو المحاسن فسماه «بأرلان» فى المنهل الصافى ١/٥٧ ، وترجمه بهذا الاسم ابن حجـر فى الدرر الكامنة ١/٨٦ ، أنظر فى ترجمته ترجمة رقم ١ من وفيات سـنة ٧٨٩ فى هذا الجزء من نزهة النفوس .

ونزل إلى داره ولم يمكن أحداً من الركوب في خدمته كما هي العادة بل كان يمضي كآحاد الناس وهـذا الفعل لا يرضاه أقل خدم الوزارة ، وأخذ في صرف معاليم أرباب الرواتب من غير نقص . وعمّر البلاد . وطمّن (١) العباد ، وخزن الأهراء بالغلال وبعث الأموال في شراء الأغنام وأدار الطواحين السلطانية من مصر بجوار الأهرام إلى القاهرة ، وملأ الحواصل من سائر الحبوب والأصناف ، وانفرد بالكلمة مع نفوذها ، هذا كله ولم يمكن أحداً من الركوب في خدمته (٢) بل يخرج من داره ويغلق أبوابه بنفسه ، ويضع مفاتيحه في كمه ، ثم يركب (٣) فرساً كان عنده له قبل أن يلي الوزارة فما غيّر عليه ، ويركب غلامه بغـلة ويردف دواداره خلفه وهو حامل دواته تحت إبطه ، ويتوجه إلى القلعـة ولا يمكن أحداً من المماليك ولا من الأعيان بل ولا من الكتاب من الركوب معه فكان لا يعرفه إلا مَن له به معرفة ؛ ورسم لأرباب الدولة أن لا يأتوه إلى منزله وإذا كان لهم أمر أو ضرورة يأتونه (٤) بقاعة الصاحب (٥) من القلعة فيقف في خدمته بها الأمراء والمباشرون والأعيان فينفذ ويدبر ويباشر المباشرة التي ما سُبق إليها من حسن الصنيع ، وكان الأمير جركس الخليلي له التحدث في الدولة فرفع يده من التحدث فيها ، فصار لا يتكلم فيها ببنت شفة ، فعظمت معرفتـه ونفذت كلمته واستقامت أموره لكن عاداه (٦) الأمراء

(١) أي طمأن . (٢) راجع أعلاه ، س ١ .
(٣) في الأصل : « ثم يركب فرسا له قبل أن يلي الوزارة كان عنده فما غير عليه » .
(٤) في الأصل « يأتوه » .
(٥) على الرغم من أن المقريزي : الخطط ٢/٢٢٢ جعل « قاعة الصاحب » عنوانا لبحث طويل إلا أنه لم نسي أن يتكلم عنها بل تكلم عن الوزارة ، وكل ما أشار إليه هو أنه إذا كان الوزير من أرباب الأقلام يطلق عليه اسم « الصاحب » ، ويبدو أنه كانت له قاعة خاصة بقصر الجبل .
(٦) في الأصل « عاودره » .

الأكابر ، ومع ذلك لم يجدوا إلى الطعن فيه سبيلا فإنه لم يدع لأحد من الأعداء عليه باباً يتسلل منه ، ولا ترك شيئاً من أمور الدولة حتى أتقنه وأحكمه فصار رئيسهـــم .

وفيه أنعم على الأمير بهادر المنجكى[١] أستادار العالية بتقدمة الأمير قطلوبغا الكوكائى حاجب الحجاب :

وفيه أيضاً خلع على علم الدين سن أبرة واستقر فى استيفاء الدولة بعد أن كان وزيراً وما كذب المثـــل : « بعد أن كان زوجها بقى طباخاً فى عرسها » عوضاً عن أمين الدين جعيص بحكم وفاته .

وفى يوم الخميس الثانى من شهر صفـــر الخير الأغر وصل[٢] رســـل السلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد وعلى يدهم هدية فيها فهد وصقر وأربع بقج من القماش وكتاب مضمونه : إنه تملك بغداد بعد أخيه[٣] .

وفى سابع عشره أفرج عن الأمير قرط .

وفى سلخ هذا الشهر وصل البريد وأخبر بأن الأمير طغاى تمر القبلاوى نائب الكرك وقع بينه وبين الأمير خاطر تنافس بسبب أن خاطراً كبس الكرك لأجل عرب كانوا نازلين بها من جهة النائب وقبض عليهم ، فآل الأمر بينهم إلى الحرب وتقاتلوا قتالا شديداً فانكسر النائب من خاطر وأخذت العربان من يده .

---

(١) ترجم له ابن حجر مرتين إحداهما فى الدرر الكامنة ٢/١٣٥٥ حيث وصفه « بأنه كان كثير الحشمة وافر الحرمة » والثانية فى إنباء الغمر ١/٣٥٨ فنعته بالظلم والجور وكثرة الصدقات للفقراء والغرباء ، ويعزو أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٦ إلى هذه الناحية أنه لم ينكب ، وهو فى رأيه « أعظم أستادار ولى الأستادارية فى دولة الظاهر برقوق وأوفرهم حرمة وأوقرهم فى الدول » ، أنظر أيضا السلوك ، سنة ٧٩٠ ، والعينى : عقد الجمان .

(٢) فى الأصل « وصلوا » .

(٣) وهو السلطان غياث الدين حسين ، راجع العزاوى : تاريخ العراق بين احتلالين ٢/١٦٦ — ١٦٩ .

وفى أول شهر ربيع الأول وردت الأخبار بأن بطاقة(١) من الفرنج — عليهم اللعنة — شحنوا مراكبهم وساروا من منية(٢) اسكندرية منهزمين فتبعهم(٣) المسلمون ولكن من الغد فأدركوهم واقتتلوا معهم قتالا شـديداً فقتل من المسلمين عدة وعاد الذين بقوا ولم يظفروا بطائل، فعند ذلك مسك الأمير بلوط [الصرغتمشى](٤) نائب الثغر السكندرى(٥) الفرنج المقيمين بإسكندرية وأخـذ أموالهم فأنكر السلطان ذلك عليه، ورسم أن يكتب بحضوره سريعاً .

وفى سابعه حكم قاضى القضاة، جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكى بضرب عنقى رجلين ارتدا عن الإسلام ولم يرجعا إليه، فضربت أعناقهما تجاه الصالحية(٦) عند خيمة الغلمان .

وفى العاشر منه حضر الأمير بلوط نائب الإسكندرية وصحبته هـدية جليلة سنية .

وفى حادى عشره صرف السيد الشريف مرتضى عن نيابة نظر وقف السادة الأشراف —كثرهم الله تعالى— بسؤاله فى ذلك مراراً ورغبته عنها، واستقر عوضه صدر الدين عمر بن رزين أحد خلفاء الحكم العزيز .

---

(١) فى السلوك، ورقة ١٣٩ ب « طائفة »، والبطاقة فى اللغة الرسالة، ويقصد بها فى هذا العصر فى الغالب ما يرسل بالحمام الهوادى، فقد وردت مضافة إليه كما فى قول القلقشندى: صبح الأعشى ٢٣١/٧ «أوراق الجواز وبطائق الحمام». ثم عاد فشرح نسخ البطائق، شرحه، ص ٢٣٤-٢٣٥، ويلاحظ أن هذا الخبر منظور فيه تماما إلى ما ورد بالسلوك، ورقة ١٣٩ب — ١٤٠ أ .

(٢) لغة فى ميناء .   (٣) فى الأصل « فتبعوهم » .

(٤) يستفاد من النجوم الزاهرة ١١/١٦٩ أن استقرار بلوط فى نيابة الاسكندرية كان فى سنة ٧٨٠ هـ، ولكن لم يرد له ذكر فى أحداث هذه السنة فى إنباء الغمر ١٧٠/١ — ١٨٠ .

(٥) بعدها فى الأصل « على »، وقد حذفت ليستقيم الأسلوب .

(٦) هناك أكثر من « صالحية » عددها محمد رمزى فى القاموس الجغرافى (انظر فهرسته تحت كلمة الصالحية ص ٨٨) والأرجح أن المقصود بها فى المتن هى الموجودة بمركز طوخ (ج ١ ق ٢ ص ١١٣) .

وفى الثانى عشر منه قدم الأمير بلوط نائب اسكندرية تقدمتــه فقبلت وشُكِرت :

وفى خامس عشره حكم قاضى القضاة المالكى بضرب عنق رجل أعلن الردة عن الإسلام :

وفى سابع عشره خلع على الأمير باوط (٥ ب) — نائب اسكندرية — خلعة استمراره على عادته فى نيابة الثغر السكندرى ، ورُسم له بالقبض على الأميرين المجردين منها وهما طغاتمر الجركتمرى وألطنبغا السابقى :

وفيه رسم بنفى الأمير إياس أحد الأمراء العشرات إلى دمشق ، وأنعم على كل من الأمير سودون العلائى و إينال الجركسى بإمرة طبلخاناه ، وعلى حسن قُجَا بإمرة عشرة :

وفيه وصلت الأخبار على يد البريد بأن الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب سارمنها بالعساكر فى طلب التركمان ، فوافاه فى أثناء الطريق أكثر تركمان الطاعة فأخلع عليهم وسار بهم حتى وصل دربند بغراص (١) ، ورجع طائفة من العسكر فوجدوا التركمان فقاتلوهم وقتل نائب بغراص ، وجرح عدة من العسكر وعادوا إلى حلب ، ثم ورد الخبر عليه بالبريد بأن الأمير قرا محمــد صاحب الموصل قد اتفق مع ضياء الملك بن يوزدغان على محاربة سالم الدوكارى بسبب مايقصده مع المسلمين من قطع الطريق — ولا سيا على الحجاج بالموصل — وذبحهم وأخذ أموالهم جهاراً ، فلما بلغ الأمير يلبغا الناصرى ذلك سار بالعساكر من حلب إلى ألبيرة وعدّى من الفرات بالمراكب حتى وصل الرها فلقى قرا

(١) Cf. Gaudefroy - Demombynes : La Syrie à l'époque des Mamlouks, Introd., p. 96

محمد وضياء الملك وقد ركبا لحرب سالم الدوكارى فى زهاء إثنى عشر ألف فارس وهجموا بيوته ، فأخذوا منها أموالا جمة لا تحصر ، ووقع بينهم وقعة عظيمة قتل فيها من الطائفتين خلائق كثيرون وانهزم سالم [الدوكارى] إلى جهة قلعة من قلاع المسلمين . هذا وقرا محمد فى ألبيرة ولم ينج سالم إلا فى نفر قليل ، فصار عسكر قرا محمد ينهب تلك النواحى ويفسد فيها ، وبلغ سالم الدوكارى قدوم الأمير يلبغا الناصرى فترامى عليه واستجار به واستأمنه وحضر إليه وكفنه فى عنقه معلقاً ، فأمنه وعاد به إلى حلب وكتب بتجهيزه إلى مصر :

وفى عشريه رسم بنفى الأمير مقبل الرومى وسبب ذلك أنه قدم من دمشق فأنعم السلطان عليه بإمرة طبلخاناه فلم يقبلها ، وذلك ذنب عقابه فيه .

وفى خامس عشره هجم طائفة من الفرنج على ألطينة فقتلوا منها رجلا واحداً وأسروا سبعة أنفس ، ومروا على دمياط فباعوهم[1] .

وفيه وصل الأمير أسد الكردى — أحد أمراء الألوف بحلب — وهو مكبل فى الحديد بسبب شكوى رفعت فيه للسلطان ، وذلك أنه غصب لبعض التجار مملوكاً ولم يعطه ثمنه ، ففعل به ذلك ورسم بحبسه فى البرج بقلعة الجبل أياماً ثم أفرج عنه وأنعم عليه بتقدمة ألف بطرابلس :

وفيه رسم للأمير تمرباى الدمرداشى بنيابة صفد[2] ، وأنعم على الأمير إينال اليوسفى بتقدمة ألف بدمشق :

(١) انظر فى هذا الخبر السلوك ، ورقة ١٤٠ ب .

(٢) انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/ ٢٤٠ — ٢٤١ .

وفيه أيضاً سأل الأمير يلو[١] فى الإعفاء من نيابة حماة فأجيب إلى سؤاله :

وفى تاسع عشره وصل سالم الدوكارى[٢] من حلب فتلقاه السلطان بالإكرام والترحيب وخلع عليه وأنعم له بإمرة طبلخاناه بحلب :

وفى حادى عشرى[٣] شهر جمادى الأول — الذى هو يوم الاثنين — استقر جمال الدين محمود العجمى المحتسب فى نظر الأوقاف ، واستقر الأمير قديد القلمطاوى — شادُّ الأوقاف — رفيقاً له ، فشقّ هذا الأمر على قضاة القضاة ، وخلع عليهما[٤] من عند السلطان :

وفى يوم العشرين منه ورد الخبر بأن سلام بن تركية هرب من البرج الذى بالإسكندرية بحيلة صنعها ، وهو أنه طلب مبارد فأحضرت إليه مخفية فى شىء من الأشياء ، واشترى شواشى ليفصّلها له قمصاناً ، فسهر هو وجماعته الليل حتى بَرَدَ قطعة من شبابيك البرج تسعُه[٥] فى الخروج وتدلى فى الشواشى ، وفُقد فلم يعرف له أثر ولا خبر ، فغضب السلطان على نائب إسكندرية ورسم بإحضاره ، ثم روجع فيه فعفى عنه .

وفى خامس عشريه أنعم على قـرخان[٦] بن موسى بن قرمان بطبلخاناة أبيه بحكم وفاته :

---

(١) ضبط على رسمه فى السلوك ، ورقة ١٤٠ ب ؛ والنجوم الزاهرة ١١/٢٣٣ .

(٢) « الدكرى » فى السلوك ، شرحه .

(٣) الوارد فى السلوك ، شرحه «حادى عشر» وربما كان هذا هو الأصح أو الأقرب إلى الصحة لأنه ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٣ فى جداول سنة ٧٨٥ أن أول جمادى الأول هو الخميس .

(٤) أى على جمال الدين العجمى ، وقديد القلمطاوى .

(٥) الوارد فى السلوك ، ورقة ١٤٠ ب « شبابيك المحل الذى هو مسجون فيه » .

(٦) أورده كل من السلوك ، ورقة ١٤٠ ب ، وعقد الجمان ، لوحة ٢٨٨ باسم « دمرخان » .

ووصل النيل فى الزيادة فى أوّل مسرى إلى إثنى عشر ذراعاً وأربع أصابع ، وزاد فى رابعه الموافق لسادس عشرى جمادى الأولى أربعين إصبعاً ، ومن الغد أربعاً وثلاثين إصبعاً ، ثم زاد أربعاً فوفى ، وزاد إصبعين من سبعة عشر ذراعاً[(١)] ، فركب السلطان فى يومه وهو الخامس من مسرى فخلق المقياس وفتح فم الخليج على العادة ، ولم يعهد[(٢)] بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس وفتح فم الخليج إلا الملك الظاهر أبو سعيد برقوق .

* * *

وفى هذا الشهر وقع من الحوادث المنكرة بناحية برما[(٣)] بالغربية أمر شنيع فظيع ، وذاك أن جماعة من مبيّضى النصارى عملوا عرساً ، واجتمع عندهم فيه عدد كبير من الملاهى وأمثالهم ، فصعد المؤذن ليسبح الله تعالى ويوحّده على العادة فى جوف الليل ، وأولئك المسالمة فى غيّهم مع الملاهى وشرب الخمر ، فلما سمعوه بادروا إلى سبه وإهانته وأنزلوه من المنارة بعد ضرب مبرح ، فبلغ هذا الأمر الفادح خطيبَ الناحية فوثب عليهم ليخلصه منهم فأوجعوه ضرباً وسباً وأرادوا قتله وقتل من يساعده ، فقدم إلى القاهرة فى جمع من الناس ووقفوا للأمير سودون النائب ، وشكوا إليه ما حل بهم فأرسلهم الأمير سودون إلى الأمير جركس الخليلى لأجل أن بربا من جملة إقطاعه ، فشكوا له ما حل بهم فلم يلتفت إليهم ولم يقبل قولهم ، ورسم بسجن غالبهم ، فتوجّه

(١) أشارت التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٣ إلى أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة هذه السنة بلغت ١٩ ذراعا و ١٤ قيراطا .

(٢) من هنا حتى نهاية الخبر منظور فيه للنجوم الزاهرة ١١/٢٣٣ س ٦ – ٨ .

(٣) عرّفها القاموس الجغرافى للبلاد المصرية ، ق ٢ ج ٢ ص ٩٦ — ٩٧ بأنها من القرى المصرية القديمة فى العربية ، واسمها القبطى القديم هو Baramai أو Perma ، ويكتبها صاحب النزهة بربا .

(١٦ أ) من بقى منهم إلى مشايخ الإســـلام وعلمـــاء الأنام كالبلقينى وأمثاله ، فتوجّه معهم الواعظ المعتقد ناصر الدين محمد بن الميلق الشافعى إلى الخليلى وأغلظ عليه فى الكلام فأفرج عن المسجونين ، وقدم غالب أهل بر [ما المسلمون] وهم يستصرخون ويستغيثون بالسلطان مما نزل بهم ، فأنكر السلطان ـ نصره الله ـ على الخليلى فعلته التى فعلها ورسم للأمير أيدكار الحاجب أن يتوجه بالكشف عن هذه القضية من بربا ، فتوجّه إليها وكتب محاضر يقبّح أفعالهم وحملهم معه إلى السلطان ، فرسم للقاضى المـــالكى أن يحكم فيهم ، فادّعى عليهم بقوادح وأقيمت البيّنات فسجنهم ، هذا كله والخليلى لا يرتد عن مساعدة المبيضين ، فاتفق فى أثناء هذا الأمر أن الله تعالى أوقع(١) فى شونة قصب من شون الخليلى ناراً فأحرقها أجمع ، ومبلغها من الذهب ما يزيد عن عشرة آلاف دينار ، وأنزل به من الألم فى رجليه حتى ورمتا واشتد ألمهما ، وشنع بموته ، ولمـــا خف ورمه أقعد وصار زمناً ، ولم يزل على هذه الحالة حتى هلك نقمةً عليه لأجل مساعدته لأهل الزندقة والمنافقين :

وفى جمادى الآخر(٢) قدم البريد وأخبر بوفاة الأمير تمرباى الدمرداشى نائب صفد بعد إقامته بها خمسة أيام ، والله الباقى على الدوام :

وفيه استقر الأمير صنجق السيفى نائب حماة عوضاً عن يلّو :

وفيه قدمت(٣) رسل الفرنج وعلى يدهم هدية وكتاب يتضمن أنهم فرحوا بسلطنة السلطان :

(١) وردت هذه العبارة فى الأصل على الصورة التالية : « ... أوقع فى شونة من شون الخليلى قصب له » وقد عدّل النص لمـا هو بالمتن ليستقيم المعنى .

(٢) « جمادى الأول » فى السلوك ، ورقة ١٤١ أ .

(٣) فى الأصل « قدموا » .

ووصل البريد من الكرك مخبراً أن الأمير طغاتمر ما زال يداهن خاطراً ويظهر له الصفاء والمودة وصالحه صلحاً عظيما ، فاطمأن إليه ودخل عليه ومعه ولده فبادر بالقبض عليهم وأمر بذبحهم .

وفي سادس(١) عشريه استقر الأمير كمشبغا الحموى في نيابة صفد عوضاً عن تمرباى الدمرداشى بحكم موته بها ، وكان في رابع عشر منه أعيد ابن وزير بيته إلى نظر الإسكندرية ، واستقر جمال الدين عبد الله بن عزيز الإسكندرى تاجر السلطان بها .

وفي سادس عشريه — الذى هو الخميس — ركب الأمير سودون النائب والقضاة الأربعة وحضروا إلى الصالحية النجمية فجلسوا بشبابيك المدرسة المذكورة المطلة على خيمة الغلمان ، وقدمت مسالمة أهل بربا الذين صنعوا بالمؤذن والخطيب ما صنعوا ، فرسم القضاة بضرب أعناقهم على الزندقة وغسلوا وكفنوا ودفنوا بمقابر المسلمين .

* * *

وفي مستهل شهر رجب الفرد — الذى هو يوم الاثنين(٢) — صعد الأمير محمد(٣) بن محمد بن تنكز نائب الشام وأثار فتنة عظيمة خربت دوراً كثيرة ، وهو أنه نقل للسلطان عن الخليفة المتوكل بالله أبي عبد الله محمد «أنه اتفق مع جماعة — منهم الأمير قرط بن عمر التركماني والأمير إبراهيم بن الأمير قطلوتمر العلائى أمير جندار ، وجماعة قرط زهاء عن ثماني مائة فارس — على السلطان إذا توجه

(١) جعل السلوك ، ورقة ١٤١ أ استقراره في نيابة صفد يوم ٩ من هذا الشهر .

(٢) ذكرت التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٣ أن أول رجب كان الأحد وليس الاثنين .

(٣) انظر العينى : عقد الجمان ، لوحة ٢٨٨ .

إلى الميدان فى يوم السبت للعب الكرة والصولجان وترجل الأمراء والمماليك أجمع واستوى هو فى ركاب السلطان عند وصوله إلى قريب من الميدان أن يخرج على السلطان الثمانى مائة فارس فيقتلونه ويقتلون الأمراء، ويُركبون الخليفة بعد ذلك من داره ويصعدون به إلى القلعة ويستمر فى السلطنة ، فإن انتدب لمعارضته معارض وكان ذا قوة وشجاعة ومعه عدد من الفرسان يتوجه الخليفة صحبة قرط إلى الفيوم فيجتمع عليه بها عربان الصعيد للقيام معه ولنصرته على من كان، وقد أخبرنى بذلك عدة من جماعتهم من الأعيان، وأن الخليفة كتب إلى بدر بن سلام أن يقوم له بالدعوة فى البحر والبر» ، فعند ما سمع السلطان ذلك حلّف ابن تنكز على صحة ما نقله فحلف [ابن تنكز] والتزم بمحاققتهم ، فأرسل السلطان فى الحال إلى الخليفة وإلى قرط وإلى إبراهيم بن قطلوتمر فأُحْضِرُوا إليه ، هذا بعد أن استدعى الأمير سودون النائب وحدثه بالخبر مفصّلا ، فصار سودون ينكر هذا الأمر ويستبعد وقوعه من المذكورين ، ثم إن السلطان ذكر للخليفة وقرط وإبراهيم ما نقل عنهم فأخذوا فى الإنكار ، فهدّد السلطان قرطاً وأخافه وأوعده بكل مكروه ، فقال : « إن أمير المؤمنين استدعانى وقال لى : هؤلاء ظلمة وقد استولوا على هذا الأمر كرها منى فى الباطن ، ولم أقلّد برقوق إلا غصباً وقسراً ، وقد استولى على أخْذ أموال الناس بالظلم ، وطلب منى أن أقوم بنصرته لله تعالى وأنصر الحق وأزيل هذه المظالم وهذه الظُّلْمة ، وذلك كله بعد أن ألزم الخليفة نفسه بإبطال المكوس جميعاً وأن لا نفعل إلا الحق ، فأجبْتُه لما سأل ووعدْتُه بنصرته وأن أجمع له ثمانى مائة فارس من الأكراد والتركمان يقومون بنصرته ويمتثلون أوامره ونواهيه » ، فقال السلطان للخليفة : « ما تقول فى هذا ؟ » فقال : « كلام ليس فيه شىء من الصحة وإنما هو افتراء وبهتان » ، ثم التفت السلطان إلى إبراهيم

ابن قطلوتمر وقال له: «إيش تقول إنت ؟» فكان جوابه أن قال: «ماحضرتُ هذه الاتفاقية ولكن الخليفة استدعاني إليه في بيته الذى بجزيرة الفيل وأعلمني بكلام معناه يقرب من هذا الكلام، وأمرني بنصرته ورغبني في موافقته والقيام لله تعالى ونصرة الحق» ، فبادر الخليفة بالإنكار وصار يحلف بالأيمان وإبراهيم يحاققه ويذكر له إمارات وعلامات؛ (٦ ب) فاشتد غضب السلطان من الخليفة وجذب السيف من قرابه ليضرب به عنق الخليفة ، فوثب الأمير سودون النائب فحال بينه وبينه ولم يزل بالسلطان حتى سكن بعض غضبه، ثم إنه رسم لصاحب الشرطة أن يسمّر قرطاً وإبراهيم ، واستدعى قضاة القضاة واستفتاهم في قتل الخليفة ، وذكر لهم أنه قصد قتله وقتل الأمراء ، وذكر لهم صورة الحال فلم يفتوه بقتله وانصرفوا من عنده ، فعند ذلك رسم بسجن الخليفة مضافاً إلى تقييده بالقلعة ، وسمر قرط وإبراهيم ، ونودى عليهما بالقاهرة ومصر، ثم أوقفا بالرميلة (١) تحت القلعة بعيد العصر ، فنزل الأمير أيدكاز الحاجب وأخذهما وتوجه بهما ليُوسطا (٢) خارج الباب المحروق من القاهرة .

فلما وصل إليه ابتدأ بإنفاذ قضاء الله في قرط فوُسّط، وطلب إبراهيم لينفذ فيه الأمر فدهمه عدة من المماليك السلطانية وأخبروه أن الأمراء شفعوا في إبراهيم فقبل السلطان شفاعتهم، فعند ذلك فكت مسامير إبراهيم وتوجهوا

(١) الرميلة كانت أرض فضاء تحت القلعة وفي شمالها سوق الخيل ومكانها اليوم ميدان صلاح الدين .

(٢) أشار المقريزى في خططه ١/٣٨٣ إلى أنه كان يعرف قديما بباب القراطين ، ثم حدث في أوائل الدولة المملوكية في سنة ٦٥٢ هـ أن توترت العلاقات بين المعز أيبك التركماني وبين الفارس أقطاى الجمدار، وتطور الأمر إلى أن ركب أنصار الجانبين بعضهما على بعض فألق أحدهم بالنار على «باب القراطين حتى سقط من الحريق» فسمي منذ ذلك الحين بالباب المحروق .

به إلى خزانة [(١)] شمائل فسجن بها ، وبادر السلطان فطلب زكريا وعمر — ابنى إبراهيم عم المتوكل — لينظر فيمن يوليه الخلافة منهما ، فوقع الاختيار على عمـــر فولى الخلافة ، وهو ابن الخليفـــة المستعصم بالله ابن المستمسك بالله أبى إسحق إبراهيم بن عبد الله بن محمد الإمام الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد بن الحسن بن أبى بكر بن على بن الحسن على العتبى وخلع عليه ، ولقب الواثق بالله .

وأصبح يوم الثلاثاء ثانيه فقبض على حسن بن قرط وعمر بن أخى قرط وسجنا بخزانة شمائل .

وفيه خلع على الأمير سبرج الكمشبغاوى واستقر واليـــاً [(٢)] بقلعة الجبل ، وأضيفت إليه إمرة طبلخاناة عوضاً عن طشتمر المظفرى . ورسم بالقبض على والى أطفيح المسمى والمشهور على [(٣)] بن بدر وتقييده ، وأن يكون مع المقيدين ينقل التراب ، ففُعل به ذلك ثم سجن بالقلعة .

وفيه برز المرسوم الشريف بعزل نعير [(٤)] بن حيار بن مهنا والحوطة على موجوده ، واستقرار [ابن أخيه] عثمان [(٥)] بن قارة فى إمرة العرب عوضاً عنه ،

(١) أشار المقريزى فى خططه ٢/١٨٨ إلى أنها كانت من سجون القاهرة وتنسب إلى علم الدين ابن شمائل والى القاهرة زمن الكامل محمـــد بن العادل أبى بكر ، وكانت مخصصة لذوى الجرائم الكبرى ، وقد حبس بهـــا المؤيد شيخ فنذر إن أخرجه الله منها وولاه ســـلطنة مصر ليجعلنها مسجدا ، فكان الأمر كما تمنى فهدمها فى سنة ٨١٨ ﻫ وبنى مكانها جامعه .

(٢) فى الأصل « والى » .

(٣) اكتفى السلوك ، ورقة ١٤٩ أ ، س ١٦ بأن سماه « ابن بدر » فقط .

(٤) ويقال له محمـــد بن حيار ، وقـــد أسهم فى أحداث الفتنـــة بين الناصرى ومنطاش وبرقوق وكان بينه وبين بنى عمه قتال ، فلما كان عهد فرج قاتله الأمير جكم وكسره ، وجاء به إلى حلب حيث قتل فى شوال سنة ٨٠٨ ، « وبموته انكسرت شوكة آل مهنا » كما يقول السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/٨٦٥ ، انظر Wiet: op. cit. No .2591

(٥) هو أمير عرب آل فضل بالشام والعراق ، مات سنة ٧٨٧ شابا وقد وصفه ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٣٠٩ بالكرم والشجاعة وحب اللهو والخلاعة ، انظر أيضا الدرر الكامنة ٣/٢٦٠١ ، وشذرات الذهب ٦/٢٩٨ .

وجهز له التشريف صحبة الأمير بجمان المحمدى إلى حلب يقلده(١) الأمر، وطلب من فوره هو والأمير يلبغا الناصرى نائب حلب ودهموا نُعيْراً بن حيار فارتفعوا، وكان بينهم حرب شديدة أفضت إلى أن فر منها نعير ومعه بعض أخصائه، ونهب ماله وهو شىء كثير جداً من جماله ثلاثون ألف بعير، وأما حريمه فسبي، ووجد له من البسط الطنافس مالا يستطيع الجمل الواحد حمل فردة منها، فقال الشيخ تقى الدين المقريزى(٢) رحمه الله: « فكان هذا من أعظم أسباب الفساد فى الدولة ».

وقدم البريد مخبراً بهذه الواقعة فى يوم السبت سادسه:

وفى هذا اليوم ركب السلطان للميدان للعب الكرة والصولجان على العادة فى موكب جسيم وهرتلة(٣) عظيم.

وفى الثامن منه خلع على بهادر الطواشى واستقر فى تقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن جوهر الصلاحى. وخلع على الأمير كمشبغا الخاصكى واستقر رأس نوبة ثالثاً عوضاً عن أيدمر من صديق بحكم وفاته؛ وكذلك خلع على بكلمش الطازى العلائى واستقر رأس نوبة خامساً عوضاً عن بجمان المحمدى المتوجه إلى حلب بإمرة عثمان بن قارة أمير العربان. وكذا خلع على الأمير حسن قجا الأسن قجاوى واستقر فى وظيفة شاد الشراب خاناه عوضاً عن كمشبغا الخاصكى.

وفى ثالث عشره – الذى هو السبت – ركب السلطان من قلعة الجبل إلى الميدان للعب الكرة والصولجان على العادة(٤).

(١) من هنا حتى قوله « ... عوضا عن بجمان المحمدى المتوجه إلى حلب بإمرة » س ١٥ غير وارد فى نسخة ز. (٢) راجع السلوك، ورقة ١٤٢ أ، س ٢٢ – ٢٣.

(٣) دأب المؤلف على استعمال هذا التعبير دلالة على ضخامة الموكب.

(٤) نص السلوك، ورقة ١٤٢ ب، على أن هذه كانت ثانى مرة ينزل فيها السلطان الميدان للعب الكرة والصولجان.

وفى ثانى عشره عزل قطلوبغا حاجى من ولاية الأشمونين وخلع على الأمير كرجى واستقر فيها عوضه .

وفيه أدير المحمل بالقاهرة ومصر على عادته فى كل سنة ، غير أن السلطان جدد فيه أنواعا منها أنه عمل له ثوب حرير أصفر برميات(١) زركش مكتوب فيها اسم السلطان ، ورصافيات فضة مطلية بالذهب ، فجاء فى غاية الحسن والنضارة ، وعرضت كسوة بيت الله الحرام فاستجد فيها السلطان طرزاً دائرها من قصب .

وفى العشرين منه - الذى هو السبت - ركب(٢) السلطان خارج القاهرة ودخل من باب النصر حتى وصل إلى البيمارستان(٣) المنصورى فنزل به وتفقد أحواله ووصاهم بالضعفاء وبالأوقاف والمستأجرات ، وصعد منه إلى القلعة .

وبلغت زيادة ماء النيل أربعة أصابع من عشرين ذراعاً ، ثم زاد بعد ذلك حتى انتهت زيادته إلى إصبع من أحد وعشرين ذراعاً ، فانهدم من هذه الزيادة بيوت كثيرة وغرقت مواضع عديدة ، وعين السلطان عدة من الأمراء لسدّ مقاطع الماء ولحفظ الجسور ، وإلى الله عاقبة الأمور .

---

(١) فى السلوك « بسمسات » .

(٢) يشير السلوك ، شرحه ، إلى أن هذه ثالث مرة يركب فيها السلطان .

(٣) انظر أحمد عيسى : تاريخ البيمارستانات فى الإسلام ، ص ٨٣ وما بعدها .

(٤) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٣ أن غاية فيضان النيل بلغت هذه السنة ١٩ ذراعا و١٤ قيراطا وذلك بمقياس الروضة ، ولكن فى رابع مسرى ١٠٩٩ (وهو السادس من جمادى الأولى ويعادل ٢٨ يوليو ١٣٨٢ م) زاد النيل أربعين إصبعا ثم زاد بعدها ٣٤ إصبعا ثم أوفى سادس مسرى ، وانتهت الزيادة نحو خمسة أصابع من إحدى وعشرين ذراعا ، فغرق من جراء هذه الزيادة الضخمة كثير من المواضع وتهدمت دور كثيرة ، انظر إنباء الغمر ١/٢٧٦ ، وانظر أيضا أمين سامى : تقويم النيل ١/١٩٥ .

وفيه حضر جماعة من الرجال من بلاد سنجار[١] وتكريت وقيصرية [الروم] وسألوا أن يكونوا من جملة المماليك السلطانية[٢] بمصر ، وأن يقرر لهم جوامك وعليق ولحم وكسوة وأضحية ، فرسم السلطان أن يكتب لنائب سنجار وتكريت وقيصرية تقاليد وتجهز لهم تشاريف ، وأن يعود رجالهم إليهم ؟

وركب السلطان من القلعة قاصداً سرياقوس[٣] التي تسمى السرحة في كل سنة على العادة ثم رجع .

وفي مستهل شهر شعبان ورد الخبر (١٧) بأن أعداء الله الفرنج – عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم – تحركوا على السواحل ، فبرز المرسوم الشريف للجند بالخروج إلى الساحل فتجهزوا لذلك ، وسافروا ليلة الخميس

---

(١) عرف مراصد الاطلاع ٢/٧٣٤ سنجار بأنها من مدن الجزيرة المشهورة في لحف جبل ، وفصل في وصفها لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٨ – ١٢٩ وحاشية رقم ٣٥ هناك ، أما تكريت فغربي دجلة ذات قلعة حصينة أحد جوانبها في دجلة وكانت تعد آخر مدينة في حد العراق ، انظر مراصد الاطلاع ١/٢٦٨ ، وبلدان الخلافة الشرقية ص ٨١ ، وأما قيصرية فقد رسمها مراصد الاطلاع ٣/١١٣٩ بالسين واكتفى في تعريفه إياها بأنها مدينة كبيرة في بلاد الروم ، انظر أيضا بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٨ .

(٢) تختلف رواية المقريزي في السلوك ، ٢ ٤ ١ ب عن رواية المؤلف إذ يقول « إنه قدم عدة من رجال نائب سنجار ومن تكريت وقيصرية الروم ليسألوا أن تكون مضافة إلى مملكة مصر فكتبت تقاليد الثلاثة وحملت لهم التشاريف » ، أما رواية ابن حجر : إنباء الغمر ١/٢٧٦ فتذهب للقول بأن رسل أصحاب هذه البلاد الثلاثة جاءوا بهدايا هم وكتبهم التي تضمنت « سؤال السلطان أن يكونوا تحت حكمه ويخطبوا باسمه » فأجيب طلبهم .

(٣) تقع سرياقوس بالقرب من الخانقاه ، وبها مرحة ألف سلاطين مصر الذهاب إليها للعب الكرة في ميدانها المعروف بميدان سرياقوس وهو من إنشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٣ ، كما شيد فيه كثيرا من الدور الرائعة للأمراء ، وغرس فيه بستانا جلب إليه أشجار الفواكه من دمشق ، وجرت عادة السلاطين الخروج إليها بعد انقضاء أيام الركوب ، واستمر الأمر على هذا المنوال حتى سنة ٧١٩ هـ فترك ذلك لانشغاله بحركة على باي ثم أمسك عنها ابنه فرج لاضطراب الأحوال في مصر والشام وأهملت سرحة سرياقوس والناحية بأكملها حتى بيعت قصورها سنة ٨٢٥ بمائة دينار ، انظر الخطط ٢/١٩٨–١٩٩ .

السابع عشريه . وهم : الأمير أحمد[1] بن يلبغا الخاصكي وصحبه عدة من الأتراك إلى ثغر رشيد ، والأمير أيدكار ومعه جماعة من الأتراك إلى ثغر دمياط .

وورد الخبر أن سلام بن تركية حشد معه جمع كثير من العربان وأفسدوا في البلاد والعباد ونهبوا الفيـوم ونواحيها ، وقد انضم إلى سلام بن تركية جماعة منهم : إبراهيم بن البان في هيئة أنه من جهة الخليفة ، وكذا أحمد بن البرغلي متولي قليوب [وكان قد] هرب من الشكاوى عليه بسبب ظلمه ، فجهز السلطان أربعة أمراء في القبض على ابن التركية فلم يظفروا به وفر منهـم إلى الصعيد الأعلى . واستقر والي قليوب قطليجا الصوفي ، وكذا استقر أناط السيفي[2] والي الشرقية عوضاً عن القرمي .

* * *

وجاء الخبر أن الأمير يلبغا الناصري — نائب حلب — جاءه الخبر بأن الفرنج وصلت شوانيهم في البحر قاصدين إياس ، فخرج بعسكره للقاء الفرنج ونزل بالعمق لقربه من البحر ، فوصل إليه كتاب نائب اللاذقية بوصول الفرنج إلى بيروت واستيلائهم على البر ، حتى إنهم ملكوا بعض الأبراج فأدركهم الله بالعسكر الشامي ، فقتلوا من الفرنج نحو خمسمائة رجل وهرب باقيهم إلى مراكبهم وسافروا وعادت العساكر الشامية إلى مقرها .

وأما الأمير يلبغا الناصري فإنه أوقع الفتنة بين التركمان اللاجقية والقنقية وحذف طائفة على أخرى وكتب لهم بالإقامة والنزول[3] .

(١) كان أحمد بن يلبغا الذى سيتردد اسمه فى أحداث هذه الفترة أحد المقدمين فى مصر زمن برقوق ثم صار أمير مجلسه ، وقد انتهى أمره أخيرا بقتله ذبحا فى سنة ٨٠٢ ، أنظر النجوم الزاهرة ١٢/٢١١ ، والضوء اللامع ٢/٦٨٤ .

(٢) « اليوسفى » فى السلوك ١٤٢ ب . (٣) يعنى بذلك النزول على باب الملك مفتتح البلاد السيسية حيث مقام اللاجية ، انظر السلوك ، ورقة ١٤٣ أ .

وفيه قرر تقي الدين أبو محمد عبد الله بن قاضي القضاة جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن أحمد الحسن بن سليمان بن فزارة الكفري[١] قاضي القضاة الحنفية بدمشق عوضاً عن نجم الدين أبي العباس بن أبي العز[٢].

وفي يوم الخميس التاسع[٣] من رمضان صعد سعد الدين نصر الله بن البقري[٤] ناظر الخواص الشريفة القلعة وحضر الخدمة على العادة بالقصر، وكان عنده مهم[٥] فاجتمع فيه حريمه ومن يعرفونه[٦] من أقاربهم وقد أخذوا في التزين بكل ما يمكن من أحسن الملابس وأفخر الجواهر مالا يمكن وصفه وقيمته، والملاهي والمغاني يغنيهن، وكان هذا الفرح خبره عند السلطان وكيفية الاجتماع، وغرض السلطان أخذ المال وعزل ابن البقري المذكور، فندب السلطان الأمير قرقماس الخازندار والأمير بهادر المنجكي الأستادار للحوطة على دار ابن البقري وأخذ النساء والغلمان والجواري والأموال وحمل جميع ما في الدار وهو مما تبلغ قيمته زهاء على مائتي ألف دينار، كذا ذكر شيخنا البدري العيني قاضي القضاة

(١) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن الحسين اشتغل في مبدأ حياته بالعربية والأصول والمعقول وقد جرى عليه من المحن ما جرى على بقية أفراد أسرته ممن شغلوا منصب القضاء، وكان موته سنة ٨٠٣ حسب اتفاق المؤرخين وإن شذ العيني في عقد الجمان بجعله في محرم ٨٠٤، أنظر عنه الضوء اللامع ٥/٢٦٦، وقضاة دمشق، ص ٢٠٣.

(٢) هو أحمد بن إسماعيل بن محمد الأذرعي ابن الكشك تولى قضاء مصر سنة ٧٧٧ هـ أياما قلائل وإن تكررت ولايته لقضاء منصب قاضي قضاة الحنفية بدمشق، وكان موته سنة ٧٩٩ هـ، انظر عنه إنباء الغمر ١/٥٣١ — ٥٣٢، والدرر الكامنة ١/٢٩٥، وشذرات الذهب ٦/٣٥٧.

(٣) في الأصل «التاسع عشر» وقد عدل التاريخ إلى ما بالمتن بعد مراجعة جدول السنوات الهجرية في التوفيقات الإلهامية، ص ٣٩٣، حيث أشار إلى أن أول رمضان من هذه السنة كان يوم الخميس.

(٤) Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 2586.

(٥) المهم هنا بمعنى الحفل.

(٦) في الأصل «يعرفوه».

الحنفية والشيخ تقى الدين المقريزى[1] فى تاريخهما بعد أن قبض على ابن البقرى بالقصر وأودع الحديد ورسم بسجنه فى قاعة الصاحب من القلعة، ولا علم له بما حصل على عياله وداره.

وخلع على الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان بوظيفة نظر الخاص فأبى ذلك واستعفى وقال: «هذه خلعة الاستمرار» فأعفى منها ولم يكلف لولايتها، فعند ذلك طلب موفق الدين أبو الفرج[2] عبد الله الذى أسلم كرهاً على يد السلطان فخلع عليه واستقر ناظر الخاص.

وفى السادس والعشرين منه قبض الوزير على عبيد [البازدار] مقدم الدولة فأخذ منه مائة ألف درهم وأفصله[3] وأقام عوضه فى تقدمة[4] الدولة محمداً ابن عبد الرحمن، ثم أضاف له شريكاً [عبد الله بن] محمد بن يوسف.

وكان فى العشرين منه رسم السلطان بتجريدة إلى الإسكندرية وإلى رشيد خوفاً عليهما من الفرنج فخرجوا مسرعين.

وفيه أخرج السلطان إقطاعات المماليك الأشرفية عنهم وفرقها فى مماليكه.

وفيه زادت العقوبة واشتدت على سعد الدين بن البقرى فضرب بالمقارع وألزم بحمل خمس مائة ألف درهم بعد أن أخذ منه ما يقرب من ثلاثمائة ألف دينار.

وفى هذا الشهر تكرر ركوب السلطان إلى الصيد عدة مرار.

---

(١) انظر السلوك، ورقة ١٤٣ أ، هذا مع أن عبارة العينى فى عقد الجمان ١ / ٢٨٩ س ١١ — ١٣ جاءت على الصورة التالية: «وفى التاسع والعشرين من رمضان ضرب سعد الدين ابن البقرى بالمقارع وأخذ منه مقدار ثلاثة آلاف درهم».

(٢) إنباء الغمر ١/٤٨٥ ترجمة رقم ٣٠ و Wiet: op. cit. No. 2810.

(٣) أى فصله.

(٤) فيما يتعلق بوظيفة مقدم الدولة راجع القلقشندى: صبح الأعشى ٥/٤٦٨.

وفيه برز المرسوم الشريف بكتابة أسماء المسجونين في سجن القضاة على الديون الشرعية والحقوق الشرعية فكُتِبوا، فرسم السلطان أن يصالحوا غرماءهم بمال، ودفع السلطان ذلك للأمير جركس الخليلي فصالح عنهم وحصل لهم الفرج والفرح، فتضاعفت الأدعية للسلطان ولمن كان السبب في هذا المعروف والإحسان.

وفيه اجتمع الأمراء الأكابر وشفعوا في الخليفة، وتقدم منهم الأمير أيتمش الأتابكي والأمير ألطنبغا الجوباني أمير مجلس وقبّلا الأرض وترققا للسلطان وسألاه في العفو عنه فأجابهما إلى سؤالهما(١)، ولكن بعد أن عدد لهما ما كان قصده يوقع به من القتل، ورسم بكسر قيده.

وفي ثالث شوال الذي هو الأحد، توجه السلطان إلى بر الجيزة فتنزه به وعاد منه يومه فصعد إلى القلعة، ورسم في بقية يومه أن ينفوا المماليك الأشرفية والبطالين من مصر وهم في الحديد.

ولما كان الثاني عشر منه توجه السلطان إلى بر الجيزة وعدّا من النيل وتصيّد ثم رجع إلى المخيم (٧ ب) السلطاني تجاه الأهرام قريباً منه، ومرّ على خيمة الأمير قطلوتمر أمير جندار فوقف عندها، فخرج قطلوتمر وقبّل الأرض بين يديه وقدم له أربعة أرؤس خيل خاص فلم يقبلها السلطان، فقبل الأرض ثانياً وسأل في قبولها فقبلها وعاد إلى مخيمه، فأرسل في الحال بإحضار إبراهيم بن قطلوتمر المذكور من خزانة شمائل، فأحضر بين يديه وخلع عليه خلعة سنية وأركبه فرساً بسرج ذهب وكنبوش زركش وأعطاه

(١) في الأصل سؤاله، هذا ويلاحظ أن السلوك ١٤٣ ب ذكر أنهما سألا السلطان فأظهر إعراضا فكفا عن السؤال.

الأربع رءوس[(١)] التي قدمها والده ، ورسم له أن يمشي في الخدمة ووعده برزق وأرسله إلى أبيه فسرّ بذلك سروراً كبيراً ، وهذا الأمر على خلاف القياس ، مع أن والده في طول هذه المــدة لم يتكلم ببنت شفة في ولده عند الأمراء ولا عند السلطان ، وإنما فوّض أمره إلى الله فأتاه الله بالفرج القريب من حيث لا يدرى . ورحل السلطان إلى البحيرة وعاد إلى القاعة في يوم الخميس سادس ذى القعدة ، فكانت مدة غيبته أربعة وعشرين يوماً :

وفيه خلع على قاضى العسكر بدر الدين محمد بن البلقينى الشافعى ، وشمس الدين محمد القرمى الحنفى :

ولمــا كان يوم السبت ثامنه[(٢)] استدعى السلطان قضاة القضاة واشترى الأمير أيتمش البجاسى من ورثة الأمير جرجى نائب حلب بمائة ألف درهم فضة وأعتقه ، وقصته أن جرجى لمــا مات لم يكن أيتمش من جملة من أعتقه من المماليك وإنما كان فى الرق ، فأخذه بعد موت جرجى بجاس وأعتقه فمــا صادف العتق لأنه لم يملكه بوجه صحيح شرعى فلم يصادف العتق محــلا ، فاحتاج السلطان أن اشتراه من ورثة من تملّكه بما قدمناه وأعتقه ، فبادر القضاة وأثبتوا الشراء وأثبتوا العتق وصار من جــلة المماليك السلطانية فقام وقبل الأرض ، فأنعم عليه السلطان بأربع مائة ألف درهم فضة وبناحية سفط رشيد[(٣)] ، وخلع على القضاة والموقعين الذين سجلوا البيع والعتق .

(١) فى الأصل « الثلاثة » .

(٢) فى السلوك ، ورقــة ١٤٣ ب « ثانيــه » وهو خطأ يصححه ما ورد فى جدول السنوات فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٣ من أن السبت كان أول ذى القعدة ٧٨٥ .

(٣) « صفط رشين » فى السلوك ١٤٣ ب ، و « سفط رشيد » فى عقد الجمان ١ / ٢٨٩ ، والصواب فى كلتيهما صفط رشيد ورشــين ، جاء فى القــاموس الجغرافى ج ٣ ق ٢ ص ١٤٠ إنها من القرى القديمة ، وأن ابن ممــاتى سمــاها فى قوانين الدواوين بسفط رشين ، وفى الخطط التوفيقية سفط رشيد .

وفى تاسعه ركب السلطان قاصداً بركة الحاج (١) فتنزه بها وعاد فدخل من باب الفتوح (٢) واستمر من القاهرة إلى باب زويلة حتى صعد القلعة .

وفى عاشره خلع على القاضى أوحد الدين [عبد الواحد بن إسماعيل ابن يس الحنفى] كاتب السر (٣) بسبب قراءته عتاقة الأمير أيتمش الأتابكى الظاهرى .

وفيه خلع على نقيب الأشراف السيد الشريف جمال الدين عبد الله (٤) الطباطبى ، واستقر فى نظر وقف الأشراف عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء ، ومن ثم خرج نظر الأشراف عن القضاة ولم يرجع إليهم .

وأنعم فى هذا اليوم على الأمير ألطنبغا الكاش بإمرة طبلخاناه .

وفى سابع عشره مثل ابن البقرى بين يدى السلطان وطلب منه المال فتعلل بما لا يجديه نفعاً ، وضرب ضرباً مبرحاً .

---

(١) كانت بركة الحاج من منتزهات ملوك مصر وهى واقعة بحرى القاهرة ، وكانت العامة فى القرن التاسع الهجرى تسميها « جب يوسف » ، وقد عرفت بالحجاج لأجل نزولهم بها سواء فى ذهابهم للحجاز أو عودهم منه ، وكان صلاح الدين كثير الاهتمام بها ، كما كان الناصر محمد بن قلاون يركب إليها للرمى على الكراكى ، ثم رسم أن تعمل بها أحواش للخيل والجمال وميدان فتم له ذلك ، وفى خطط المقريزى ١٦٣/٢ وصف لها حتى مستهل القرن التاسع الهجرى .

(٢) باب الفتوح هو من إنشاء جوهر الصقلى برأس حارة بهاء الدين ، ويقول المقريزى فى الخطط ٣٨٠/١ : « إن بين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن الفتوح » .

(٣) كان استقراره فى كتابة السر بمصر فى شوال سنة ٧٨٤ هـ ، انظر ابن حجر : إنباء الغمر ٢٦١/١ ، والنجوم الزاهرة ٢٢٨/١١ ، ولم يترجم له ابن حجر فى النسخة المطبوعة بالهند من الدرر الكامنة ٢/٢٠٣٢ وإنما ذكر اسمه ووظيفته السخاوى .

(٤) هكذا فى السلوك ، ١٤٤ أ ، ولكنها « عبد الرحمن » فى الأصل .

وفيه خلع على جمـال الدين محمود المحتسب باستقراره على عادته ، فإنه كان قد أشيع عزله بالقاهرة ومصر .

وفيه برز المرسوم الشريف بكتابة مرسوم شريف باستقرار قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة فى قضاء القضاة الشافعية بحكم وفاة ولى الدين عبد الله ابن أبى البقاء وجهز إليه تشريفه وتقليـده فأبى ذلك غاية الإباء ولم يقبـله ، فروجع وخُوِّف عاقبة الرد فأجاب وارتحل من القدس الشريف إلى دمشق .

وكان فى التاسع من هذا الشهر برز المرسوم الشريف بالإفراج عن الخليفة المتوكل على الله من السجن وأن يتوجه إلى القلعة عند عياله وأولاده .

وفيه قدم البريد مخبراً بما وقع بين نائب حلب وعسكر دمشق وطرابلس وحماة ونواب الثغور والتركمان المتوجهين لقتال التركمان العاصين ببلاد سيس الذين هم منضمون إلى ابن رمضان ومن معهم من اللاجقية بسبب قطعهم الطـريق ونهبهم الحجاج الواردين من الروم وتعديهم وظلمهم وفسادهم واتفاقهم مع علاء الدين بك بن قرمان صاحب لارندة (١) على قلاع بلاد سيس ، وهو أن العساكر أجمع وافوا الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب إليها ، فركب الأمير يلبغا المذكور من حلب فى ثانى ذى الحجة قاصداً العمق بعد أن كاتب التركمان العصاة أن يحضروا إليـه وحذرهم عن التخلف عنه وأنذرهم ، وآمنهم أنهم إذا حضروا وأطاعوا كانوا آمنين على أنفسهم ، وهؤلاء يسمون بين التراكمين « بنى أورزو يقية » ، ومن تأخر كان ماله غنيمة للعساكر ودمه

(١) كانت لارندة قاعدة بلاد إمارة ابن قرمان ، أنظر تاريخها فى لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٠ .

هدراً ، وسار حتى نزل تحت عقبة بغراص (١) فوافى بها نائب عينتاب ونائب بغراص وقد حفظوا الدربند (٢) ، وهجم فى عدد وعدد كثيرة مهولة إلى أن يصل العسكر ، ثم إنه جدّ فى السير إلى أن وصل باب إسكندرونة فأراح الخيل سيراً ، ثم شرع فى تدبير أحوال العسكر فقدّم أمامه من الألوف بحاجب دمرداش وكُشْكِلى وأمرهما بالجدّ فى السير ليسبقا إلى جسر المصيصة فيملكاه « قبل أن يعلموا التراكمين بنا فيقطعوه فيحصل لنا من ذلك غاية المشقة والتعب لتعديته » ، وركب بعدهم فى إثرهم عند ثلث الليل الأول من ليلة الأحد فوجد الأميرين اللذين تقدّماه قد ماكا الجسر ولكن بعد أن هدم (٣) التراكمين منه جانباً لا يمنع الجواز بل ولا يضر ، واشتعلت الحرب بينهم فعدّت العساكر هذا النهر المسمى نهر « جاهان (٤) » الذى هو إلى جانب سيس ، فهرب من كان بالمصيصة من التركمان وخلوا بعض بيوتهم فنهبت ، وصار التراكمين متعلقين برءوس الجبال التى لا يصل إليها الفرسان والأبطال ، وفى أثناء هذا الأمر حضر (٥) قصادهم

---

(١) بلدة قريبة من أنطاكية كما جاء فى ياقوت : معجم البلدان ١/٦٩٣ — ٦٩٤ ، هذا وقد وردت فى مراصد الاطلاع بحذف كلمة « عقبة » ، وجاء عنها فيه إنها فى الطريق من حلب إلى أنطاكية فى البلاد المطلة على طرسوس .

(٢) للدربند مدلولان أحدهما مدينة تسمى بهذا الاسم وقد يطلق عليها فى بعض الأحيان « باب الأبواب » كما جاء فى مراصد الاطلاع ٢/٥٢١ ، وتقع على الشاطىء الغربى لبحر قزوين ، وقد جمع القلقشندى فى صبح الأعشى ٤/٣٦٤ كل معانيها ، أنظر أيضا ياقوت ، شرحه ٢/٥٦٤ ، أما المقصود بها فى المتن أعلاه فهو « الطرقات » وهذا هو المدلول الثانى للفظ ، أنظر محيط المحيط ، وقد ذكر كاترمير Hist. de Mamlouks أنها تسمى فى المراجع الغربية باسم Passus Portellae أنظر أيضا لسترانج ، بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٤–٢١٥ .

(٣) فى الأصل « هدموا » .

(٤) المقصود بذلك نهر جيحان أو جيحون oxus ، أنظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٦ — ٤٧٨ .

(٥) فى الأصل « حضروا » .

على اختلاف طوابقهم يسألون الأمان ، فعند ذلك أجاب الأمير يلبغا الناصرى سؤالهم وكتب لهم بالأمان ، فبلغ ذلك ابن رمضان فترك « أذنة »[1] وانهزم إلى رءوس الجبال التى لا يسلكها المشاة ولا الفرسان إلا بالمشاق الشديدة ، وحطت الأطلاب[2] (١٨) والأثقال بالمصيصة سابع عشره ، فلما كان الغد ثامن عشره وصل قاصد الأمير طيبغا الغزى نائب سيس مخبراً بوصول ابن رمضان إلى أطراف بلاده السيسية ، وأنه تبع أثره فى طائفة من التراكمين القرمانية فسمع بهم ففرّ[3] منهم وأدركوا بيوته فنهبوا وسبوا حريمه وأولاده ولم يخلص سوى بنفسه ، والتجأ إلى التركمان البياضية فارتمى عليهم واستجار بهم ، فقويت آراء العساكر بالتوجه إليهم و[بينا] هم فى أثناء السير [إذ] ورد الخبر من الأمير طيبغا نائب سيس فى آخر النهار أنه ما زال تابعاً إثر ابن رمضان حتى لحقه وقبض عليه وقبض معه أخاه قرا محمد وأولاده وأمه وأخصاءه ورجع بهم إلى سيس ، ففرح العساكر بذلك فرحاً شديداً ، ورحلوا فى التاسع عشر منه متوجهين إلى سيس فالتقوا بطائفة من التراكمين الميراكرية فوقعوا فى نهب خيولهم ومتاعهم وأثاثهم ، ثم إنهم — أعنى التركمان — سألوا الأمان فأمنوهم ، وتفرقت جموع التركمان شذر مذر فى رءوس الجبال ، ووصلت العساكر إلى سيس ، وقتل ابن رمضان وأخوه ومن معهما فوسطوا ، ورجع العسكر قاصداً المصيصة ، وركب الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب بعساكره فملك جبلا يسمى

(١) وتكتب بالدال والذال وهى بلد من الثغور قرب المصيصة ، أنظر مراصد الاطلاع ١/٤٨ ، واسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٣ .

(٢) الأطلاب جمع طلب وهو تعبير يستعمله كتاب العصر المملوكى وإن كان كردى الأصل ويقصد به شيئان : الأول الأمير الذى يقود مائتى فارس وكان هذا معناه أيام صلاح الدين ، ثم تطور إلى أن أصبح يقصد به الفرقة من الجيش ، أنظر Dozy: Supp. Dict. Ar. .

(٣) فى ز « نفير » .

صاروحاثيا وهو ضيق حرج وغربه جبال شوامخ وأودية هائلة عظام لا يكاد الماشي يسلكه لصعوبته ووعره ، فكيف بالفارس وفرسه الموقرين لبساً ، فدهمهم فيه جمع كبير من التركمان المراكرية فوقع بينهم الحرب الشديدة وقتل من الفريقين جماعة ، وطُلب الأمير يلبغا وغالب أمراء حلب ففقدوا وهم تائهون في تلك الأودية ، ثم اجتمع الناس وقد فقد منهم طائفة ، وداخل العسكر إرجافٌ كبيرٌ ورعبٌ كثير كادت أرواحهم مما ذكرناه تفارق أجسادهم ، وقدم الخبر بأن التركمان قد اقتحموا — بالإحاطة على دربند — باب الملك (١) ، فبادر الأمير يلبغا الناصري بعساكره ملتجئا إلى مدينة إياس ، فتباشر العسكر بقدومه بعد فقده واستمروا عليها ، ثم ركبوا منها فالتقوا بالتركمان وإذا هم جمع عظيم فارتفعوا ، وكانت بينهم حرب لم يقع لهم مثلها وقتل فيها خلق كثير ، وانجلى أمرهم على كسرة التركمان لكن أبلى فيها الناصري وعساكره بلاءً شديداً ، ورحل العسكر في عاشر ذي الحجة — الذي هو يوم عيد الله الأكبر — قاصدين جهة إياس ، فما استقر قرارهم وضربت خيامهم حتى اجتمعوا للتركمان وضربوا عليهم بركاً (٢) محتاطين بهم بعد أن وجهوا جمعا منهم إلى دربند باب الملك فملكوه ومنعوا عنهم الأقوات والميرة ، فعزّت الأقوات وجاعت الرجال والخيول ، وكثر الهلع والجزع وأيقنوا بالهلاك ، فلطف الله تعالى بهم :

(١) هي إحدى ثغور أرمينية الصغرى وتقع على شاطئ البحر الأبيض المتوسط ، أنظر في ذلك La Strange, Palestine under Moslems, P. 405.

(٢) البرك ما يستصحبه الجيش والقادة معهم أثناء خروجهم من متاع وأقمشة وثياب ، راجع عنه Dozy; op. cit.

وقدم الخبر بوصول الأمير سودون المظفرى حاجب الحجاب وصحبته عدة من الأمراء بعد أن استخدم من شباب بانقوسا (١) — صحبة ركابه — ألف رجل، وأعطى كل راجل منهم مائة دينار، ومشى معه أيضاً العلماء والصلحاء، وغالب أهل البلد لما سمعوه بما حلّ من العسكر، حتى إن حاجب الحجاب نادى فى حلب بالنفير العام وانضم إليهم من الأكراد والرجالة والخيالة المقيمين بجبل القيصر والجبل الأقرع (٢) وغيرهما من أعمال حلب، والقائم بمؤونتهم سودون المظفرى ومن معه من الأمراء فما كان من أمرهم إلا أن ساروا وهجموا على باب الملك فملكوه وقتلوا غالب من كان به من التركمان ونصرهم الله العزيز الكريم المنّان وانهزم بقية التركمان فسُرَّ العسكر بذلك سروراً كبيراً، وركبوا فى الوقت إلى باب الملك فجاوزوا دربنده وأقاموا ببغراص ثم رحلوا إلى أنطاكية حتى قدموا حلب، فكانت سفرة شنيعة زائدة المشقة لما قاسوه فيها من الزلازل والأمطار وتوالى هبوب الرياح العاصفة فى الليل والنهار وكثرة الجزع والهلع ومقاساة آلام الجوع الذى لا يمكن وصفه، ولم يظفروا بطائل سوى مقتل ابن رمضان وأخيه (٣)، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

وفى السادس والعشرين منه وصل (٤) مبشرو الحجاج وأخبروا بأن السيد الشريف سعد (٥) بن أبى الغيث الحسنى أمير ينبع كبس على الحاج المغربى بوادى

---

(١) بانقوسا قرية من قرى حلب، وقد سميت بذلك نسبة إلى جبل بنفس الاسم فى ظاهر المدينة، أنظر ياقوت ١/٤٨٢، ومراصد الاطلاع ١/١٥٨.

(٢) Dassaud: op. cit. p. 423, notes 3 & 4.

(٣) فى الأصل «وأخاه».

(٤) فى الأصل «وصلوا».

(٥) هو سعد بن أبى الغيث بن قتادة بن إدريس ولى إمرة الينبع أكثر من مرة، ولكنه مات معزولا سنة ٨٠٤، أنظر عنه الضوء اللامع ٣/٩٣٧.

العقيق وسألهم أن يدفعوا له شيئاً ، فما كان جوابهم إلا أن قبضوا عليه وأوثقوا أكتافه وأخذوا فرسه وسحبوه ماشياً على أقدامه ، فلحقهم جمع كثير من عربانه وقاتلوهم ، فقتل جمع كثير من المغاربة وخلصوا سعداً أمير ينبع منهم ، وإذا الحجاج التكرور قد أدركوهم فتقاتلوا معهم فقتل غالبهم ونهبوا أموالهم وأموال من معهم من أهل الصعيد وغيرهم :

وأخبر الحاج العراقي أن حاج شيراز (١) والبصرة طلع عليهم قرشي ابن أخي زامل [بن موسى] في ثمانية آلاف رجل فأخذوا ما معهم من الجواهر واللؤلؤ وغيره ، وقيمة ذلك مما لا يدخل تحت دائرة الإحصاء لكثرته ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ومن فر منهم عاد ماشياً جائعاً عارياً وقدموا صحبة حجاج بغداد ، وأما حاج العراقي فدفع عشرين ألف دينار عراقية حساباً عن كل جمل : خمسة دنانير (٨ ب) حتى مكّنوا من التوجه إلى مكة . وأما اليمن فتعذّر حجهم لما أهمّ سلطانهم من الشغل لتجهيز المحمل (٢) وكثرة ما عندهم من الفتن ، فالأمرُ إلى الله.

وفي هذا العام تزايد الرخاء بالقاهرة ومصر وضواحيهما ، فأبيع اللحم [السليخ] كل عشرة أرطال بثمانية دراهم ، وأما لحم البقر فكل رطل بنصف

(١) هي قصبة بلاد فارس كما جاء في كتب جغرافيي العرب في العصور الوسطى ، انظر مراصد الاطلاع ٢ / ٨٢٤ — ٨٢٥ ، وذكر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٢٨٤ — ٢٨٦ تاريخها ، وقد مصرها العرب واتخذوا موضعها أيام الفتح زمن ابن الخطاب معسكرا لهم حين أناخوا على فتح اصطخر ، وقد أصبحت فيما بعد قاعدة للدولة الصفارية .

(٢) ربما كان المقريزي : السلوك ، ورقة ١٤٥ ب ، أدق في بيان أن تعذر حج الركب اليمنى كان راجعا لانشغال سلطان اليمن بفتنة صرفته عن تجهيز المحمل في هذه السنة ، راجع غاية الأماني ، ص ٦١١ .

درهم ، و [أما] القمح (١) فكل إردب من عشرة دراهم إلى ثمانية ، والشعير من ثمانية إلى ستة دراهم .

وفى هذا الشهر عزل شهاب الدين أحمد بن عمر بن أبى الرضا (٢) قاضى قضاة الشافعية بحلب ، واستقر عوضه فى قضاة القضاة الشافعية المذكورة شرف الدين مسعود (٣) بن إسماعيل بن شعبان ولكن لم يتم له ذلك إلا يسيراً ، وأعيد ابن أبى الرضا على عادته .

وفيها ولى الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا بن عيسى بن مهنا ابن مانع بن حديثة بن عصب بن حارثة بن هذيل بن ربيعة إمرة آل فضل عوضاً عن الأمير ناصر الدين محمد بن نعير بن حيار بن مهنا .

وفيها أجرى الماء بحوض السبيل عند باب المعلى (٤) بمكة المشرفة باسم السلطان ، وكذا صنع بالقدس أن أجرى الماء إليه من قناة المعروف (٥) بعد عمارتها باسم السلطان .

وفيها قتل [محمد] بن مكى كبير الرافضة بدمشق لإظهاره الرفض ، وضربت عنقه تحت القلعة .

* * *

ومات (٦) فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

(١) الوارد فى المقريزى ، شرحه ، أن سعر القمح تراوح يومذاك بين ٨ ، ١٥ درهما .

(٢) سترد ترجمته فى وفيات سنة ٧٩١ فى هذه المخطوطة ، انظر عنه أيضا إنباء الغمر ١/٣٨١ — ٣٨٢ ، والدرر الكامنة ١ / ٥٨٣ .

(٣) سماه السخاوى فى الضوء اللامع ١٠ / ٦٢٨ بمسعود بن شعبان بن إسماعيل .

(٤) اكتفى مراصد الاطلاع ٣ / ١٢٩٠ بأن ذكر أنه موضع بالحجاز .

(٥) فى الأصل « المعروف » لكن انظر السلوك ، ورقة ١٤٥ ب .

(٦) لم يذكر العينى ممن مات فى هذه السنة سوى الأعرج السعدى وقطلوبغا الكوكائى .

٩ [(١)] ـــ الأديب الفاضل الباهر ، والفصيح الماهر ، شهاب الدين أحمد المعروف بالأعرج السعدى الذى مدح السلطان فى ولايته المملكة بعدّة قصائد .

١٠ ـــ وتوفى الأمير أرغون دوادار الأمير طاشتمر أحد الطبلخانات ، ولم يعرف له إحسان ولا مكارم أخلاق لا باليد ولا باللسان .

١١ ـــ ومات الأمير أيدمر الخطائى من صديق وهو مجرد بالإسكندرية .

١٢ ـــ ومات الأمير بلاط السيفى الصغير أمير سلاح وهو بطرابلس الشام فى جمادى الأول ، وكان غاية فى تحصيل المال .

١٣ ـــ وتوفى الأمير تمرباى [(٢)] [بن عبد الله الأفضل الأشرفى] نائب صفد فى جمادى الأول ، ولم يشتهر عنه شىء من الخير يذكر به .

١٤ ـــ ومات الشيخ علم الدين سليمان بن أحمد بن سليمان بن عبد الرحمن العسقلانى أحد أعيان الفقهاء الحنابلة ومفتيهم فى ثالث [(٣)] عشر جمادى الآخرة ، وكان من العلماء الأخيار .

١٥ ـــ وتوفى ولى الدين عبد الله قاضى القضاة بدمشق بن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء محمد بن عبد البر بن يحيى بن على بن تمام السبكى الشافعى بهـــا .

١٦ ـــ ومات الأمير ناصر الدين محمد بن أيبك ألفافا أحد الأمراء العشرات .

(١) سنأخذ الوفيات تسلسلا عدديا طوال سنوات الكتاب كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ، ص ٥٨ ، حاشية رقم ٤ .

(٢) انظر النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٧ ، وقد أضيف ما بين الحاصرتين منه .

(٣) الوارد فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٨ « ثالث جمادى الآخرة » ، وفى السلوك ١٤٦ أ « الثالث والعشرين منه » ، ويتفق معه فى هذا شذرات الذهب ٦ / ٢٨٨ ، على حين اكتفى إنباء الغمر ١ / ٢٨٣ بذكر الشهر فقط .

١٧ ــ وتوفى شرف الدين موسى بن البدر محمد بن محمد بن الشهاب محمود الحلبى ، أحد موقعى الدست بمدينة الرملة عائداً من القاهرة فى رابع(١) عشر شهر صفر .

١٨ ــ ومات الأمير شرف الدين موسى بن دينار بن قرمان ، أحد الطبلخانات فى ليلة الأربعة عشر من جمادى الأولى .

١٩ ــ ومات الأمير قطلوبغا الكوكائى أحد أمراء الألوف وحاجب الحجاب فى سادس المحرم ، وكان مشهوراً بالشجاعة والفروسية .

٢٠ ــ ومات مستوفى المرتجع أمين الدين عبد الله بن جعيص(٢) الأسلمى فى ثالث عشر المحرم .

٢١ ــ وتوفى الأمير قرط بن عمر التركمانى مقتولا فى أول رجب بعد العصر بعد أن سمّر فى يومه وأشهر ووسم بتوسيطه خارج باب المحروق فوسط ، وبالله تعالى جلت قدرته الاستعانة ، ومنه أرجو الإعانة .

* * *

(١) فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٩ « رابع عشرين » .

(٢) ضبطه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٩٩ بضم الجيم وفتح العين وسكون الياء .

سنة ست وثمانين وسبعمائة

* * *

أهلت بيوم الأربعاء[1].

وفى يوم الخميس فى ثانيه أخلع على طشتمر السيفى واستقر فى ولاية دمياط عوضاً عن الأمير قطلوبغا أبو درقة[2] بحكم إفصاله ؛ وفى الثامن عشر منه أخلع على أبو درقة الذى كان والى دمياط واستقر فى ولاية الفيوم وكشفها وأضيف إليه كشف البهنساوية والأطفيحية عوضاً عن محمد بن قرا بغا .

وفى العشرين منه قدم المحمل بالحجاج .

وفيه برز المرسوم الشريف بأن يعمر الوالى بدمياط برجين وأن يعمر بها أيضاً جسر السبيل[3].

وحضر البريد فى هذا اليوم وأخبر بأن حصل بالشام سيل عظيم فأخرب غالب دورها ، ولم يعهدوا مثل هذا السيل أبداً .

---

(١) يتفق هذا التاريخ وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٢٩٢ ، والسلوك ، ورقة ١٤٦ أ .

(٢) الوارد فى النجوم الزاهرة أنه كاشف الوجه البحرى وذكر أنه نقل ذلك عن السلوك ، ولكنا لم نجد فى المرجع الأخير ما يشير إلى هذا الأمر .

(٣) سماه السلوك ، ورقة ١٤٦ أ « بالسبيل البنهاوى » .

وفى ثالث شهر صفر الذى هو السبت مُسِكَ (١) الأمير يابغا الصغير الخازندار وسبعة أنفار من المماليك الأجلاب بلغ السلطان عنهم أنهم يريدون الفتك به فرسم بنفيهم إلى الشام بعد أن ضربوا ، وذلك ذنب عقابه فيه :

وفى الخامس والعشرين منه كان تدريس الشيخ الإمام العلامة أبى زيد عبد الرحمن بن خلدون بالمدرسة القمحية (٢) بمصر عوضا عن الشيخ علم الدين سليمان البساطى (٣) بحكم وفاته ، وحضر معه أعيان المملكة والأمراء مثل بهاء الدين ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس والأمير يونس الدوادار وقضاة القضاة والأعيان من العلماء والفقهاء ، وأظهر من العلوم والفنون ما أدهش الحاضرين (٤) ، فارتفع قدره بذلك بين الأنام .

وفى عاشر ربيع الأول كان قدوم الأمير بيدمر نائب الشام وجلس بدار العدل فوق الأمير سودون النائب واستمر مقيما بالقاهرة ، والمآكل والمشارب والضيافات تحمل إليه إلى ثالث عشره حضر الخدمة فأخلع عليه ، ورسم له من الإصطبل بتقدمة ثمانية جنائب من الخيول محملة (٥) بالقماش الذهب وجرها الأوجاقية خلفه .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية أن أول صفر كان يوم الأربعاء وليس الخميس كما يستدل من المتن أعلاه .

(٢) المدرسة القمحية وتقع بجوار الجامع العتيق بمصر القديمة ، أنشأها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ وكانت من أكبر مدارس المالكية ، أنظر الخطط ٢/٣٦٣ .

(٣) راجع عنه رفع الإصر ٢/٢٤٨ — ٢٤٩ ، والدرر الكامنة ٢/١٨٣٨ ، وإنباء الغمر ١/٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣٠٠ ، وشذرات الذهب ٦/٢٩٠ .

(٤) فى الأصل « الحاضرون » .

(٥) فى الأصل « محملين » .

وفى رابع عشره — الذى هو الجمعة — عقد للسلطان على الست فاطمة بنت الأمير منجك اليوسفى وقبل العقد (١) أوحد الدين عبد الواحد كاتب السر، ولبس فى هذا العقد جماعة كثيرون (٤٩) خلعاً وهم قضاة القضاة الأربعة وكاتب السر وناظر الخاص وموقعو (٢) الحكم .

وفى ثامن عشره — الذى هو الثلاثاء — ركب السلطان من قلعة الجبل فتوجه إلى عيادة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس وقد حصل له تعلل .

وفى هذا اليوم قدّم الأمير بيدمر نائب الشام تقدمة سنية تفصيلها: مماليك حسان الوجوه فى الغاية منتخبون [و] عشرون جملا ملآنة، وثلاثون ضمنها أنواع الثياب من الديباج المذهب والحرير الملون والصوف والفرو على اختلاف أنواعه وأجناسه [و] وخيول: عدة مائتى فرس، تفصيل ذلك: ثمانية عشر عليها أجلال (٣) من حرير، وخمسون فحلا، واثنتان وثلاثون حجرة، ومائة أكديش، وثلاثة وعشرون كلباً سلوقياً [و] هجن: ثمانى قطر محملين بالقماش الذهب، وخمسة وعشرون قطاراً من الهجن بكيران ساذجة، وأربعة قطر جمال بخاتى لكل جمل منها سنامان، وثمانية وثمانون جملا عِراباً، [وقدّم] باسم المقام الناصرى — ولد المقام الشريف — عشرين فرساً وخمسة عشر جملا وثياباً وغير ذلك، فقبلت وشكرت .

وأخلع على أصحاب الوظائف المحضرين بها .

ولما كان العشرون منه خلع عليه (٤) خلعة السفر وتوجه إلى محل كفالته؛ فجملة إقامته بمصر عشرون يوما .

(١) الوارد فى العينى: عقد الجمان، لوحة ٢٩٢ أن العقد تمّ بالحوش السلطانى وأن أوحد الدين كان وكيل السلطان .

(٢) فى الأصل « موقعين » . (٣) فى السلوك، ورقة ١٤٦ ب « جلال الحرير » .

(٤) أى على بيدمر نائب الشام .

وفى الرابع والعشرين منه أذِنَ السلطان لنوّاب الحنفية أن يباشروا الحكم بعد موت قاضى القضاة صدر الدين بن منصور إلى أن يستقر بقاضٍ يختاره :

وفى خامس عشريه ركب السلطان وقصد عيادة [ألطُنْبغَا] الجوبانى أمير مجلس وهــذه هى المرة الثانية ، فلما بلغ الجوبانى أن السلطان يعوده ثانيــاً فرش له الأرض ـ شققاً (١) ملونة من النخ والكمخا والحرير السكندرى من ـ باب إصطبله إلى موضع فرشه الذى هو مضطجع عليه ، ومشى السلطان بفرســه عليها وأخذوا ذلك للمماليك ونثروا الذهب والفضة على رأسه ، ولمــا وصل السلطان إليه وسلم عليه كان الجوبانى هيّأ جميع مماليكه وخيوله فقدمهم له ، فما قبل السلطان منهم شيئاً .

* * *

وفى سلخه ـ الذى هو الأحد ـ صعدوا بجهاز الست فاطمة بنت الأمير منجك زوجة المقام الشريف إلى القلعة وقيمته ثمانمائة ألف مثقال ذهباً ، وعدة الحمالين ثلاثمائة حمال ، خارجاً عن عشرة أطباق مملوءة زراكشاً ، وسبعون بغلا ، والحاجب الذى هو الأمير أيدكار ماش أمام الجهاز هو والأمير بهادر الأستادار وكذلك الأمير قردم الحسنى رأس نوبة والأمير قرقماس الخازندار والأمير يونس الدوادار ، وكان من الأيام المشهودة .

ولمــا كان ليلة الخميس التى هى رابع شهر ربيع الآخرة بنى عليهــا السلطان ، ولا يحتاج إلى ذكرنا لمــا صنع لموائد عرسها فإنه يطول ، ويكفينا فيه أنه شىء ملوكى .

(١) الشقق جمع شقة وهى القطعة من الكتان أو من شعر الماعز ، وكانت توضع على باب الخيمة ، ثم أصبحت تفرش أمام الركب السلطانى ، والظاهر أنها حينذاك تحولت إلى أن تجعل من الحرير احتراما لمكانته ، أنظر Dozy : Supplement aux Dictionnaires Arabes .

وفى سابعه وصل البرهان إبراهيم الدمياطى من بلاد الحبشة فخلع عليه :

وفى تاسعه قدم الخبر أن مركبين من مراكب الفرنج نزلا على رشيد فعاد الأمير يونس الدوادار والأمير ألطنبغا المعلم إليهما فلم يظفروا بهما وفروا منهــزمين .

وفى ثالث[1] عشره ركب الأمير ألطنبغا الجوبانى وصعد إلى الخدمة وعافاه الله من علته :

وفى يوم الخميس ثانى عشريه طلب شمس الدين محمــد بن أبى بكر الطرابلسى أحد النواب بالحكم الحنــفى فخلع عليه واستقر قاضى القضـــاة الحنفية عوضاً عن صدر الدين محمد بن منصور بحكم وفاته وقد شغر منصب القضاء بعـــد وفاته أحداً وأربعين يوماً ، وكثر السعى فى الوظيفة لغير واحد هم أعلم من الذى استقر ، لكن بسفارة أوحد الدين كاتب السر وســـعيه لابن الطرابلسى تهيأت له ، وبعد ثلاثة أيام من ولاية القاضى الطرابلسى مات للسلطان ولد ودفن بتربة[2] الأمير يونس الدوادار بالصحراء خارج باب النصر .

وفى سادس[3] عشريه ركب السلطان ونزل لزيارة قبر ولده ، فإنه أسف عليه أسفاً عظيما ، وعاد من فوره إلى القلعة .

(١) فى السلوك ، ورقة ١٤٧ أ « ثامن عشره » .

(٢) توجد تربة الأمير يونس خارج باب البرقيــة بالقــرب من قبة النصر ، وهى من إنشاء الأمير يونس النوروزى الدوادار ، الذى أعان برقوقا وجعله أمير مائة مقدم ألف ، وقد وصفه المقريزى بقوله « إنه سلك فى رياسته طريقة جليلة ولزم ... الصيام والصلاة وإقامة الناموس الملوكى » وذكر المقريزى أيضا فى هــذه التربة التى سماها بالخانقاه أنه أدرك موضعها وبه عواميــد تعرف بعواميد الســباق ، أنظر الخطط ٢/٤٢٥ .

(٣) فى السلوك ، ١٤٧ أ « تاسع عشريه » .

ولما كان يوم الأربعاء ثانى جمادى (١) الأولى اجتمع قضاة القضاة وأعيان الفقهاء والعلماء بالناصرية بين القصرين وقرئ تقليد قاضى القضاة شمس الدين محمد بن أبى بكر الطرابلسى الحنفى، وتكلم على قول الله تعالى : (٢) ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ ﴾ . الآية :

* * *

وفى ثالث عشره احتدّ السلطان حدة زائدة وأظهر غضباً شديداً على ناظر الجيوش المنصورة : تقى (٣) الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد بن أحمد ابن يوسف بن أحمد الشافعى بسبب إقطاع زامل أمير آل فضل وضربه بالدواة فى رأسه ، ثم أمر به فضُرب بين يديه بالعصى نحواً من ثلاثمائة ضربة ، وكان من اللطفاء الترفين الظرفاء ، فحملوه فى محفة إلى داره بالقاهرة ، فلزم الوسادة حتى توفى ليلة الخميس سادس عشره ، رحمة الله عليه .

وفى عشريه (٤) وصل الأمير جمال الدين عبد الله بن بكتمر الحاجب من سفره وهو عليل فى محفة فتوفى (٥) بقية يومه وخرج إقطاعه باسم بورى صهر المقر الأتابكى أيتمش :

---

(١) فى السلوك ، ورقة ١٤٧ أ « ثامن » وهذا خطأ يؤكده ما ورد فى جدول سنة ٧٨٥ بالتوفيقات الإلهامية من أن أول جمادى الأولى كان يوم الثلاثاء وهو يعادل ٢٧ بؤونة ١١٠٠ ق ، و٢١ يونية سنة ١٣٨٤ م .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٣٥ .

(٣) راجع عنه النجوم الزاهرة ١١ / ٣٠١ ، وشذرات الذهب ٦ / ٢٩١ .

(٤) فى السلوك ، ورقة ١٤٧ أ « خامس عشره » .

(٥) ذكرت النجوم الزاهرة ١١ / ٣٠١ أن وفاته كانت يوم الأربعاء ١٥ جمادى الأول ، هذا إذا اعتبرنا أن أول هذا الشهر كان الأربعاء .

وفي سادس عشريه[1] خلع على موفق الدين أبي الفرج الأسلمي ناظر الخاص واستقر في نظر الجيش عوضاً عن تقي الدين ابن محب الدين بحكم موته ، ولا ذا بذاك ، ولا عتب على الزمن ، مضافاً لما بيده من نظر الخاص ونظر الذخيرة واستيفاء الصحبة .

وفيه أخلع على ناصر واستقر والي القاهرة عوضاً عن الأمير بكتمر بحكم غضب السلطان عليه وعزله ونفيه إلى الشام (٩ ب) وخرجت إمرته باسم ناصر الوالي المذكور .

وفي ثالث جمادى الآخرة — الذي هو السبت — عُزل قاضي القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير المالكي ، وسَبَبُ عَزْله أنه حكم في قضية مخالفاً فيها فقهاء مذهبه وخطأوه وشنعوا عليه ، فبلغت [القضيةُ] السلطان فعـزله .

ووصل قاع النيل في هذه السنة ثمانية أذرع وأربعة أصابع فجاء زائداً عن السنة الماضية حتى كان الوفاء[2] في يوم الخميس الذي هو ثامنه ورابع مسرى ، وركب السلطان لتخليق المقياس فخلّقه ، وفُتح فم الخليج بحضرته على العادة ، ورجع إلى القلعة بعد أن أخلع على أصحاب الوظائف كالأمير الزردكاش ووالي القاهرة ومصر وأولاد ابن أبي الرّداد والرُّيِّسا[3] بالبحر ، فكان يوماً مشهوداً .

(١) في السلوك ، ورقة ١٤٧ أ « سادس عشره » .

(٢) الوارد في تقويم النيل ١/١٩٥ أنه أخذ قاع النيل فكان ثمانية أذرع وأربعة أصابع واستمرت الزيادة حتى حصل الوفاء ، على أنه خلا هو والتوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٣ من تحديد تاريخ الوفاء .

(٣) يقصد به « الرؤساء » ، ولقد أبقينا الكلمة على صورتها التي كتبها بها ابن الصيرفي لأنها تعبير مصري دارج لا زال مستعملا حتى اليوم .

وفى يوم الجمعة سادس عشره صلّى الشيخ العلامة أكمل الدين صلاة الجمعة بقلعة الجبل مع السلطان ، وسببه أن الشيخ عزل شمس الدين محمد الركراكى من تدريس الشيخونية ، فأرسل السلطان إليه جماعة من الأمراء الأعيان يشفعون على لسانه فلم يقبل شفاعة أحد منهم ، فغضب السلطان ، واستمر الشيخ مصمماً على منع الركراكى فاحتاج أن ترضّاه :

ولما كان التاسع عشر منه — الذى هو الاثنين — طُلب الشيخ ولى الدين أبو يزيد بن خلدون إلى القلعة فصعدها وتمثّل بين يَدَىْ السلطان ، فعرض عليه وظيفة قضاء المالكية فقبلها وخلع عليه ، ولُقب ولىّ الدين ، واستقر [ابن خلدون] قاضى القضاة المالكية عوضاً عن قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير بحكم عزله ، وسبب استدعاء السلطان ابن خلدون دون غيره من علماء المالكية مساعدة الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس له وذِكْرُه وشُكْرُه فى مجلس السلطان ، وبعد هذا قرئ تقليده فى المدرسة الناصرية بين القصرين على العادة ، وكان تَكَلُّمُه فى المجلس على قوله تعالى : « إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبَالِ » (١) . الآية .

ولما كان التاسع والعشرون منه استقر الشيخ أكمل الدين بتاج الدين بَهْرَام مدرس المالكية بخانقاه شيخو عوضاً عن شمس الدين محمد الركراكى ، وحضر تدريسه بها قضاة القضاة والفقهاء والعلماء وطلبة العلم ، وكان مجلساً حافلا .

وفى آخر هذا اليوم ركب الأمير سودون النائب وصحبته قضاة القضاة إلى الكنيسة المعلقة بمصر بقصر الشمع من الفسطاط فهجم عليها وكشفها فوجد بها أبنية مستجدة فهدمها ورجع .

(١) سورة الأحزاب ، ٣٣ : ٧٢ .

وفى شهر رجب يوم السبت منه ركب السلطان إلى الميدان (١) للعب الكرة والصولجان على جارى العادة فى كل سنة .

وفيه قدم رسل التركمان يسألون العفو عنهم ويطلبون الأمان ، وذلك أن المقر السيفى يلبغا الناصرى نائب حلب بلغه أن التركمان اللاجقية والبوزقية اتفقوا واستولوا على مدينة مرعش (٢) وملكوها وأخرجوا عربان (٣) الطاعة منها مكسورين ، فركب فى أوائل ربيع الآخر ومعه جمع من عساكره فنزل مرعش فوجد بها جماعة من التركمان فقتل منهم غالبهم وجرح منهم [البعض] وانهزم من تأخر منهم إلى رءوس الجبال ، فنهب أموالهم وسبى ذراريهم وحرق دورهم ، واستمرت إقامته بمرعش أياماً ، ثم بلغه أن ابن ذلغادر — عدو السلطان — اتفق مع برهان الدين حاكم مدينة سيواس (٤) وأذربيجان (٥) وحشدوا وجمعوا التتار ،

(١) المقصود بالميدان هنا الميدان بالقلعة وهو من بناء الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب سنة ٦١١ هـ ، وظل فى ازدهار حتى تلاشى أمره بعد موت الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل فهدمه المعز أيبك سنة ٦٥١ هـ ، فلما كان عهد الناصر محمد بن قلاون أمر بعمارته سنة ٧١٢ هـ ، وصار يلعب فيه الكرة مع أمرائه ، كما أنه كان يصلى به صلاة العيدين . أنظر خطط المقريزى ٢/٢٢٧—٢٢٨ .

(٢) مدينة بالثغور بين الشام وبلاد الروم ويسميها الروم Marasion ويشير مراصد الاطلاع ٣/١٢٥٩ إلى أن الذى استحدثها هو هرون الرشيد ، على حين يذكر لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٦١ أنها كانت موجودة قبله وجدد معاوية بناءها ثم حصنها المسلمون أواخر زمن بنى أمية ثم حصنها الرشيد .

(٣) فى السلوك ١٤٨ أ « تركمان » .

(٤) أحدثها السلطان علاء الدين السلجوقى وتعرف باسم Sebastia ، أنظر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ١٧٩ — ١٨٠ حيث ذكر وصف الجغرافيين والرحالة المسلمين لها .

(٥) بالفتح ثم السكون وفتح الراء وكسر الباء (وقد تفتح الذال وتسكن الراء) وقد تمد الهمزة ، كما جاء فى مراصد الاطلاع ١/٤٧ ، وأنظر فى تطورها التاريخى لسترانج : الفصل الحادى عشر ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

وسار بهم – أعنى ابن ذلغادر – إلى أطراف بلاد دارنده ودوركى فنهبوا وأفسدوا وحرّقوا ، فركب [الناصرى] من مرعش وسار إلى أبلستين وجهّز طلائعه وكشّافته فى طلب القوم فوجدوهم قد انهزموا ، فأقام عليها أياماً ، وحصل على التركمان العاصين خزىٌ كبير [فلما قدم رسل التركمان يسألون العفو ويطلبون الأمان] عفى السلطان وآمنهم وكتب لهم بذلك ، والله ولى الممالك .

[وفى] ثانى عشره استدعى السلطان ورثة محمد بن قلاوون واستبدل منهم خان الزكاة وأرضها بمال دفعه لهم ، ونصب الأمير جركس الخليلى أمير آخور على عمارة هذه الأرض وهذا الخان مدرسة ، وابتدأ بهدمه فى يوم الأحد الذى هو رابع عشريه .

وفى آخر هذا الشهر عزل السلطان قضاة القضاة بحلب الأربعة ، واستقر القاضى شمس الدين بن الشحنة فى قضاء الحنفية بحلب على عادته عوضاً عن القاضى جمال الدين بن العديم ، واستقر جمال الدين عبد الله النحريرى فى قضاء المالكية عوضاً عن أبى يزيد عبد الرحمن بن زيد ، واستقر شهاب الدين أحمد ابن محمد قاضى القضاة شرف الدين ابن موسى التركمانى فى قضاء الحنابلة عوضاً عن عمه شهاب الدين أحمد بن شرف الدين موسى بن فياض ، وعزل كاتب السر بحلب أيضاً الذى هو شمس الدين محمد بن أحمد بن مهاجر واستقر عوضه ناصر الدين أبو عبد الله محمد بن تقى الدين أبى حفص عمر ابن نجم الدين أبى عبد الله محمد بن زين الدين عمر بن أبى الخطيب (١) الدمشقى ؛ واستقر فى قضاء المالكية بطرابلس شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى

(١) « الطيب » فى السلوك ١٤٨ أ .

عوضاً عن ناصر الدين محمد بن قاضى القضاة شرف الدين أبى الوليد إسمعيل ابن محمد بن هانئ اللّخمى الأندلسى ، واستقر علم الدين القفصى فى قضاء المالكية بدمشق عوضاً عن البرهان إبراهيم الشاذلى .

ثانى شعبان — الذى هو الاثنين — مات جماعة من الفعلاء تحت الهدم بعمارة السلطان التى هى فى خان الزكاة .

خامسه : ركب السلطان وتوجّه إلى عمارته فأشرف عليها ورجع إلى القلعة فدخل بيت الأمير أيتمش الأتابكى .

وفى تاسعه توجه السلطان لسرحة سرياقوس بسبب الصيد (١١٠) على العادة فى كل سنة ونزل بالقصور(١) .

وفى يوم السبت رابع عشره الموافق رابع بابه ابتدأ نَقْصُ ماء النيل ، وقد انتهت زيادته إلى عشرة أصابع من عشرين ذراعاً .

وفى سادس عشر منه غضب السلطان على بهادر كاشف الوجه البحرى وضُرب بين يديه بالمقارع نحو ستين شيباً ثم رضى عنه وأخلع عليه على عادته فى كشف الوجه البحرى .

وفى ثالث عشريه عاد السلطان من سرحة سرياقوس فكانت غيبة السلطان فى هذه السرحة أربعة عشر يوماً .

وفى سابع عشريه مسك سعد الدين نصر الله وطلب منه مال وأُلْزِم به ، وقبضوا على نسائه فدلت إحداهن على مال فى بعض دوره فكان سبعة آلاف درهم فضة ومائتى دينار .

---

(١) فى الأصل « القصر » ولكن الصحيح ما أثبتناه بالمتن .

وفى يوم الثلاثاء ثانى عشر رمضان خُلع على جماعة واستقروا فى عدة وظائف ، ومن كان غائباً جهزت إليه خلعته ، وهم : تمرباى الحسنى نائب أبلستين خلع عليه [و] دمرداش الطشتمرى خلع عليه واستقر فى نيابة الكرك [و] أيدمر الشمسى أبو زلطه خلع عليه واستقر نائب الوجه القبلى ، [و] على ابن رمضان الدوكارى جهزت إليه خلعةٌ بنيابة ألبيرة [و] أركماس حاجب طرابلس حُملت إليه خلعةٌ بنيابة صفد [و] طغاى تمر القبلاوى حملت إليه خلعة بنيابة سيس ، وخلع على السيد الشريف سعيد بن أبى الغيث باستقراره فى إمرة ينبع شريكاً لابن عمه محمد بن مسعود .

وفى يوم الثلاثاء سادس عشريه – أى رمضان(١) – ركب السلطان وتوجه لعيادة الشيخ أكمل الدين فوجده ضعيفاً منحطاً فزاره وعاد ، ثم فى يوم الخميس أشاعوا موته فنزل السلطان للصلاة عليه فإذا به كان أُغْمِى عليه ولم يمت فعاد السلطان إلى القلعة ، فلما كان يوم الجمعة تاسع عشريه أخبر بموته فنزل السلطان للصلاة عليه بمصلى المؤمنى(٢) واستمر ماشياً فى جنازته إلى الخانقاه الشيخونية وهو مع الناس بعدما قصد مراراً أن يحمل تابوته ولم يمكنه(٣) الأمراء من ذلك ، واستمر عند قبره حتى دفن ، وأسف السلطان عليه أسفاً عظيما ، وسببه أنه كان يعتقده ويحبه ويجله ويعظمه ويكرمه ، و[كان هو] لا يسأله فيما لا يعنيه ولا يتكلم فى أحد عنده إلا بخير ، فسما مقامه والتأم نظامه ؛

---

(١) فى الأصـل « شعبان » وقد صحح الشهر بناء على سياق الأحداث وكذلك بمراجعة النجوم الزاهرة ١١/٢٣٩ ، والتوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٢ حيث أشار إلى أن أول رمضان كان يوم الثلاثاء .

(٢) مصلى المؤمنى هو من إنشاء سيف الدين بكتمر بن عبد الله المؤمنى سنة ٧٦٥ هـ ، ويقع فى أول شارع السيدة عائشة بالقاهرة ، أنظر على مبارك : الخطط التوفيقية ٥/١٢٣ .

(٣) فى الأصل « يمكنوه » .

وفى يوم وفاته بلغ السلطان أن البرهان إبراهيم الدمياطى رسول الحبشة قال : « موت أكمل الدين فتح ، لا رحمه الله »، فرسم بعزله وإيداعه السجن :

وفيه خلع على بكتمر الطرخان واستقر فى ولاية الأشمونين :

وفى ثانى عشريه ركب السلطان وعدا إلى بر الجيزة ليتصيد وعاد آخر يومه.

وفى السابع والعشرين منه خلع على عز الدين بن يوسف بن محمود الرازى[(١)] العجمى واستقر فى خانقاه شيخو عوضاً عن أكمل الدين رحمه الله تعالى بحكم وفاته ؛ وخلع على عثمان بن سليمان بن رسول بن أمير يوسف بن خايل ابن نوح الكردى الحنفى[(٢)] الأشقر — إمام السلطان — واستقر فى مشيخة خانقاه بيبرس عوضاً عن الرازى ، واستقر جمال الدين محمود العجمى المحتسب فى تدريس الحديث النبوى بالقبة[(٣)] المنصورية عوضاً عن الرازى ، وأعيد الركراكى فى تدريس الحديث بالشيخونية عوضاً عن بهرام الذى كان قرره الشيخ أكمل الدين ، وصار القاضى أوحد الدين عبد الواحد — كاتب السر — متحدثاً فى خانقاه شيخون بعد أكمل الدين بحكم أن النظر له وللشيخ ولرأس نوبة النوب بشرط الواقف :

وفى ثامن عشريه ركب السلطان ، وعدا السلطان من النيل إلى الجيزة ، فتصيد وعاد فى آخر يومه .

---

(١) أخطأ ناسخ عقد الجمان ، ٢٤/٢٩٢ س ١١ حين سماه « البرازى » ثم كناه بعد قليل بعلاء الدين .

(٢) نعته ابن حجر فى الدرر الكامنة ٢/٢٥٨٠ بالمكراوى وقال : «نسبة إلى قبيلة من التركمان » ، وسمته شذرات الذهب ٦/٣١٨ « بالكرادى » وكذلك السلوك ، ١٤٩ أ .

(٣) وهى جامع السلطان قلاون .

وفيه ولى قضاء القضاة الشافعية بحلب شرف الدين مسعود بن شعبان ابن اسماعيل عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن أبى الرضا بحكم عزله ، والوظيفة شاغرة من آخر يوم من رجب إلى سابع عشرى رمضان ، وبالله المستعان .

وفيه وصل كُبَيْش بن الشريف عجلان أمير مكة المشرفة على جارى العادة فى كل سنة ، فأكرم وأنزل فى مقام يليق به وأجرى عليه ما يكفيه ، وجهز له مركوب مسروج بعضه للركوب .

وفيه استقر شهاب الدين أحمد بن ظهيرة فى قضاء مكة عوضاً عن كمال الدين أبى الفضل محمد النويرى بحكم وفاته ومساعدة أوحد الدين كاتب السر له فى ذلك ، وجهز له تقليده وتشريفه إلى مكة .

وفيه قدمت هدية ملك الروم قيصر بيه وقبلت .

وفى سادس شوال — الذى هو السبت — توجه السلطان وعدّا النيل إلى بر الجيزة يريد سرحة البحيرة على العادة فى كل سنة .

ولما كان الحادى عشر من هذا الشهر قدم الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب إلى القاهرة فوجد السلطان بالسرحة فعدّا إليه .

وفى تاسع عشره (١) خرج محمل الحاج على العادة صحبة الأمير بهادر المشرف .

ولما كان يوم الخميس — الذى هو مستهل ذى القعدة — قدم السلطان من سرحة البحيرة فى مواكب عظيمة جسيمة والأمير يلبغا الناصرى من جملتهم .

وفى الخامس منه خلع على الأمير يلبغا الناصرى .

وفيه ركب السلطان إلى بركة الحاج وعاد فدخل القاهرة وصعد إلى القلعة .

---

(١) « رابع عشره » فى السلوك ٣ ، ١٤٩ أ .

وفى يوم الخميس أسست أرضخان الزكاة مدرسة باسم السلطان الملك الظاهر بخط بين القصرين ، وسميت البرقوقية الظاهرية .

وفى الثالث عشر منه عدّا السلطان من النيل إلى برّ الجيزة ، فتصيد وعاد آخر يومه إلى القلعة :

ووصل الخبر فى ليلة الأربعاء رابع عشره [١٠ ب] بوفاة الأمير بهادر أمير الحاج فى منزلة عيون القصب (١) ، وقام الأمير عبد الرحمن بن الأمير منكلى بغا الشمسى بإمرة الحاج .

وفى سادس عشره خلع على الأمير أبى بكر بن الأمير سنقر الجمالى وأنعم عليه بتقدمة عمه الأمير بهادر واستقر أمير الحاج وسار إلى الحجاز فى ليلة السبت سابع عشره ، وأنعم السلطان على الأمير عمر بن بهادر الجمالى الضرير بإمرة عشرة .

وفى رابع عشريه أخلع على محمد بن طاجار (٢) واستقر فى ولاية الغربية ، عوضاً عن أمير فرج بن أيدمر :

وفى تاسع عشريه خلع على على خان واستقر والى البحيرة .

وفى يوم الاثنين رابع شهر ذى الحجة ركب الأمير يونس الدوادار وتوجه إلى بيت بدر الدين محمد بن فضل الله وتوجه إلى بين يدى المقام الشريف ، فخلع عليه واستقر فى كتابة السر على عادته عوضاً عن أوحد الدين بحكم وفاته . وركب فى موكب عظيم وهرتاك جسيم ومعه عدة من الأمراء الأكابر والأعيان إلى أن وصل إلى بيته .

(١) أخطأ السلوك ٩ ١٤٩ أ إذ كتبه « عيونه » .

(٢) فى الأصل طاجان ، لكن راجع السلوك ٩ ١٤٩ ب وانظرفيا بعد ص ١٠٦ س ٩ .

وفى حادى عشره قدم رسل الخان طقتمش بن أزباك متملك مملكة الدست[١] فخرج الأمير سودون النـــائب والأمير يونس الدوادار للقائهم وأنزلوهم بالميدان المجاور للنيل ، وأحضروا إلى الخدمة بالإيوان وصحبتهم هدية سنية ، وهى من الطيور سبعة سناقر ، ومن القماش المخمل وغير ذلك سبع بقج وعدة مماليك ، فقرئ كتابهم فدل على أنهم رسل متملك قِرم لا كما قدّمنا ، فرسم السلطان أن يُنْقلوا من الميدان إلى القلعة وأن يجرى عليهم فى كل يوم خمس مائة رطل لحم ورأس بقر ورأس من الخيل برسم المذبح ومبلغ ألف درهم ، وخلع عليهم فى الحادى والعشرين منه وتوجهوا فرحين مسرورين وصحبتهم أيضاً هدية سنية من السلطان ، وكان فى أمسه رسم بنفى محمد بن طاجار إلى طرابلس فخرج فى فوره .

وفى الخامس والعشرين منه نفى محمد بن طيبغا الدمرداشى إلى صفد ، وأخرج فى يومه .

وعيّن السلطان الأمير كمشبغا الخاصكى أن يتوجه بخلعة قرا بلاط الأحمدى نائب البحيرة ليستقر فى نيابة اسكندرية عوضاً عن بلوط الصرغتمشى .

وفيه أخلع على جمق السيفى واستقر فى ولاية البهنسا والأطفيحية عوضاً عن أبو درقة .

وفى ثامن عشريه رسم السلطان أن يكون بالقرافة وال بإمرة عشرة ، فاستقر فيها سليمان الكردى بعد أن كانت مضافة لوالى مصر ، وهذا من الأمور التى لم تعهد فيما تقدم .

(١) عرف مراصد الاطلاع ٢/٥٢٧ الدست بأنها قرية من قرى أصبهان وهى وسط الجبال وأهلها أكراد ، لكن انظر بلدان الخلافة الشرقية ص ٣١٨ .

وفى سلخه خلع على على خان واستقر فى ولاية البهنساوية عوضاً عن خمق ، واستقر الأمير كمشبغا الحموى فى نيابة طرابلس عوضاً عن مامور القلمطاوى .

وفى هذه السنة أخذ بقطيا(١) الخروبة مكس ستين ألف نصفية حضرت من بغداد وذلك خارجا عن الثياب الموصلى والحموى والبغدادى فإنها أضعاف أضعاف ما ذكرنا .

وفى(٢) هذه السنة خلع ملك المغرب صاحب فاس أبو العباس أحمد بن أبى سالم إبراهيم ابن أبى الحسن المرينى وتملك فاس عوضه فى مُلك المغرب موسى بن أبى عنان فى ربيع الأول .

وفيها أخلع على الأمير نعير بن حيار أمير آل فضل على عادته عوضا عن الأمير فخر الدين عثمان بن قارا بن مهنا .

وفيها نُقل الأمير سيف الدين سودون المظفرى(٣) من نيابة حماة إلى نيابة حلب عوضاً عن المقر الأشرف السيفى يلبغا الناصرى .

وفيها وصل رسل الأشكرى(٤) صاحب إصطنبول :

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

(١) وتقع بين مصر والشام ، وترجع أهميتها إلى أنه لا يمكن لأحد الجواز بين البلدين إلا منها ، وهى مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر ، وسماها مراصد الاطلاع ٣/ ١١١١ قطية — بسكون الطاء — وقال إنها وسط الرمل قرب الفرما ، أنظر أيضا القاموس الجغرافى ج ١ ص ٣٥٠ .

(٢) من هنا حتى نهاية أخبار السنة غير وارد فى النسخة الأزهرية .

(٣) لم يترجم له ابن حجر فى الدرر الكامنة ولكن ترجم له فى إنباء الغمر ١/٣٨٥ — ٣٨٦ ، أنظر عنه أيضا ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢٦٢ ، ٢٦٩ الطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٢/٤٥٨ ، ٤٦٤

(٤) يقصد بذلك يوحنا الخامس إمبراطور بيزنطة (١٣٤١ — ١٣٩١ م) .

٢٢ ـ قاضى القضاة علم الدين أبو الربيع سليمان بن خالد بن نُعَيْم بن مقدم[1] ابن محمد بن حسن بن غانم بن محمد الطائى البساطى المالكى [مات] وهو معزول فى يوم الجمعة سادس عشر صفر وقد أناف على الستين .

٢٣ ـ وتوفى أحمد[2] بن محمد بن محمد الفيشى ناظر الأحباس وناظر المواريث وناظر الأهراء فى سادس شهر رجب .

٢٤ ـ ومات القاضى أوحد الدين عبدالواحد بن تاج الدين إسماعيل ابن ياسين الحنفى كاتب السر فى ثانى شهر ذى الحجة وكان له همة عالية مع الأصحاب ومروءة زائدة ، وقد وصل من المكانة ونفوذ الكلمة فى أيام السلطان الغاية والنهاية ، ونفع كثيراً من الناس ورقاهم . رحمه الله تعالى .

٢٥ ـ وتوفى القاضى تقى الدين عبدالرحمن ناظر الجيش بن محب الدين محمد ناظر الجيش بن يوسف بن أحمد بن عبد الدايم الحلبى الأصل الشافعى فى ليلة الخميس سادس عشر جمادى الأولى ، وكان ترفاً لطيفاً ظريفاً متواضعاً ، عنده كيس وفضل ، رحمه الله .

٢٦ ـ وتوفى قاضى القضاة صدر الدين محمد بن علاء الدين على بن منصور الحنفى وهو قاض فى يوم الاثنين عاشر ربيع الأول وقد أناف على الثمانين سنة ، وكان من العلماء الفضلاء الذين ليس فى عصره مثله فى الفقه وغير ذلك ، وكان ـ رحمه الله ـ للدهر به جمال وبهاء وكمال .

---

(١) هذه الترجمة منقولة حرفيا من النجوم الزاهرة ١١ / ٣٠٠ س ١ — ٤ .

(٢) لم يزد المؤلف فى هذه الترجمة عما جاء فى الدرر الكامنة ١ / ٧٦٥ سوى قوله « ناظر الأحباس » .

٢٧ — وتوفى الشيخ الإمام العالم العلامة البحر الفهامة أكمل الدين محمد ابن محمد بن محمد بن محمود الرومى البابرتى(١) الحنفى شيخ خانقاه شيخو، و [قد] أخذ العلم عن شمس الدين محمد الأصفهانى وأبى حيان ونشر العلم على الطلبة، وكان رحمه الله بحراً فى الكرم، ونفع أهل مدرسة شيخو بوقف وقفه على طلبة الحنفية وشيخها، واستمر ذكره به وأظن ما بقى أحد يخلفه فى علمه واتصاله بالملك ونفوذ كلمته وامتثال أوامره عند الأعيان، رحمه الله تعالى، وأخبرنى(٢) من شاهد الملك الظاهر وهو راكب على باب مدرسة شيخو والشيخ جالس فى الشباك يتحدث معه زمناً طويلا، وأخبرنى الشيخ الإمام جلال الدين أبو بكر الشافعى أنه عمل نحواً من ثمانين مسألة فى الرد على الشافعية منها قضية المـاء السخن بالنجس وأمثالها، وسأل الشيخ سراج الدين البلقينى — بحضور السلطان — عن حد الشفعة فقال: « استحضر فيه أربعين وجهاً فسل عما شئت منه ».

٢٨ — وتوفى كمال الدين محمد أبو الفضل بن محمد بن شهاب الدين أحمد ابن على العقيـلى النويرى قاضى مكة المشرفة وخطيبها بها(٣) فى [١١١] ليـلة الأربعاء ثالث عشر رجب وكان من الكرماء الذين يحبون الثنا ويكرهون الغنا.

٢٩ — ومات الشيخ الإمام شمس الدين محمد بن يوسف بن على الكرمانى البغدادى عالم بغداد الشافعى شارح البخارى فى شهر الله المحرم بطريق الحجاز وحمل إلى بغداد فدفن فيها، ومولده فى جمادى الآخرة سـنة تسع عشرة(٤)

(١) فى الأصـل « المابرتى » والواقع أنه منسوب إلى « بابرت » ويقال هى قرية من أعمال بغداد، راجع الدرر الكامنة ٤/٦٨٦، حيث سماه " محمد بن محمود بن أحمد البابرتى "، لكن يستفاد مما ورد فى بلدان الخلافة الشرقية، ص ١٥٠ نقلا عن ياقوت أنها من قرى أرزنجان وأكثر أهلها أرمن.

(٢) من هنا حتى آخر الترجمة غير وارد فى النسخة الأزهرية.

(٣) أى مات بمكة.

(٤) هذه أيضا رواية السلوك ١٥٠ب، أما النجوم الزاهرة فجعلت مولده سنة ٧١٧هـ وكذلك إنباء الغمر ١/٢٩٩.

وسبعمائة ، ثم قدم مصر والشام [(١)] فبث العلوم وأظهر غوامضها وجلّى حقائقها وأزال شبهتها ، وشهد له بذلك العلماء الأماثل ، واشتهر ذلك فى سائر الآفاق عند العلماء والأفاضل ، رحمة الله عليه .

٣٠ — ومات الشيخ الصالح العابد الناسك صائم الدهر محمد [بن صديق] التبريزى الصوفى ليلة الاثنين خامس عشر رمضان بالقاهرة وله أربعون سنة صائم الدهر [(٢)] ، كذا ذكر شيخنا قاضى القضاة البدرى العينى والشيخ تقى الدين المقريزى [(٣)] ، وكان فطره على حمص بفلس واحد لا يشوبه إلا بالملح خاصة [(٤)] ، وكان عمره ينقضى فى أوقات العبادة ما بين صلاة وصيام وتلاوة قرآن وقراءة حديث وذكر ومطالعة كتب العلم ، وكان فيه قيام لله ، شديداً فى ذات الله ، رحمة الله ورضوانه عليه .

٣١ — وتوفى قاضى القضاة المالكية بحلب أمين الدين محمد بن على بن حسن [(٥)] فى شهر شوال وقد قارب السبعين ، ومولده سنة ثلاث عشرة وسبعمائة .

٣٢ — ومات الأمير بهادر الجمالى المعروف بالمشرف [(٦)] ، أحد المقدمين الألوف فى ذى القعدة بعيون القصب وبها دفن ولم يعرف له شىء [(٧)] من الخير فيذكر به .

---

(١) الوارد فى الدرر الكامنة ٤/٤٦٩٧ أنه قدم مصر والشام لما شرع فى شرح صحيح البخارى .

(٢) جاء بعد هذا فى النجوم الزاهرة ١١/٣٠٣ « ابن صديق » ، ويلاحظ أن هناك من يسمى بتاج الدين محمد بن محمد المليحى ويعرف بصائم الدهر ولكن وفاته كانت سنة ٧٩٦ هـ ، راجع إنباء الغمر ١/٤٨٤ ، Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 2394.

(٣) راجع السلوك ورقة ١٥٠ ب .

(٤) أى دون غيره .

(٥) سماه ابن حجر فى كل من إنباء الغمر ١/٢٩٧ والدرر الكامنة ٤/٤٠٧٣ بالأنفى .

(٦) أنظر فى ذلك الدرر الكامنة ١/١٣٥٣ ، على أن إنباء الغمر ١/٢٩٣ قالت فيه «إنه صارت له معرفة قوية بالطرقات وأهلها » .

(٧) فى الأصل « شيئا » .

٣٣ ــ ومات الأمير جمال الدين عبد الله بن الأمير بكتمر الحاجب أحد الأمراء الطبلخانات فى يوم الأربعاء خامس عشر جمادى الأولى :

٣٤ ــ وتوفى الأمير علاء الدين على بن أحمد بن السايس الطيبرسى أستادار[١] خوند بركة أم الملك الأشرف شعبان بن حسين فى سادس شهر شوال :

٣٥ ــ وتوفى تاج الدين موسى بن أبى شاكر بن سعيد الدولة أحمد ابن يعقوب ، ويعرف بمالك الثرى .

٣٦ ــ وتوفى الصاحب الوزير فخر الدين ماجد [بن تاج الدين[٢] موسى] ابن أبى شاكر فى مستهل ذى القعدة ومات [ابن كاتب] السعدى وهو معزول :

٣٧ ــ وتوفى شبل الدولة كافور الطواشى المتبدى الزمردى[٣] الناصرى صاحب التربة والمعروف الجميل بالقرافة فى ثامن ربيع الأول وقد عمّر طويلا .

٣٨ ــ وتوفى الناصر حسن بن محمد بن قلاوون فى ليلة الأحد سابع عشر شهر شوال :

٣٩ ــ ومات تاج الدين ابن وزير بيته الأسلمى ناظر ثغر الإسكندرية بها[٤] فى ربيع الآخر .

---

(١) الوارد فى ابن شهبة ورقة ٥ ب أنه كان أستاذا للملك الأشرف شعبان ذاته ، أما صلته بخوند بركة أم الأشرف فهى إنه كان يباشر أوقاف مدرستها .

(٢) الإضافة من الدرر الكامنة ٣/٣٢٣٤ .

(٣) راجع عنه ابن شهبة : الإعلام ٦ أ ، ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢٦٢ .

(٤) أى مات بالإسكندرية .

٤٠ – وتوفى الأمير طشتمر[1] الدوادار كان فى أيام الأشرف، ثم تولى نيابة دمشق ثم عمل أتابك العساكر، وكان من أهل الخير والدين وله إلمـام بالفهم ومشاركة فى العلوم ومحبة للعلماء والصلحاء ويقربهم فيحضرون مجلسه، ويميل إلى أهل الأدب، ويجيد الخط المنسوب، ومجلسه مشحون بالفوائد والفرائد والمحاسن، ولا يمضى عليه وقت إلا وهو مستغرق فى فائدة يفهمها أو علم ينظر فيه أو كتاب يطالعه، رحمة الله عليه.

٤١ – ومات الأمير مقبل بن فضل بن عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة أمير آل فضل شريكاً لابن عم زامل:

* * *

(١) ترجم ابن طولون له فى أعلام الورى، ص ٢٨ فى سطر واحد فقط وكذلك إنباء الغمر ١/٢٩٤، وأطال فيه ابن قاضى شهبة: الإعلام ورقة ٥ أ؛ راجع عنه أيضا مورد اللطافة ص ٩٠، والسلوك.

سنة سبع وثمانين وسبعمائة من الهجرة النبوية
على من هى منسوبة له
أفضل الصلاة والسلام

* * *

أهلت هذه السنة بيوم الاثنين[1] .

فى ثانيه خلع على شمس الدين صولب الطواشى واستقر ثانى مقدم المماليك عوضاً عن نصر البالسى :

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بن أبى الطيب واستقر فى كتابة السر بحلب عوضاً عن ....[2] ونقل الأمير سودون المظفرى - حاجب حلب - إلى نيابة حماة عوضاً عن ممجق[3] ، واستقر ممجق فى جملة أمراء طرابلس .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ أن السنة استهلت بيوم الأحد وهو يتفق فى ذلك مع ما أورده الجوهرى ص ١١٤ س ٦ حيث جعل السادس عشر من المحرم هو يوم الاثنين ، أما المقريزى : السلوك ١٥٠ ب ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/٢٤١ فيجعلان يوم الاثنين أوله .

(٢) فراغ فى الأصل بقدر أربع كلمات .

(٣) « سنجق » فى السلوك ، ورقة ١٥١ أ .

وفى الثامن من هذا الشهر رسم بنفى الأمير بلوط الصرغتمشى الذى كان نائب الإسكندرية إلى الكرك فأخرج فى فوره .

وفيه خُلع على الأمير قطلوبغا الأسن قجاوى المشهور بأبى درقة واستقر نائب الوجه البحرى عوضاً عن قرابلاط الأحمدى بحكم عزله واستقراره فى نيابة الإسكندرية .

وفى سادس عشره — الذى هو الاثنين (١) — بُسِّط الديوان الذى يسمى دار العدل بقلعة الجبل ببسُط جُدد جهزها (٢) نائب الكرك ، كان الملك الأشرف شعبان ابن حسين — عند توجهه إلى الحجاز الشريف — رسم بعملها (٣) فعُمل بعضها ، ثم لما قُتل أهملوا ما بقى ، فبلغ السلطان (٤) خبرُها فرسم بإتمامها وإحضارها ، ففعلوا ذلك .

وفيه أيضاً فُرش دهليز القصر من القلعة ورُسم للأمراء أن لا يمكنوا أحداً من مماليكهم لدخول القصر ، وإذا دخل (٥) الأمراء لم يدخل مع كل أمير سوى مملوك ، وأن يكون مماليكهم واقفين ينتظرونهم خارج باب القصر ، فامتثلوا ذلك ، والله ولى الممالك .

وفى سابع عشره شُكى الأمير على خان والى البهنسا — وهو ممتثل لدى المواقف الشريفة — فرسم بضربه فضُرب ضرباً مبرحاً ، وأُخرج من القاهرة منفياً بعد أن أخذ منه عشرة آلاف دينار (٦) ، والله الواحد القهار .

(١) هذا يناقض ما جاء فى ص ١١٣ س ٤ ، راجع نفس الصفحة حاشية رقم ١ .

(٢) فى الأصل « جهزهم » . (٣) فى الأصل « بعملهما » .

(٤) السلطان المقصود هنا هو برقوق .

(٥) فى الأصل « وإذا دخلوا الأمراء لم يدخل منهم سوى كل أمير مملوك » وقد عدلت الصيغة إلى ما بالمتن ليستقيم المعنى .

(٦) فى السلوك ، ١٥١ أ « درهم » وهو خطأ من الناسخ .

وفى التاسع عشر منـــه خُلع على الأمير مبارك شاه والى أسوان واستقر والى البهنسا عوضاً عن على خان بحكم عزله ونفيه وضربه .

(١١ ب) وفيه حضر (١) رسل الخان تقطمش خان بن أزباك ، فخرج الأمراء للقائهم وصحبتهم الحجاب وأجناد الحلقة ومثلوا لدى المواقف الشريفة، وعلى يدهم كتاب وهدية فقُدمت وقُبلت .

وفى سادس عشريه وصل البريد مخبراً بأن سولى (٢) بن ذلغادر حضر طائعاً فخُلع على القاصد وأنعم عليه بثلاثة آلاف درهم .

ولمـــا كان النصف من شهر ربيع الأول حضر البريد من حلب مخبراً بأن سولى بن ذلغادر لمـــا قدم إلى حلب طائعاً بعد أن حلف له الأمير يلبغا الناصرى النائب أن لا يشوش عليه ولا يؤذى ولا يوكل ، وأن لا يدخل عليه ضرراً بوجه من الوجوه ما أقام بحلب ، حتى ورد مرسوم المقام الشريف بالقبض عليه فقبض وسجن بقلعة حلب ، ثم لمـــا ورد المرسوم الشريف بإحضاره إلى مصر تسلمه حاجب حلب وأنزله بالميدان ففر منه ليلا ، فركب الأمير يلبغا الناصرى فى إثره وطلبه إلى أن وصل الفرات فلم يسمع له خبر ولا أثر ولا ظفر به ، فحصل عند السلطان بسبب هذا غاية النكاية (٣) .

---

(١) فى الأصـــل « حضروا » ؛ راجع فى هذا الخبر إنباء الغمر ١/١ ٣٠ حيث أشار إلى أنه جاء فى هذا الكتاب « إنا نحب أن نكون إخوة كما كان أسلافنا مع أسلافكم » .

(٢) كان سولى بن ذلغادر قد ولى نيابة الأبلستين ومرعش ، وكانت وفاته سنة ٨٠٠ هـ ، راجع عنه الدرر الكامنة ٢/١٩١١ (حيث ورد الرقم خطأ ١١٩١ ، ص ٢٧٦) ، وابن إياس : بدائع الزهور ١/٢٦٢ ، والطباخ : إعلام النبلاء ١/٩٨٥ .

(٣) الوارد فى عقد الجمان للعينى ، ورقة ٣٠٠ — ٣٠١ أن الأمير قطلوبغا الدوادار حضر يوم الثالث من ربيـــع الأول ومعه كتاب يبين أن برقوق « وهب ذنب سولى بن ذلغادر لملك الأمراء وأن يفرج عنه ويجهز إلى مصر » ففكوا قيـــده وأسلم لنـــائب القلعة بالإشهاد الشرعى بخطوط القضاة وأنزلوه عنـــد يلبغا الناصرى فمكث عنده يوما ثم هرب ، ويقال إن هروبه كان بتدبير سرى بينه وبين يلبغا الناصرى .

وفى خامس عشريه خلع على بيليك السيفى واستقر والى أشمون الرمان (١)، عوضاً عن بيرم بحكم عزله :

وفى سلخ هذا الشهر خُلع على محمد بن العادل واستقر فى ولاية أطفيح ، عوضاً عن قطلوشاه بحكم عزله :

يوم السبت ثانى ربيع الآخر ركب السلطان ودخل من باب زويلة (٢) متوجهاً إلى عمارة مدرسته التى أنشأها بين القصرين ورجع فدخل إلى بيت الأمير ألطنبغا الجوبانى (٣) مسلّماً عليه ثم صعد إلى القلعة :

---

(١) أشمون الرمان ، وقد تبدل النون فى أشمون ميا ؛ ويقال لها أيضا « أشمون الطناح » وبهذا ذكرها ابن دقاق فى كتابه الانتصار ؛ وهى قرية فى مركز دكرنس بمحافظة الدقهلية بمصر ، وقد أشار محمد رمزى : القاموس الجغرافى ، ق ٢ ج ١ ص ٢٢٩ إلى أن اسمها القبطى القديم هو Chemoun Erman ثم سماها العرب بعد فتحهم مصر « أشموم طناح » فلما كان العهد العثمانى أعيد اسمها القبطى القديم فسميت « شمون ارمان » .

(٢) هو أحد بابين متجاورين متلاصقين للقاهرة من جهتها القبلية ، وقد بنى أمير الجيوش بدر الجمالى باب زويلة الكبير ، وإن كان المقريزى فى خططه ١ / ٣٨٠ يقول إن ابن عبد الظاهر ذكر فى كتابه « خطط القاهرة » أن الذى بناه هو العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله الفاطمى ، وفيه يقول أحد شعراء الوقت :

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا
باب تأزر بالمجرة وارتدى الشـ * ـعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا أوصى به هامانا

على أن المقريزى خطأ ابن عبد الظاهر فى قوله « ومن تأمل الأسطر التى قد كتبت على أعلاه من خارجه فإنه يجد فيها اسم أمير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه » .

(٣) ويعرف أيضا بألطنبغا الجوبانى اليلبغاوى ، ونعته ابن حجر فى إنباء الغمر ١ / ٤٠٤ « بالتركى » ، أنظر أيضا أبا المحاسن : مورد اللطافة ص ٩٥ ، وابن إياس : بدائع الزهور ١ / ٢٤٧–٢٤٩ .

وفيه رُسم لجمال الدين بن بشارة وزير الشام باستقراره فى نظر الجيش بها عوضاً عن ناصر الدين بن شكويه[1] مضافاً لمـا بيده من الوزارة ، وقد قدمنا إعادة الأمير نعير بن حيار إلى إمرة آل فضل عوضاً عن عثمان بن قارا بحكم وفاتـه :

وفيه حُمل تشريف الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب باستمراره على عادته بعد أن أشيع صرفُه عن النيابة .

وفيه اشترى السلطان تمربغا الأفضلى المعروف بمنطاش أخا[2] الأمير تمرباى[3] وأعتقه كما هى عادته .

وفى ثامن عشره توجهت شوانى الأمير ألطنبغا الجوبانى أمـير مجلس من ساحل مصر إلى دمياط وهى مشحُونة بالعدّد والعدد من المقاتلين لغزو الفرنج أعداء الدين .

وفيه خُلع على الأمير بجمان واستقر نائب الإسكندرية عوضاً عن قرابلاط بحكم انتقاله إلى رحمة الله تعالى .

وفى حادى عشريه غضب السلطان على الأمير جوبان العمرى أحـد العشرات فرسم بنفيه إلى الشام وأُخرج من فوره .

* * *

(١) فى السلوك « مشكور » .

(٢) فى الأصل « أخو » .

(٣) ابن حجـر : إنباء الغمر ١/٢٨٢ وابن اياس : بدائع الزهور ١/٢٤٢ ، ٢٦٢ ، وقد ضبطه Wiet: Biographies du Manhal Safi, No. 767 بفتح التاء وضم الميم ؛ والصواب فيه فتح التاء والميم معا ؛ أنظر أيضا الطباخ : ٢/٤٦٧ .

يوم السبت سابع شهر جمادى الأولى خُلع على قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير (١) واستقر فى قضاء القضاة المالكية على عادته عوضاً عن قاضى القضاة ولىّ الدين أبى يزيد عبد الرحمن بن خلدون المغربى بحكم صرفه عن الوظيفة .

عاشره أُخذ قاعُ البحر فكان ستة أذرع وأربعة أصابع ؛

وفيه أنعم على أزدمر الشرفى (٢) بإمرة جوبان العمرى الذى نُفى إلى الشام .

وفى ثانى عشره (٣) قرئ تقليد قاضى القضاة ابن خير المالكى بالمدرسة الناصرية بين القصرين ، واجتمع أعيان القضاة وأماثل العلماء وأكابر الفضلاء على العادة .

يوم الأربعاء سابع عشره وصل الخبر بأن شوانى (٤) الأمير ألطنبغا الجوبانى لما وصلوا إلى دمياط وساروا منه فى البحر المالح دهمتهم عدة مراكب للفرنج الجنوية فاقتتلوا معهم ، وآخر الأمر قبضوا عليهم وأسروا منهم خمسة وثلاثين رجلا وقتلوا منهم جمعاً (٥) كثيراً ولله الحمد والمنة على ذلك ، إنه ولى الممالك .

---

(١) فى الأصل « خيرة » والصواب ما أثبتناه بالمتن ، ويعرف بالاسكندرانى ، راجع عنه الدرر الكامنة ٢/٢٣٥٧ ، ورفع الإصر عن قضاة مصر ٢/٣٤١ — ٣٤٣ ، وإنباء الغمر ١/٣٨٦ ، وشذرات الذهب ٦/٣١٧ .

(٢) فى السلوك ، ١٥١ ب « الشرفى » .

(٣) فى السلوك ، ١٥١ ب « ثانى عشريه » والصواب هو الوارد بالمتن أعلاه .

(٤) راجع ما سبق ص ١١٧ س ٩-١١ .

(٥) فى الأصل « جمع كثير » .

ولما كان الحادى والعشرون منه وصلت الشوانى التى[(١)] هى للأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس إلى شاطئ النيل ببولاق ومعهم الأسرى والغنائم وعرضوا الأسرى من الغد على السلطان ، والحمد لله الكريم المنّان .

يوم الجمعة ثالث[(٢)] رجب وثامن عشر مسرى كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً ، وتوجه السلطان لتخليق الخليج وفتح فم الخليج بحضوره على العادة .

وفيه رسم للأمير حسن قجا بالتوجه إلى حلب على بريد لإحضار الأمير يلبغا الناصرى النائب بها .

وفى العشرين منه توجه كمشبغا الخاصكى على البريد لنقل سودون المظفرى من نيابة حماة إلى نيابة حلب .

وفيه ورد الخبر بأن الكنوز[(٣)] هجموا على أسوان وقتلوا معظم من بها ونهبوا المسلمين فهرب الوالى منهم ، فخلع السلطان على حسين بن قرط بن عمر التركمانى ، واستقر فى ولاية أسوان ، ورُسم للكاشف بالوجه القبلى وابن مازن بالتوجه معه .

وفيه خلع على مقبل مملوك الأرقى واستمر فى ولاية أشمون الرمّان بحكم موت بيليك .

وفيه وصل الأمير يلبغا الناصرى نائب حلب إلى بلبيس فرُسم بتصفيده وحمله إلى الثغر السكندرى فسجن به ، وبعد ثلاثة عشر يوماً من مسكه توجه[(٤)]

(١) فى الأصل « الذين هم » .

(٢) ذكرت التوفيقات الإلهامية أن أول رجب كان الثلاثاء و يوافقه ١٥ مسرى ، كما أن غاية فيضان النيل بمقياس الروضة كانت ١٧ ذراعا و ٥ قراريط .

(٣) هم الذين يعرفون فى كتب التاريخ باسم أولاد الكنز وهم عرب يسكنون بعض أقاليم السودان وصعيد مصر .

(٤) أى أنه توجه إلى حلب .

الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين على البريد للحوطة على مال الأمـير يلبغا الناصرى وإحضاره .

وفى يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان (١) وقعت بالقاهرة زلزلة مرتين ، لكنها خفيفـة .

وحصل فى هذا الشهر اتفاقات عجيبة منها أن امرأة رأت فى منامها النبى صلى الله عليه وسلم وهو ينهاها أن تلبس الشاش ، وهو عصبة أخذتها النساء من نحو سنة ثمانين وسبع مائة ، فصرن (٢) شبهاً بأسنمة البخاتى ، وتسميتها بالشاش لأن أوله على جبين المرأة وآخره على ظهرها ، فمنه مايبلغ طوله ممتداً نحـو الذراع فى ارتفاع ربع ذراع ، فلم تنته عن ذلك ، فرأته صلى الله عليه وسلم مرة ثانية فى منامها وهو يقول لها : « قد نهيتك عن لبس الشاش فلم تسمعى ولَبِسْتِه ، ما تموتى إلا نصرانية » فأتت بها أمها إلى شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى حتى قصّت رؤيتها عليه فأمرها أن تذهب إلى كنيسة النصارى وتصلى بها ركعات وتسأل الله أن يرحمها ثم تأتيه حتى يدعو لهـا ، فتوجهت بها من مجلس البلقينى إلى الكنيسة فصلّت ثم خرّت ميتة لوقتها فتركتها أمها وانصرفت عنها ، فدفنها النصارى فى مقابرهم فنعوذ بالله من ذلك ، هكذا ذكر هـذه القصة جماعة من المؤرخين (٣) (١٢ أ) فليت شعرى كيف أهل هذه الميتة مكنوا

(١) فى السـلوك ، ورقة ١٥٢ أ « ليلة » وكذلك فى ن ، وإنباء الغمر ١/٣٠٣ ، وإن كان المرجـع الأخير أشار إلى حدوث الزلزلة مرة واحدة . أما عن اليوم فقد ذكرت التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ ما يتفـق والوارد بالمتن من أن أول شعبان كان الخميس ١٠ توت ١١٠٢ ، ٧ سبتمبر ١٣٨٥ م .

(٢) فى الأصل « فصاروا » .

(٣) ذكر هذه القصة السلوك ، ١٥٢ أ ، وعقد الجمان ، لوحة ٣٠٢ ، وإنباء الغمر .

النصارى من دفنهم هذه المسامة فى مقابرهم . وأَمَرَ شيخ الإسلام البلقينى لها بالصلاة فى الكنيسة يترتب عليه أنها خرجت عن ملة الإسلام ، فيالله العجب ثم العجب من ذلك . وقد أورد هذه القصة غير واحد من المؤرخين كالشيخ تقى الدين المقريزى وشيخنا قاضى القضاة بدر الدين العينى :

وفيه جهز قاصد صاحب إسطنبول (١) وعلى يده هدية وكتاب مضمونُه : « إن تجارنا عَيَّتْ من سفرهم إلى مصر والشام، والمسئول أن يقام لهم قنصل بثغر الإسكندرية من إحدى طوائف الفرنج » فأجيب إلى سؤله :

وفى مستهل شهر رمضان خرج عن الخليفة المتوكل ما كان أُنْعِم به قبل القبض عليه ، وهى : ناحية أبو رجوان :

وظهر فى هذا الشهر من العجيب المستغرب — وما ذلك على الله بعزيز — أن امــرأة ولدت ابنة برأسين على صــدر واحد ، والرأسان كاملان بأعينهما وحواجبهما وثغرهما ولسانهما ، ولها يدان (٢)، ومن تحت السرة تنقسم إلى هيئة نصفين : كل شطر رِجْلان كاملتان ؛ ولم تعش :

سابع عشره (٣): خُلع على همام الدين العجمى نائب المحتسب واستقر فى قضاء الحنفية بثغر الإسكندرية ونظر الأوقاف بها، وذلك بسفارة محمود العجمى المحتسب :

يوم الأربعاء (٤) عاشر شوال ركب السلطان وعدّى النيل إلى الجيزة وسرح البحيرة للصيد والقنص على جارى العادة فى كل سنة .

---

(١) لعلها «حضر» ، وهذا ما جاء فى نسخة ز .

(٢) فى الأصل « يدين » . (٣) فى السلوك ، شرحه «سابع عشريه» .

(٤) فى السلوك ، ٢ ١٥٢ أ « الثلاثاء عاشر شوال » ، وهذا يتفق مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ من أن أول شوال كان الأحد .

وفيه حضر إلى الأبواب الشريفة مصر خجا[(١)] أخو بيرم خجا عم قرا محمد [أمير الموصل] .

وفيه أيضاً برز المرسوم الشريف بعمارة شوانى تلفت ، فابتدئ بعمارتها من استقبال ذى القعدة على شاطئ النيل بمصر مقابل المقياس .

وفى يوم الخميس ثالث ذى القعدة عاد السلطان من سرحة البحيرة فكانت غيبته عن القلعة لأجل الصيد والتنزه ثلاثة وعشرين يوماً .

وفى الثانى عشر منه وقع الكسوف بالشمس من قُبيل نصف النهـار إلى العصـر .

وفيه صنع الأمير جركس الخليلى معروفاً[(٢)] عظيما بمكة الحرام ومدينـة دار السلام على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وهو أنه جهّز إلى مكة خمس مائة إردب قمحاً وإلى المدينة مثلها ، و[أمر] أن يعمل منها فى كل يوم ألف[(٣)] رغيف : خمسمائة بمكة ، وخمسمائة بالمدينة ، وتفرّق على الفقراء والضعفاء والمحاويج تفرقة لا يشوبها رئاسة ولا يُخـيَّر فيها القوىّ على الضعيف ، وأن لا يجعل فى هذه التفرقة مرتب لأشخاص معينين يحمل إليهم بل كل من حضر يأخذ ، فكفّ غالبُ الناس عن السؤال ولم يبق أحد من الفقراء جائعاً[(٤)] ونفع وانتفع . معناه : نفع فى الدنيا وانتفاع فى الأخرى ، فجزاه الله خيراً .

وفى ليلة الثلاثاء رابع عشر ذى الحجة خُسف جرم القمر من آخر الليل ، وبين كسوف الشمس وخسوف القمر ستة وعشرون يوماً .

وفى ثامن عشره أخلع على أمير حاج واستقر والىّ الأشمونين عوضاً عن بكتمر الدمشقى

(١) أثبت ما بالمتن بعد مراجعة إنباء الغمر ١/ ٣٠١ ، والسلوك .
(٢) فى الأصل « معروف عظيم » .
(٣) فى هذا خطأ واضح لم تصححه المراجع .
(٤) فى الأصل : ولم يبق أحد من الفقراء جائع .

وفى يوم الاثنين رابع عشريه بلغ السلطان عن أمير مجلس — الذى هو ألطنبغا الجوبانى — ما غيّر خاطره عنه بالكلية ، فرسم بالقبض عليه . فمُسك وقيّد واستمر أياماً ثم أفرج عنه وكل ذلك بالبرج بقلعة الجبل وخلع عليه ، واستقر [ألطنبغا الجوبانى] نائب الكرك عوضاً عن دمرداش القشتمرى ، وتوجه مسفره بكتابه .

وفيه خُلع على محب الدين أبى المعالى محمد بن الكمال محمد بن محمد ابن الشحنة واستقر فى قضاء الحنفية بحلب عوضاً عن زين الدين عبد الرحمن ابن رشيد بحكم وفاته .

واستقر فى قضاء الحنابلة بها شهاب الدين أحمد بن محمد بن موسى بن عياض المقدسى الصالحى عوضاً عن عمه شرف الدين أحمد بن موسى بن عياض ، واستقر فى قضاء المالكية بها أيضاً جمال الدين عبد الله النحريرى بعد وفاة زين الدين عبد الرحمن بن رشيد .

واستقر فى قضاء الشافعية بطرابلس شهاب الدين أحمد بن عبد السلام [السلاوى] عوضاً عن ابن وُهَيْبة ، واستقر فى قضاء المالكية بطرابلس شهاب الدين أحمد بن عبد الله النحريرى عوضاً عن ناصر الدين محمد بن سرى الدين إسماعيل بن محمد بن هانئ الأندلسى .

وفى هذه السنة تحسنت أسعار الغلال بل وزادت لتوقف النيل ، حتى أبيع الإردب القمح بثلاثين درهماً ، والإردب الشعير بعشرين درهماً والإردب الفول بثمانية عشر درهماً ، فلما أهل ذو الحجة(١) أبيع القمح بخمسين درهماً ،

(١) فى الأصل « ذو القعدة » ، لكن راجع السلوك ، ورقة ١٥٣ أ .

وحدث من المظالم فى هذه السنة: الرمايات على الطواحين وتكرارها ، ونشأ من هذا الأمر فساد كثير وظلم كبير .

وحج بالناس فى هذا العام الأمير زين الدين أبو بكر بن سنقر الجمالى ، وكان فى هذه السنة من الحجاج الأمير أحمد بن الأمير يلبغا الخاسكى ، وكان الحجاز رَخِىّ السعر كثير الخير والبركة والأمن ، ولله الحمد والمنة .

* * *

ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان

٤٢ — تاج الدين (١٢ ب) أحمد بن محمد بن محمد المحدث المنشد الفاضل الأديب البارع صاحب القريحة السيالة والذهن الوقاد : قاضى القضاة الحنفية بحلب بها [(١)] ، وقتل بدمشق .

٤٣ — وتوفى جمال الدين إبراهيم [(٢)] بن ناصر الدين [محمد] قاضى القضاة بحلب بن ناصر الدين محمد قاضى حلب بن كمال الدين عمر .

٤٤ — وتوفى عز الدين قاضى حلب بن التركمانى عبد العزيز بن الصاحب أبى عبد الله محمد قاضى القضاة نجم الدين أبى الحسن بن قاضى القضاة جمال الدين أبى الفضل هبة الله بن قاضى حلب محب الدين أبى غانم محمد ابن قاضى حلب كمال الدين بن هبة الله بن القاضى نجم الدين أحمد بن يحيى ابن زهير بن صعصعة المشهور بابن العديم الحلبى الحنفى عن نيف وسبعين سنة .

٤٥ — وتوفى زكى [(٣)] الدين أبو بكر بن على الخروبى بمصر — وكان من أكابر التجار — فى يوم الخميس تاسع عشر المحرم .

---

(١) أى مات بحلب .

(٢) راجع الدرر الكامنة ١/١٧٢ .

(٣) راجع الدرر الكامنة ١/١٢٠٥ ، عقد الجمان ٢٢/٣٠٣ .

٤٦ ــ وتوفى الأمير بيلبك [التركى][(١)] والى الأشمونين ، وكان عنده خفة وطيش :

٤٧ ــ وتوفى زين الدين عبد الرحمن بن رشد قاضى قضاة المالكية بحلب فى ربيع الأول ، وكان عالماً بالفقيرى .

٤٨ ــ ومات الأمير عثمان بن قارا[(٢)] بن مهنا بن عيسى بن مهنا أمير آل فضل [بالبرية والشام] فى شهر ربيع الأول .

٤٩ ــ ومات الأمير قرابلاط الأحمدى اليلبغاوى فى نصف ربيع الآخر ، وكان مصراً على جمع المال وصرفه فى السعى بسبب الوظائف[(٣)] :

٥٠ ــ وتوفى شمس الدين محمــد بن أحمد بن سبع العبسى[(٤)] أحد الأدباء الأذكياء ومستوفى ديوان الأحباس .

٥١ ــ ومات الأمير آقبغا الدوادار فى شهر ربيع الآخر :

٥٢ ــ وتوفى شيخ الشــام النجمى أحمد بن عثمان[(٥)] بن عيسى بن حسن ابن حسين بن عبد المحسن المشهور بابن الحبــال[(٦)] الياسوفى الدمشقى الشافعى فى شهر جمادى الآخرة بعد عوده من مصر إلى وطنه ، رحمه الله تعالى :

---

(١) الإضافة من الدرر الكامنة ٢/١٤٠٠ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣٠٧ ، وشذرات الذهب ٦/٢٩٨ ، وانظر جدول الأسرات الملحق بترجمة رقم ١٧٧٤ فى Wiet: op. cit.

(٢) راجع الدرر الكامنة ٢/٢٦٠١ .

(٣) جاء بعدها فى الأصل « فى نصف شهر ربيع الاخر » وهو تكرار لما سبق .

(٤) سماه ابن حجر فى الدرر الكامنة ٣/٣٣٦٩ « العقبى » لكنه أغفل سنة وفاته وكذلك وظيفة الاستيفاء ، وورد اسمه فى إنباء الغمر ١/٣١١ « القيسى » وإن كان فى نسختى الأزهر وحيدر أباد الدكن « العبسى » كما بالمتن .

(٥) فى السلوك « عمــر » ، وهو خطأ يصححه ما ورد فى إنباء الغمر ١/٣٠٥ ، والدرر الكامنة ١/٥١٥ ، وشذرات الذهب ٦/٢٩٦ وإن جعل الأخير وفاته فى جمادى الأولى .

(٦) ورد « ابن الحبال » أيضا فى النجــوم الزاهرة ، ولعل الأصح هو « ابن الجابى » فقــد ذكره بهذا اللقب كل من السلوك وإنباء الغمر ١/٣٠٥ ، حيث أشار المرجع الأخير إلى أن والده كان « جابى أوقاف الشامية » ، أنظر أيضا شذرات الذهب ١/٥١٥ .

٥٣ — ومات الشيخ الصالح الإمام محى الدين عبد القادر بن شمس الدين الإمام أبى عبد الله شمس الدين أبى عبد الله محمد بن سيف الدين بن أحمد ابن محمد بن عبد الرازق بن القدوة العارف بالله سيدى الشيخ عبد القادر الكيلانى نفعنا الله ببركته ، آمين .

٥٤ — وتوفى السيد الشريف شمس الدين أبو المجد محمد بن جمال الدين أحمد النقيب بن شمس الدين محمد النقيب بن أحمد الحنفى الحرانى الحلبى عن سبع وأربعين سنة بطالا ولم يكن بيده شىء[1] من الوظائف ؛

٥٥ — وتوفى شيخ الشيوخ بحلب نجم الدين عبد اللطيف بن موسى ابن أبى الفتوح بن أبى سعيد فضل الله بن أبى الخير الميهنى[2] الخراسانى ثم الحلبى عن بضع وسبعين سنة بمدينة حلب .

٥٦ — وتوفى شرف الدين أبو بكر بن زين الدين عمر بن مظفر بن عثمان[3] الوردى المعروف بالحلبى الفقيه الفاضل المفنن والأديب البارع الماهر صاحب اللفظ اليانع والمعنى الوجيز الشائق عن نيف وسبعين سنة ؛

* * *

---

(١) فى الأصل « شيئا » .

(٢) فى الأصل « المهنى » أنظر الدرر الكامنة ٢/٣ ٤٠٢ ، والسلوك ، ١٥٣ ب ، وورد اسمه فى النسخة المطبوعة من إنباء الغمر ١ / ٣٠٨ « الشهبى » ، أنظر اختلاف رسم هذا الاسم فى النسخ الخطية من الإنباء فى إنباء الغمر ، ١/٣٠٨ حاشية رقم ٦ .

(٣) الدرر الكامنة ٢/١٢١٥ .

ســنة ثمــان وثمــانين وسبعمائة

* * *

أول هذا العام يوم الجمعة(١) :

فى سادسه وصل(٢) مبشرو الحاج وقد تخلفوا عن جرى العــادة لأعذار اتفقت لهم فى الطريق من الجمال والهجن وغير ذلك .

وفى هذا اليوم تغير خاطر السلطان على الأمير جوبان العمرى ورسم بنفيه إلى صفد بطالا و [أن] يخرج إقطاعه وإمرته باسم أرسبغا السيفى .

[فى] تاسعه عقد عقد السلطان الملك الظاهر على الست هاجر بنت الأمير منكلى بغا الشمسى ، ووالدتها أخت الملك الأشرف شعبان ابن حسين .

[وفى] ثامن عشره قدم الأمير أحمد بن يلبغا العمرى الخاصكى من الحجاز وصحبته الركب الأول ، فأخلع عليه على العادة :

[وفى] حادى عشريه قدم الأمير أبو بكر بن سنقر بمحمل الحاج وأخلع عليـــه :

(١) يتفق هذا اليوم وما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص٣٩٤ و يوافقه الثانى من فبراير ١٣٨٦م .

(٢) فى الأصل « وصلوا » .

وفى هذا اليوم رسم السلطان بالقبض على جماعة من المماليك (١) بعد أن ضربوا ضرباً مبرحاً بحضوره بالمقارع ، وسبب ذلك أنه بلغ السلطان عنهم أنهم قصدوا الفتك به ، وقبض أيضاً على الأمير تمربغا الحاجب ومعه من المماليك عدة عشرة وسمروا ، فركب كل مملوكين على جمل وظهر أحدهما لظهر الآخر وتمربغا بمفرده على جمل وحده وأشهروا بالقاهرة ، وحريمهم نائحات صائحات حاسرات عن وجوههن يلطمن خدودهن ، ثم برز المرسوم الشريف بتوسيطهم فوسطوا .

[وفى] خامس عشريه رسم بالقبض على ستة عشر مملوكاً من مماليك الأمير الكبير أيتمش ونفوا إلى الشام فى فورهم ، ورسم بتتبع آثار المماليك الأشرفية والقبض عليهم ونفيهم من مصر ، فقبض على جماعة كثيرة منهم ونفوا .

وفى آخر هذا الشهر قدم الأمير صارم الدين إبراهيم بن قراجا بن ذلغادر طائعاً مختاراً فخلع عليه وأنعم له بإمرة طبلخاناة بالقاهرة .

وفى يوم الاثنين ثالث صفر حمل الشريف هيازع بن هبة الحسينى أخو جماز أمير المدينة الشريفة من سجنه ببرج قلعة الجبل إلى ثغر الإسكندرية وله مدة يقاسى الأهوال وتقلب (٢) الأحوال ، فإنه كان قبض عليه أول الأمر وسجن نحو سنة ونصفها ثم أفرج عنه فى شهر ذى الحجة من السنة الماضية ثم قبض عليه فى هذه السنة أيضاً وسجن ، ثم نقل كما ذكرنا .

(١) يستفاد من رواية السلوك ، ١٥٣ ب ، أن الذين قبض عليهم هم مماليك أبى بكر بن سنقر ، والأرجح أن المقريزى كان يريد الإشارة إلى مماليك السلطان نفسه ، لكن سقط منه — أو من الناسخ — ما يدل على ذلك .

(٢) فى الأصل « وتقالب » .

وورد الخبر[1] من أهل ماردين[2] أن تيمورلنك — عليه اللعنة والنكال — استولى على مدينة تبريز[3] وأفسد فيها ، وقتل ونهب وخرب .

[وفي] ليلة السبت تاسع عشريه تجمع منسر[4] نحو ستين رجلا ودخلوا القاهرة فأكمنوا بها بعد أن تدلوا من السور[5] وقصدوا سوق الجملون[6] القديم القريب من الجامع الحاكمي وقتلوا نفرين ، فبلغ ذلك الأمير[7] حسام الدين أمين الكوراني والي القاهرة فبادر وركب ولحق بهم فمسك منهم ثلاثة أنفار بضواحي القاهرة فوجد معهم ما أخذوه فأثخنهم عقوبة حتى دلوه على بقيتهم .

---

(١) جعل أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ١١ /٢٤٧ هذا الخبر في آخر جمادى الثانية سنة ٧٨٩ ، ويؤيد صحة هذا التاريخ ما جهزته مصر حينذاك من حملة جعلت عليها أربعة أمراء ألوف هم : ألطنبغا المعلم وقردم الحسني ويونس النوروزي وسودون باق ، فخرجوا بمن أضيف إليهم من أجناد الحلقة في أول رجب وساروا إلى حلب .

(٢) ماردين بكسر الراء والدال إحدى القلاع الحصينة على قنة جبل الجزيرة ، وتطل على ربض عظيم حافل بالأسواق والمدارس والربط ، وكانت تسمى في القرن الرابع بالباز وبالشهباء ، أنظر مراصد الاطلاع ٣/١٢١٩ ، وبلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٥ — ١٢٦ .

(٣) تبريز بكسر ثم سكون ثم كسر ، من أشهر مدن أذربيجان وأهلها أهل ثراء ، وتقع على بعد ثلاثين ميلا شرقي بحيرة أرمية ، وهي ذات أبواب عدة وتحمل منها الثياب والسقلاطون ، أنظر مراصد الاطلاع ١/٢٥٢ ، وبلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩٤ وما بعدها .

(٤) في الأصل « منسرا » .

(٥) في الأصل « الصور » .

(٦) يستدل من تحقيقات المرحوم محمد رمزي ومما ذكره المقريزي في خططه أن هناك سوقين أحدهما سوق الجملون الكبير (وهو وسط القاهرة) وسوق الجملون الصغير ويقع شمالها .

(٧) في السلوك ، « الإمام » وهو خطأ .

[وفى] يوم الأحد سلخه وقع حريق عظيم بالقرب من قنطرة الحاجب (١) انهدم منه عدة دور ، فبادر عدة من الأمراء له حتى أنهم أطفوه .

* * *

(١١٣ ا) شهر ربيع الأول : أهل بيوم الأحد .

أبيع اللحم الضانى السميط كل رطلين بدرهم ، وأبيع اللحم البقرى كل رطلين ونصف بدرهم فضة نقرة .

يوم الخميس ثانى عشره برز المرسوم الشريف بالإفراج عن الأمير يلبغا الناصرى من سجن الثغر السكندرى ونقله إلى ثغر دمياط مع الإذن له أن يركب ويتـنزه .

[و] فى خامس عشره اجتمع من المنسر (٢) الذين فعلوا بالحملون ما فعلوا نحو الثمانية عشر نفراً حصلهم الوالى (٣) ، فرسم بتسميرهم على الجمال فسمّروا فى أيديهم بالخشب وألبسوا فى أرجلهم قباقيب الخشب ، ووسطوا إلا واحداً منهم أخروه ليدلهم على ما تأخر منهم .

* * *

شهر ربيع الآخر : أهل بيوم الثلاثاء (٤) .

فيه غضب السلطان على الأمير بهادر [بن عبد الله] (٥) المنجكى وبهدله وأساء عليه وقبض عليه ثم أفرج عنه بقية يومه .

(١) كانت قنطرة الحاجب واقعة على الخليج الناصرى يتوصل إليها من أرض الطبالة ويسير عليها الناس إلى منية الشيرج وهى من إنشاء الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة ٧٢٦ ، أنظر الخطط ٢/ ١٥٠ .

(٢) أنظر ما سبق ، ص ١٢٩ ، س ٣ — ٧ . (٣) هو حسين بن الكورانى .

(٤) ذكرت التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٤ ، أنه أهل بيوم الأربعاء .

(٥) الإضافة من ابن حجر : الدرر الكامنة ٢ / ١٣٥٥ ، وانظر عنه ابن دقاق : الانتصار ٥/ ٨ ، وابن إياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ١ / ٣٢٦ ، هذا وقد ذكر أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/ ١٦٣ أن أصله كان روميا فى رواية وإفرنجيا فى رواية أخرى .

وفى هذا اليوم قدم البريد من حلب وعلى يده رأس الأمير خليل[١] بن قراجا ابن ذلغادر ، ففى الحال قبض على أخيه عثمان بن قراجا وعلى ابن أخيه ناظر الجيش وضرب بالعصى ضرباً مبرحاً نحو المائة وأربعين ضربة .

ووصل الخبر بوقوع الوباء بثغر الإسكندرية وأنه بلغ عدة من يموت بها فى كل يوم زهاء عن مائة إنسان .

وفيه أخلع على محمد بن عيسى شيخ عربان العائد[٢] وبرقة واستقر بالشرقية مضافاً إلى كشف الجسور بها وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، واستقر أخوه فى مشيخة العائد .

وفى تاسع عشريه توفيت للسلطان ابنة وكانت لها جنازة عظيمة حافلة ، اجتمع فيها العسكر وأعيان الدولة ودفنت بمدرسته التى بين القصرين قبل أن تكمل .

* * *

شهر جمادى الأول : أهل بيوم الخميس .

فيه استدعى الوزير الصاحب كريم الدين بن مكانس وأخلع عليه واستقر فى وظيفة نظر الدولة بعد موت علم الدين يحيى .

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ٢/١٦٥٨ .

(٢) هم بنو عائد القحطانيون ، وقد ذكر القلقشندى : نهاية الأرب فى أنساب العرب ، ص ٣٣٣ أن هذا الاسم يطلق على بطن من الأزد ، كما يطلق على بطن من جذام ، ونقل عن العبر أن مساكنهم فيما بين بلبيس — من الديار المصرية — إلى عقبة أيلة إلى الكرك من ناحية فلسطين ، كما يطلق أيضا على بطن من ربيعة ؛ وقد تكتب بالدال المهملة وبالذال ، واستعمل القلقشندى كلا الرسمين فى كتابيه نهاية الأرب ، وصبح الأعشى ١/٣٣٣ .

[وفى] خامسه خلع على الوزير ابن الوزير علم الدين شرارة سن إبرة واستقر ناظر الأسواق عوضاً عن شرف الدين محمد بن الدماميني .

[وفى] ثاني عشره قدم الأمير آقبغا الجوهري أحد الأمراء الألوف بحلب وصحبته أميرزه بن ملك الكرج راغباً في الإسلام فأسلم بين يدي السلطان بحضور قضاة القضاة وسمي « عبد الله » وأنعم السلطان عليه بإمرة عشرة ، وأنزله بالقصر بالحجازية[1] برحبة باب العيد داخل القاهرة .

يوم الاثنين حادي عشريه[2] الموافق له سادس عشر بؤونة أخذ قاع النيل على العادة في كل سنة .

[وفى] ثاني عشريه أخلع على عبيد البردادر وأعيد إلى تقدمة الدولة على عادته .

[وفى] سادس عشريه خلع على محمد بن أشقتمر واستقر في ولاية منفلوط .

وفيه عزل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن ظهيرة عن قضاء مكة وخطابتها بسبب مكاتبة قدمت فيه من السيد الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة المشرفة ، وكتب باستقرار محب الدين قاضي المدينة الشريفة قاضي مكة وخطيبها عوضاً

---

(١) ينسب هـذا القصر إلى خوندتتر الحجازية ابنة الملك الناصر محمد بن قلاون وزوجها ملكتمر الحجازي ، وقد اشترته وعمرته على نفقتها وأنشأت بجواره مدرسة عرفت بالمدرسة الحجازية ، أنظر المقريزي : الخطط ٢/ ٧١ ، أما رحبة باب العيد ، فساحة كبيرة كانت تواجه باب العيد وهو أحد أبواب القصر الشرقي الفاطمي الكبير .

(٢) لا يتفق هـذا وقول المؤلف إن أول الشهر كان الخميس ، والأرجح أنه كان الأربعاء ٢١ جمادى الأولى الموافق السادس عشرى بؤونة وذلك بناء على ما جاء في التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٤ ، هـذا ويلاحظ أن السلوك ، ورقة ١٥٤ أ ، أهمل النص على اليوم ولكنه جعل التاريخ كما بالمتن ، أما قاع النيل فبلغ في ذلك اليوم ستة أذرع .

عن أحمد بن ظهيرة . وخلع على شيخ الحديث خادم السنة الحافظ المؤتمن العلامة زين الدين عبد الرحيم[١] العراقي الشافعي واستقر في قضاء المدينة الشريفة وخطابتها عوضاً عن محب الدين .

وفيه كملت عمـــارة الأغربة وعدتها[٢] ثمانية وأشحنوا بالعدد والسلاح والنفط وآلات الحرب بسبب المقاتلة لأعداء الله ، عليهم اللعنة والنكال .

وفيه حضر السيد الشريف عنان[٣] بن مغامس الحسني أمير مكة كان فاراً من ابن عمه الشريف [محمد بن[٤]] أحمد بن عجلان فإنه قصد إتلافه وكحل عينيه ففاز بمهجته .

أول شهر جمادى الآخرة : وصل البريد من حلب مخبراً بأن التركمان تحركوا وانتهوا للفتك بهم فساروا إليهم ومعهم العساكر الشامية ، فكان بين الفريقين وقعة شديدة قتل فيها جمع كثير من الأمراء والأجناد منهم سودون العلائي نائب حماة ، ورجع بقية العسكر مكسورين من التركمان .

وفيه كملت عمارة المدرسة الظاهرية بين القصرين .

ولمـــا كان يوم الخميس رابع عشره رسم بنقل رمم أولاده[٥] الخمسة من مدافنهم إلى القبة بالمدرسة المذكورة ، ونقلت رمة الأمير أنس — والد السلطان — والعساكر مشاة أمامه حتى دفنت بالمدرسة المذكورة .

---

(١) أخطأ السلوك إذ سماه بعبد الرحمن .

(٢) في الأصل « وعدتهم » .

(٣) راجع ترجمته في السخاوي ، الضوء اللامع ٦/٤٦٤ .

(٤) أضـــيف ما بين الحاصرتين للتصحيح إذ أن عمـــه هو أحمـــد بن عجلان ، أنظر في هـــذه الأحداث السخاوي : الضوء اللامع ٦/٤٦٤ ؛ هذا ويلاحظ أن ما جاء بالمتن هـــو نفس الوارد في السلوك ، ١٠٤ ب ، س ٢٠ .

(٥) أي أولاد السلطان برقوق .

وفى ثامن عشره — الذى هو الاثنين (١) — زلزلت القاهرة ومصر فى الساعة الرابعة زلزلة خفيفة .

[وفى] ثامن عشريه أخلع على الأمير سودون العثمانى السابق ، واستقر نائب حماة عوضاً عن سودون (٢) العلائى بحكم قتله فى وقعة التركمان .

[وفى] سلخه حضر (٣) رسل الفرنج بهدايا جايلة المقدار ، وذلك لما بلغهم من العمارة وإشْحَانها بالمقاتلة والسلاح .

* * *

شهر رجب : أهل بيوم الأحد .

ثالثه الموافق له من أشهر القبط سابع (٤) مسرى كان وفاء النيل ، فرسم السلطان للأمير قردم الحسنى والأمير يونس (٥) الدوادار أن يتوجها لتخليق المقياس وفتح فم الخليج بحضورهما ، فركبا وامتثلا ما رسم لهما به المقـــام الشريف وعادوا .

وفى يوم الأربعاء حادى عشره توجه الأمير جركس الخليلى إلى المدرسة الظاهرية التى أنشأها — هو بمباشرته — للسلطان وصنع بها الأطعمة ، واستدعى بالفواكه والحلاوات والمشروب لأجل نزول السلطان إليها فى غد تاريخه ،

(١) نفس التاريخ واليوم واردان فى السلوك ، لكن إذا أخذنا بما جاء فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ كان اليوم هو الثلاثاء وليس الاثنين .

(٢) راجع عنــه Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 1136.

(٣) فى الأصــل «حضروا» ويلاحظ أن السلوك لم يذكر سبب قدومهم ولم يشر إلى هديتهم .

(٤) يتفق التاريخان الهجـرى والقبطى مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ ، هــذا وقد كانت غاية فيضان النيل بمقياس الروضة عشرين ذراعا .

(٥) هو يونس الدوادار صاحب خان يونس قرب غزة فى الطريق إلى مصر ، وكان مقتله سنة ٧٩١ ، راجــع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٥ / ٢٠٤ ، إنباء الغمر ١ / ٣٩٠ .

وأصبح السلطان — نصره الله — من الغد الذى هو الخميس ثانى عشره فركب من القلعة بأمرائه ومماليكه وخواصه وأعيان دولته حتى وصل إلى المدرسة المذكورة وقد تهيأت وتزينت بأنواع المحاسن وفرشت بالبسط — عمل الشريف — فوق الحصر العبدانى ، وقد اجتمع بها قضاة القضاة وأعيان العلماء الأفاضل ، فمد السماط مشحوناً بأصناف محاسن الأطعمة من المحراب إلى الفسقية التى فى وسط الصحن ، فأكل منه القضاة والفقهاء والأعيان والأمراء والأتراك والفقراء والضعفاء ، وتخاطف الناس من الغلمان وغيرهم بقيته ، ثم مدت الحلاوى على سماط نظيره والفواكه ثم المشروب ، هذا بعد أن ملئت الفسقية التى فى صحن المدرسة من مشروب السكر للعام والخاص ، ولما فرغوا من ذلك جميعه أخلع على الشيخ الإمام والبحر الهمام علامة العصر فى المعقول والمنقول ومن شاع ذكره واشتهر عند الملوك بأنه ملك العلماء فى عدة علوم ، لا سيما المعقول : علاء الدين على بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامى[1] الحنفى ، واستقر شيخ الصوفية ومدرس الحنفية (١٣ ب) ، وتقدم الأمير جركس الخليلى ففرش له السجادة وأجلسه عليها لما يعلم أن ذلك يقربه إلى السلطان ويعجبه ، فإن السلطان استدعى الشيخ علاء الدين على المذكور على البريد لما بلغه من علمه ودينه ، وكان قد حضر من بلاد المشرق إلى حلب فأكب أهلها عليه للاشتغال بالعلم ، فنشره فيهم واستفادوا منه وفضلوا ، ثم قصد زيارة القدس الشريف فبلغ السلطان خبره فحضر وصحبه فى خدمته شيخنا البدرى العينى وقرره خادمه فى الظاهرية ، وترجمه قاضى القضاة بدر الدين المذكور بترجمة طويلة وأنه حضر فى خدمته وقرأ عليه ، وأما شيخنا العلامة شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد [بن] على بن حجر ، خادم السنة والأثر فإنه ترجمه فى مصنفه

(١) راجع ترجمته في إنباء الغمر ١ / ٣٥٩ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب ٦/٣١٣ .

« إنباء الغمر فى أنباء العمر » ، فقال : « العلاء[(١)] بن أحمد بن محمد بن أحمد السيرامى ــ بمهملة مكسورة بعدها تحتانية ساكنة ــ علاء الدين ، كان من كبار العلماء فى المعقولات ، قدم من البلاد المشرقية بعد أن درس فى تلك البلاد ثم قدم فأقام بماردين مدة ثم فارقها لزيارة القدس فلزمه أهل حلب للإفادة ، وبلغ خبره الملك الظاهر فاستدعى به وقرره شيخاً ومدرساً بمدرسته التى أنشأها بين القصرين وأفاد الناس فى علوم عديدة ، وكان إليه المنتهى فى معرفة علم المعانى والبيان ، وكان متودداً إلى الناس ، محسناً إلى الطلبة قائماً فى مصالحهم ، لا يطوى بشره عن أحد ، مع الدين المتين والعبادة الدائمة » . انتهى كلامه رحمهما الله .

ثم خلع على الأمير جركس الخليلى وعلى معلم المعلمين شهاب الدين أحمد الطولونى المهندس ، فأركبا فرسين بقماش ذهب ، وخلع على مماليك الأمير جركس الخليلى الذين كانوا مباشرى العمارة ليلا ونهاراً ، صباحاً ومساء وعدتهم خمسة عشر مملوكاً ، ثم أنعم على كل مملوك منهم بخمسمائة درهم ، وخلع على جماعة مباشرى العمارة .

ولما جلس العلامة [السيرامى] تكلم على قوله تعالى : (قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ[(٢)]) الآية بكلام كأنه الدر المصون فتاهت عقول الحاضرين فى حسن معناه وطيب مغناه ، ثم قرأ القارئ العُشر [من القرآن الكريم] ودعا للسلطان فعند ذلك نهض السلطان قائماً من جانب العلاء فتوجه إلى القلعة ، وكان يوماً مشهوداً وجمعاً محموداً .

* * *

(١) راجع ابن حجر : إنباء الغمر ، ١/٣٥٩ ، س ١١ — ١٧ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٢٦ .

يوم الخميس تاسع عشره ، دار محمل الحاج بالقاهرة ومصر .

* * *

شهر شعبان ، أهل بيوم الاثنين :

فيه[٢] خلع على الأمير ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس كان :

يوم السبت سادسه ركب السلطان إلى الميدان للعب الكرة والصولجان هو وجماعة الأمراء والأعيان :

وفيه أنعم على أحمد بن عمر التركمانى بإمرة طبلخاناه عوضاً عن علـى ابن الأمير منجك بحكم وفاته إلى رحمة الله :

[وفى] سادس عشريه خلع على سودون الطرنطاى الخاسكى ، واستقر أمير عشرة ورأس نوبة صغيراً .

وفيه أنعم على مقبل الرومى الطويل بإمرة عشرة عوضاً عن أحمد بن يهر[٣] [التركمانى] .

[وفى] ثالث عشريه انتهت زيادة ماء النيل إلى عشرين[٤] ذراعاً وهى ثابتة على ذلك إلى عيد الصليب :

---

(١) « الثلاثاء » فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٤ .

(٢) جاء هـذا الخبر فى السلوك ، ١٥٥ ب ، على الصورة التالية « خلع على الأمير أحمد بن الأمير يلبغا العمرى الخاسكى واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير ألطنبغا الجوبانى » .

(٣) أورده أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١ / ١٥٠ باسم « ابن يهـر » وجاء فى السلوك ، ١٥٥ ب « هر » .

(٤) راجع ص ١٣٤ حاشية رقم ٤ .

[وفى]ثانى عشريه خلع على شرف الدين موسى بن رسلان (١) من الطبردارية (٢) واستقر أمير طبر بإمرة عشرة ، ثم لما كان مستهل شهر رمضان عزل ناصر الدين أحمد بن التنسى المالكى من قضاء الإسكندرية .

وفيه رسم بالقبض على بيدمر [الخوارزمى] (٣) ـ نائب الشام ـ وعلى جميع ألزامه وبالحوطة على جميع موجوده ، وعين طاس (٤) البريدى لذلك ، وركب من فوره البريد ، وأنعم على الأمير أشقتمر بنيابة الشام وهو مقيم بالقدس بطالا وعين لتقليده وحمله إلى الشام الأمير تمربغا المنجكى وعلى يده خلعته .

وفيه أيضاً قدم السيد الشريف محمد بن مبارك بن رميثة الحسنى أمير مكة المشرفة وأخبر بموت الشريف أحمد بن عجلان أمير مكة ، وأن ابنه محمداً [بن أحمد] أقيم بعده (٥) بإمرة عمه كبيش بن عجلان .

وفيه قدم الخبر من المدينة الشريفة أن السيد الشريف (٦) متوجه منها .

---

(١) أورده المقريزى فى السلوك ، باسم « سلار » .

(٢) الطبردارية هم الذين يحملون الطبر حول السلطان فى المواكب ، والطبر لفظ فارسى معناه الفأس ، ودار ومعناه الأمير أو الممسك ، انظر صبح الأعشى ٥/ ٤٥٨ ، ٤٦٢ ، وراجع أيضا عنه
Demombynes: La Syrie à l'Epoque de Mamelouks,

(٣) انظر عنه الدرر الكامنة ٢/ ١٣٧٣ ، والنجوم الزاهرة ١١/ ٢٤٤ ، وابن اياس : بدائع الزهور ١/ ٢٠٩ — ٢١١ ، هذا وقد ذكر صبح الأعشى ٧/ ١٦٨ أن رسم المكاتبة إليه استقر بعبارة « أعز الله تعالى أنصار القرآن الكريم » والعلامة الشرفية إليه من قبل السلطان . أخوه « ولقب » بنائب السلطنة الشرفية بالشام المحروس » .

(٤) صححه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٤٤ بطاووس .

(٥) الواقع أن أحمد بن عجلان كان قد أشرك ابنه محمدا معه فى السلطنة فى حياته كما جاء فى الدرر الكامنة ١ / ٥١٩ .

(٦) يعنى بذلك الشريف جماز بن هبة الله ، راجع فى تفصيل هذا الخبر المقريزى : السلوك ، ١٥٥ ب .

[وفى] سادسه ركب السلطان من قلعة الجبل فتوجه من الصحراء إلى بركة الحاج فتنزه بها ودخل القاهرة من باب النصر فنزل بمدرسته الظاهرية ثم ركب وصعد إلى القلعة .

[وفى] يوم الجمعة عاشره أقيمت الجمعة بالمدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين ، وحضر قاضى القضاة الحنفى وحكم بصحتها ، وخطب بها جمال الدين محمود العجمى المحتسب .

[وفى] يوم الجمعة سابع عشره أرسل السلطان أحد الأمراء إلى المدرسة الظاهرية وصحبته خلعة الخطباء : السواد للذين يلبسونها ؛ فلما حضر محمود العجمى المحتسب لبسها وخطب بها ، فلما فرغ من صلاته استدعى الأمير بخلعة فأفيضت على محمود المذكور فركب وتوجه بها إلى منزله وهو فى ضخامة عظيمة وأبهة زائدة ، وكان له موكب جسيم .

وفيه وصل الخبر بأن كبيش بن عجلان كحل أعين جماعة من بنى حسن وهم أحمد وحسن : إبنا أخيه[1] ومحمد بن عجلان وابن أحمد بن ثقبة وسنه اثنتا عشرة سنة فانحرف مزاج السلطان بسبب ذلك وتغير على كبيش .

وفى سلخه خرج إقطاع جلبان العلائى وهو طبلخاناه باسم ولده ناصر الدين محمد بحكم وفاة والده .

وفى هذا اليوم خلع على السيد الشريف عنان بن مغامس واستقر أمير مكة

[وفى] يوم الاثنين رابع شوال (١٤) ركب السلطان فتوجه إلى سرياقوس[2] لصيد الجوارح على العادة .

(١) يقصد بذلك أخاه ثقبة .

(٢) جاء فى القاموس الجغرافى ق ٢ ، ج ١ ، ص ٥٠٣ أن اسمها القبطى القديم هو Sirlaqous ، ويرجح المؤلف أنها منسوبة لعزبة أنشأها Cirlaqous الذي كان واليا على أتريب .

وفيه قرر الشيخ سراج الدين عمر بن الملقن فى مشيخة الحديث[١] عوضاً عن الحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقى بحكم استقراره قاضى المدينة الشريفة .

وفيه رسم السلطان بنفى خمسة أنفار من المماليك إلى الشام ، وأخرج لهم إمريات بها .

وفيه ضرب أحمد بن الجندى الشافعى قاضى دمنهور بالبحيرة بسبب أنه أنكر على الضامن مايستأديه من المسلمين من المكوس وكتب عليه أن لا يسكنها ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . ثم إن أهل الخير والعلم والقريبين من السلطان أخبروه أن هذا الرجل ورع زاهد فقيه وأنه يكلمه فى الحق وأظهره ، فندم السلطان على ضربه واستدعاه فخلع عليه ورجع إلى دمنهور فى غاية العز والعظمة .

[وفى] يوم الأحد[٢] عاشره اجتمع المدرسون بالمدرسة الظاهرية برقوق ، وعدتهم سبعة أنفار : أربعة فى الفقه على المذاهب الأربعة ، ومدرسا تفسير ومدرس فى الحديث ، وتصدير أيضاً لقراءة القراءات السبع .

[وفى] خامس عشره[٣] سار محمل الحاج — وأميره آقبغا المارديني :

وحج فى هذه السنة جماعة من الأمراء هم : الأمير جركس الخليلى وهو فى ترفع زائد ، وشمل بره الصادر والوارد ، والأمير كمشبغا الخاصكى ومحمد ابن تنكز بغا وجركس المحمودى[٤] .

---

(١) هى مشيخة دار الحديث الكاملية الواقعة بخط بين القصرين بالقاهرة ، أنشأها السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر سنة ٦٢٢ ﻫ ، وهى ثانى دار للحديث فى العالم الإسلامى ، وظلت هذه المدرسة زاهرة حتى سنة ٨٠٦ ﻫ فتولى أمرها « صبى لايشارك الأناسى الا بالصورة ولا يمتاز عن البهيمة إلا بالنطق » انظر خطط المقريزى ٢ / ٣٧٤ .

(٢) فى الأصل « الاربعا » وهو خطأ يصححه ماورد ص ١٣٩ س ١٨ وكذلك ماجاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٤ من أن الجمعة كان أول شوال .

(٣) فى السلوك « ثامن عشره » .

(٤) فى السلوك ، ٥٦ : أ « المحمدى » .

وفيه رسم للنواب الشامية باستخدامهم المماليك البطّالة الأشرفية وغيرهم.

وفي خامس[(١)] عشريه عاد السلطان من سرحة سرياقوس فكانت مدة غيبته في التصيد والتنزه عشرين[(٢)] يوماً وصعد إلى القلعة . فانقلبت له المدينة وخرجت البنت من خدرها لرؤيته ، وتضاعفت الأدعية له .

وفيه استدعى السلطان زكريا بن الخليفة المعتصم بالله أبي إسحاق إبراهيم ابن المستمسك بالله أبي عبد الله محمـــد بن الحاكم بأمر الله أحمـــد فأكرمه وأدناه بل أجلسه فوقه وأعلمه أنه يريد تنصيبه خليفة عوضاً عن الخليفة الواثق بالله عمر بن المعتصم بالله إبراهيم بحكم وفاته ، ثم استدعى بقضاة القضاة الأربعة وأعيان الدولة والأمراء والمباشرين ، فلما كمل جمعهم أظهر زكريا عهد عمه المعتضد بالله أبي الفتح بن أبي بكر إليه بالخلافة فرضوا به وأفيضت عليه خلعة الخلافة ، ورسم له بفرس بسرج ذهب وكنبوش زركش فركبه وعاد إلى منزله إلى يوم الخميس ثامن عشريه صعد الخليفة زكريا إلى القصر من قلعة الجبـــل وقد اجتمع أعيان المملكة وأكابرها وقضاة القضاة الأربعة وشيخ الإســـلام البلقيني وصدر الدين محمد بن إبراهيم المناوي مفتي دار العدل والقاضي كاتب السر بدر الدين محمد بن فضل الله والنجم محمد الطنبدي ، فبرز شيخ الإسلام البلقيني بالكلام مع السلطان في مبايعته لزكريا على الخلافة ، فبايعه أولا[(٣)] ، ثم بايعه الحاضرون على ترتيب طبقاتهم ، ولقب بـ « المعتصم بالله » أبي يحيى ، ثم أنه أشهد على نفسه أنه قلد السلطان أمر البـــلاد والعباد وأقامه[(٤)] في ذلك مقام

(١) في السلوك ، « حادي عشريه » على أنه يتفق وما جاء في المتن أعلاه من أن اســتدعاء السلطان لزكريا بن الخليفة كان يوم ٢٥ شوال .

(٢) في الأصل « أحد وعشرون » .

(٣) المقصود بذلك أن السلطان كان أول من بايعه .

(٤) عبارة « وأقامه في ذلك مقام نفسه فخلع عليـــه خلعه الخـــلافة وخلع على غالب من حضر » هي نفس عبارة المقريزي في السلوك ، ١٥٦ ب ، س ١١ — ١٢ .

نفسه ، فخلع عايه خلعة الخلافة وخلع على غالب من حضر ، وركب الخليفة فرساً مسروجاً بذهب كامل العدة ، والقضاة الأربعة راكبون بين يديه إلى داره ، فكان يوماً عظيما جداً .

[وفى] سلخه حضر [(١)] رسل أحمد بن أويس صاحب بغداد وعلى يدهم كتاب مضمونه أن تيمور كوركان نزل قرا باغ [(٢)] ليشتى بها ويعود ، وفيه [(٣)] تحذير منه .

[وفى] يوم الاثنين ثالث ذى القعدة الحرام خلع على أمير المؤمنين الخليفة المعتصم بالله أبي يحيي زكريا واستقر فى نظر مشهد السيدة نفيسة .

وفيه خلع على الشيخ شهاب الدين أحمد الأنصارى واستقر فى مشيخة سعيد السعداء [(٤)] عوضاً عن الشيخ برهان الدين الأنباسى بمساعدة الأمير سودون النائب ، وسبب ذلك أنه التزم بعمارة وقف المدرسة من ماله بثلاثين ألف درهم

(١) فى الأصل « حضروا » . هـذا وقد أثار العزاوى : العراق بين احتلالين ، ٢/١٩٢ — نقلا عن إنباء الغمر — أن الرسـل كانوا امرأة ورجلا فقط ، وأن الرجل اسمه « جبريل » ؛ لكن ابن حجـر ذكر فى إنباء الغمر ١ / ٣١٣ ، (طبعة حسن حبشى) أن ابن أويس جهز « امرأة » وأنها وصلت إلى « دمشق بجهزها بيدمر صحبة قريبه جبريل » .

(٢) فى الأصل « قاراباغ » لكن راجع العزاوى : العراق بين احتلالين ٢ / ١٩٢ .

(٣) أى فى الكتاب الذى جاء به رسل أحمد بن أويس .

(٤) مشيخة سـعيد السعداء وتعرف أيضا بالخانقاة الصلاحية وتقع بخط رحبة باب العيـد من القـاهرة وكانت تعرف أولا فى الدولة الفاطمية بدار سـعيد السعداء وهو الأستاذ قنبر أحد الأساتذة المحنكين من خدام القصر ، فلمـا تم الأمر لصلاح الدين بمصر حولهـا إلى دار برسم الفقـراء الصوفية الواردين على البـلد وذلك سنة ٥٦٩ هـ ، وكان شـيخها يعرف بشيخ الشيوخ ، وقد تولى أمرها يلبغا السالمى إصلاحا لهـا سنة ٧٩٧ ، وكانت عدة صوفيتها نحو الثلاثمائة رجل لكل منهم فى اليوم ثلاثة أرغفة زنتهـا ثلاثة أرطال ، وقطعة لحم زنتها ثلث رطل فى مرق ، ويعمل لهم الحلوى فى كل شهر ، ويفرق فيهم الصابون ، ويعطى كل منهم فى السنة أربعين درهما بدل كسوة ، أنظر خطط المقريزى ٢/٤١٤-٤١٥ .

وأن لا يتناول معلوم المشيخة بل يقنع بمعلوم التصوف فإنه كان من آحاد الصوفية بها، وعلى أنه لا يقرر بها صوفياً، ويوفر[1] منها أشياء حتى يعمر وقفها.

وفي سادسه خلع على رسل أحمد بن أويس متملك بغداد وتجهز جوابهم على يدهم، وسافروا.

[و في] ثامنه توجه السلطان فعدى النيل من الجيزة ونزل إلى جانب الأهرام وسافر إلى دلجة[2] وأقام في هذه السرحة إلى عشريه فصعد القلعة.

وفي هذا الشهر طرح الوزير الذي هو الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان على التجار قمحاً كثيراً زهاء عن مائة ألف وثمانية عشر ألف أردب، كل أربعة أرادب بثلاثة وتسعين درهماً: عنها أربعة دنانير، سعر كل دينـــار ثلاثة وعشرون درهماً وربع درهم، فمن هذه الأربعة أرادب: إردب بســبعة وعشرين درهماً [وربع درهم][3]، وأردب بستة وعشرين درهماً، والباقي معدل كل إردب بدينار، والله الواحد القهار.

وفيه خلع على قوزي السيفي واستقر والي قوص عوضاً عن مقبل الطيبي.

وفيه خلع على سعد الدين نصر الله بن البقري واستقر ناظر الديوان المفرد الذي استجده السلطان و [استقر أيضاً] ناظر ديوان المماليك.

---

(١) جاء هذا عن توفير نصيب من يموت.

(٢) وردت في السلوك باسم «دلنجة»، وفي القاموس الجغرافي لمحمد رمزي: دلجا بمركز ديروط (ق ٢، ج ٤، ص ٤٦)، ولكن دلكا بناحية ساحل الجوابر بتلا (ق ١، ص ١٧٥، ٢٤٩).

أما مراصد الاطلاع ٢/٥٣١ فقد قال «دلجة: بالفتح ثم السكون وجيم: قرية بصـعيد مصر في الجبل بعيدة عن الشاطىء».

(٣) الإضافة من السلوك، ١٥٧ ب.

وفيه استقر برهان الدين إبراهيم الصنهاجى [١] فى قضاء المالكية بدمشق ، عوضاً عن علم الدين محمد بن محمد القفصى .

(١٤ ب) وفيه خلع على موفق الدين ، فجهز إليه تشريف قضاة القضاة الحنفية بحلب عوضاً عن محب الدين محمد بن الشحنة .

وفى مستهل ذى الحجة [٢] قدم من الشام أربعة رجال من الفقهاء موثقين بالحديد اتهموا بأنهم سعوا فى المماكة فسجنوا ثم أحضروا بين يدى السلطان فى يوم الأربعاء رابع عشريه ، وتقدم كبيرهم أحمد بن البرهان وكلم السلطان عما سأله عنه ، ثم إنه أردف بالمواعظ التى تصدع القلوب والإنكار عليه وأنه عين أمر الشام بأمر المسلمين ، وعدّد للسلطان ما هو مرتكبه من أخذ المكوس ونحو ذلك ، وأنه لا يقوم بأمر المسلمين إلا إمام قرشى ، فأمر [السلطان] به وبأصحابه أن يعاقبوا حتى يعترفوا بمن معهم من الأمراء ، فتولى عقوبتهم صاحب الشرطة [٣] وسجنوا بخزانة شمائل :

[وفى] خامس عشريه وصل مبشرو الحاج وصحبتهم بطا الخاصكى ، وأخبروا أن آقبغا الماردينى أمير الحاج لما وصل إلى مكة خرج إليه الشريف محمد بن أحمد بن عجلان فى مستهل ذى الحجة لملاقاته على العادة للتقدمة ، فعندما التقاه نزل عن الفرس وقبل الأرض ثم [قبل] خُف [٤] الجمل ،

(١) أنظر عنه ابن حجر : إنباء الغمر ١/٧٩٦ ، والدرر الكامنة ج ١ ص ٣٠ ، وابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٥١ .

(٢) فى الأصل « القعدة » والصحيح ما أثبتناه بالمتن بعد مراجعة السلوك ، ١٥٧ أ ، والنجوم الزاهرة ١١/٢٤٦ .

(٣) يقصد بذلك حسام الدين حسين بن الكورانى والى القاهرة .

(٤) نص السلوك ، ١٥٧ أ على أنه انحنى ليقبل عتب الرج وليس خفّ الجمل .

وحين انحنى لتقبيل خُف الجمل هجم عليه اثنان من الفداوية فضربه أحدهما بخنجر فى عنقه فوجأه وصارا يقولان : « غريم السلطان » ، فلم يجسر أحد إلى التقرب (١) منهما وخر الشريف ميتاً (٢) ، واستمر يومه ذلك إلى أن جاء أهله فحملوه وواروه التراب . وكان كبيش على بعد فبلغه قتل الشريف ، وأما الفداويون فقتلوا إنساناً شبهوه بكبيش ولم يكن هو ، واستمر أمير الحاج لابساً (٣) السلاح هو ومماليكه مدة سبعة أيام احتراساً (٤) وخوفاً من الفتنة فلم يتحرك أحد وما انتطح فيها عنزان ؛ وخلع على الشريف عنان بإمرة مكة واستقر عوضاً عن المقتول وخطب له بها .

[وفى] تاسع عشريه قدمت (٥) رسل الحبشة بكتاب ملكهم الحطى (٦) واسمه داود بن يوسف أرعد (٧) ، ومعهم هدية يحملها عشرون جملا مشحونة بالطرائف والتحف ، من جملتها قدور قد ملئت بذهب صنع على هيئة الحمص .

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة ممن له ذكر

٥٧ — الأديب الفاضل الماهر الكامل صاحب الفصاحة والإجاد (٨) بدر الدين (٩) محمد بن بهاء الدين الشرف ، ترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال : « أديب مجيـــد » .

---

(١) أى الاقتراب . (٢) راجع النجوم الزاهرة ١١/٢٤٥ — ٢٤٦ .

(٣) « لابس » فى الأصـل ، ويلاحظ أن العبارة بأكلها هى نفس عبارة أبى الحاس فى النجوم الزاهرة ، ١١/٢٤٦ س ٣ (٤) فى الأصل «احتراصا» . (٥) فى الأصل «قدموا» .

(٦) الحطى لقب لقب به ملوك الحبشة أو على وجه التدقيق صاحب إقليم امحـرا الذى له الحكم على أكثر بلاد الحبشة ، راجع مفضل بن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٢٢٢ .

(٧) فى المقريزى : السـلوك ، ١٥٧ ب ، وأبى المحاسن : النجـوم الزاهرة ١١/٢٤٦ . « سيف » . (٨) يعنى الإجادة . (٩) الوارد فى السلوك ١٥٧ ب « بدر الدين أحمد بن الشرف محمد بن الوزير الصاحب فخر الدين محمد بن الوزير الصاحب بهاء الدين محمد » .

٥٨ – وتوفى الوزير الصاحب فخر الدين محمد (١) بن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليمان بن حنا يوم الجمعة رابع (٢) عشر جمادى الآخرة بمدينة مصر عن نيف وسبعين سنة . وكان عنده حشمة وموافاة ومهابة ومكارم أخـــلاق .

٥٩ – ومات الشريف أحمد (٣) بن عجلان بن رميثة الحسنى أمير مكة فى حادى عشرى شعبان عن نيف وستين سنة بمكة ودفن بالمعلاة (٤) ، وكان حسن السيرة والسريرة ، محافظاً على الصلاة والصِّلات ، رحمه الله تعالى .

٦٠ – وتوفى الشيخ الصالح الفاضل المعتقد شهاب الدين أحمد بن شرف الدين عبد الوهاب (٥) بن الشيخ أبى العباس الشافعى الدمنهورى ، الأديب الفاضل الشاعر البارع الباهر المـــاهر فى شهر الله المحرم عند عوده من الحجاز الشريف .

٦١ – وتوفى أمين الحكم شهاب الدين أحمد بن محمد الزركشى فجأة ليلة الجمعة تاسع عشر شهر ربيع الأول ، واتهمه بعض الناس أنه سم نفسه ، فإن مال الأيتام الذى فى المودع الحكمى تحت ختمه نقص نحو خمس مائة ألف درهم .

٦٢ – وتوفى الشهابى أحمد بن الناصر حسن بن المنصور قلاوون فى ليـــلة الخميس رابع عشر جمادى الآخر ودفن بمدرسة (٦) أبيه وكان أسن أولاده (٧) .

(١) ذكرت النجوم الزاهرة ١١/٣٠٧ اسمه هكذا « أحمـــد بن محمد بن محمد بن على بن محمد » .

(٢) فى الأصـــل « رابع عشرى جمادى الآخرة » وقـــد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة جدول السنين فى التوفيقات الإلهـامية ، ص ٣٩٤ حيث نص على أن السبت كان أول جمـادى الآخرة ، ولكن أورد المقريزى فى السلوك تاريخ وفاته يوم ٢٩ منه .

(٣) فى الأصل « الشريف سليمان بن أحمـــد » وهو خطأ لأن كنيته « أبو سليمان » كما ذكرت الدرر الكامنة ١/٥١٩ ، راجع أيضا النجوم الزاهرة ١١/٣٠٨ ، وإنباء الغمر ١/٣٢٠ .

(٤) عرفها مراصد الاطلاع ٣/١٢٩٠ بأنها موضع بين مكة وبدر .

(٥) فى السلوك ، «عبد الهادى... الشاطر» وهو الذى ترجم له ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٣٠٤ ، رقم ٤ ، وفى الدرر الكامنة ١/٥٠٠ ، ولكنه جعل وفاته سنة ٧٨٧ .

(٦) يقصد بها مدرسة السلطان حسن .

(٧) بعد هذه الكلمة فراغ فى المخطوطة بقدر سطر ونصف سطر .

٦٣ — وتوفى الشيخ عماد الدين إسماعيل بن الزمكحل الناسخ المجيد والتالى لكتاب الله المجيد ، مفرد زمانه ، ونادرة أوانه ، كان يكتب سورة الإخلاص على أرزة كتابةً واضحة ليس فيها عين أو واو منطمسة ، إلى غير ذلك من بدائعه ومحاسنه ومفاخره .

٦٤ — ومات الأمير جلبان بالشام وهو أحد الحجاب بها و[أحد] أمراء الطبلخاناة فى شهر رمضان ، وكانت سيرته حسنة .

٦٥ — وتوفى الأمير خليل بن ذلغادر أمير التركمان البزوقية [1] وصاحب أبلستين قتيلا فى الحرب مع الصارم إبراهيم بن عمر بالقرب من مدينة مرعش [2] عن نيف وستين سنة .

٦٦ — ومات الأمير سودون العلائى نائب حماة مقتولا فى وقعة التراكمين .

٦٧ — وتوفى الشريف محمد بن عطية [3] بن جماز بن منصور بن شيحة الحسنى أمير المدينة الشريفة .

٦٨ — وتوفى الشيخ الفرد القطب المعتقد المشهور بالزهد والورع شمس الدين محمد بن أحمد بن يوسف بن عثمان المقرئ بالقدس الشريف وكان رحمه الله كثير العبادة والتلاوة ، قرأ فى يوم واحد وليلته ثمانى ختمات ، وقدم القاهرة وأقبل عليه الناس واعتقدوه فتوجه إلى القدس فكانت منيته به ، رحمه الله .

(١) فى الأصل « اليزوقية » وفى السلوك « البزوقية » ، وفى النجوم الزاهرة ١١/٣٠٩ « اليروقية » و « البروقية » .

(٢) مرعش من مدن الثغور بين الشام وبلاد الروم ، وقد شيدها هارون الرشيد (مراصد الاطلاع ٣/١٢٥٩) وذكر لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦١ أنها قديمة البناء وجددها معاوية ثم حصنها الرشيد ، وتداولتها أيدى المسلمين والفرنجة الصليبيين حتى آلت لأن تكون داخلة فى نطاق مملكة أرمينية الصغرى .

(٣) « عطيفة » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٠٨ .

٦٩ ــ وتوفى الغيث الهمام والأسد الضرغام، الذى أفعاله كلها خالصة[1] لله القوى الشديد ، ذو الرأى السديد فى الله ، الورع الزاهد الكامل المحقق شمس الدين محمد بن يوسف بن إلياس القونوى[2] الحنفى بالشام عن نيف وسبعين سنة ، وكان قدم القاهرة مراراً .

٧٠ ــ وتوفى قاضى القضاة الحنابلة بالشام شمس الدين محمد المعروف بابن التقى .

٧١ ــ ومات ناصر الدين [محمد] (١٥ أ) بن الخطائى يوم الأربعاء ثالث عشرى شعبان ، وكانت له يد طولى فى علم الميقات حتى ترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى[3] [فقال] : « شيخ أهل الميقات » .

٧٢ ــ وكان فى رابع شهر رجب مات قريب[4] ابن الخطائى : [شمس الدين][5] محمد بن الغزولى ، ومعنى قولى : « قريب ابن الخطائى » يعنى فى العلم ، لا فى النسب .

٧٣ ــ وتوفى الزينى أبو بكر بن نور الدين على بن تقى الدين محمد ابن يوسف السعدى الحريرى[6] الأنصارى المشهور بالسندونى[7] أحد موقعى

---

(١) راجع شذرات الذهب ٦/٣٠٥ .

(٢) أوردها أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة بضم القاف وسكون الواو وفتح النون ، أنظر أيضا Wiet : op. cit No. 2449.

(٣) المقريزى : السلوك . ورقة ١٥٨ أ .

(٤) قال عنه أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٠ إنه « قرينه » بالنون ، أما المقريزى : السلوك ، ورقة ١٥٨ أ ، فسماه « قريعه » بالعين .

(٥) الإضافة من النجوم الزاهرة ١١/٣١٠ ، وأنظر Wiet: Les Biographies du Manhal Safi., No. 2453.

(٦) فى السلوك ، ١٥٨ أ « الخزرجى » .

(٧) انظر السلوك ، شرحه .

الدست فى نهار الخميس تخميناً خامس عشرى[(1)] رجب ، وكان لطيفاً ظريفاً كريمـاً ، حسن الطبع والخُلق والخَلق ، قال الشـيخ تقى الدين المقريزى : « وهو أحد من أدركناه فى الكرم والجود » .

٧٤ ــ وتوفى الشيخ الصالح العابد الناسك شرف الدين صدقة ، ويدعى محمد بن عمر بن محمد بن محمد العادلى شيخ[(2)] القادرية فى سادس عشر جمادى الآخرة بالفيوم ، ومن محاسنه ومناقبه أنه أحرم بالحج مرة من القاهرة .

٧٥ ــ ومات علم الدين يحيى بن فخر الدولة المعروف بكاتب ابن الديناري فى يوم الأربعاء تاسع[(3)] شهر ربيع الآخر بالقـاهرة وهو ناظر الدولة ، وكان نصرانياً ثم أسلم وخدم الأمير شرف الدين موسى الدينارى .

٧٦ ــ ومات ملك المغرب صاحب مدينة فاس واسمه موسى بن السلطان أبى عنان[(4)] فارس بن أبى الحسن المرينى فى جمادى الآخرة ، وأقاموا بعـده المستنصر محمد بن أبى العباس [أحمد] المخاوع [بن] أبى سالم ثم خلع بعـد شىء قليل ، وأقاموا الواثق محمد بن أبى الفضل بن السلطان أبى الحسن ، وكل ذلك بتدبير الوزير [ابن] مسعود .

* * *

(١) الوارد فى السلوك ، « الخميس ثالث ربيع الآخر » .

(٢) الوارد فى ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٢٤ أنه « صدقة بن الركن عمر » ، وأنه صحب « الفقراء القادرية إلى أن صار من كبارهم » ولم ترد فيه الإشارة إلى أنه كان شيخهم .

(٣) هـذا التاريخ أيضا وارد فى السلوك ، شرحه ، وبالرجوع إلى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٤ كان أول شهر ربيع الثانى هو الأربعاء وبذلك يكون تاسع عشره هو الأحد .

(٤) فى الأصل « عثمان » ، لكن راجع السلوك ، ورقة ١٥٨ أ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣١٠ .

سنة تسع وثمانين وسبعمائة
من الهجرة النبوية على صاحبها
أفضل الصلاة والسلام

* * *

أولها[1] يوم الخميس :

فلما كان يوم الثلاثاء سابع عشر[2] صفر حضر الأمير ألطنبغا الجوبانى من الكرك بطلب من السلطان فأعظمه وبجله ورفعه وبالغ فى الإكرام إليه بكل وجه وأفاض عليه خلعة نيابة[3] دمشق — وهى خلعة سنية جداً لم يتفق لمن قبله مثلها — عوضاً عن أشقتمر الماردينى .

وفيه خلع على جمال الدين ميخائيل الأسلمى واستقر فى نظر الإسكندرية عوضاً عن علم الدين توما بحكم عزله ، وكان ميخائيل هذا قد أسلم يوم الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة الماضية بحضرة السلطان وركب بغلة وعمل ناظر الخاص .

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ أن السنة أهلت بيوم الثلاثاء الموافق ٢٢ يناير ١٣٨٧ ، وهذا يطابق ما جاء فى تقويم النيل ، ص ١٩٤ ولكنه لم يحدد اسم اليوم .

(٢) يتفق هذا وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٥ ، وكذلك أول شهر ربيع الأول .

(٣) راجع ابن حجر : إنباء الغمر ١/٢٣١ .

وفيه خلع على الأمير زين الدين مبارك شاه واستقر متولى البهنساوية فى الوجه القبلى عوضاً عن أيدمر الشمسى المشهور لقبه « أبو زلطة » .

وفيه استقر سعد الدين بن بنت المالكى الوزير مستوفى ثغر الإسكندرية .

[وفى] سابع عشريه رسم لشمس الدين بن مشكور باستقراره فى نظر الجيش بدمشق عوضاً عن ابن بشارة :

* * *

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الجمعة :

فيه[1] برز الأمير ألطنبغا الجوبانى إلى التوجه لمحل كفالته بالبلاد الشامية بعد ما خلع عليه السلطان خلعة سنية وأركبه فرساً خاصاً[2] بسرج ذهب وكنبوش زركش ، ورسم له بعدة خيول جنائب من الاصطبلات الشريفة وأنعم عليه بثلاثمائة ألف درهم فضة خارجاً عما قدمه له الأمراء ، فمن جملة ما أرسل إليه الأمير أيتمش الأتابكى : مائة ألف درهم فضة وعدة بقج قماش بنحو التسعين ألف درهم ، وقس على هذا مراتب الأمراء ، وتوجه معه مسفراً قرقماس الظاهرى ، وتوجه فى أبهة عظيمة وضخامة زائدة وتجمل كثير .

وفى رابعه جلس السلطان فى بعض أماكنه لينظر إلى جهة البحر فرآى خيمة مفروشة بشاطئ النيل فأرسل يكشف عن الذين بها ويحضرهم ، فإذا فيها كريم الدين بن مكانس وشمس الدين أبو البركات يتعاطيان الخمر فى خواصهما فأحضرا بين يديه فضربهما بالمقارع ، وألزم ابن مكانس بمائة ألف درهم فحملها .

(١) يستفاد من الضمير هنا على أن سفر ألطنبغا إلى دمشق كان فى شهر ربيع الأول ، على حين ينص أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/٢٤٦ على أن هذا السفر كان يوم ١٩ صفر وليس فى ربيع الأول .

(٢) فى الأصل « فرس خاص » .

وفيه خلع على عمر بن إياس قريب قرط – الذى وسط – واستقر فى ولاية الشرقية عوضاً عن أوناط اليوسفى :

وهمَّ السلطان – بل عزم – على عرض أجناد الحلقة وتحدث فى ذلك ، فسأله شيخ الإسلام البلقينى فى إعفائهم فأجاب سؤاله .

[وفى] عاشر ربيع الآخرة بدأ السلطان بلعب الرمح ورسم للمماليك السلطانية بذلك ، فاستمر .

وتواترت الوقيعة والمرافعات فى ميخائيل ناظر الإسكندرية فعزل عنها بعد أن قبض عليه الأمير جمال الدين محمود شاد الدواوين وسجنه ، وسعى أهل الثغر فى ذلك بمال كبير ، ثم شرعوا يثبتون[1] أنه زنديق فسطروا محضراً بعد إذن الحاكم وشهد فيه سبعة وأربعون[2] نفساً ، فضربت رقبته بالثغر فى يوم السبت ثالث عشره[3] .

وفى هذا الشهر ضربت فلوس بسفارة الأمير جركس الخليلى فى قلعة الجبل وجعل اسم السلطان فى حلقة ، فنفر السلطان من ذلك وتطير ، وقال بعض الناس : « هذا الفعل يخبر بأن الدائرة تدور عليه ويسجن ويضيق عليه » ، فأبطلوها وأعادوا ما ضربوه .

وجاء الخبر بأن أعداء الله الفرنج – عليهم اللعنة – نزلوا على ساحل طرابلس فخرج إليهم النائب وعساكر المسلمين فحاربوهم وكسروهم وأخذوا منهم ثلاث مراكب بعد أن قتلوا منهم جماعة كثيرة ، فلله الحمد والشكر على ذلك .

---

(١) فى الأصل « يثبتوا » . (٢) فى الأصل « وأربعين » .

(٣) أنظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٣٤ .

وفيه وصل البريد بأن الغلاء شائع بدمشق وأن الرطل الخبز بدرهم ، وأن الجرة الماء بلغت فى القدس نصف درهم .

وفيه ورد الخبر من مكة المشرفة أن كبيش بن عجلان دهم مكة وأخذ من جدة ثلاث مراكب مشحونة بالقماش للتجار .

وفيه أيضاً قدم البريد مخبراً بأن نائب أبلستين فى محاربة هو وابن ذلغادر :

[وفى] ثالث شهر جمادى الآخرة أخذ قاع النيل فإذا هو سبعة أذرع وأربعة أصابع .

[وفى] سادسه خلع على الأمير ناصر الدين [محمد] بن مبارك شاه حفيد المهمندار واستقر نائب حماة عوضاً عن سودون العثمانى (١٥ ب) بحكم عزله واستقراره فى إقطاع ابن المهمندار بحلب .

[وفى] سادس عشره الموافق له تاسع أبيب (١) توقف البحر عن الزيادة ، بل نقص فحصل عند الناس بذلك غاية الجزع والهلع وبادروا لمشترى الغلة وزاد (٢) فى رابع عشريه .

[وفى] ليلة ثامن عشريه طلع فى السماء كوكب من جهة الشمال كبير الهيئة وامتد إلى جهة الغرب وله ثلاث شعب ، فى إحدى الشعب ذنب طويل طول رمح وله نور يضىء على نور القمر ، ثم بعد ذلك انتقل امتداده من الغرب إلى الجنوب وسمع الناس له صوتاً مزعجاً مهولا .

(١) هكذا أيضا فى السلوك ، لكن بمراجعة التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ يتبين أن سادس عشر جمادى الآخرة هو العاشر من أبيب سنة ١١٠٣ ق وليس تاسعه ، ومع ذلك فقد ورد نفس التاريخ القبطى فى إنباء الغمر ١/٣٣٥ .

(٢) أي النيـــل .

[وفى] سلخه قدم الخبر بأن تمرلنك هجم على قرا محمد(١) وكسره ففر منه فى نحو المائتى فارس ونزلوا بالقرب من مَلَطْيَة(٢) ، وتمرلنك مقيم على آمد(٣) ، فاستدعى السلطان القضاة والعلماء والفقهاء والأمراء وتحدث معهم فى أخذ أموال الأوقاف ليصرفها وبعد سنة يعيدها(٤) ، وعين السلطان أربعة من الأمراء المقدمى الألوف ، وهم : الأمير ألطنبغا المعلم أمـــير سلاح والأمير قردم والأمير يونس الدوادار والأمير سودون باق ، وسبعة أمراء من الطبلخاناة ، وعين من أجناد الحلقة ثلاثمائة فارس ، وخرجوا من القاهرة فى مستهل رجب وساروا إلى حلب ومتوليها سودون المظفرى :

ووصل الخبر بأن قرا محمد وولد تمرلنك وقع بينهما حرب شـــديدة(٥) ، وانكسر ابن تمرلنك فيها :

---

(١) هو قرا محمد صاحب تبريز .

(٢) الضبط من مراصـد الاطلاع ٣/١٣٠٨ حيث أضاف أن العامة تفتح أوّله وثانيه وتكسر الطاء وتشدّد الياء ؛ هذا و يوجد بها جامع بالغ الضخامة .

(٣) قال ابن عبد الحـق البغدادى فى تفســير لفظ آمد إنه لفظ رومى وقال عنها « بلد قديم حصين مبنى بالحجارة السوداء على نشز ، ودجلة محيطة بأكثره » أنظر مراصد الاطلاع ١/٦ ، وهى من مدن ديار بكر ، و يتفق الجغرافيون العرب على بنائها بالحجر الأسود مما جعل البعض يسميها « بقره آمد » أى آمد السوداء ، ومن هذا الحجر تتفجر عين ماء عذبة ، أنظر هذه الآراء بالتفصيل فى لسترانج : بلدان الخــلافة الشرقية ، ص ١٤٠ — ١٤٣ .

(٤) انفردت نزهة النفوس بالإشارة إلى أن الظاهر حدّد استيلاءه على الأوقاف بمدّة ســنة واحدة فقط ؛ ويستفاد من السلوك ، ورقة ١٥٩ ب ، أن هذه الأوقاف كانت من الأراضى الخراجية .

(٥) الوارد فى العزاوى : تاريخ العــراق بين احتلالين ٢/١٩٥ أن قرا محمـــد التركمانى مضى إلى تبريز فملكها وقرر فيها ولده مصر نجـا .

وفى تاسع عشر رجب[1] برز المرسوم الشريف للقاضى جمال الدين محمود العجمى محتسب القاهرة بطلب التجار أصحاب الأموال وغيرهم ممن له مال، وأن تؤخذ منهم زكوات أموالهم، وأن يتولى ذلك معه قاضى القضاة الحنفية شمس الدين الطرابلسى ويحلفهم على ما يملكونه[2]، وعمل ذلك يوما واحداً لأجل التجريدة لابن تمرلنك ثم بطل هـذا وردوا لهم ما أخذوه منهم، فإن الخبر قدم برجوع ابن تمرلنك إلى بلاده، وكفى الله المؤمنين القتال.

وجهز نائب الشام رجلا غجرياً تركياً متهم بأنه جاسوس من تمرلنك، فضرب وعوقب فأقر على اثنين قدما صحبته إلى دمشق فكتب بطلبهما[3] إلى القاهرة.

[وفى] سادس عشريه [ويوافق] تاسع عشر مسرى كان وفاء النيل ستة عشر ذراعاً[4].

* * *

شهر شعبان: أهل[5] بيوم الجمعة

يوم الاثنين[6] رابعه استدعى السلطان الشيخ ناصر الدين محمد بن بنت الميلق الشافعى، وولاه قضاة القضاة الشافعية بالديار المصرية فقبل بعد امتناع

---

(١) الوارد فى إنباء الغمر ١/٣٣٧ «تاسع رجب».

(٢) فى الأصل «يملكوه». (٣) فى الأصل «بطلبهم».

(٤) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ أن فيضان النيل هذه السنة بلغ ١٨ ذراعا و١٥ قيراطا، على حين أن الوارد فى النجوم الزاهرة أن وفاء النيل كان يوم ١٧ مسرى، أنظر فى هذا أيضا تقويم النيل، ص ١٩٥.

(٥) ذكرت التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ أن أول شعبان كان السبت، ومع ذلك فإن المؤلف يقول فى السطر التالى «يوم الأربعاء رابعه»، وهذا خطأ سواء أخذنا بالتاريخ الذى ذكره ابن الصيرفى أو الذى ورد فى التوفيقات.

(٦) فى الأصل «الأربعاء»، راجع السطر أعلاه حيث يذكر أن أول شعبان هو الجمعة مما يتفق وما ورد فى السلوك، على حين أنه بمراجعة التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ يظهر أن أوله السبت.

– وصلى ركعتى الاستخارة – عوضاً عن قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن أبى البقاء :

[وفى] سادس عشريه خلع على علم الدين عبد الوهاب[1] بن القسيس كاتب سيدى ، واستقر وزيراً بالديار المصرية ، ومدبر الممالك الإسلامية ، عوضاً عن الصاحب شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان :

* * *

شهر رمضان

أهل بيوم الأحد :

[فى] ثانيه خلع على أمين الدين بن ريشة[2] واستقر فى نظر الدولة عوضا عن كريم الدين بن مكانس .

[وفى] تاسعه استقر جلال الدين عبد الرحمن بن الشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى مفتياً بدار العدل بحكم رغبة أخيه بدر الدين محمد فى ذلك له :

وانتهت زيادة ماء النيل إلى ثمانية عشر ذراعاً وأربعة عشر إصبعاً ، مع الثبوت إلى خامس بابه الذى هو أحد الشهور القبطية :

---

(١) راجع السيوطى : حسن المحاضرة ٢/١٣٠ ، وإنباء الغمر ١/٣٥٩ ترجمة رقم ٢١ ، ١/٣٨٧ ترجمة رقم ٢٧ ، هذا ويلاحظ أن الوارد فى الإنباء ١/٣٣٣ هو أنه « فى أواخر شعبان استقر فى الوزارة علم الدين إبرهيم القبطى كاتب سيدى » وكان توليه الوزارة بناء على توصية من ابن كاتب أرلان .

(٢) ترجم له أبو المحاسن فى المنهل الصافى باسم « عبد الوهاب » ، ثم عاد فسماه فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٦ باسم « عبد الله بن فضل الله » ، أنظر Wiet: op. cit No. 1343.

[وفى] ثامن عشره نزل السلطان وجلس بالمقعد المطل على الإصطبل والميدان للحكم ، وكان نودى قبل جلوسه بيومين : « من ظلم ، من قهر ، من أوذى عليه بالإصطبلات الشريفة يوم الأحد والأربعاء » ، فداخل أهـل الدولة والمباشرين من ذلك إرجاف شديد ، ووثبت الأسافل على الأعالى :

وفيه قدم الشريف على بن عجلان بسبب إمارة مكة ، ووصل الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس حصل بينه وبين كبيش مقاتلة عظيمة قتل فيهـا كبيش ومعه عدة من بنى حسن ، ورجع عنان منصوراً فشق على المجاورين :

[وفى] خامس عشريه أخلع على نجم الدين الطنبدى وكيل بيت المال واستقر محتسب القاهرة عوضاً عن جمال الدين محمود ، ويقوم للسلطان بمبلغ ألفى[(١)] دينار ، وخلع على جمال الدين محمود واستقر قاضى العسكر عوضاً عن شمس الدين القرمى بحكم وفاته .

وفى ثالث شوال استقر شمس الدين محمد النويرى فى قضاء طرابلس بعد تمنع كبير :

وقدم الخبر بوصول العسكر إلى حلب فى أول شهر رمضان :

ووصل الأمير جبرائيل الخوارزمى والأمير ناصر الدين [محمد] بن بيدمر نائب الشام فغضب[(٢)] السلطان عليهما وسلمهما إلى علاء الدين [على] بن الكورانى متولى دار الحرب[(٣)] ، ورسم له أن يستخلص منهما مائة ألف درهم فضـة .

(١) فى الأصـل « ألفـين » ويلاحظ أن الوارد فى إنباء الغمر ١ /٣٣٧ أنه بذل فيها خمسين ألف درهم وقيمتها يومذاك أكثر من ألفى مثقال ذهبا ، أنظر أيضا تاريخ ابن الفرات ١٧/٩ .

(٢) يستفاد من ابن قاضى شهبة ، ورقة ٢٤ أ - ب أن الخوارزمى وناصر الدين بن بيدمر كانا فى سجن دمشق ، ولم يكن غضب السلطان عليهما جديدا منذ مقدمها إلى مصر كما قد يستفاد من قراءة النص أعلاه .

(٣) لم يعرف عنه أنه تولى مثل هذه الوظيفة ، أنظر ابن حجر : إنباء الغمر ٣٣٣/١ .

[وفى] خامس عشره خلع على الشريف على بن عجلان واستقر أمــير مكة شريكاً لعنان وتوجه إليها .

* * *

وكان فى عاشره ركب السلطان إلى سرحة سرياقوس على العادة ، ورسم بإحضار الأمير يلبغا الناصرى من دمياط فوصل إلى سرياقوس فى ثالث عشره فقبل الأرض وباس رجل السلطان فقربه وأكرمه وأدناه وركب [يلبغــا] فى الخدمة ، وأنعم(١) [السلطان] عليه بمائة فرس ومائة جمل وأشياء كثيرة من السلاح والثياب والأموال ، لعل قيمة ذلك زهاء عن خمسمئة ألف درهم فضة ، وأرسل(٢) إليه الأمراء أشياء كثيرة على حسب مراتبهم ، ورجع السلطان من سرحته فى أول شهر ذى القعــدة فخلع على الأمير يلبغا الناصرى فى خامسه واستقر(٣) به نائب حلب على عادته عوضاً عن سودون المظفرى ، واســتقر سودون فى أتابكية العساكر بحلب ثم خلع عليه خلعة السفر فى ثامنه وسافر من القاهرة فى تاسعه إلى محل كفالته .

وفى ثامن عشره حضر البريد مخبراً بأن نائب ملطية : تمربغا الأفضلى منطاش خامر على السلطنة وطاوعه على ذلك القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس وانضم إليهما نائب ألبيرة ويلبغا المنجكى وعدة من المماليك الأشرفية :

[وفى] ثالث عشره عدى السلطان من البحر إلى الجيزة وتصيد .

وفى العشرين منه خلع على قطابغا الصفوى واستقر فى ولاية قليوب ، عوضاً عن الصارم إبراهيم الباشقردى :

[وفى] ســادس عشريه (١٦ أ) عاد السلطان من الرماية بالبحيرة فى موكب جسيم فصعد إلى القلعة .

---

(١) انظر ابن الفرات : تاريخ ٩/١٩ (٢) فى الأصل « وارسلوا » .
(٣) فى الأصل « بها » .

[وفى] تاسع عشريه وصلت رأس بدر بن سلام أحد مشايخ البحيرة وأعيانها فعلقت على باب السلسلة وكان هذا المذكور قد كثر فساده وانتشر، وصار السلطان يعمل فى حيلة يقبض عليه بها إلى أن وثب عليه بعض أتباعه فقتلوه وحملوا رأسه إلى الكاشف فجهزها إلى الأبواب الشريفة، وكفى الله المؤمنين شره .

وفيه جهزت خلعة التشريف بقضاء القضاة الحنفية بدمشق باسم نجم الدين أبى العباس أحمد بن عماد الدين إسماعيل بن شرف الدين محمد بن العز صالح المعروف بابن الكشك (١) عوضاً عن تقى الدين الكفرى (٢) .

[وفى] رابع شهر ذى الحجة خلع على زين الدين أمير حاج بن مغلطاى واستقر نائب الإسكندرية عوضاً عن بجمان المحمدى (٣) .

[وفى] خامس عشريه قدم مبشرو الحاج وذكروا أن عنان بن مغامس قاتل (٤) الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار (٥) أمير الحاج وسار من مكة على تجاة فدخل على ابن عجلان واليها (٦) وقرئ تقليده بالحرم وتسلم مكة ، ثم خرج فى طلب عنان فانهزم منه .

(١) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠٢ ترجمة رقم ١٥ .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ٢٠٣ ، س ٣ وما بعده .

(٣) فى الأصل « المحمودى » والصواب ما أثبتناه بالمتن .

(٤) فى الأصل « قابل » ولكن نهاية الخبر ترجح هذا التعديل الذى أثبتناه فى المتن ، لا سيما وأنه يستفاد من السلوك ، ١٦٠ ب ، أن ابن مغامس « لم يقابل » الأمير قرقماس .

(٥) كان استقراره فى الخازندارية سنة ٧٨٤ ، انظر النجوم الزاهرة ١١/٢٣١ .

(٦) « إليها » فى الأصل وكذلك فى السلوك مما لا يستقيم معه المعنى .

وفى هذه السنة خلع سلطان المغرب متملك فاس فى خامس رمضان وهو الواثق محمد أبو الفضل بن أبى الحسن، وأعيد السلطان أبو العباس أحمد ابن سالم بن إبراهيم أبى الحسن ملك فاس الذى كان مخلوعاً وحمل الواثق إلى طنجة(١) فسجن بها :

* * *

ذكر من توفى فى هذا العام من المشاهير

٧٧ — الوزير الصاحب شمس الدين إبراهيم بن كاتب أرلان(٢) فى ليلة الثلاثاء السابع ، والصحيح السادس عشر من شعبان، وكان نصرانياً من قبطة مصر، وأظهر الإسلام فخدم الأمراء والأعيان إلى أن اتصل بخدمة السلطان الملك الظاهر وهو أمير فقربه وأدناه وجعله ناظر(٣) ديوانه ، ثم لما صار [السلطان] فى المملكة فوض إليه الوزارة وكانت أحوالها غير مستقيمة لعدم حاصلها وواصلها من الغلال والأغنام والمال فإن أعيان جهاتها وبلادها مؤجرون مع أصحاب الشوكة من الأمراء بحكم النصف وأقل من ذلك ، فسأل السلطان فى أنه لا يؤجّر شىء من بلاد السلطان لأحد وأن تنفذ كلمته وأن لا يحمى أحد عليه فرسم له بذلك، وباشر الوزارة مباشرة حسنة وسار فيها سيرة

(١) طنجة مدينة واقعة على ساحل بلاد المغرب مقابل الجزيرة الخضراء من البر الأعظم وبلاد البربر، وكانت تعتبر آخر حدود أفريقية من جهة المغرب، انظر ياقوت ، ومراصد الاطلاع ٢ / ٨٩٤ .

(٢) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٣٨، والدرر الكامنة ١/٣٢ ، وأبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/٣١٢ .

(٣) المعروف أن الديوان الخاص كان من مستحدثات الملك الظاهر برقوق وجعل الحديث فيه لأستاداره الكبير ، انظر فى ذلك القلقشندى : صبح الأعشى ٣/٣ء٤ ؛ ويستفاد من إنباء الغمر ١/٣٣٨ أن صاحب الترجمة «خدم» فى ديوان برقوق وقت أن كان أتابكا ولم ترد فيه الإشارة إلى أنه جعله «ناظر» ديوانه كما بالمتن .

محمودة فنفذت أموره ومشت أحواله وصار له حرمة زائدة وشوكة منتصرة، وهو مع ذلك ملبسه ليس بالناعم الترف وكذلك مركبه ليس بالخاص، وإنما هو كآحاد الكتاب ولكن آراؤه سديدة وأفعاله حميدة وأقواله صادقة غير مردودة، وجل ما هو فيه أنْ كف أيدى الأمراء عن اتخاذهم النواحي وصار يضبط الجهات ضبطاً جيداً بنفسه، فأثرى مال الدولة وصار حالها على القاعدة القديمة والقوانين المحررة؛ وكان السلطان مطيعاً له في كل ما يروم فهابه الخواص والعوام، وكان بطل من الدولة مطابخ السكر فجددها وأمثال هذا كثير، وقد سردنا غالب وصفه وما هو منطو عليه عند استقراره في الوزارة فمن أراد الوقوف عليه فليراجعه؛ وتوفى وقد جمع حاصلا عظيما وهو من الفضة ألف ألف درهم، ومن الغلال ثلاثمائة ألف وستون أردباً، ومن الأغنام ستة وثلاثون ألف رأس، ومن الطيور الأوز والدجاج مائة ألف طائر، ومن الزيت ألف قنطار، ومن السكر كذلك، ومن ماء الورد أربعمائة قنطار، فضبط قيمة هذا جميعه خمسمائة ألف دينار، والملك لله الواحد القهار.

٧٨ — ومات الأمير تاج الدين إسماعيل(١) بن مازن الهوارى وخلف أموالا لا تحصى من كثرتها:

٧٩ — وتوفى القاضي شهاب الدين أحمد بن الجمال إبراهيم بن إسحق المعراوى(٢) الشافعي خطيب المدرسة(٣) وشاهد الاصطبلات السلطانية وكان من الأذكياء الحذاق [مات] في يوم التاسع عشر من صفر.

(١) كان من أكابر أمراء العرب بصعيد مصر، انظر الدرر الكامنة ١/٣٤٩، وابن قاضى شهبة: الإعلام ٢٦ أ.

(٢) هكذا في الأصل ولكنه وارد باسم «الغزاوى» في إنباء الغمر ١/٣٣٩ والدرر الكامنة ١/٢٢٣، وجعل الأول وفاته في صفر مطلقا على حين ذكر المرجع الثاني أنها كانت في أواخر صفر.

(٣) الأرجح أنه يقصد المدرسة الصالحية كما أشارت إنباء الغمر ١/٣٣٩، والدرر الكامنة ١/٢٢٣.

٨٠ – وتوفى الأمير سيف الدين بهادر كاشف الوجه البحرى فى نصف شهر رمضان ، وكان مشهوراً بالفروسية :

٨١ – وتوفى الشيخ صدر الدين سليمان بن يوسف بن مفاح الياسوفى[(١)] بدمشق وهو فى الاعتقال بقلعتها ، وسببه أنهم – أعنى أهل الشام – اتهموه بأنه مال إلى الفقهاء الظاهرية وكان من الأعيان المتفقهين ، الشافعى مذهباً ، وليس بها أعلى سنداً منه فى الحديث :

٨٢ – ومات الأمير سيف الدين طَيْنال[(٢)] الماردينى وهو من جملة عتقاء الناصرى محمد ولد قلاوون ، خدم وترقى إلى أن صار فى الأيام الناصرية حسن من جملة الأمراء المقدمين ، ثم أعرض عنه فنفاه إلى دمشق فأقام بها إلى أن تسلطن الملك الأشرف شعبان بن حسين فاستدعاه إلى القاهرة وأعطاه إمرة مائة مقدم ألف ، ثم بعد مدة صرفه عنها وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ثم استقر به والى قلعة الجبل وباشرها مدة ، ثم رسم له أن يكون طرخاناً بعد أن أنعم عليه بإمرة عشرة فاستمر مهاباً[(٣)] إلى أن أدركه الأجل فى شهر رمضان :

٨٣ – [ومات] الأمير سيف الدين طقتمش الحسنى أحد الأمراء الطبلخاناه وأصله من المماليك اليلبغاوية :

---

(١) راجع إنباء الغمر ١/ ٣٤٠ ، الدرر الكامنة ٢/ ١٨٦٩ .

(٢) ورد اسمه فى الدرر الكامنة ج ٢ ، ص ٣٣٥ حاشية رقم ٢ باسم « طيلان » ، هذا وقد اعتمدنا فى ضبطه على ما جاء فى النجوم الزاهرة ١١/ ٥٥ ، وكذلك ترجمته فى نفس المرجع والجزء ، ص ٣١١ ، والدرر الكامنة ٢/ ٣٣٤، ٣٣٥ .

(٣) يستدل مما جاء فى النجوم الزاهرة ١١/ ٣١٢ على أنه ظل طرخانا حتى مات ، وهى نفس عبارة السلوك ، ولذلك يجب أن تكون « بها » لا « مهابا » .

٨٤ – (١٦ ب) وتوفى[(١)] الشيخ العالم الفاضل الفقيه المحدث المهذب المفنن زين الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن السلجماسي المغربي بلداً ، المالكي مذهباً في سابع شهر رجب بغزة ، وكان قد سمع بغرناطة : أبا البركات محمد بن إبراهيم البلبيني[(٢)] وبمكة : ضياء الدين أبا الفضل محمد ابن خليل بن عبد الرحمن بن محمد بن عمر بن حسين[(٣)] القسطلاني ، وبالمدينة الشريفة : عفيف الدين المطرى ؛ وكان له يد طولى في الفقه ومهر فيه وفي غيره ، ودخل مصر والقاهرة فأقام بهما زمناً إلى أن ولي القضاة المالكية بمدينة حلب فسار إليها ، ولم يشكر الناس سيرته في المنصب فإنه كان عنده تعصب وتعسف فعزل عنها وعاد إلى غزة فأدركته منيته بها .

٨٥ – ومات الرئيس[(٤)] على بن عنان الناظر بالخاص في ليلة الجمعة ثاني عشر شوال .

٨٦ – وتوفى الخطيب ناصر الدين محمد بن على بن محمد بن هاشم[(٥)] ابن عبد الواحد بن هشام الحلبي الشافعي [بن أبي العشائر] ، [مات] في ليلة الأربعاء سادس عشرى ربيع الآخر بالقاهرة ، وكان عالماً في سائر العلوم من التفسير والفقه والحديث والأصول والنحو والمعاني والبيان والعروض وينظم

---

(١) حدث خلط في ترتيب أوراق المخطوطة ، فهذه ورقة ١٧ ب بها ، ولكن الصحيح ما أثبتناه .

(٢) في السلوك « البلفيق » ، وفي الإنباء ١/٣١ « البلقيعي » .

(٣) « حسن » في السلوك .

(٤) الوارد في النجوم الزاهرة ١١/٣١٢ أنه كان من أعيان تجار الكارم بمصر ، هذا وقد أرخ السلوك وفاته يوم ١٨ شوال .

(٥) في الأصل « هشيم » ، ولكن راجع إنباء الغمر ١/٣٤٤ – ٣٤٥ ، والدرر الكامنة ٤/١٠١ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣١٤ ، وشذرات الذهب ٧/٣٠٩ .

الشعر الحسن إلى غير ذلك من المحاسن الجميلة والأوصاف الجليلة ، وولى هو ووالده[(١)] خطابة حلب ودخل القاهرة فوافاه أجله سريعاً .

٨٧ — وتوفى القاضى فتح الدين محمد بن قاضى القضاة بهــاء الدين عبد الرحمن بن عقيل الشافعى موقع الدرج[(٢)] فى الحادى والعشرين من شــهر صـــفر .

٨٨ — وتوفى الشيخ محب الدين عبد الله بن أحمد بن المحب الحنبلى الدمشقى بها ، وكان من أكابر المحدثين ومن الزهاد المتورعين ، رحمه الله .

٨٩ — ومات الشيخ أمين الدين محمد بن محمد بن محمد[(٣)] النسفى الخوارزمى اليلبغاوى المشهور بالخاواتى فى السابع والعشرين من شعبان خارج القاهرة .

٩٠ — وتوفى القاضى شمس الدين القرمى الحنفى قاضى العسكر فى سابع عشرى ربيع الآخر :

٩١ — ومات القاضى شمس الدين محمد بن على بن الخشاب الشافعى فى تاسع عشرى شعبان .

---

(١) كان توليه خطابة الجامع بحلب فى أخريات أيامه كما قرر ابن حجر فى الدرر الكامنة ٣/٢٦٨ نقلا عن ابن حبيب .

(٢) عرف القلقشندى : صبح الأعشى ١/١٣٨ وظيفـة كاتب أو موقع الدرج بأنه هـو الذى يكتب ما يوقع به كاتب السر أو كاتب الدست أو إشارة النائب أو الوزير أو رسالة الدوادار أو نحو ذلك من التقاليد والتواقيع والمراسيم والمناشير .

(٣) فى الأصل «أحمـد» ، وقد صحح إلى ما بالمتن بعد مراجعة اسمه فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٣ وكذلك إنباء الغمر ١/٣٤٥ — ٣٤٦ ، هذا وقد وردت كلمـة « الخلوتى » فى النسخ الأخرى الخطية من الإنباء كما جعل بعضها وفاته فى شعبان وبعضها الآخر فى رمضان .

٩٢ — و [مات] القاضى شمس الدين محمد بن الوجيه فى سابع ربيع الأول ، وكان رئيساً باشر نظر المواريث ونظر الأوقاف بالقاهرة وشهادة الجيش .

٩٣ — وتوفى الشيخ محمد بن قطب البكرى الشافعى فى خامس عشر شوال ، وكان ذكياً نبيهاً تصدر للاشتغال بالفقه .

* * *

سنة تسعين وسبعمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

* * *

فى شهر الله المحرم قدم الخبر على يد قاصد الأمير منطاش بأنه باق على طاعة السلطان فعقبه البريد من حلب مخبراً بضدّ ما كتب به ، وأنه « ما قصد بهذا الكلام إلا تطميناً لكم ومدافعة عنه إلى أن يدخل الشتاء وتسد الطرق من الثلوج » فجهز السلطان عند ذلك الأمير سيف الدين ملكْتَمر الدوادار للكشف عن حاله فى الباطن ، وأرسل معه فى الظاهر عشرة آلاف دينار للأمراء المجردين يتوسعون بها وينفقون منها ، وجل المقصود أن يعرف ما عليه منطاش من الطاعة أو العصيان .

وفيه قدم الأمير جمق الأتابكى أيتمش من حلب وكان توجه مع الناصرى مسفراً إلى حلب فقلده .

[وفى] يوم السبت حادى عشريه قدم الأمير قرقماس أمير الحاج بالمحمل فأخلع عليه ، وذكر أن الحاج أصابهم سيل عظيم فى مواضع متعددة منها

ترعة حامد ووادى القباب ، وهلك منه خلق كثير من الغرق وتلف لهم أمتعة زائدة ، وذلك فى ليلة الثلاثاء عاشره :

وفيه سمر على بن نجم أمير عربان الفيوم ومعه عشرون رجلا وذلك بسبب قتلهم محمداً وعمراً ابنى شادى[(١)] .

وفيه أخلع على الأمير علاء الدين آقبغا المارديني كاشف الأعمال الجيزية.

وفيه قدم رسل ابن عثمان صاحب برصا فأنزلوا بالميدان بخط موردة الجبس[(٢)] وأجرى لهم [السلطان] راتباً يكفيهم .

وفيه خلع على عمر بن خطاب واستقر فى ولاية الفيوم وكشفها ، وأضيف إليه كشف البهنساوية وأطفيح عوضاً عن أمير أحمد بن الركن .

وفى مستهل صفر خلع أيدمر نائب الوجه البحرى وعزل قطاوبغا أبودرقة ، وخلع على أبو درقة واستقر فى نيابة الوجه القبلى :

وفى ثامن عشره صعد رسل ابن عثمان إلى الخدمة ومثلوا بين يدى المقام الشريف وقدموا هديتهم فقبلت ، وأخبروا بذهاب تمرلنك من توريز إلى سمرقند ، وأخبروا بغلو الأسعار فى سائر البلاد الشامية حتى أبيعت الغرارة القمح فى بلد الرملة بثلاثمائة درهم فضة ، فشرع أهل مصر فى نقل الغلال إليها .

وفيه ورد الخبر بأن الشريف عنان بن مغامس اقتتل مع الشريف على ابن عجلان ، وجهز على قاصداً إلى الديار المصرية يسأل السلطان فى العفو عنه :

---

(١) فى إنباء الغمر ١/ ٣٤٩ « إبنى شاد واليهم » .

(٢) وتعرف أيضا بموردة البلاط .

وفيه قدم البريد بأن منطاش برز من [البلاد الشامية](١) إلى سيواس فوجه السلطان البريد بالخلع والأموال والتحف لتفرق فى تلك البلاد .

وفيه أمر المحتسب حفظة القرآن أن (١٧أ) يعلموا الناس مالا بد منه من قراءة القرآن لأجل الصلاة فاستمر ذلك ، وقرر لكل معلم على كل حانوت فلسين فى كل يوم .

وفى شهر ربيع الأول رسم بمنع القراءة بالأجواق لأجل التهنيك، وأن يكون عوض ذلك الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى هذا الشهر فشا الطاعون بالقاهرة ومصر ونواحيها ومات منـه عالم(٢) كثير من الناس :

وفيه عُمل المولد السلطانى للنبى صلى الله عليه وسلم بالقصر السلطانى ، والعجيب ثم العجيب أنهم أبطلوا قراءة القرآن بالأجواق لأجل التهنيك وعملوا فى المولد فى ليلة الأربعاء السماع بابراهيم بن الجمال وأخيه شبيب وأعوانه بالدف :

وفى ليلة الخميس ثالث عشره عمـل بعض أهل مصر مولداً بإبراهيم ابن الجمال وأخيه(٣) وصبيانه فسقط عليهم البيت عند قيام السماع(٤) بمن فيه ، فمات: ابن الجمال ومعه ستة أنفس وسلم ما عداهم .

---

(١) فى الأصل « منطاش » .

(٢) يستفاد من إنباء الغمر ١/ ٣٥٠ أن عدة الموتى فى كل يوم من جمادى الآخرة بلغت ثلاثمائة نفس ، وأن معظم الهلكى كانوا من مماليك الطباق .

(٣) فى الأصل « وأخوه » .

(٤) أورد السلوك، ٢ ١٦٢ ب ، أن إبراهيم المشبب كان يغنى هذه الأبيات :

تفـننت فى حبـكم * ولا دادنى منه فن
وخضت بحار الهوى * وجزت بوادى محـن
وقالـوا به جنـة * ومثـلى بكم من يجن
فـؤادى بـكم هائم * وعقلى بكم مفتتن
أغـنى ولى فيـكم * فؤاد كثير الشجن
سيطرب من فى الحمى * ويرقص حتى السكن .

وفى هذه الليلة عمل مولد الشيخ الصالح المعتقد إسماعيل بن يوسف الإنبابى المولد على عادته فى زاويته بناحية أنبوبة من الجيزة تجاه بولاق، واتفق فيه من المفاسد والقبائح ما لا يمكن شرحه ، حتى إن الناس وجدوا من الغد فى المزارع وفى أخباب البحر من جرار الخمر عدة كثيرة تزيد على ألف جرة سوى ما شربوه فى الخيم، وأما ماحكى من الزنا واللياطة [فكثير حتى] أرسل الله تعالى عليهم فى تلك الليلة ريحاً كادت تقتلع الأرض بمن عليها، ولم يجسر أحد من التعدية فى النيل ، فأقاموا بذلك البر أياماً حتى سكن الريح .

ووافق فى هذا الشهر موت خمسة أنفس من أصحاب النغم والآلة الذين فقد هذا الأمر بموتهم ولم يخلف نظيرهم ، وهم : علم الدين سليمان المادح [ابن يوسف] فى ليلة الخميس تاسعه وإبراهيم بن الجمال المغنى وأخوه خليل المشبب وعلى بن الشاطر رئيس المؤذنين بالجامع الأزهر فى ليلة الاثنين ثالث عشره والمعلم إسماعيل الدحيجانى(١) فى ليلة الأربعاء خامس عشره .

وفيه قدم الخبر بوصول العسكر المجرد من القاهرة إلى بلاد ملطية لقتال منطاش :

[وفى] يوم السبت ثالث ربيع الآخر خلع على جمال الدين يوسف بن محمد ابن عبد الله الحميدى واستقر فى قضاء الحنفية بالإسكندرية عوضاً عن جمال الدين عبد الواحد السيواسى العجمى .

وفيه سار الشريف محمد بن عجلان من القاهرة إلى مكة وسار معه جماعة من أهل مصر يقصدون العمرة والمجاورة .

(١) « الدحيجانى » فى السلوك ، و « الدمجانى » فى الأصل .

و [فيه] شاع الطاعون وفشا وعدم البطيخ الصيفى بسبب كثرة المرضى حتى أبيعت البطيخة بخمسة دراهم فضة ، وأما الكمثرى فأبيع الرطل بعشرة دراهم فضة .

وفيه ندب قاضى القضاة ناصر الدين محمد بن بنت الميلق الشافعى عدة من القراء والمحدثين فاجتمعوا طوائف وصارت طائفة تقرأ كتاب الله العزيز ، وطائفة تقرأ « صحيح البخارى » ، ودعوا الله سبحانه وتعالى فى رفع الطاعون عنهم ، ثم اجتمعوا أيضاً فى يوم الجمعة سادس عشره بالجامع الحاكم وفعلوا كفعلهم المتقدم بالأزهر ، ثم اجتمعوا مرة ثالثة بعد عصر يوم الاثنين تاسع عشره ومعهم جمع من الأطفال الأيتام والشيوخ الأكابر وصنعوا صنيعهم المتقدم .

[وفى] سادس عشره استقر الأمير أيدكار العمرى [اليلبغاوى] حاجب الحجاب بالديار المصرية بعد أن أخلع عليه ، وكانت الوظيفة لها مدة أربع سنين شاغرة بحكم وفاة الأمير قطلوبغا الكوكائى ، وأضيف إليه نظر الشيخونية ، واستقر الأمير سيف الدين (١) المعروف بسيدى أبى بكر بن سنقر الجمالى حاجب ميسرة ، وأضيف لها إمرة مائة عوضاً عن أيدكار بحكم انتقاله إلى حجوبية الحجاب .

[وفى] ثامن عشره قدم الأمير بلوط الصرغتمشى .

[وفى] تاسع عشريه مات الأمير سبيع (٢) والى قلعة الجبل ويسمى بوالى القلة ، وانتشر الموت بالقلعة سيما فى المماليك .

[وفى] رابع عشر جمادى الأولى استقر بجاس النوروزى نائب القلعة ، وكثر عدد الأموات .

(١) « زين الدين » فى النجوم الزاهرة ٢٥٢/١١ . (٢) فى السلوك « بيرج » .

وفيه خلع على فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس واستقر فى نظر الدولة عوضاً عن أمين الدين عبد الله بن ريشة بحكم وفاته .

[وفى] حادى عشريه قدم صراى تمر دوادار الأمير يونس الدوادار ، ومملوك نائب حلب على البريد وأخبر بأن العسكر توجه إلى سيواس وقاباوا من بها من العساكر ، فاستنجدوا بالتتر فأنجدهم منهم نحو الستين ألفاً ، فتم القتال بينهم و بينهم يوماً كاملا وهزموهم وحصروا سيواس بعد أن قتل من الفريقين وجرح جانب عظيم ، و[أخبر] أن الأقوات عندهم ما توجد لا بالجليل ولا بالحقير ، فرسم السلطان ملكتمر الدوادار بالتجهز إليهم وأرسل لهم على يده مبلغ خمسين ألف دينار وذلك فى سابع عشريه ، ثم إن العسكر تحرك للرحيل عن سيواس فدهمهم (١) التتار من ورائهم ، وكان الأمير يلبغا الناصرى أكمن لهم فلما رآى فعلهم انقض عليهم وقتل منهم خلقاً لا يعد ولا يحصى وأسر منهم نحو الألف ، وأخذ منهم قريب عشرة آلاف رأس من الخيول ، ورجعوا سالمين غانمين إلى حلب :

[وفى] حادى عشريه استقر كل من جركس وقطلوباك السيفى أمير جندار عوضاً عن يلبغا المحمودى وألطنبغا عند الملك بحكم وفاتهما :

وفيه وصل البريد بقتل الصارم إبراهيم بن شهرى نائب دوركى على سيواس :

[وفى] يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة خلع على الأمير جمال الدين محمود بن على شاد الدواوين ، واستقر فى أستادارية السلطان بحكم وفاة بهادر (٢)

(١) « فدهموهم » فى الأصل .

(٢) راجع الدرر الكامنة ٢/١٣٥٥ .

المنجكى ، واستقر ناصر الدين محمد بن الحسام لاجين أستادار الأمير سودون باق شاد الدواوين .

[وفى] يوم الخميس خامس جمادى الآخرة أنعم السلطان على باوط الصرغتمشى ونوغيه العلائى وناصرالدين محمد بن الأمير محمود بإمرة طبلخاناه لكل نفر منهم ، وكذا أنعم على دوادار ابن ذلغادر وناصر الدين (١٧ ب) محمد(١) بن الحسام لكل نفر منهم بإمرة عشرة .

وفيه خلع على الأمير محمود أستادار العالية واستقر مشير الدولة ، وخلع عليه أيضاً واستقر متحدثاً فى الدولة والخاص فانضاف إليه أمر المماكة بأسرها(٢) .

[وفى] ثامن شهر جمادى الآخرة ارتفع الوباء ولله الحمد بعد أن جاوز الثلاثمائة نفس فى اليوم .

[وفى] عاشره وصل البريد من الأمير يونس ومن نائب حلب فأخبر بوقعة سيواس وعود العسكر إلى حلب كما قدمنا ذلك ، فرسم بإحضار الأمير يونس على البريد .

[وفى] ثانى عشره خلع على الصاحب علم الدين خلعة الاستمرار بعد أن غضب السلطان عليه ، وتكلم الأمير محمود الأستادار فى الدولة .

[وفى] رابع عشره — الموافق سادس عشرى(٣) بؤونة — أخذ قاع النيـــل فجاء ستة أذرع وثمانى أصابع .

وفيه قدم قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن أبو زيد بن خلدون الأشبيلى المغربى من الحجاز .

* * *

(١) تحمل هذه الورقة فى المخطوط رقم ١٦ب وذلك خطأ فى ترتيبها ، راجع ما سبق ص١٦٣ حاشية رقم ١ .
(٢) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٤٩ .
(٣) يطابق هذا التاريخ التاريخ الوارد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ .

[وفى] تاسع شهر رجب قدم الأمير ملكتمر الدوادار وأخبر بأن الأمير منطاش فر من سيواس خائفاً على نفسه من القاضى برهان الدين أحمد صاحبها فإنه بلغه أنه يريد القبض عليه :

[وفى] خامس عشره خلع على الأمير قطلوبغا أبو درقة واستقر كاشف الوجه البحرى عوضاً عن ركن الدين عمر بن إلياس ابن أخى قرط :

[وفى] خامس عشريه خلع على مقبل الطيبى والى قوص واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضاً عن مبارك شاه ، وخلع على الصارم إبراهيم الشهابى فى ولاية قوص .

[وفى] مستهل شعبان الموافق لثالث عشر مسرى[1] أوفى النيل :

[وفى] ثالثه وصل العسكر المجردون من سيواس إلى قلعة الجبل بغير طائل ، فأخلع السلطان على الأمراء وأخرج لهم خيولا بقماش ذهب ، فكانت غيبتهم عن القاهرة سنة كاملة وأياماً .

[وفى] عاشره خلع على بنخاص السودونى صاحب طرابلس، واستقر فى نيابة صفد عوضاً عن أركماس :

[وفى] خامس عشره استدعى السلطان الأمير بهادر الطواشى مقدم المماليك فلم يوجد بالقلعة ، فجد فى طلبه فوجده يتعاطى الخمر فى بيت على شاطئ البحر فأحضروه سكراناً ، فغضب السلطان منه ونهره ورسم بنفيه إلى صفد فشفع[2] فيه الأعيان ، فأنعم السلطان عليه بإمرة عشرة بها[3] ، وخلع

(١) إذا أخذنا بجدول السنين الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٥ فإن أول شعبان يوافقه ١٢ مسرى ١١٠٤ ق .

(٢) فى الأصل « فشفعوا » .

(٣) أى جعله أمير عشرة بها .

على الأمير شمس الدين صواب السعدى المعروف بشنكل الأسود (١) ، واستقر مقدمَ المماليك السلطانية فى سابع عشره ، وخلع على سعد الدين بشير الشرفى الطواشى واستقر نائب المقدم عوضاً عن شنكل :

وفيه حضر (٢) رسل الفرنج لأجل من قبض عليهم منهم ، وكان الخبر أن بعض أقارب السلطان قدموا من بلاد الجراكسة وأن الفرنج قبضوا عليهم وأسروهم ، وأن السلطان قبض على القناصل المقيمين بالثغر السكندرى والشام وختم على أموالهم :

[وفى] ثالث عشريه وصل الخبر بوفاة قاضى القضاة برهان الدين ابن جماعة بدمشق ، فحصل الأسف والحزن عليه وصلى عليه صلاة الغيبة بجوامع القاهرة ومصر رحمه الله ، ما أكثر علمه وما أوفر فضله ! ورسم السلطان للقاضى سرى الدين بن الخطاب محمد بن قاضى القضاة جمال الدين عبد الله محمد بن زين الدين السلمى المسلاتى (٣) بقضاة القضاة بدمشق عوضاً عن شيخ الإسلام برهان الدين بن جماعة (٤) ، وحمل إليه التشريف والتقليد مع سؤالهم له فى ذلك :

[وفى] ثامن شهر رمضان خلع على الصاحب علم الدين بسبب أنه كان ضعيفاً وعوفى ؛ وخلع أيضاً على فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة خلعة

---

(١) جمع أسد ، هكذا مضبوطة فى الأصل ، هذا و يلاحظ أن واضع فهرست الأمم والقبائل والبطون فى الجزء الثانى عشر من النجوم الزاهرة قد جعل له خاصكية وهم ليسوا له وإنما لبرقوق كما يتبين ذلك من مطالعة نص أبى المحاسن نفسه ، على أن هذا لا يمنع أن يكون له أتباع ومماليك .

(٢) فى الأصل « حضروا » .

(٣) هو سبط الشيخ تقى الدين السبكى ، راجع ابن طولون : قضاة دمشق ص ١١٥-١١٦ ، وابن حجر : إنباء الغمر ١ / ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(٤) انظر ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١١٢ - ١١٣ .

الاستمرار ، وخلع على شاد الدواوين الذى هو ابن الحسام وركبوا فى خدمة الصاحب علم الدين إلى داره .

وفيه خلع على محمد بن صدقة الأعسر واستقر فى ولاية الأشمونين عوضاً عن أمير حاج بن أيدمر ؛ ونقل أمير حاج إلى ولاية الفيوم وكشفها وكشف البهنساوية وأطفيح عوضاً عن عمر بن خطاب ، واستقر محمد ابن الهيدبانى فى ولاية البهنسا عوضاً عن قوزى بحكم عزله .

[وفى] تاسع عشره [قبض] على سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الديوان المفرد وسلم إلى شاد الدواوين وقرر عليه خمسة آلاف دينار ، فشرع فى بيع قماشه وثيابه وأملاكه :

[وفى] رابع عشريه مسك الصاحب علم الدين عبد الوهاب بن القسيس المشهور بكاتب سيدى وقبض على جميع خواصه وألزامه وحواشيه ، وألزم هو وخاصته بثلاثمائة ألف درهم فضة .

[وفى] يوم الخميس سادس شوال حضر الأمير قرادمرداش أمير مكة ونزل بالأمير أيتمش الأتابكى واستجار به فشفع فيه عند السلطان وأحضره بين يديه فعفى عنه .

وكان فى عاشره قرر(١) الشيخ شمس الدين محمد بن أخى الجار النيسابورى فى مشيخة سعيد السعداء عوضاً عن شهاب الدين أحمد الأنصارى ، وتوجه الحجاج على العادة ، وأمير الركب الأول جركس الخليلى ، وأمير الحاج آقبغا المارديني :

(١) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٥ .

وفيه وصل البريد مخبراً بعصيان ألطنبغا الجوبانى نائب الشام بعدما ضرب طرنطاى حاجب الحجاب بها ، وأن شوكته قائمة بما استخدم معه من المماليك الذين تزيد كثرتهم على ألف خارجاً عن مماليكه وأتباعه ، فنقل ذلك الخبر إلى ألطنبغا المذكور فسأل فى الحضور واستأذن عليه فرسم له به فركب البريد ووصل سرياقوس خارج القاهرة فى ليلة الخميس سابع عشريه ، فرسم السلطان للأمير فارس الصرغتمشى الجوكندار (١) بتقييده ونفيه وسجنه (٢) بالإسكندرية ، فامتثل المرسوم من فوره وسجن بها على الوصف المذكور .

[وفى] يوم السبت تاسع عشريه قبض السلطان على الأمير ألطنبغا المعلم أمير سلاح وقردم الحسنى رأس نوبة وصفدا ورسم بسحبهما إلى الإسكندرية فتوجه بهما ألجيبغا الجمالى الدوادار ، وخلع على الأمير طرنطاى حاجب دمشق واستقر نائب الشام عوضاً عن ألطنبغا الجوبانى ، وحملت إليه الخلعة والتقليد إلى دمشق صحبة مسفره سودون الطرنطاى .

وفيه كتب بالقبض على الأمير كمشبغا الحموى نائب طرابلس ، وحضر سيفه فى ذى القعدة .

[وفى] حادى عشريه استقر الأمير ألجيبغا الجمالى (١٨ أ) خازنداراً ثانياً وسافر الأمير شيخ الصفدى (٢) بتقليد أسندمر المحمودى حاجب طرابلس بانتقاله

---

(١) الجوكندار كلمة مركبة من لفظتين فارسيتين : جوكان وهو المحجن الذى تضرب به الكرة ، ثم دار ومعناها الممسك ، ويقصد بالكلمة الشخص الذى يحمل محجن الكرة أثناء لعب السلطان ، وكانت الجوكان فى ذلك العصر المملوكى عبارة عن ساق خشبية طويلة تقرب من أربعة أذرع تنتهى بقطعة خشبية مخروطية طولها نحو نصف ذراع ، انظر صبح الأعشى ٥ / ٤٥٨ ، Demombynes : Le Syrie, Introd. p. LXV, XCVII.

(٢) ربما كان الأصح « سحبه » لا سيما وأنه ورد فى النجوم الزاهرة ١١/٣٥٤ س ٣ قوله « سيره » ؛ لكن إذا قرئت « سجنه » فإنه يجب تأخيرها بعد كلمة « الإسكندرية » .

(٣) فى الأصل « الصوفى » لكن عدلت إلى ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ١١/٢٥٤ س ١٣ .

إلى نيابة طرابلس ، ورسم بنفي كمشبغا الأشرفي الخاصكي إلى طرابلس وكان منفياً بدمياط فتوجه منها .

[وفي] خامس عشر ورد البريد وعلى يده عشرون(١) سيفاً من سيوف الأمراء الذين قبض عليهم بالبلاد الشامية بعد أن كتب بالقبض أيضاً على الأمراء البطالين بدمشق فقبضوا(٢) عليهم . وأعيد الأمير سودون العثماني إلى نيابة حماة ورسم لكشلي(٣) القلمطاوي بنيابة ملطية .

[وفي] يوم الخميس ثاني ذي القعدة وصل الأمير سودون الطرنطائي من تقليد نائب الشام وأخبر أنه قبض على الأمراء .

وفي ثامن الشهر استقر [سودون] رأس نوبة نائباً عوضا عن قردم الحسني .

وفيه وردت رسل الأمير قرا محمد التركماني وعلى يدهم كتاب مضمونه أنه تملك قلعة تبريز وضرب السكة وأقام الخطبة فيها باسم مولانا السلطان ، وجهز بذلك محاضر وأرسل دنانير ودراهم عليها(٤) اسم السلطان ، فتلقى السلطان رسله بالترحيب والتكريم وأنزلهم منزل الإحسان وشكر وأثنى على مرسلهم ، وقرر لهم ما يقوم بكفايتهم ، وكانوا سألوا في أن يكتب له أنه نائب السلطان فيها ويجهز له تشريف ، فأنعم السلطان بذلك .

وفيه أخلع على جمق السيفي واستقر في ولاية الفيوم عوضاً عن أمير حاج ابن أيدمر .

---

(١) في الأصل « عشرين » .

(٢) الوارد في النجوم الزاهرة ١١ / ٢٥٥ أنه أمر بالقبض على الأمراء البطالين ببلاد الشام جميعا وليس بدمشق وحدها .

(٣) وذلك بدلا من منطاش لقيامه بالفتنة ، وكان كشلي هذا قد تولى منذ قريب ولاية حماة .

(٤) في « الأصل » عليهم .

وفيه قدم الأمير شيخ الصفدى[١] الذى كان توجه لتقليد أسندمر المحمودى نائب طرابلس .

[وفى] ثانى عشريه خلع على شمس الدين محمد بن عيسى أمـــير عربان العائد واستقر فى كشف الشرقية وولايتها عوضاً عن قطلوبغا التركمانى .

[وفى] سادس عشريه قدم مبشرو الحاج على العادة وأخبروا بســـلامة الحاج والرخاء والأمن .

وفيـــه قدم البريد من ثغـــر سكندرية مخبراً بقـــدوم الخواجا على أخى الجوبانى عثمان وصحبته جميع من أسر مع الفرنج من أقارب السلطان .

[و] فيه استقر تقى الدين عبد الله بن قاضى القضاة جمال الدين أبى المحاسن يوسف بن قاضى القضاة شرف الدين أبى العباس أحمد بن الحسين بن سليمان ابن فزارة الكفرى فى قضاء القضاة الحنفية بالشام ، وجهز إليه تشريفه وتقليده عوضاً عن نجم الدين أحمد بن الكشك ؛ واستقر أيضاً فى هذا التاريخ شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن المهاجر الحلبى فى قضاء القضاة الشافعية بحلب عوضاً عن شرف الدين بن منصور ؛ واستقر قاضى القضاة محب الدين محمد ابن الكمال محمد بن الشحنة على عادته فى قضاء الحنفية بحلب عوضاً عن موفق الدين ، واستقر علاء الدين على بن أحمد بن عبد الله المقارعى فى قضاء القضاة الحنابلة بحلب عوضاً عن شهاب الدين أحمد بن فياض .

وكان الحاج فى هذه السنة عالماً كبيراً : المصرى خاصة سبعة ركوب من كثرته ، خارجاً عن المغاربة والتكاررة لتتمة تسعة ركوب .

* * *

---

(١) راجع ص ١٧٦ حاشية رقم ٣ .

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

٩٣ ــ قاضى القضاة وعلامة الزمان أبو إسحق برهان الدين إبراهيم بن عبد الرحمن[1] بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنانى الشافعى [توفى] بالشام فى ليلة الجمعة الثامن عشر من شهر شعبان ، ومولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة ، وكان آية من آيات الله تعالى يتكلم فى العلوم ويسردها سرداً كأنما يطالعها من كتاب بين يديه ، وقال الشيخ تقى الدين المقريزى[2] : « ولم يخلف بعده مثله » ، رحمه الله .

٩٤ ــ و[توفى] الشيخ الصالح المسمع المفتى المدرس جمال الدين إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحمن[3] الأسيوطى[4] الشافعى بمكة المشرفة فى ثانى[5] شهر رجب ، وقد كبر وأفتى ودرس وسمع « صحيح مسلم » وغيره من الكتب .

٩٥ ــ ومات الأمير شهاب الدين أحمد بن عمر بن مليح[6] والى الفيوم ، وكان أبوه أحد الأمراء المقدمين الألوف وملك الأمراء بالوجه القبلى .

---

(١) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٤ ، لكنه " عبد الرحيم " فى كل من السلوك والدرر الكامنة ١/٥٩ ، وشذرات الذهب ٦/٣١١ ، وكان دفنه بالمزة من دمشق .

(٢) المقريزى : السلوك ، ١٦٥ ب .

(٣) هو « عبد الرحيم » فى الدرر الكامنة ١ / ١٦١ ، والنجوم الزاهرة ١١ / ٣١٥ ، والسلوك .

(٤) هكذا أيضا فى السلوك ، ولكنه « الأميوطى » فى إنباء الغمر ١/٣٥٦ ، والدرر الكامنة ١/١٦١ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣١٥ ، وأوردته شذرات الذهب ٦/٣١٢ باسم « أحمد بن محمد ابن ... الأسيوطى » ، كما جعلت وفاته يوم الثالث من رجب ، انظر الحاشية التالية .

(٥) راجع فى اختلاف تاريخ وفاته إنباء الغمر ١/٣٥٦ حاشية رقم ٦ هناك .

(٦) « مليج » فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٧ ، و « مفلح » فى السلوك .

٩٦ ـ وتوفى الشـيخ الصالح الزاهد المعتقد الربانى إسماعيل بن يوسف الإنبابى ودفن فى زاويته[١] بناحية أنبوبة فى آخر شهر شعبان.

٩٧ ـ ومات الأمير سيف الدين بهادر المنجكى أستادار السلطان، وأحد الأمـراء المقدمين الألوف فى أوّل جمادى الآخرة، وكان ذا[٢] حرمة وافرة، وسطوة باهرة، وكلمة نافذة.

٩٨ ـ ومات الوزير الصاحب علم الدين بن القسيس المعروف بكاتب سيدى الأسلمى فى أواخر شهر ذى الحجة، وكان كثير المعرفة بالكتابة غير أنه قليل السعد.

٩٩ ـ وتوفى القاضى أمين الدين عبد الله بن [فضل الله[٣] بن عبد الله بن] ريشة القبطى الأسلمى ناظر الدولة فى ليلة الأربعاء سادس جمادى الأولى.

١٠٠ ـ وتوفى الأمير سيف الدين جلبان الحاجب فى خامس عشرى رمضان وكان من أهل الخير والدين والمعرفة والشجاعة والكرم، رحمه الله تعالى:

١٠١ ـ ومات الأمير سـيف الدين سُودُون[٤] الكمشبغاوى نائب قلعة الجبل فى تاسع عشرى ربيع الآخر.

١٠٢ ـ وتوفى العلاء علاء الدين أحمد[٥] بن محمد بن أحمد السيرامى ـ بمهملة مكسورة بعدها مثناة تحتانية ساكنة ـ العجمى الحنفى شيخ المدرسـة الظاهرية

---

(١) يستدل مما ذكره ابن حجر فى إنباء الغمر ٣٥٧/١ والدرر الكامنة ٩٧٣/١ أن هـذه الزاوية كانت لأبيه يوسف الإنبابى وليست لصاحب الترجمة الذى كان منقطعا بها « وكان يشتغل بالعلم ويفيد، كما أنه كان على قاعدة السطوحية المنسوبين للشيخ أحمد البدوى ».

(٢) فى الأصل « ذو ».

(٣) الإضافة من النجوم الزاهرة ٣١٦/١١.

(٤) الضبط من إنباء الغمر ٣٥٨/١.

(٥) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ٣١٦/١١ ولكنه «علاء الدين بن أحمد» فى شذرات الذهب ٣١٣/٦ و « العلاء بن أحمد » فى إنباء الغمر ٣٥٩/١، على حين أنه « أحمد بن محمد السيرامى » فى الدرر الكامنة ٧٨٣/١.

المستجدة بين (١٨ ب) القصرين فى ثالث جمادى الأولى . وكان من أكابر العلماء الأماثل ، وأفاد الناس فى علوم عديدة سيما المعقول وعلم المعانى والبيان ، يسرد الفقه ماهراً فيه ، كثير الإحسان إلى الطلبة والتودد إلى الناس ، ساعياً فى مصالحهم ، بشّ الوجه إلى كل أحد ، طلق المحيا ، كثير التلاوة والعبادة الزائدة ، ترجمه شيخنا شيخ الإسلام ابن حجر : بالعلم الكثير (١) «والدين المتين والعبادة الدائمة وغير ذلك » . وترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال (٢) : «كان فاضلا فى الفقه على مذهب الإمام أبى حنيفة ، مشاركاً فى غيره مشكور السيرة » .

١٠٣ – وتوفى الأمير ناصر الدين [محمد] بن قطلوبغا المحمودى المعروف بقشقلدق (٣) أحد الأمراء العشرات فى ثانى جمادى الآخرة .

١٠٤ – وتوفى القاضى عز الدين أبو اليمن محمد بن عبداللطيف بن الكويك الشافعى المسند المحدث فى ثانى (٤) عشر جمادى الأولى عن خمس وستين سنة وله مدة يُسمع الحديث النبوى .

١٠٥ – وتوفى القاضى تقى الدين محمد بن محمد بن أحمد بن شاش المالكى (٥) فى سابع عشرى شعبان ، وكان من أعيان الموقعين بالدست ، وعين لكتابة السر ولم ينل ذلك ، والله ولى الممالك .

* * *

(١) خلت نسختنا الإنباء ١/٣٥٩ ، والدرر الكامنة ١/٧٨٣ من هذا النص لكن راجع إنباء الغمر ١/٣٥٩ س ١٦ — ١٧ .

(٢) المقريزى : السلوك ، ١٦٦ أ .

(٣) ورد اسمه فى النجوم الزاهرة «محمد بن قطلوبغا المحمدى المعروف بقشقلندق» وسماه ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٣٦٢ « محمد بن قطلوبغا الفخرى المعروف ببيليك » .

(٤) هذه هى رواية السلوك ، والدرر الكامنة ٤/٣٩٣٥ ، أما النجوم الزاهرة ١١/٣١٨ بجعلته « ثالث عشر » الشهر ، واكتفت إنباء الغمر ١/٣٦١ ، وشذرات الذهب ٦/٣١٥ بالنص على الشهر دون اليوم .

(٥) هكذا أيضا فى الدرر الكامنة ٤/٤٢٩١ ، لكنه « المالكى » فى النجوم الزاهرة ١١/٣١٧ ، س ١١ .

سنة إحدى وتسعين وسبعمائة

* * *

أول هذه السنة يوم الخميس .

فى الخامس منها خلع على الأمير قطلوبك السعدى البريدى ، واستقر والى الشرقية عوضاً عن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى العائدى .

وفى ثامن المحرم قدمت رسل [على بك](1) ابن قرمان وصحبتهم كتاب يتضمن أنهم مماليك السلطان وجهزوا هدية فقبلت وأخلع عليهم .

وفى تاسع عشريه وصل(2) رسل الفرنج صحبة الخواجا على ومعهم أقارب(3) السلطان وصحبتهم تقدمة من سلطانهم فقبلت وخلع عليهم .

وفيه وصل الأمير جركس الخليلى من مكة المشرفة بإخوة المقام الشريف .

[وفى] ثالث عشريه ورد البريد من سيس بأن خليل بن ذلغادر ونائب سيس اجتمعوا هم وتركمان الطاعة وتقاتلوا مع سولى بن ذلغادر ومنطاش ، وقتلوا منهم جمعاً هائلا وغنموا منهم من الأموال والحريم ما لا يوصف ، وآخر الأمر انهزموا .

---

(١) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٦٤ .

(٢) فى الأصل « وصلوا » .

(٣) ورد فى هامش نسخة حيدر أباد الهند من إنباء الغمر أنهم حضروا مع بنت عم السلطان . أنظر الإنباء ١/٣٦٤ س ٥ — ٧ .

وفيه استقر الشيخ العلامة جلال الدين نصر الله البغدادى الحنبلى فى تدريس المدرسة الظاهرية المستجدة بين القصرين عوضاً عن الشيخ ابن أبى يزيد المعروف بمولانا زادة السيرامى ، وقرر قاضى القضاة ولى الدين أبو يزيد بن عبد الرحمن بن خلدون فى تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية عوضاً عن جلال الدين بن نصر الله المذكور :

وفى هذا الشهر وصل الخبر بأن الأمير يلبغا الناصرى — نائب حلب — وقع بينه وبين الأمير سودون[1] المظفرى أمور كادت تفضى إلى شر كثير ، وكاتب كل منهما فى غريمه فلهج العوام بألسنتهم : « ديدنا من غاب ، نايب حلب » حتى إن الأطفال والإماء والعجائز صاروا لا ينطقون إلا بهذا الكلام ، وقد قدر أن مصر بأقوالها وكان كذلك ، وسيأتى الكلام عليه فى محله إن شاء الله تعالى .

* * *

شهر صفر

أهل[2] بيوم الأربعاء .

[فى] خامسه اجتمع السلطان والأمراء والخاصكية بالميدان تحت القلعة وشربوا القمز[3] ، وقرر [السلطان] شربه فى يومى الأحد والأربعاء .

[وفى] سابعه خلع على سيف الدين أبى بكر بن شرف الدين موسى ، المعروف بابن الدينارى ، واستقر فى ولاية قوص عوضاً عن الصارم إبراهيم الشامى .

---

(١) كان سودون المظفرى هذا نائب حلب من قبل ثم عزل عنها .

(٢) الوارد فى جدول السنين بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٦ أن أول صفر كان السبت وشتان ما بين اليومين من بعد حتى يكون أول الشهر موضع اختلاف إلى هذا الحد ، على أنه يستدل مما سيرد فيما بعد ص ١٨٨ س ١ أن صاحب النزهة يعتبره الأحد ، إذ يجعل الجمعة سابع عشريه .

(٣) ضبطه النجوم الزاهرة ١١ / ٢٥٦ بكسر القاف والميم وتشديد الزاى شراب مسكر كان يصنع من لبن الخيل ، أنظر Dozy: op. cit.

[وفى] عاشره جهز السلطان هـدية سنية ما بين قماش خاص وخيول بقماش ذهب وسروج ذهب وقباء [هدية للأمير يلبغا الناصرى نائب حلب] واستدعاه لمصر ، فكتب يعتذر عن الحضور خوفاً من التركمان و [من] منطاش [أن] يدهموا حلب أو أعمالها . والواقع أنه معذور فإنه خشى أن يصنع [السلطان] به كما صنع بنائب الشام الذى هو ألطنبغا الجوبانى لما وقع بينه وبين الحاجب ، وطلب فقيد وحبس والمثل السائر :

مَنْ حُلِقَتْ لحيـةُ جَارٍ له فليصْبِبُ الماء على لحيَتِـهْ

فما قبل السلطان [فى الباطن من يلبغا] عذره ، واتسع خياله فيه وكتب للأمير تلكتمر المحمدى الدوادار مثالين(١) وجهزهما إلى حلب منهما مثال للأمير يلبغا الناصرى وسودون المظفرى أن يصطلحا : هذا فى الظاهر . وفى الباطن : عدة مطالعات إلى سودون المظفرى وغيره من الأمراء أنهم لا يتأخرون عن قبضه ساعة واحدة إذا وجدوا الفرصة ، «وإن امتنع من الصلح مع سودون فاقتلوه » ، وكان المملوك ــ الذى جهزه الناصرى ليخبر السلطان بما وقع بينه وبين سودون المظفرى ــ بالقاهرة ومعه مطالعات(٢) من أستاذه للأمراء بأنهم يكونون معه على إزالة السلطان « فإنه يريد القبض علينا أجمعين » وبلغه(٣) أن السلطان جهز صحبة ملكتمر الدوادار مثالات إلى أمراء حلب بالقبض على أستاذه ، وعوقه [السلطان] حتى يسبق ملكتمر ويقضى شغل الناصرى ، فنهض(٤) هذا المملوك وجد فى المسير وركب خيول البريد فسبق ملكتمر الدوادار ــ الذى هو قاصد السلطان ــ وأعلم أستاذه بحضوره وبالمثالات الظاهرة والباطنة ،

(١) المثال فى الأصل ــ كما أشار صبح الأعشى ١٣ / ١٥٣ ــ هو ما يكتب من ديوان الجيش فى أمر الإقطاع ويكتبه ناظر الجيش فى نصف قائمة شامى بعد ترك الثلثين من أعلاها ؛ على أن معنى المثال هنا يختلف عن هذا تماما ، فقد فسره المؤلف بأنه كتاب عادى يدعو للصلح .

(٢) المطالعة هى المكاتبة ، فقد ورد فى السلوك ٢ / ٢٩٢ س ٢ ــ ٤ أنه «وردت مكاتبة الأمير تنكز ... فكتب بالإنكار عليه ... ولا يجهز بعدها مطالعة إلى مصر » .

(٣) أى بلغ المملوك المرسل من قبل يلبغا الناصرى .

(٤) فى الأصل « فتأخر » مما لا يتفق مع باقى الخبر .

وكان ماكتمر في الباطن مع الناصري (١) (١٩١ أ) وبينه وبين رأس نوبة يلبغا الناصري المسمى بالشيخ حسن مصاهرة. فلما قرب من حلب طلع لملاقاته فأعلمه بحاله وبما حضر فيه مفصلا وأعلمه أن يوقظ الناصري ويأخذ حذره ؛ ولما بلغ نائب حلب قدوم الدوادار من القاهرة خرج للقائه وأخذ منه مثاله وأحضره إلى دار (٢) السلطنة وقد اجتمع بها القضاة والأمراء والأعيان لسماع مثال السلطان، ولم يغب من المجلس إلا سودون المظفري وصارت القصاد يلحون في طلبه حتى حضر وهو لابس آلة الحرب تحت ثيابه ؛ فعندما وصل إلى الدهليز وكان الأمير يلبغا الناصري رتب فيه جماعة من مماليكه الشجعان متحملين بالأسلحة والسيوف وغيرهما، فجس قازان البرقشي — أمير آخور الناصري — أكتاف سودون فكان جوابه : « يا أمير : الذي يريد الصلح يدخل لابس آلة الحرب ؟ » فشتمه سودون فسل قازان السيف وضربه (٣) فأخذته السيوف من كل مكان ، فخرج هاربا (٤) إلى مماليكه ، فجردت مماليكه السيوف وقاتلوا الناصري ومماليكه فكانت بينهما وقعة قتل فيها أربعة أنفس ، وثارت الحرب واشتعلت فقبض الناصري على حاجب الحجاب وعلى جماعة غيره كأولاد المهمندار ومن كان يخاف شرهم ، وركب إلى القلعة فتسلمها بلا نكد ولا انزعاج ، وصار يستدعي التراكمين والعربان ، وقدم (٥) عليه منطاش ومعه جمع كثير لنجدته ،

(١) أوردت النجوم الزاهرة ١١/٢٥٧ خبر مباطنة ملكتمر للناصري على أنها رواية تحتمل الصدق والكذب ، على حين يوردها الجوهري في المتن أعلاه على أنها حقيقة مؤكدة .

(٢) وردت في النجوم الزاهرة ١١/٢٥٧ باسم « دار السعادة » .

(٣) الضمير هنا عائد على سودون المظفري .

(٤) يستفاد من رواية أبي المحاسن في النجوم الزاهرة ١١/٢٥٨ أن سودون لقى مصرعه في هذه الحظة .

(٥) يقرر النجوم الزاهرة ١١/٢٥٨ أن يلبغا الناصري كتب إلى منطاش يدعوه إلى موافقته فقبل وقدم عليه بعد بضعة أيام وأطاعه ؛ أنظر في ذلك المقريزي والعيني .

فقويت شوكته وصار منطاش مطاعاً له منقاداً لأوامره؛ وأرسل ملكتمر الدوادار إلى السلطان فقدم القاهرة فى خامس عشره وأنهى للسلطان حقيقة الحال ، فكتب السلطان إلى الأمير سيف الدين إينال اليوسفى أتابك دمشق باستقراره فى نيابة حلب بعد أن جهز له التشريف والتقليد .

وفيه طلب السلطان قضاة القضاة وأعيان الدولة وأمراءها وغيرهم وذكر لهم عصيان يلبغا الناصرى وشاورهم فى أمره، فوقع الاتفاق أن يجهز السلطان عسكراً لقتاله وحلّف الأمراء على طاعته وعملت الخدمة بالقصر ، وحلف أكابر المماليك كما حلف الأمراء الأعيان .

وفى تاسع عشره رسم السلطان بضرب خيمة عظيمة فى الميدان تحت القلعة وضرب حولها عدة صواوين برسم الأمراء، وركب السلطان ونزل إلى الميدان وحلّف بقية الأمراء وسائر المماليك وختم ذلك بمدة عظيمة فأكلوا وتوجهوا إلى دورهم .

[وفى] رابع عشريه ورد البريد من الشام بأن عدة أمراء من طرابلس وهم: قرابغا فرج الله وبزلار العمرى ودمرداش اليوسفى وكمشبغا الخاصكى الأشرفى ، وآقبغا ججق اجتمع معهم عدة من المماليك الذين نفاهم السلطان، وقتلوا الأمير سيف الدين أسندمر نائب طرابلس ، وقتلوا من أمراء طرابلس صلاح الدين خليل بن سنجر وولده وقبضوا على جماعة [كبيرة من أمراء طرابلس](١) ودخلوا تحت طاعة الناصرى ، فعند ذلك عرض السلطان المماليك(٢) وكتب منهم للسفر أربعمائة وثلاثين وندب من الأمراء من يذكر فيه، وهم:

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ١١/٢٥٩ .

(٢) هؤلاء هم المماليك السلطانية فقط ، راجع النجوم الزاهرة ، ١١/٢٥٩ .

لأمير أيتمش الأتابكي والأمير جركس الخليلي أمير آخور والأمير يونس لدوادار والأمير أيدكار حاجب الحجاب وهؤلاء الأربعة مقدمو ألوف(١) . ومن أمراء لطبلخاناة فارس الصرغتمشي وبكلمش [العلائي] رأس نوبة وجركس المحمدي رشاهين الصرغتمشي وآقبغا الصغير السلطاني وإينال الجركسي أمير آخور رقديد القلمطاوي وعدتهم سبعة ؛ ومن أمراء العشرات خضر بن عمر بن بكتمر الساقي وناصر الدين محمد بن محمد بن آقبغا آص وحمل إليهم النفقة ، فالذي جهز للأمير الكبير أيتمش العلائي من الفضة مائتا ألف درهم ، ومن الذهب عشرة آلاف دينار ذهباً مصرياً ، وبقية الأمراء الألوف كل نفر مائة ألف درهم فضة وخمسة آلاف دينار ، ما خلا أيدكار حاجب الحجاب فإنه حمل إليه مبلغ ستين ألف درهم فضة ، و[من الـ]ذهب ألف وأربعمائة دينار .

[وفي] سادس عشريه قدم البريد بأن مماليك الأمير سيف الدين سودون العثماني — نائب حماة — أرادوا قتله ففر منهم إلى الشام ، وأن حاجب حماة — الذي هو سيف الدين بيرم — دخل في طاعة الناصري وأنه ملك حماة ، فعرض السلطان المماليك ثاني مرة وزادهم أربعة وسبعين(٢) لتتمة خمسمائة ، وأرسل إليهم بالنفقة على العادة .

وفيه ورد الخبر بأن الفرنج على جزيرة جربة(٣) .

(١) في الأصل « وهؤلاء المقدمون أربعة » .

(٢) « سبعون » في الأصل ؛ هـذا ويلاحظ أن عددهم بهذه الزيادة صار ٥٠٤ مماليك .

(٣) جربة بالفتح ثم السكون اسم يطلق على مكانين أحدهما قرية كبيرة بالمغرب ، وثانيهما جزيرة به ، أنظر في ذلك مراصد الاطلاع ١/٣٢٢ — ٣٢٣ .

[وفى] يوم الجمعة سابع عشريه رسم إلى الأمير بجاس والى(١) القلعة بالقبض على الخليفة وإيداعه البرج ، فتوجه إلى الخليفة المتوكل وأخبره بصورة الحال ونقله إلى البرج وضيق عليه ومنع غلمانه وأصحابه من الدخول إليه خوفاً من الناصرى أن يجهز إليه من يستميله ويسير به إليه ، ولقد أفحش السلطان بسجن الخليفة بل وشنع به ؛ فنام فى السجن ليلة واحدة ثم أعيد إلى مكانه ؛ ورسم للأمير مقبل الطواشى — زمام الدار — بالتضييق والتحفظ على جماعة الأسياد ومنع من يدخل إليهم والفحص عن أحوالهم .

* * *

[وفى] يوم الاثنين ثانى ربيع الأول سافر البريد بتقليد الأمير (١٩ ب) طغاى تمر العلائى أحد الأمراء بدمشق أن يستقر فى نيابة طرابلس .

[وفى] خامسه ورد قاصد خليل بن ذلغادر بكتاب مضمونه أن سنقر نائب سيس توجه إلى الناصرى ودخل تحت طاعته ، فلما رجع من عنده قبض عليه ابن ذلغادر وجهز سيفه ، فخلع على قاصده .

وفيه أنفق السلطان فى المماليك السلطانية نفقة ثانية ألف درهم فضة ، والأولى خمسة آلاف درهم فضة لكل نفر ، خارجاً عن الخيول والجمال والسلاح والبغال ، وفرق فى أرباب الجوامك لكل واحد جملان ، ولأرباب الإقطاعات كل نفر ثلاثة(٢) جمال ، ورتب لهم لحمهم فى الطريق والخبز والعليق : لكل من رءوس النوب فى اليوم ستة عشر عليقة ، ولكل من أكابر المماليك فى اليوم عشر علائق ، ولكل من أرباب الجوامك فى اليوم خمس علائق ، ورسم لكل مملوك فى دمشق بخمسة دراهم فضة .

---

(١) هكذا فى السلوك أيضا أما فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٦٠ فهو نائب قلعة الجبل .

(٢) « ثلاث » فى الأصل .

[وفى] رابع عشريه استدعى السلطان شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى ى مسجد الرديني (١) داخل القلعــة واستدعى الخليفــة المتوكل ، فلما حضر الخليفة] قام [السلطان] إليه وتلقاه وصار يتاطف به ويعتذر إليه وتحالفا ، مضى الخليفة إلى موضعه فجهز إليه السلطان عشرة آلاف درهم فضة وعدة بمج مملوءة صوفاً وسنجاباً وثياباً سكندرية وما أشبه ذلك ، فأرسل الخليفــة بجزء وافر من ذلك لشيخ الإسلام وإلى والى القلعة .

وفشت الأخبار وتواترت وتواردت بدخول أمراء الشــام والمماليك الأشرفية واليلبغاوية وسولى [بن ذلغادر] أمير التركمان ونعير أمر العــربان فى طاعة الأمير يلبغا الناصرى واتفقوا على محاربة السلطان ، وأنه نصب سناجق خليفتيه ودخل تحت طاعته سائر القلاع خلا قلعة دمشق وبعلبك والكرك ، فكثر الإرجاف بالقاهرة ، وخرج الأمراء والمماليك يوم السبت رابع عشره إلى الريدانية فى غاية ما يكونون من الجمال والكمال والأبهــة الزائدة والوقار والحشمة والضخامة ، فلم تتأثر القاهرة لذهابهم ولم تتغير الدولة لغيابهــم ، فأقاموا فى التبريز إلى يوم الاثنين سادس عشره .

وفيه قدم البريد مخبراً بأن صفد (٢) وقع فيها وقعة بسبب مخامرة بعض الأمراء .

وفيه أنعم على قرابغا الأبوبكرى بإمرة صراى الرجبى الطويل ، وأنعم عليه بإقطاع طغاى تمر الجركتمرى .

(١) الوارد فى الخطط ٢/ ٢٠٢ أن هذا المسجد منسوب إلى أبى الحسن على بن مرزوق بن عبد الله الرديني لا لبنائه إياه ولكن لاتخاذه إياه مأوى له ، وهو موجود داخل قلعة الجبل وعليه وقف بالاسكندرية ، أما بانيه فهو أبو منصور قسطة الأرضى والى الاسكندرية سنة ٥٣٥ هـ ، أحد غلمان المظفر بن أمير الجيوش ، ويذكر المرحوم محمد رمزى فى تعليقاته على النجوم الزاهرة ، ج ١١ ص ٢٦١ حاشية رقم ٤ ، أن هذا المسجد لا يزال قائما إلى اليوم داخل القلعة فى الجهة الشمالية الشرقية منها ، وأنه كان يعرف بمسجد سيدى سارية ، ثم جدده سنة ٩٣٥ هـ سليمان باشا الخادم والى مصر العثمانى فنسب الجامع عند العامة إليه وعرف بمسجد سليمان باشا .

(٢) صفد إحدى مدن الشام فى جبال عاملة المشرفة على حمص .

[وفى] سابع عشره خلع على القاضى جمال الدين محمود القيصرى قاضى العسكر الحنفى واستقر ناظر الجيوش المنصورة عوضاً عن موفق الدين أبى الفرج [عبد الله الأسلمى] ، وقرر القاضى سراج الدين عمر الحنفى العجمى محتسب مصر فى تدريس التفسير بالمدرسة المنصورية(١) عوضاً عن جمال الدين محمود بحكم رغبته له عنه(٢) .

وفيه قدم البريد مخبراً بأن الأمير سودون العثمانى نائب حماة أقام له برجاً واستخدم معه مماليك وجمع عسكراً ، وسار معه الأمير صارم الدين إبراهيم ابن همر إلى حماة ليحاصر من بها ويدفعهم عنها ، فالتقى به الأمير منطاش بعسكر حلب وقاتله فهزمه إلى حمص :

[و] فى سلخه خلع على مبارك شاه واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى على عادته عوضاً عن مقبل الطيبى بحكم عزله .

* * *

[وفى] يوم الثلاثاء أول ربيع الثانى(٣) ورد البريد من دمشق مخبراً بأن نائب(٤) بعلبك دخل فى طاعة الناصرى ، وكان السلطان فى الشهر الماضى أمر بإبطال الرمايات والسلف على البرسيم والشعير وإبطال قياس القصب والقلقاس ، وأن يعفى ذلك جميعه من المكوس ، فتضاعفت الأدعية له .

---

(١) المدرسة المنصورية بمصر هى من إنشاء الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى وقد عهد بذلك إلى الأمير علم الدين سنجر الشجاعى الذى اشترى الدار المعروفة بالقطبية بخط بين القصرين وذلك سنة ٦٨٢ هـ من خالص مال السلطان قلاون ، وقد أظهر الشجاعى « من الاهتمام فى العمارة ما لم يسمع بمثله » حتى كملت داخل باب المارستان الكبير ؛ وقد أثبت المرحوم محمد رمزى فى تعليقه على النجوم الزاهرة ٧ / ٣٢٥ حاشية رقم ٢ أن البدء بعمارتها كان فى صفر ٦٨٤ وانتهى العمل منها فى جمادى الأولى من السنة ذاتها ، على أن المقريزى يقرر فى السلوك ١ / ٧٢٥ أنها تمت بناء فى السنة السابقة لها أعنى سنة ٦٨٣ وإن لم يحدد الشهر ، راجع فى ذلك الخطط ٢ / ٣٧٨ — ٣٧٩ ، والسلوك ١ / ٧١٦ — ٧١٧ .

(٢) أى عن درس التفسير وهذه مسألة فيها نظر لأن جمال الدين محمود ليس مدرس تفسير .

(٣) فى الأصل « الأول » .

(٤) كان نائب بعلبك إذ ذاك الأمير كشبغا المنجكى .

[وفى] خامسه قدم البريد مخبراً بأن ثلاثة عشر من أمراء الشام جهزوا مماليكهم إلى حلب نجدة ونصرة للناصرى ، فوافقهم نائب الشام وخرج معهم فى عدة من أتباعه إلى حلب ، فحصل عند السلطان من ذلك ما كاد أن يذهب روحه ، وأن الأمير جركس الخليلى لمـا وصل إلى غزة فطن لمخامرة الأمير آقبغا الصفوى نائبها فقبض عليه وأرسله إلى الكرك ، وقرر فى نيابة غزة الأمير حسن بن باكيش .

[وفى] عاشره أنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرة عوضاً عن نوغاى العلائى بحكم وفاته .

[وفى] حادى عشريه خلع على آقبغا البشتكى واستقر فى ولاية منوف عوضاً عن ناصر الدين محمد بن العادلى (١) ، وخلع على علاء الدين على بن المقدم واستقر فى ولاية الأشمونين عوضاً عن الصارم إبراهيم الباشقردى .

[وفى] تاسع عشره خلع على شاهين الخايلى واستقر فى كشف الفيـوم وولايتها وكشف البهنسا وأطفيح عوضاً عن قنق السيفى (٢) ، وخلع على عز الدين أيدمر المظفرى واسـتقر فى الأشمونين عوضاً عن محمـد بن صـدقة ابن الأعسر .

[وفى] عشريه قدم رسل قرا محمد التركمانى ورسول الملك الطاهر متملك ماردين وأخبرا بقـدومهما إلى خابور (٣) واستأذنا فى محاربة الناصرى فأكرما وأجيبا بالشكر والثناء .

(١) أخطأت النجـوم الزاهرة ١١ / ٢٠٢ إذ جعلت وفاة ناصر الدين محمـد بن الأمـير أجيبغا العادلى فى سنة ٧٨١ .

(٢) ويعرف بقنق باى الأجارى اللالا السيفى .

(٣) أنظر النجوم الزاهرة ١١/٢٦٤ س ٣ .

ووصل العسكر المصرى إلى دمشق فى يوم الاثنين سابع ربيع الآخر ونزلوا فى حارة لاجين فتلقاهم الأمير طرنطاى نائب الشام واتفقوا أن يجهزوا إلى الناصرى جماعة من أعيان الفقهاء ليدخلوا بينه وبين السلطان فى الصلح فساروا (١) فى ثانى عشره ، وكتب إليه الأمراء بذلك ، فلما (٢٠ أ) وصلت إليه الجماعة تلقاهم بالترحيب والإكرام ووعدهم بكل جميل وأمر بإنزالهم فى مكان ، ووكل بهم من يحفظهم ، وسار من حلب بمن معه من العساكر يريد الشام ، وقد أقبـــل المماليك السلطانية على الفساد بدمشق والتهوا باللهو حتى فاجأهم الناصرى يوم السبت تاسع عشره فى خان لاجين خارج دمشق ؛ وخرج فى يوم الأحد والاثنين عساكر مصر ودمشق إلى برزة (٢) والتقوا بالناصرى على خان لاجين فوقع بينهم قتال (٣) شديد انكسر فيه المماليك السلطانية مرتين ، وعندما تبارزوا فى المرة الثالثة أقلب (٤) الأمير أحمد بن يلبغا رمحه ، وسار فرج الله ولحق بعسكر الناصرى وتبعه الأمير أيدكار حاجب الحجاب والأمير فارس الصرغتمشى والأمير شاهين أمير آخور بمن معهم وقاتلوا المماليك ومن بقى معهم من أمراء مصر والشام نصرة للناصرى ، فثبتوا لقتالهم ساعة ثم انهزموا

---

(١) فى الأصل « وصلوا » .

(٢) برزة قرية فى غوطة دمشق ويقال إن بها مشهد إبراهيم الخليل عليـــه السلام ، وهى مضبوطة فى مراصد الاطلاع ١٨٣/١ بفتح الباء والزاى وإن ذكر أن العامة تنطقها بالإمالة « برزى » ، ويظهر أن هذا النطق الأخير هو الذى اتبعه Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, IV, A, 1. ، راجع أيضا محمد كرد على : غوطة دمشق ، فهرست قرى الغوطة العامرة ، كلمة « برزة » ص ٢٦٠ .

(٣) « قتالا » فى الأصل .

(٤) هكذا أيضا فى كل من السلوك ، والنجـــوم الزاهرة ١١ / ٣٦٥ ، ولكنها فى الأصـــل « أقلت » .

فدلس[١] مملوك من عسكر الناصرى يسمى يلبغا الزينى الأعور فضرب الأمير جركس الخليلى أمير آخور كبيراً فقتله وأخذ سلبه[٢] وترك رمته عارية عن الثياب إلى أن كفنته امرأة وواراته التراب، وصارت التراكمين[٣] ينهبون من انهزم ويأسرون من وجدوه، فلحق الأمير أيتمش الأتابكى بدمشق فتحصن بقلعتها، وتمزق سائر العسكر فى يومهم شذر مذر، ودخل الناصرى دمشق فى يومه بعساكره فنزل بالقصر من الميدان وسلمت إليه القلعة بلا قتال ولا ضراب، فأوقع الحوطة على سائر ما فيها للعسكر، وصفد الأمير أيتمش وطوغان[٤] نائب دمشق وسجنهما بها[٥]، وصار يتتبع بقية الأمراء والمماليك، فقبض من يومه على الأمير بكلمش العلائى وهو فى عدة من المماليك فاعتقلهم، وطالت أيدى التركمان فيهم بالنهب والأسر والقتل فما عفوا ولا كفوا، واستمروا على هذه الحالة عدة أيام.

[وفى] رابع عشريه خلع على ركن الدين عمر بن إلياس قريب قرط واستقر فى ولاية دمياط عوضاً عن سنقر السيفى.

[وفى] سادس عشريه استقر قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن أبو زيد ابن خلدون فى مشيخة الخانقاه الركنية بيبرس عوضاً عن شرف الدين عثمان الأشقر بحكم وفاته:

[وفى] سابع عشريه ورد الخبر من غزة بكسرة الأمراء والمماليك السلطانية واستيلاء الناصرى على دمشق وقتل الخليلى والقبض على أيتمش

---

(١) دلس فى اللغة بمعنى خدع. (٢) السلب هو كل ما على الإنسان من لباس.

(٣) تدل رواية أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٥ على أن النهب وقع من جانب التراكمين والعرب معا.

(٤) «طرنطاى» فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٥. (٥) أى سجنهما بقلعة دمشق.

وغيره ، فأرجف السلطان بل وغالب الأمراء والأعيان وانتشرت الأخبار بمصر والقاهرة فاضطرب أهلها وغلقت الأسواق ونهبت الأخباز وتشغبت(١) الزعر وتظاهر أهل الفساد ، وكان الناس فيما شغلهم عن ذلك بدفن موتاهم(٢) ، فازدادوا هماً إلى همهم مع كثرة الإرجاف .

[وفى] سادس عشريه خلع على همام الدين العجمى بحسبة مصر عوضاً عن سراج الدين عمر العجمى .

وفيه استقر الشيخ شمس الدين البلالى الحلبى فى مشيخة سعيد السعداء عوضاً عن الشيخ شمس الدين محمد(٣) بن أخى جار الله النيسابورى .

وفيه عمل السلطان الخدمة بالإيوان واستدعى المماليك السلطانية فعين منهم خمسمائة نفر وأنفق عليهم ذهباً حساباً عن ألف درهم فضة : كل واحد ليتوجهوا إلى دمشق صحبة الأمير سودون الطرنطاى .

[وفى] تاسع عشريه أنفق السلطان فى خمسمائة مملوك ثم فى أربعمائة تتمة ألف وأربعمائة : ألف درهم [فضة](٤) لكل نفر ، ثم أنفق فى الكتابية لكل مملوك مائتى درهم فضة .

وفى يوم الأربعاء أول جمادى الأول أنعم السلطان على كل من قرابغا الأبوبكرى وبجاس النوروزى والى(٥) القلعة وشيخ الصفوى وقرقماس الطشتمرى بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وأنعم على كل من ألجيبغا الجمالى الخازندار وألطنبغا

---

(١) أى أحدثت شغبا .
(٢) وذلك من جراء الطاعون .

(٣) هو محمد بن محمود بن عبد الله النيسابورى الحنفى المتوفى فى هذه السنة ، أنظر ترجمة رقم ١٢٤ فى هذه السنة والمراجع المذكورة فى الحاشية هناك .

(٤) الإضافة من النجوم الزاهرة ١١/٢٦٧ .

(٥) نعته أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٧ بنائب قلعة الجبل .

العثمانى رأس نوبة ، والأسعردى [يونس] الرماح وقنقباى الألحاوى وأسن بغا الأرغنشاوى(١) وأروس(٢) بغا المنجكى وإبراهيم بن طشتمر العلائى وقراكسلك السيفى بإمرة طبلخاناه لكل نفر ، وأنعم على كل من السيد الشريف بكتمر الحسنى والى القاهرة وقانباى الأحمدى بإمرة عشرة لكل واحد ، وأنعم على كل من سيف الدين بطا الطولونى(٣) ويلبغا السودونى وسودون اليحياوى وتانى بك اليحياوى وأرغون شاه البيدمرى وآقبغا الجمالى الهيدبانى وقوزى الشعبانى وتغرى(٤) بردى [اليشبغاوى] وبلاط السونجى(٤) وأردبغا(٥) العثمانى وشكرباى العثمانى وأسنبغا السيفى بإمرة عشرة لكل واحد ، وكانوا من حملة المماليك .

* * *

وفيه ورد البريد من قطيا مخبراً بأن الأمير إينال اليوسفى والأمير إينال أمير آخور [والأمير(٦) إياس أمير آخور] دخلوا إلى غزة فى عسكر(٧) متخبط فاسد وهم فى غاية الاضطراب(٨) ولاح على السلطان إمارات الزوال ، فسبحان من لا يزول ملكه على الدوام .

وفيه طلب السلطان قضاة القضاة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى وأعيان المملكة واستدعى الخليفة مع الأمير سودون الطرنطاى والأمير قرقماس

---

(١) « الأرغون شاوى » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٧ س ١٣ .

(٢) هكذا أيضا فى السلوك ، لكنه « أرنبغا » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٧ .

(٣) فى النجوم ، شرحه ، « الطولوتمرى » .

(٤) هو والد أبى المحاسن صاحب النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

(٥) هكذا فى السلوك ، ولكنه « السعدى » فى النجوم الزاهرة ، شرحه .

(٦) « أرتبغا » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٨ ، وأزدبغا فى السلوك ، شرحه .

(٧) الإضافة من أبى المحاسن : شرحه .

(٨) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ١١ / ٢٦٨ أن هؤلاء كانوا قد انضموا إلى الناصرى قبل ذلك التاريخ ودخلوا غزة بعسكر كثيف من عسكره وليس فيه ما يشير إلى إفسادهم .

الطشتمرى فأحضر إليه فقام إليه وتلقاه وأجلسه وأشار إلى القضاة فحلّفوا كلا منهما للآخر فحلفا على الموالاة والمناصحة ، فعنــد ذلك أفيض على الخليفة خلعــة سنية وقدم له حِجرة[(١)] شــهباء بسرج ذهب وكُنبوش زركش وسلسلة ذهب فركبها ونزل من القلعة إلى داره من غير ترسيم ويمشى حيث أراد وبين يديه الأمير (٢٠ ب) بجاس النوروزى وغيره من الأمراء وغيرهم من الأعوان وكان له موكب جليــل إلى الغــاية والنهاية ، وكان من الأيام المشهودة وأعيدت إقطاعاته ورواتبه وأخلى له بيته الذى بالقلعة ليسكنه فنقل إليه حريمه وصار يركب وينزل لداره التى [هى] مجاورة للسيدة نفيسة ويسير حيث أراد من غير ترسيم ، إلا أنه لا يبيت إلا بمنزله الذى بالقلعة .

وفيه أفرج عن الأمير أسنبغا السيفى الجانى[(٢)] من خزانة شمائل وأنعم عليــه بإمرة طبلخاناة وخيل وجمال وبغال وسلاح كثير وثياب .

وفيه عرض السلطان المماليك وهم لابسون[(٣)] آلة القتال وقــد ركبوا على الخيول وتفقدوا ما يحتاجون إليه فأنعم عليهم به .

[وفى] يوم الجمعة ثالثه حضر الأمير شهاب الدين أحمــد بن بقر أمير عربان الشرقية وهجان الأمير جركس الخايلى وأخبر السلطان بتفصيل وقعــة الناصرى مع الأمراء ، وأنه فر مع الأمير يونس الدوادار فى خمسمائة[(٤)] نفــر ،

(١) الحجرة فى اللغة هى الفرس الأنثى .

(٢) كلمة غير مقروءة فى الأصل ولكنها أقرب فى الرسم لهذا المثبت بالمتن .

(٣) فى الأصل « لابسين » .

(٤) فى النجوم الزاهرة ١١ / ٢٦٨ « خمسة نفر » .

فعارض الأمير يونس الدوادار الأمير عنقاء[١] أمير آل مرا بالقرب من الحربة[٢] فقبض على الأمير يونس وقتله وأرسل برأسه إلى الناصرى ، وأما إينال اليوسفى فوقع فى يد حسن بن باكيش بالقرب من غزة فقبض عليه ونفاه إلى الكرك مقيداً ، فتحقق كل من سمع هذا القول أن دولة السلطان أسفرت ومضت كأن لم تكن ساعة من الأيام .

وفى رابعه رسم السلطان بإبطال سائر المكوس وأشهر النداء بذلك فى مصر والقاهرة ، فذهب الكتاب من أماكنهم التى كانوا يجلسون فيها لأخذ المكس .

وفى سادسه ركب الخليفة المتوكل على الله ومعه الأمير سودون الشيخونى النائب وقضاة القضاة وشيخ الإسلام وبين يديه الحجاب والقضاة والأعيان وأمامهم رجل يقرأ فى ورقة وهو راكب فرسه ما مضمونه : « أن السلطان قد أبطل المكوس والمظالم ، وأنه يأمركم بتقوى الله ولزوم الطاعة فقاتلوا عن أنفسكم وحريمكم ، فإنا قد سألنا العدو الباغى فى الصلح فامتنع وقد قوى أمره ، فاحفظوا دوركم وأقيموا الدروب على الحارات » ، فزاد خوف الناس وجزعهم وشرعوا فى عمل الدروب وشراء الأقوات والاستعداد للقتال والحصار ، وكثرت قلاقل العوام وانتشر[٣] الزعر وأهل البغى والفساد يرقبون وجود الفتنة لينهبوا المسلمين . وأما الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن الغنام فإنه استدعى مباشرى الجهات فطلب منهم المكس على كل ما أبيع فأخبروه

(١) فى الأصل « قنقا » .

(٢) وتعرف بخربة اللصوص كما قال أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٢٦٩ ، ووردت بهذا الأسم المركب أيضا فى Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 385 وهى فى الطريق إلى دمشق وتقع فى إقليم جولان .

(٣) فى الأصل « وانتشروا » .

أن النداء الذى قرى[1] بحضرة أمير المؤمنين منع الناس من إعطاء المكوس فلم يلتفت إلى ذلك وألزمهم بمطالبة المكوس من كل من اشترى وباع ، فحصل بهذا الأمر قلقلة كثيرة واضطراب عظيم فى حق السلطان وعزموا على الفتك بالوزير وأعيان الدولة، وأجرى الله على ألسنة الخواص والعوام أن يقولوا : « السلطان من عكسه عاد فى مكسه » .

وأما الأمراء الذين هم فى خدمة السلطان مثل قرا دمرداش وغيره [فقد] بدا منهم خذلان جامد للسلطان عن أنه يركب بنفسه ويتوجه لقتال أعدائه ، وأشاروا عليه بتحصين القلعة والاستعداد لقتال الأعداء الواردين عليه هذا مع انقطاع الأخبار عن مصر بالكلية ، فإن نائب الكرك المسمى مامور [القلمطاوى] ونائب غزة ابن باكيش دخلا تحت طاعة الناصرى ووثبا على السلطان وصارا يمنعان من يريد دخول مصر إلى أن حضر المماليك السلطانية الذين حضروا الوقعة وأخبروا بما أخبر به شيخ العربان ابن بقر وذلك فى سابع الشهر ، فعند ذلك تيقن الخبر وزال الشك والإلباس وتحقق كل أحد زوال دولة السلطان .

[وفى] تاسعه حضر جماعة من عربان هوارة بالصعيد نصرة للسلطان ، ونزلوا تحت القلعة وبدئ فى حفر الخندق[2] ووعروا الطرقات الواصلة إلى القلعة

---

(١) الإضافة لإيضاح المعنى .

(٢) أشار المرحوم محمد رمزى فى تعليقه على هذا الخندق فى النجوم الزاهرة ١١/٢٧١ حاشية رقم ١ ، بأنه قد تبين له بعد المعاينة أن بعض آثاره لا تزال باقية فى الجهة الشرقية من القلعة وهو الذى يفصل بينها وبين سفح جبل المقطم .

من باب القرافة وباب الحرس وباب الدرفيل (١) ، ورسم بسد خوخة أيدغمش (٢) حتى إن راكب الفرس لا يمكنه الدخول منها .

وفي هذا اليوم أشهر النداء بإبطال مكس النشا والنحاس والجلود .

[وفي] عاشره الذي هو يوم الجمعة دعي للخليفة على المنابر بجوامع القاهرة ومصر .

[وفي] ثاني عشره كان مجتمع عظيم بالقضاة والأعيان بمشهد السيدة نفيسة أعاد الله علينا من بركتها وبركة أسلافها الكرام لأجل قراءة تقليد ولد الخليفة المتوكل على الله بأن يكون ناظر المشهد المذكور ، وتوجهوا إلى الآثار الشريفة فعكفوا على قراءة القرآن وكذا « صحيح البخاري » وابتهلوا إلى الله بالدعاء في نصرة السلطان وإخماد هذه الفتنة العظيمة من بين الأنام .

[وفي] ثالث عشره خلع على الأمير قرا دمرداش واستقر أتابك العساكر عوضاً عن أيتمش البجاسي ، واستقر سودون باق أمير سلاح ، وقرقماس الطشتمري الخازندار دواداراً عوضاً عن الأمير يونس ، وقرا بغا الأبوبكري أمير مجلس عوضاً عن أحمد بن يلبغا ، وآقبغا المارديني حاجب الحجاب عوضاً عن أيدكار ، واستقر تمربغا (٤) المنجكي أمير آخور عوضاً عن جركس

(١) تقع هذه الأبواب الثلاثة وهي : باب القرافة وباب الحرس وباب الدرفيل في السور الشرقي للقلعة تجاه جبل المقطم والخندق المشار إليه في الحاشية السابقة ، وقد ذكر محمد رمزي (نفس المرجع والجزء والصفحة ، حاشية رقم ٢) إلى أن باب القلعة وباب الدرفيل قد سدا من قديم ، أما باب الحرس فلا يزال مفتوحا إلى اليوم وهو يعرف باسم باب المقطم .

(٢) أشار محمد رمزي (شرحه ، حاشية رقم ٣) إلى أنها كانت واقعة عند مدخل حارة الروم شرقي باب زويلة في شارع الدرب الأحمر بالقاهرة ، راجع أيضا خطط المقريزي ٢/ ٤٥ حيث ذكر أنها من إنشاء الأمير علاء الدين أيدغمش الناصري سنة ٧٤٠ وقت أن كان أمير آخور الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وراجع ترجمته في الدرر الكامنة ١/ ١١٢٠ .

(٣) لم يرد ذكر لمكس النحاس في النجوم الزاهرة ١١/ ٢٧١ .

(٤) ورد اسمه بهذه الصورة أيضا في النجوم ١١/ ٢٧٢ ، ولكنه وارد في السلوك باسم « قرابغا » .

الخليلى وخلع عليهم أجمعين (١) ؛ وأنعم على صلاح الدين محمد بن تنكز بإمرة طبلخاناة وكذا على جلبان الكمشبغاوى الخاصكى :

وفيه وقع الجد والعزم للمهمة العظيمة بنقل الأحجار إلى القلعة لأجل رميها فى المناجنيق ، ونقل إلى القلعة قوت شهرين للسكان بها ، وأما قوت السلطان ومماليكه فلنحو السنتين :

(١٢١ أ) وفيه رسم بجمع الحجارين وأصحاب الآلات من المعمارية وغيرهم لسد فم وادى السدرة (٢) بجوار الجبل الأحمر (٣) وبناء حائط من جوار باب الدرفيل إلى الجبل :

وفيه برز المرسوم لأجناد الحلقة بأنهم يركبون خيولهم ويخرجون مع العسكر ، ومن ليس له فرس يطلع إلى القلعة للرمى من بين شرفاتها ، وكثر الجزع والهلع والإرجاف والقلق ، وصارت الشوارع مشحونة بالخيول الملبسة والرجال وطلبوا وأشهروا آلات الحرب والقتال ، وصارت عدد الحرب لا توجد إلا بأغلى الأثمان ، وتراءت للناس عدة منامات ومحصلها (٤) يدل على زوال ملك السلطان ، فسبحان من لا يزول ملكه على ممر الزمان .

---

(١) فى الأصل « أجمعون » .

(٢) أشار المرحوم محمد رمزى فى تعليقه الوارد بالنجوم الزاهرة ١١ / ٢٧٣ حاشية رقم ٢ إلى أن مكان وادى السدرة اليوم يقع بين الجبل الأحمر وبين برج الطفر الواقع على رأس السور الشرقى لمدينة القاهرة .

(٣) لا يزال هذا الجبل معروفا إلى اليوم بهذا الإسم وهو يطل على القاهرة من شمالها الشرقى ، وقيل إنه يعرف باليحموم أى « الجبل الأسود المظلم » ، والظاهر أن هذا هو الإسم الذى كان يعرف به إبان الفتح العربى لمصر ، انظر الخطط ١ / ١٢٤ .

(٤) فى الأصل « وهى محصلها » .

[وفي] ثامن عشره خلع على الأمير قرادمرداش الأتابكي واستقر في نظر البيمارستان، وصار البناثون دأبهم سد الخوخ والطرق الموصلة إلى القلعة وليس طريقاً إلا الشارع المسلوك .

[وفي] سادس عشريه استقر فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس بمفرده في نظر الدولة عوضاً عن ابن ريشة بحكم وفاته .

[وفي] سابع عشره حضر والي قطيا هارباً ـ وهو الأمير علاء الدين الطشلاقي ـ من عساكر الناصري ـ فاستدعى السلطان على بن الكوراني ورسم له بسد باب المحروق (١) والباب الحديد (٢) والباب المجاور للقلعة المعروف قديماً بباب سارية (٣) ويعرف الآن بباب المدرج تحت دار الضيافة (٤)، وصنع عند قناطر السباع (٥)

(١) باب المحروق ، وكان يعرف قديما بباب القراطين ثم حدث في أوائل الدولة المملوكية في سنة ٦٢٥ هـ أن توترت العلاقات بين المعز أيبك التركماني وبين الفارس أقطاى الجمدار، وتطور الأمر إلى أن ركب أنصار الجانبين بعضهم على بعض ، فألقى أحدهم بالنار على باب القراطين فاندلعت فيه النيران « حتى سقط من الحريق » فسمى منذ ذلك الحين بالباب المحروق ، أنظر خطط المقريزى ١/ ٣٨٣ .

(٢) ربما كان المقصود بذلك باب القلعة الذى أنشأه صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٧٩ هـ ، والذى يسمى بالباب المدرج . انظر الحاشية التالية .

(٣) باب المدرج أو باب سارية أو باب الدرفيل ثلاثة أسماء لمسمى واحد في هذا العصر تطلق على الباب المجاور لخندق القلعة ، أما إضافة الدرفيل فنسبة إلى الأمير حسام الدين لاجين الأيدمرى دوادار الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى ، راجع المقريزى : الخطط ٢ /٢٠٤ .

(٤) كانت دار الضيافة تقع تجاه جامع قانباى الجركسى بميدان السيدة عائشة بالقاهرة ولكنها اندثرت وزالت معالمها ، راجع تحقيق المرحوم محمد رمزى في النجوم الزاهرة ١١/ ٢٠١ حاشية رقم ٢ ، ص ١٦ — ٢٠ .

(٥) قناطر السباع من إنشاء الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وسميت بذلك لوجود سباع من الحجارة عليها ، وكانت شديدة الارتفاع فتضرر من ذلك الناصر محمد بن قلاون وأمر « بهدمها وعمارتها أوسع مما كانت ... حتى انتهت في جمادى الأولى سنة ٧٣٥ هـ « ثم أعاد السباع مرة أخرى » لمقالة قالتها الناس عنه ، انظر المقريزى : الخطط ٢/ ١٤٦ .

ثلاثة دروب أحدها من جهة مصر والآخر من جهة قبو الكرمانى وآخر بالقرب من الميدان، ووجد عندهم جماعة ملبسين ومعهم آلات الحروب، وحفر خنادق كثيرة، ومع هذا الأمر فالطاعون منتشر بمصر ولا يلحق الناس دفن موتاهم، وأما الناصرى فإنه لما استوطن الشام أشهر فى أهلها وضواحيها وقلاعها النداء العام أن يحضروا إليه ولا يتأخر أحد من النواب والأجناد، ومن انقطع — سوى من عُين لإقامة حفظ البلاد — خرج إقطاعه وعدم روحه وماله، فهرع الناس إليه وأقبلوا عليه، فأنفق فيهم الأموال فقويت شوكته واشتدت عزائمه، وطلع من الشام فى عسكر عظيم جداً بعد أن أقر فى نيابة الشام جنتمر أخا طاز، واستمر سائراً حتى وصل إلى قطيا فنزل بها، فبادر إلى الناصرى جماعة من أمراء السلطان هاربين وذلك فى ليلة الثلاثاء ثامن عشرى جمادى الأول وهم : سيف الدين طغيتمر الجركتمرى وأرسلان اللفاف وأردبغا[1] العثمانى ومعهم عدة من المماليك السلطانية فصادفوا[2] الأمير عز الدين [أيدمر] أبو درقة ملك الأمراء بالوجه البحرى، وكان السلطان سيّره لكشف الأخبار فضربوه ضرباً مبرحاً وأخذوا جميع ما معه فانهزم هو ومن معه من المماليك .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشريه جلس السلطان بالإيوان وأنفق فى العسكر، فأعطى كل مملوك خمسمائة درهم فضة حتى مماليك الأمراء، وصار يطلبهم طائفة طائفة ويعطى كل واحد منهم بيده ويحرضهم على القتال ويعدهم بالإقطاعات والوظائف والخيرات والأنعام ودموعه تتساقط على لحيته، فكثر بكاء العسكر لأجله، ثم فرق فيهم الخيول — حتى خيوله الخواص — وفى الأمراء والأجناد :

(١) « ارنبغا » فى النجوم ١١ / ٢٧٦

(٢) فى الأصل « فصدفوا » ، وفى النجوم الزاهرة ١١/ ٢٧٦ س ٤ « صرفوا » .

وفى أثناء هذا الأمر ورد الخبر بوصول[(١)] الناصرى ومنطاش ، فازدحم الناس على شراء الخبز وصعدوا إلى القلعة ووقفوا بالرميلة ، ودفع السلطان إلى الأمير آقبغا الماردينى جملة من الأموال ليفرقها فى الزعر واشتد[(٢)] الخوف بالناس من نهب الزعر ، وصاروا يجتمعون طوائف ، وكل طائفة منهم لهـا عصبة مفترقون عدة أحزاب ويخرجون إلى ظاهر القـاهرة فيقتتلون بالحديد والمقاليع والأحجار ، ومن انفردوا به من الناس أخذوا ما عليه من الثياب ، فغلقت الحوانيت وتعطلت الأسواق ، وصار كل أحد فى شغل شاغل بمـا يشتريه من البقسماط والدهن والدقيق والعسل والغنم والبقر الشىء الكثير الزائد المقدار إلى ليلة الأربعاء حضر قاصد بهادر — والى الغربية — وعلى يده كتاب مضمونه أن الناصرى وصل بخيله ورجله إلى الصالحية وهم فى جهد وعىّ ، وقد وردت لهم عدة خيول بالبريد وكان خائفاً من ملاقاة عسكر السلطان له بالصالحية ، فلما لم ير بها أحداً سجـد شكراً لله فإنه لو تلقاه أحد ما كان له دفعه من العى ، وأن الأمير شمس الدين محمد بن عيسى تلقاه بعرب العـائد وأمدوه بالخدمة والعليق وغيره من الضيافات ، فرسم السلطان لقرا دمرداش الأتابكى أن يتوجه من بركة الحبش لكشف الأخبار خوفاً أن يأتيهم أحد من إطفيح فسار لذلك ، ورتب السـلطان العسكر فرقتين : فرقة يحفظونه بالليل وفرقة يحفظونه بالنهار ، وجهز عدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى جهة المرج[(٣)] والزيات ليكشفوا الأخبار :

(١) جاء الخبر بوصول الناصرى ومنطاش إلى الصالحية ، انظر س ١٠ فى هذه الصفحة ، أما الصالحية فبلدة من بلدان فاقوس بمحافظة الشرقيـة ، وقد جاء فى القاموس الجغرافى للبـلاد المصرية ، ق ٢ ، ج ١ ص ١١٢ ، ١١٣ أنها من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة ٦٤٤ « فى أول الرمل بين مصر والشام » وذلك كى تكون محطة للعساكر فى طريقهم إلى الشام ومنها .

(٢) فى الأصل « واشتهر » ، وربما كانت خطأ فى رسم كلمة « اشتد » .

(٣) رمزى ١/٢ ص ٣٤ ، ق ١ ، ص ٦٦

[وفى] يوم الأربعاء تاسـع عشريه أنفق السلطان فى ممـاليك الأمراء الطبلخانات والعشرات ، فأعطى كل مملوك أربعمائة درهم فضة وأنفق حتى فى الطبردارية والأوجاقية وأنعم عليهم بالسـلاح من القسى والسهام والرماح ، ورتب جماعة من الأجناد البطالة للرمى من بين شرفات القلعة وأنفق فيهـم الأموال ، وطلب الرماة من ثغر الإسكندرية فحضروا على اختلاف أجناسهم ، منهم من يرمى بالرِّجل ومنهم من يرمى باليد ، وأنفق فيهم المال .

وفيه رجع الأمير قجماس ابن عم السلطان من المرج والزيات ولم يعلم بخبر الناصرى ، فخرج الأمير سودون الطرنطاى فى عدة من المماليك والأمراء إلى قبة النصر للحرس وذلك فى ليلة الخميس ؛ وصارت طائفة أخرى إلى جهة بركة الحبش ، ونزل السلطان إلى الإصطبل ومعه سودون [الشيخونى] وقرا دمرداش الأتابكى وعدة من الأمراء والمماليك ، ولم يكتحل بهجعـة ولا سنة ولا نوم(١) إلى يوم الخميس أول جمادى الآخرة توجه الأمير قرا بغـا البوبكرى ورجع فلم يعلم خبراً ، واستمر الأمراء طول النهار راكبين على ظهور الخيل ، لابسين آلات الحرب والقتال (٢١ ب) سائرين تحت القلعة بسوق الخيل وظهر القرافة ، فاتفق أن هرب اثنان من المماليك السلطانيـة وتبعهم من مماليك الأمراء خمسون(٢) مملوكاً ولحقوا بالناصرى ، فحصل عنـد السلطان والأمراء من ذلك غاية الغم والهم والخذلان ، ورسم للنقباء أن يأمروا أجناد الحلقة أن يجتمعوا فى بيت الأمير سودون النائب والأمير آقبغا حاجب الحجاب وأن يتولوا حفظ أبواب القاهرة ويمنعوا من يريد الدخول والخروج منها إلا مَن أمَرَه السلطان ، وعين الأمير ناصر الدين محمـد بن الدواداری

(١) فى الأصل « ينام » . (٢) فى الأصل « خمسين » .

أحد الأمراء الطبلخانات لحفظ قياسر التجار وأغلقت أبواب[١] القاهرة وأمروا الناس بحفظ الدروب وأقاموا النفطية على أبراج القلعة والطبلخاناه :

وفيه قدم الخبر بوصول طلائع الناصري إلى بلبيس ومقدمهم الطواشي تقطاي[٢] الطشتمري .

[وفي] يوم الجمعة ثانيه وصلت عساكر الناصري إلى البئر[٣] البيضاء ، فخامر العسكر السلطاني إليه شيئاً فشيئاً ، وأول من فتح هذا الأمر وخرج إليه الأمير جبرائيل الخوارزمي ومحمد بن بيدمر نائب الشام وبجمان المحمدي اللالا ، فعند ذلك نصبت السناجق السلطانية على أبواب القلعة ودقت الكوسات[٤] الحربية واجتمع الأمراء والمماليك والأجناد ، وركب السلطان والخليفة المتوكل على الله من القلعة بعد أن صلى كل منهما العصر ، ووقفوا خلف دار الضيافة وبقية العساكر لابسين ، وقد انضم عليه من العوام والذعر مالا يدخل تحت دائرة الحصر للكثرة الزائدة ، فلما غربت الشمس صعد السلطان إلى الإصطبل وجلس فيه وصعد الخليفة إلى منزله ، وقد ظهر على السلطان وأعوانه الذل والخذلان وظهر جزعه وبكاؤه فأبكى الناس ورحموه إلى يوم السبت ثالثه وصل الأمير يلبغا الناصري ظاهر القاهرة ومعه عدد كبير من الأمراء منهم :

---

(١) يستفاد من رواية النجوم الزاهرة ١١ / ٢٧٩ ، أنهم أغلقوا باب البرقية فقط .

(٢) « طقطاي » في النجوم الزاهرة ، ٢١/١٢ .

(٣) أشار إلى البئر البيضاء القلقشندي : صبح الأعشى ١٤ / ٣٧٦ حين كلامه عن الطريق إلى دمياط وغزة ، وذكر — كما جاء في التعريف بالمصطلح الشريف أيضاً — أن البريد ينقل من سرياقوس إلى البئر البيضاء « وهي مركز بريد منفرد ليس حوله ساكنون » ثم ينقل منها إلى بلبيس .

(٤) أشار القلقشندي في صبح الأعشى ٤ / ٩ ، ١٣ إلى أن الكوسات صنوجات من نحاس شبه الترس الصغير يدق بأحدها على الآخر بإيقاع مخصوص ، ومع هذا طبول وشبابة يدق بها مرتين في كل ليلة ويدار بها في جوانبها مرة بعد العشاء الآخرة ، ومرة قبل التسبيح على المآذن ، أما الذي يضرب بها فيسمى بالكوسي .

الأمير تمربغا الأفضلى منطاش والأمير بزلار والأمير كمشبغا [الحموى اليلبغاوى نائب طرابلس] والأمير أحمد بن يلبغا والأمير أيدكار فى آخرين، وتقدمت الطلائع إلى المرج والزيات وإلى مسجد التبن (١) فغلقت أبواب البلد كلها إلا باب زويلة؛ وأما الحارات فأغلقت دروبها وسدوا باب القرافة وهاج الناس وبرز (٢) المفسدون من الزعر والحرامية وجاءوا إلى القاهرة، وركب السلطان والخليفة من القلعة إلى تحت دار الضيافة على ما تقدم؛

ووصل فى هذا اليوم من الإسكندرية ثلاثمائة رام مابين من يرمى بقوس الرِّجل فأنعم السلطان على كل نفر منهم بمائة درهم فضة ورتبهم فى عدة أماكن، ورسم بأن ينادى فى القاهرة ومصر بإبطال المكوس بأجمعها، وبدر على العوام فضة وذهباً (٣) جزافاً، فجرح منهم ناس كثير بسبب توجههم إلى بركة الحب لينظروا عسكر الناصرى، ثم قدم الخبر بأن طلائع الناصرى وصلوا إلى الخراب من أطراف الحسينية فخرج عليهم كشافة السلطان فى حمية فكسروهم، وتوجه الأمراء سائرين إلى قبة النصر، وأقام السلطان عند دار الضيافة إلى آخر النهار ثم عاد إلى الإصطبل ورجع (٤) إليه الأمراء والمماليك لابسين آلات الحرب من العدد والسلاح الكامل هم وخيولهم والكوسات

---

(١) يقع هذا المسجد خارج القاهرة قرب المطرية، وقد سماه المقريزى (خطط ٢/ ٤١٢) بمسجد تبر، وبهذا كان يعرف قبله كما كان يعرف بمسجد الجميزة، أما «التبن» فهو الاسم الشائع على ألسنة العامة، وأما «تبر» المنسوب إليه المسجد فكان واحدا من أكابر الأمراء زمن كافور الإخشيدى وقد ثار ضد جوهر الصقلى حين دخوله مصر ولما أوقع العقاب عليه سلخ وحشى جلده تبنا، وربما جاءت تسميته «بالتبن» من هذا الحادث، على أن هذا المسجد يعرف أيامنا هذه بزاوية الشيخ محمد التبرى قرب حمامات القبة بالقاهرة.

(٢) فى الأصل «وبرزوا المفسدين».

(٣) فى الأصل «ذهب جزاف».

(٤) فى الأصل «ورجعوا».

تدق حربى وهم متحفظون متيقظون للقاء العدو ومرافعته بكل مايمكن من النفوط والكفيات ، والرميلة قد صارت لا يرى بها قدم إنسان عن إنسان من كثرة مماليك الأمراء والزعر والعوام، ولم يزالوا على ذلك إلى يوم الاثنين [حيث] اجتمع عدة من الأمراء وهم: الأمير علاء الدين آقبغا الماردينى حاجب الحجاب والأمير جمق بن الأمير أيتمش المسجون والده من الناصرى بقلعة الشام والأمير صارم الدين إبراهيم والأمير طشتمر الدوادار، واتفقوا وتحالفوا وخرجوا على حمية قاصدين يلبغا السالمى(١) ورغبوا عن طاعة السلطان الذى خوّلهم فى النعم وأسدى إليهم غاية الإحسان ، وصُحبتُهم(٢) من المماليك السلطانية ومماليك الأمراء خمسمائة نفر، فلما بلغ ذلك السلطان أيقن بأنه فى انحطاط وأى انحطاط .

وفى يوم الأحد رابعه فرّ عدة من الأمراء أيضاً واقتدوا بمن تقدمهم وهم: الأمير قرادمرداش أتابك العساكر الأحمدى والأمير قرقماس الطشتمرى الدوادار والأمير سودون باق ودخلوا فى طاعة الناصرى وخامروا على السلطان وصحبتُهم عدة من المماليك ، فانحل عقد السلطان ولم يبق معه إلا فرقة من خاصكيته وعدة قليلة من الأمراء وابن عمه الأمير قجماس وسودون النائب الشيخونى وسودون الطرنطاى وتمربغا المنجكى وسيدى أبو بكر بن سنقر وبيبرس التمان تمرى وشكل المقدم(٣) وشيخ الصفوى ، ورسم بغلق باب زويلة وجميع دروب الحارات ، وتلاشى أمر الدولة ، وبان الذل عليها جهاراً عياناً(٤) ، وانتشر المفسدون من الزعر وغيرهم ينهبون أموال الناس ولا لأحد منعة

(١) هكذا فى الأصل ولعله يقصد « الناصرى » .
(٢) فى الأصل « أزدى » .
(٣) أى مقدم المماليك .
(٤) فى الأصل « عيان وانتشرت » .

فى دفعهم بل كل يقــول : « روحى . روحى ! » . وأما علاء الدين والى القاهرة فإنه داخله الخوف الشديد بهروب الأمراء والمماليك فاختفى فى بعض دوره ، وصارت المدينة شاغرة من الحكام ، وصار أمر الناس هملاً وغوغاهم لا تحمد ولا تقر ، ووثب المسجونون فكسروا قيــود أنفسهم وخرجوا من خزانة شمائل هاربين ، فسمع أهل حبس[(١)] الديلم بصنيعهم فتشبهوا بهم وكذلك أهل حبس[(٢)] الرحبة وخرجوا — على حمية — جملة واحدة ، ورتب السلطان عدة من المماليك وأوقفهم تحت الطبلخاناه ، ورسم (١٢٢) بمنع العوام من التوجه إلى عسكر الأمير يلبغا الناصرى فما امتنعوا وصاروا يرجمون المماليك بالأحجار فرموهم بالنشاب ، فقتل من العامة عدة زهاء عن العشرة ، وإذا بطليعــة الناصرى أقبلت كأنها الموت الأحمر ، فقاتلها الأمير قجماس ابن عم السلطان قتالا شهر له وسُمِّى به ، وصار[(٣)] أهل القلعة يرمون عليهم بالمدافع والمكاحل وغير ذلك من الحجارة فى المقاليع وهم يكرون[(٤)] ويفــرون ، وأمْرُ السلطان فى اضمحلال ، وأمر الناصرى فى زيادة وإقبال ، فان أخصاء السلطان ومن كان عنده بمنزلة العين من الإنسان خامروا عليه وأظهروا العصيان بعد أن أنعم على كل أمير من الألوف بعشرة آلاف دينار ، وفى كل من الطبلخانات بخمسة آلاف دينار :

---

(١) كان حبس الديلم يقــع فى الحارة المعروفة بهذا الاسم نســبة إلى الديلم الواصلين مــع هفتكين الشرابى سنة ٣٦٨ ، وكان بجواره خوخة الصالحية قرب دار الصالح طلائع بن رزيك ، انظر المقريزى : الخطط ٢/٧ — ٨ ، ٤٤ .

(٢) الأرجح أن حبس الرحبة هــذا كان يقع فى رحبة باب العيد لاسيما وأن المقريزى فى الخطط ٢/١٨٧ يقول إن خزانة البنود برحبة باب العيد قد احترقت سنة ٤٦١ «فعملت بعد حريقها سجنا يسجن فيه الأمراء والأعيان إلى أن انقرضت الدولة فأقرها ملوك بنى أيوب سجنا » .

(٣) فى الأصل « وصاروا » .

(٤) فى الأصل « يكرو ويفرو » .

وأما قرادمرداش الذى هو أتابك العساكر فأنعم عليــه فى ليلة واحــدة بثلاثين ألف دينار ، وحلّفهم أن لا يخونوه ولا يوالوا عليه ، ولا ولا ؛ فمــا نفعه ذلك ولا أغنى عنه ماله شيئاً وتركوه حزيناً وأطاعوا عدوه ووالوه ، ولم يقم عنده إلا من لانجدة فيــه ، وزاد أمر الزعر وفشا أنهم يريدون ينهبون المدينة ويأخذون حواصل الأمراء ، فبرز(١) لهم أهل الحارات وقاتلوهم ومنعوهم فكان بينهم يوم مشهود إلى الغاية إلى آخر النهار [حيث] قصد السلطان أن يسلم القلعة ونفسه أيضاً فما وافقــه على ذلك من تأخر عنده من الجلبان والأمراء والرماة والزعر وحلفوا له أنهم يقاتلون بين يديه حتى يقضى الله أمره فيهم ، فلم يأخذ كلامهم(٢) على حقيقته لمــا تقدم له من غيرهم ، لكنه من الغلبة شكر فعلهم وقولهم إلى أن صلى العصر قدم من عسكر الناصرى تقطاى الطواشى الطشتمرى والأمير بزلار العمرى والأمير ألطنبغا الأشرفى وصحبتهم ما يزيد على ألف وخمسمائة فارس يريدون أخذ القلعة ، فركب الأمير بطا الخاصكى والأمير تنكز(٣) بيه فى نحو عشرين فارساً فهزموهم إلى أن وصلوا إلى قبة النصر ، ومع ذلك لم يعبأ السلطان بفعلهم ولا اكترث به وتحقق من نفسه أنه ما بقى له فى الأمر شىء ، فأرسل الأمير أبا بكر(٤) بن سنقر الحاجب والأمير بيدمر المنجكى شاد القصر ومعهما النمجاة إلى الأمير يلبغا الناصرى و[سألها] أن يأخذوا إليه منه الأمان ، فسارا من فورهما حتى دخلا على الناصرى فى خلوته وأخبراه

(١) فى الأصل « فبرزوا » .

(٢) فى الأصل « كلامه » .

(٣) ورد هــذا الاسم فى الأصل بنقط الزين والنون فقط ، ولكنه ورد باسم « شـكرباى » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٨٤ .

(٤) فى الأصل « أبو » مما يخالف فى خبره ونتائجه الأحداث التاريخية .

الحال فأمنـــه على نفسه ولكن أمره أن يختنى(١) حتى يدبر له حيـــلة ، فإن الفتن مشتعلة والكلمة متفرقة ، فعادا إليه بذلك إلى أن صلى العشاء الآخرة .

وتوجه الخليفة إلى منزله بالقلعة وصار السلطان فى نفر قليل من مماليكه وأصحابه ، فطلب سودون النائب وأذن له أن يفعل ما يخلصه : من الاختفاء أو غير ذلك ، وأعلم بقية من معـــه بصورة الحال ، فانصرف كل من كان عنده إلى حال سبيله وتوارى السلطان حتى نزل من الإصطبل وتوجه فلم يعرف له مكان ، وانفض ذاك العسكر وبطل دق الكوسات ، ورمى(٢) أهل القلعة مدافع النفط وهجموا على الإصطبل فنهبوا ما فيه من الشعير — وهو ألفـــا(٣) إردب ومائتا إردب — ومن الدراهم — مائتا ألف درهم — والخيول وجميع ما كان فيه ، وانتقلوا إلى الميدان فنهبوا ما فيه من الغنم الضأن الذى عدته ألف رأس .

وأما الطباق المماليك(٤) الذين بالقلعة فما كفّوا ولا عفّوا عن ما فيها من الأسلحة والقماش ، وبلغ الناصرى فرار السلطان فاستمر فى مكانه ، وزالت مملكة الظاهر بالكلية كأن لم تكن ، فسبحان الباقى ومن سواه فان .

* * *

وكانت(٥) مدة حكمه إلى أن قبض على الأمير طشتمر [العلائى] الدوادار فى تاسع(٦) عشر ذى الحجة سنة تسع وسبعين وسبعمائة إلى أن جلس على سرير

---

(١) ورد فى النجـــوم الزاهرة ١١/٢٨٥ أن يلبغا الناصرى قال إن « الملك الظاهر أخـــونا وخشداشنا ولكنه يختفى بمكان إلى أن تخمد الفتنة ، فإن الآن كل واحد له رأى وكلام حتى ندبر له أمر يكون فيه نجاته » .

(٢) فى الأصل « ورموا » . (٣) فى الأصل « ألفان » .

(٤) هكذا فى الأصل ، والأصح « مماليك الطباق » .

(٥) العبارة من هنا حتى قوله « شىء كثير من الأحـــوال » ص ٢١٣ س ٥ تكاد تكون منقولة من النجوم الزاهرة ١١/٢٨٩ — ٢٩٣ .

(٦) فى النجوم الزاهرة ، شرحه ، « تاسع ذى الحجة » .

الملك ولقب بالظاهر في تاسع عشر شهر رمضان سنة أربع وثمانين: أربع[1] سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام ؛ وهو الأمير الكبير في هذه المدة أتابك العساكر ؛ ومن سلطنته إلى أن توارى واختفى: ست[2] سنين وثمانية أشهر وسبعة وعشرين يوما فيكون مجموع حكمه أميراً وسلطاناً إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين[3] يوماً ، وفارق مُلْكَ مصر ومماليكه المشتروات نحو الألفين .

وحفظ له من المحاسن في مدة حكمه أشياء حسنة أمر بإبطالها منها ما كان يؤخذ على القمح بثغر دمياط من المكوس ، وما كان يؤخذ من معمل الفروج بالجزيرة وأمثالها ، وما كان يؤخذ من أهل البرلّس وشورى وبلطيم من أعمال القاهرة مثل الحالية[4] في كل سنة : مبلغ ستين ألف درهم فضة ، وما كان يؤخذ على الرقيق بألبيرة من المكوس ، وأيضاً أبطل ما كان يؤخذ من أهل طرابلس — عند ما يتولى النائب — من قضاة البر وولاة الأعمال من كل نفر مبلغ خمسمائة درهم فضة ، وبطّل أيضاً ما كان يؤخذ في كل سنة من أهل الشرقية من الخيل والجمال والبقر والغنم ، وبطّل ما كان يؤخذ من مكس الدريس والحلفاء خارج باب النصر من القاهرة ، وكذا بطّل ضمان المغاني بالكرك والشوبك من البلقاء ومنية بني خصيب وزفتا من ضواحي القاهرة ، وأبطل رمى الأبقار عند الفراغ (٢٢ ب) من عمل الجسور على أهل النواحي ؛ فهذا والله غاية ما يكون له من السؤدد والصنيع الجميل ؛ فجزاه الله خيراً عن صنيعه .

وله أيضاً من المحاسن التي يذكر بها ويبقى ذكرها يعاو إلى الأبد : إنشاؤه المدرسة بخط بين القصرين ، ولم يسبقه إلى عمارة مثلها خلا مدرسة السلطان

(١) في الأصل « أربعة » .
(٢) في الأصل « ستة » .
(٣) في الأصل « عشرون » .
(٤) أي شبه الضريبة .

حسن ، بل ولا أكثر معلوماً منها بعد الشيخونية[(١)] ، وله السبيل والصهريج بقلعة الجبل وهو من أعظم المبانى ، وله السبيل تجاه إيوان القلعة وجسر الشريعة على نهر الأردن وطوله مائة وعشرون ذراعاً فى عرض عشرين ذراعا ، وجدد خزائن السلاح بثغر الإسكندرية بعد خرابها ، وكذا سور دمنهور بالبحيرة ، وعمّر جبال الشرقية بالفيوم وزاوية البرزخ بدمياط و [بنى] قناطر بالقدس ، وبنى بحيرة برأس وادى بنى سالم قريباً من المدينة الشريفة ، ونعم ما قدم من المحاسن والأفعال :

* * *

وأما ما كان منطوياً عليه ومتصفاً به فيُسرد منه شىء قليل خشية التطويل :

كان رحمه الله ملكاً ذا حرمة وافرة ومهابة متظافرة وعقل متين واعتقاد ويقين ، حزمه وعزمه قل أن يوجدا فى إنسان . [وكان] كثير الفضل والبذل للمحتاجين كائناً من كان ، محباً لأهل العلم والخير والدين متواضعاً لهم ،

---

(١) وتعرف بخانقاه شيخون أو الخانقاه الشيخونية وذلك نسبة إلى منشئها الأمير سيف الدين شيخو العمرى الذى أصبح فى الأيام الأولى من دولة الناصر حسن من رؤس المشورة حتى «صار زمام الملك بيده » واستبد بأمور المملكة حتى صار إليه الأمر والنهى كما يقول ابن حجر: الدرر الكامنة ٢/١٩٥٠ ؛ وقد أنشأ شيخو الجامع والخانقاه ، وكانت إقامته الأول سنة ٧٥٠ هـ ، أما الخانقاه التى تقع تجاه الجامع فقد أنشأها بعد ذلك بست سنوات — أعنى سنة ٧٥٦ هـ — وكلاهما فى سويقة منعم تحت القلعة ، وكان موضع الخانقاه فى الأصل من جملة قطائع أحمد بن طولون ثم صارت مساكن لناس اشتراها منهم الأمير شيخو العمرى هذا ، وكانت مساحة هذه الأرض تزيد على فدان ، وقد ذكر المقريزى : الخطط ٢/٤٢٠ فى شأنها أن صاحبها « اختط فيها الخانقاه وحمامين وعدة حوانيت تعلوها بيوت لسكن العامة ورتب بها دروسا عدة » ، كما جعل بها درسين أحدهما للحديث النبوى الشريف والآخر لإقراء القرآن بالروايات السبع ، وشرط على طلبتها حضور الدروس وحضور وظيفتى التصوف ، ورتب لهم فى اليوم الطعام واللحم والخبز ، وفى الشهر الحلوى والزيت والصابون .

بحيث أنه إذا قدم عليه منهم إنسان انتصب قائما على قدميه ومشى له خطوات، ولم يعرف لأحد من الملوك هذه الصفات حتى إن علماء التاريخ ذكروا أنه لم يعرف قبله من ملوك الترك [من] يقوم لفقيه، وكان لا يُمَكِّن أحداً من تقبيل كفه؛ غير أنه كان محباً لجمع الأموال، وفشا في أيامه البرطيل، وصار أحد لا يصل إلى وظيفة ولا عمل إلا بالأموال ففسد بذلك شيء كثير من الأحوال.

قال الشيخ تقي الدين المقريزي: «وكان مولعاً بتقديم الأسافل وحطّ قدر ذوي البيوتات، وغيّر ما كان للناس من الترتيب، وعادى أكابر التركمان والعربان والحجاز ببلاد مصر والشام، واشتهر في أيامه ثلاثة أشياء قبيحة: إتيان الذكور واشتهاره بتقديم المماليك الحسان، وتظاهر البرطيل الذي اقتدى الملوك به في ذلك حتى صار عرفاً منكراً». انتهى كلامه.

* * *

وحسناته تستغرق إساءاته إن لطف الله به وهو اللطيف الرحمن؛ وما قيل عنه من إتيان الذكور إنما هو ظناً لا قطعاً، والحامل لهم على هذا القول تقديمه المماليك الحسان وليس (١) ذلك بقادح فيه فإن غالب الملوك مع عفتهم يقدمون في خدمتهم ويبتاعون المماليك الحسان، فالقائل (٢) بأن مساويه أضعاف حسناته ليس إلا مبغضاً له ومتعصباً عليه والسلام:

---

(١) عبارة «وليس ذلك بقادح فيه فإن غالب الملوك مع عفتهم يقدمون في خدمتهم ويبتاعون المماليك الحسان» ساقطة من ز.

(٢) وردت هذه العبارة في ز على الصورة التالية: «فالقائل بأن مساويه أضعاف حسناته أمين لا مبغضا له ومتعصبا عليه والسلام»، وهذا مما يغير المعنى تماما من حيث حكم المؤلف على برقوق.

ولقد بالغ فى الحط عليه من قال إنه سمع العبد الصالح جمال الدين عبد الله السكسوكى[(١)] المغربى رحمه الله يخبر أنه رأى قرداً فى منامه صعد المنبر بجامع الحاكم وخطب ثم نزل ودخل المحراب ليصلى بالناس الجمعة، فثار الناس عليه فى أثناء صلاتهم خلفه وأخرجوه من المحراب ، وكانت هذه الرؤيا فى آخر سنة ثمان وسبعين وسبعمائة، وكان تقدمه على الناس وسلطنته تأويل هذه الرؤيا، ثم أخذ المحط عليه ينعته بأنه كان ملتحفاً بكثرة من أخلاق القردة: شحاً وطمعا وفساداً، فليت شعرى هذا المحط غفل عن أوصاف محاسنه ، ولكن هذا ظاهر لكل من يراه أنه ليس كذلك ، والأمر إلى الله الحاكم والمالك .

* * *

الكلام على سلطنة الملك الصالح حاجى بن الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون

وهو أن الملك الظاهر برقوق لما وصل إليه الخبر من الأمير يلبغا الناصرى أن يختفى حتى يدبر له أمراً استتر وتوارى حتى فُقد ولم يعرف له أثر ولا خبر [ثم] قدم الأمير منطاش بكرة نهار الثلاثاء خامس جمادى الآخرة إلى القلعة فتلقاه أمير المؤمنين الخليفة فأخذه وتوجه به إلى الأمير يلبغا الناصرى وهو بقبة النصر خارج القاهرة، وقد اجتمع عليه من العساكر ما لا يحصى ولا يحصر، وكذلك من العوام والزعر خارجاً عن التراكمين الذين حضروا صحبته من بلاد حلب وأعمالها وافترقوا على القاهرة فنهبوا دور الأمراء وحواصلهم، حتى إنهم بعد النهب أخربوا الدور وأخذوا الأبواب وانتقلوا إلى غير الأمراء من الناس القاطنين خارج القاهرة فنهبوهم وسبوا حريمهم، وركب ناصر الدين محمد بن الحسام أستادار أرغون والى البهنسا ـــ وكان قد قدم منها وهو من

(١) « السكسرى » فى النجوم الزاهرة ١١/٢٩٣ .

جهة الناصرى وربما لوح له بولاية القاهرة — وأراد أن يدخل من باب النصر فوجده مغلوقاً فتوجه من باب الفتوح ودخل جامع الحاكم وهو راكب[(١)] فرسه إلى القاهرة ففتح أبوابها وانضم إليه كثير من عسكر الناصرى، فعثوا فى المدينة وأفسدوا وآذوا العوام والخواص وحاصروا الدروب والحارات لينهبوها ، فتعصب الناس واجتمعوا وقاتلوهم قتال الحريم ، فانتقلوا منهم إلى حواصل الأمير محمود الأستادار بالقـــرب من الجامع الأزهر ، والدال لهم على ذلك الزعر ، وقاتلهم[(٢)] النـــاس وقتلوا منهم أربعـــة أنفار ، فحصل على المسلمين مالا يحل بالنصارى ، وبلغ الخبر إلى الناصرى فعين سيدى أبا بكر أمير حاجب وتنكز بغا رأس نوبة لحفظ القاهرة ومصر ، ونودى بالأمان والاطمئنان وأن من نهب شيئاً فلا يلومن إلا نفسه ، وأقام تنكز بغا رأس [نوبة[(٣)]] عند الجملون فى وسط القاهرة (١٢٣) وأقام ســيدى أبو بكر أمير حاجب بباب زويلة فكفا أذى المفسدين وسكن الحال .

ولمـــا وصل أمير المؤمنين إلى الأمير يلبغا الناصرى قام مهرولا فتلقـــاه وأجلسه بجانبه واستدعى قضاة القضاة والأعيان ، ثم نصب للخليفة خيمـــة عظيمة فتوجه إليها وكذا نصب للقضاة خيمة أخرى ، واستدعى الناصرى عساكره ومن انضم إليه من الأعيان وشاورهم فى تدبير أمرهم وإقامة أحـــد فى السلطنة ، فقالوا له[(٤)] : « أنت السلطان » ، فامتنع من ذلك غاية الامتناع ، فنهض بكتابة مرسوم على لسان الخليفة ولسانه — أعنى الناصرى — إلى ثغـــر سكندرية بالإفراج عن الأمراء المسجونين بها وهم ألطنبغا الجوبانى أمير مجلس وألطنبغا المعلم وقردم الحسنى وإحضارهم فى أسرع وقت من غير إمهال ،

(١) فى الأصل « راكبا » .
(٢) فى الأصل « وقاتلوهم » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من الأصل .
(٤) أى قالوا ليلبغا الناصرى .

وركب من فوره فى جمع لا يحصى من العساكر حتى قال المكثر إنهم ستون ألفاً أو يزيدون، وضبط عليق الجمال خاصة فى كل ليلة زهاء عن ألف إردب فول، فصعد إلى القلعة وتفرق الأمراء إلى منازلهم.

وفى أسرع وقت حضر لخدمة الناصرى المباشرون والأعيان مثل القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر الشريف والوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وموفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص وجمال الدين محمود وأصحاب الوظائف، وقاموا بخدمته ممتثلين أوامره، وندب ناصر الدين ابن الحسام لتحصيل الأغنام لمطابخ الأمراء، وإذا بصراخ وغاغة وغوغاء تحت القلعة كقطع الليل المظلم، وهُمْ أهل القاهرة يشكون من نهب الزعر والتركمان دورهم، فعند ذلك أمر منكلى الحاجب وسيدى أبو بكر الحاجب وآقبغا المارديني وبلوط [الصرغتمشى] وعدة من المماليك أن ينزلوا إلى القاهرة وينادوا فيها: « إن من تعرض لكم من الزعر والتركمان فاقتلوه ».

وأقام ابن الحسام — والى مصر — بباب زويلة يترقب من يدخل منها من المفسدين، فقبض على ثلاثة من التركمان وأثخنهم ضرباً وسجنهم بخزانة شمائل، فرجع غالب المناحيس وارتدعوا، وأردف الناصرى من تقدم بجماعة من الأمراء يحرسون ظاهر القاهرة، ورسم للأمير تنكزبغا بالقبض على من وُجد من مماليك الظاهر برقوق وتحصيلهم من أى مكان كان.

ثم إنه[1] استدعى الأمراء والأعيان وشاورهم فيمن يرضونه[2] سلطاناً عليهم فأجابوا بأنهم راضون به فامتنع من ذلك مراراً، فوقع الرأى أن ينصبوا الملك الصالح حاجى بن الأشرف شعبان لأن الظاهر برقوق خلعه بغير ذنب

(١) الضمير هنا عائد على يلبغا الناصرى. (٢) فى الأصل « يرضوه ».

ولا موجب ، ففي الحال صعدوا من الإصطبل إلى الحوش فاستدعوه وأركبوه بشعار المملكة إلى الإيوان وأجلسوه على تخت الملك ولقب بـ « الملك المنصور »[1] وهذه سلطنته الثانية ، وعهد إليه الخليفة وقلده أمور البلاد والعباد على العادة ، وتقدم[2] الأمراء فقبلوا الأرض بين يديه ودُقّت الكوسات وتوجه إلى القصر وسائر أعيان المملكة بين يديه ، وأشهر النداء بالقاهرة ومصر بالأمان والاطمئنان والدعاء للملك المنصور والأمير الكبير يلبغا الناصرى ، وأن من نهب شيئاً ولم يرده وعرف شنق بلا معاودة ، فاطمأنت قلوب الناس :

وقرر الناصرى فى خدمة الملك المنصور بالقصر من الأمراء : الأمير ألطنبغا الأشرفى وأرسلان اللفاف وقرا كشك وأردبغا العثمانى ، ونودى بمنع الأتراك والتركمان من الدخول إلى القاهرة ؛ هذا والأميران الأجلان أبو بكر بن سنقر وتنكز بغا رأس نوبة بالقاهرة لحفظها ، ورسم بإحضار الأمير حسام الدين ابن الكورانى والى القاهرة فأخلع عليه بين يدى الناصرى واستقر على عادته فى الولاية ، فسر الناس بولايته ونودى فى البلد بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء والدعاء للسلطان وللناصرى :

وطلب الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن عبد الرازق بن إبراهيم ابن مكانس فعين مشيراً للدولة ، وعين أخوه فخر الدين ناظر الدولة على العادة ، وعين أخوهما زين الدين فى نظر الجهات ، وأعيدت المظالم التى كان أبطلها الملك الظاهر من المكوس وأخذت من الناس على العادة وزيادة ، وأشهر

---

(١) هـذا هو اللقب الجديد الذى لقب به الملك الصالح حاجى بن الأشرف شعبان ، وفى ذلك يقول أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/٣١٩ « لم نعلم بسلطان تغير لقبه قبله ولا بعده » .

(٢) فى الأصل « تقدموا » .

النداء بالقاهرة بالأمان للجراكسة ، وأن المماليك والأجناد على حالهم ، ولا يخرج عن أحد منهم وظيفة ولا إقطاع .

[وفى] يوم الأربعاء سابعه (١) حضر الأمير [ألطنبغا الجوبانى وقردم] الحسنى وألطنبغا المعلم من سجن الإسكندرية فقبلوا يد الناصرى وصعدوا إلى القلعة فقبلوا الأرض بين يدى السلطان ، وأشهر النداء بمصر والقاهرة أن « من حضر من المماليك الظاهرية فهو مستمر على وظيفته وإقطاعه ، ومن اختفى بعد هذا النداء حل دمه وماله للسلطان » . وبرز المرسوم الشريف لسودون النائب بأن يلزم بيته بطالا ، وكان الأمير الكبير — الذى هو الناصرى — متغيراً على الأمير محمود الأستادار ، فترامى [محمود] على [٢٣ب] الصاحب كريم الدين ابن مكانس فإنه من أخصاء الناصرى فجمع [ابن مكانس] بينه وبينه وعمل مصلحته معه وآمنه لكن على مال يحمله إليه (٢) .

[وفى] ثامنه عملت الخدمة بالقلعة على العادة فأغلق بابها وقبض على تسعة من الأمراء المقدمين وهم الأمير سودون الفخرى الشيخونى نائب السلطنة وسودون باق وسودون الطرنطاى وشيخ الصفوى وقجماس الصالحى ابن عم السلطان الملك الظاهر برقوق وسيدى أبو بكر بن سنقر الحاجب وآقبغا المارديني حاجب الحجاب وبجاس النوروزى ومحمود بن على الأستادار ، ثم قبض على عدة من الأمراء الطبلخانات وهم : عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى وبورى الأحمدى وتمربغا المنجكى ومنكلى الشمسى الطرخانى ومحمد بن جمق ابن الأمير أيتمش [البجاسى] وطرخى (٣) وقرمان المنجكى وحسن قجا وبيبرس

(١) فى النجوم الزاهرة ١١ / ٣٠٢ « سادسه » .
(٢) أى يحمله إلى يلبغا الناصرى وليس لابن مكانس .
(٣) « جرجى » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٢١ .

التمارتمري وأحمد الأرغوني وأسنبغا الأرغون(١) شاوى ، وقنق السيفي ألجاى . وجرباش الشيخي وبغداد الأحمدي ويونس الرماح وبرسبغا(٢) الخليلي ، وبطا الطولوتمري وأنص(٣) المحمدي وتنكز العثماني وأرسلان اللفاف وتنكزبغا السيفي وآقبغا شادى وآقبغا اللاشيني وبلاط المنجكي وبجان المحمدي وألطنبغا العثماني وعلي بن أقتمر عبد الغني وإبراهيم بن طشتمر العلائي وخليل بن تنكزبغا ومحمد بن الدواداري وحسام الدين حسين بن الكوراني الوالي وبلبل الرومي الطويل والطواشي صواب(٤) السعدي وشكل المقدم ومقبل الزمام الدواداري ، وعدتهم خمسة وثلاثون أميراً .

و [قبض] من الأمراء العشرات على خمسة وثلاثين نفراً وهم : أزدمر الجوكاني وقماري الجمالي وجلبان أخو نامق وقرطاى بن ألجاى اليوسفي وآقبغا مامور الشيخي وصلاح الدين محمد بن تنكز وعيدوق العلائي وطولوبغا الأحمدي ومحمد بن أرغون شاه الأحمدي وإبراهيم بن الشيخ علي بن قرا وغريب بن حاجي ، وأسنبغا السيفي وأحمد بن حاجي بك بن شاذى وآقبغا الجمالي الهذباني وأمير زاده بن ملك الكرج وجلبان الكمشبغاوى وموسى ابن أبي بكر بن رسلان أمير طبر ، وقنق باى الأحمدي وأمير حاج بن أيدغمش وكمشبغا اليوسفي ومحمد بن آقتمر الصالحي الحنبلي النائب وآقبغا الناصري حطب ومحمد بن سنقر المحمدي وبهادر الفخري ومحمد بن طغاى تمر النظامي ويونس العثماني وعمر بن يعقوب شاه ، وعلي بن بلاط الكبير ومحمد بن أحمد ابن أرغون النائب ، ومحمد بن بكتمر الشمسي وألجيبغا الدوادار ومحمد

(١) أخطأت النجوم ، شرحه ، إذ سمته « أسنبغا الأرغون وشادى » .
(٢) في الأصل « روس بغا » والتصحيح من النجوم الزاهرة ٣٢١/١١ .
(٣) في النجوم الزاهرة ، شرحه « نوص » .
(٤) في النجوم الزاهرة ٣٢١/١١ « صواب السعدي المعروف بشنكل » .

ابن يونس الدوادار وخليل بن قرطاى شاد العمائر ومحمد بن قرطاى نقيب الجيش وقطلو بك أمير جندار .

ثم قبض بعد هؤلاء على جماعة من المماليك يطول ذكرهم .

* * *

وفيه سفر الأمير قجماس ابن‌عم الظاهر برقوق على البريد إلى طرابلس، ثم أفرج فى بقية يومه عن شكل المقدم الطواشى ومقبل الزمام وشيخ الصفوى ومحمد بن يونس الدوادار وإبراهيم بن طشتمر الدوادار وعبد الرحيم وعبد الرحمن أولاد منكلى بغا ومحمد بن الدوادار وخليل ومحمد بن قرطاى ويمن شاه وقمارى وحسين بن على الكورانى ، وهذا الأمر من سرعة الفرج عقيب الشدة .

وفيه أشهر النداء بمصر والقاهرة وظواهرهما : « مَنْ دَلَّ على السلطان [برقوق] أو أحضره : إن كان عامياً أعطى ألف دينار بعد خلعة سنية ، وإن كان جندياً أعطى إمرة عشرة ؛ وإن كان أمير عشرة أعطى إمرة طبلخاناه ، وإن كان أمير طبلخاناه أعطى تقدمة ألف ، وإن كان مقدم ألف أضيف إليه تقدمة زيادة ، ومن أخفاه أو والى على إخفائه صار دمه وماله هدراً للسلطان» فكثرت القالة بسبب ذلك بين العوام (١) .

[وفى] ليلة الجمعة تاسعه طلب ابن بقر وابن عيسى العائدى وقبض عليهما بعد أن قرر عليهما مال جزيل ، ثم شفع فيهما وأطلقا ليحملا المال .

[وفى] عاشره شفع أحمد بن يلبغا عند الناصرى فى صهره آقبغا المارداني فأفرج عنه من الحرّاقة وكذا عن محمد بن تنكز وأرسلان اللفاف .

(١) فى الأصل « الأعوام » .

وقدم الخبر أن جماعة من المماليك الظاهرية برقوق اجتمعوا بناحية أطفيح فركب الأمير منطاش إليهم وعاد ولم يقع لهم على أثر ولا خبر :

وفيه أشهر النداء ثانياً بالحث على إحضار الملك الظاهر وتضاعفت الأدعية له من الخواص والعوام وأظهروا الحزن والأسف على أيامه التي كانت كالأحلام، وصار الناصري وأصحابه وأخصاؤه في غاية ما يكونون من الثقل على الناس وبغضوهم بغضاً زائداً حتى إنهم أطلقوا القول فيهم جهاراً : « راح الظاهر وغزلانه ، وجا الناصري وتبرانه » :

وفيه قبض على الأمير محمود [الأستادار] وولده محمد وصُفِّد كل منهما بقيد زنته أربعون رطلا خارجاً عن قوائمه فإنها عشرة أرطال ، وجعل في عنق محمود ثلاث باشات :

[وفي] حادي عشريه خلع على الشريف بكتمر بن على الحسني واستقر في كشف الجيزة على عادته ، وخلع على ابن الطشلاقي واستقر في ولاية قطيا على عادته :

وفيه مسك بهادر الشهابي مقدم المماليك كان ، وكان قد حضر مع الناصري غير أنه اتهم بأنه أخفى الملك الظاهر برقوق عنده فختم على حواصله ورسم بنفيه من فوره إلى قلعة المرقب هو وأسنبغا المجنون ، فتوجها في الحال :

[وفي] ثاني عشره سجن الأمير محمود [الأستادار] بالزردخانة (١٢٤) وهو في القيد والباشات :

وفيه مسك الشيخ الصفوي .

وفيه طلب السلطان [حاجى] حسام الدين بن الكورانى وألزمه بإحضار المماليك الظاهرية فأشهر النداء بالقاهرة ومصر ، وأخاف كل من كانوا عنده غاية ما يكون من الرعب والتهديد ، وطلب التجار وأمرهم بنقل بضائعهم وتجاراتهم من الحوانيت إلى دورهم فاضطربت القاهرة وكثر كلام النــاس وأظهروا أن لا بد من حركة وفتنة ، فتأهبوا واستعدوا لها .

وفيه فشا فساد التركمان بمصر والقاهرة حتى إنهم صاروا يأخذون النساء من الطرقات ويهجمون عليهن(١) فى الحمامات ولا يجدن لهن نصيراً ، وعيوا مما يشكوهم ولا يفيدهم الإحذار بل ولا الإنذار ، وزاد أمر الزعر وقتالهــم وهابهم الناس :

وفيه برز المرسوم الناصرى للعسكر بنزع ما عليهم من الأسلحة والعــدد وكذا عن خيولهم فإنهم استمروا هم ومماليكهم لا يرى أحد منهم إلا ملبساً ، بل ولا يظهر منه إلا العينان إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره [حين] دلوا عــلى الملك الظاهر برقوق . وذلك أن الأمير أبا يزيد ــ أحد أمراء العشرات ــ أعلم الأمير ألطنبغا الجوبانى بمكانه ؛ وهو أن الملك الظاهر لمــا نزل من الإصطبل فى جوف الليل توجه إلى بيت أبى يزيد المذكور واختفى عنده ، فصار الهجم والحوطة فى دور كثيرة بسببه وهم لا يعرفون له مكاناً ، فخاف أبو يزيد على نفسه فأعلم بذلك الأمير ألطنبغا المذكور :

وقيل إنه لمــا نزل من الإصطبل من ليلة الاثنين توجه إلى النيل فعدّى منه إلى بر الجيزة ؛ وكان قد تبعه مهتار الطبلخاناه إلى الرميلة فرده ، وسار هو وأبو يزيد ، ففارقه السلطان [برقوق] وعدّى إلى النيل كما قدمنا ، ونزل

(١) استعمل جمع المذكر بدلا من نون النسوة فى هذه العبارة .

عند الأهرام فأقام به ثلاثة أيام ثم رجع إلى بيت أبي يزيد فأقام عنده إلى يوم الثلاثاء ثالث عشره حضر مملوك أبي يزيد إلى الناصري وأخبره بأن الملك الظاهر مستتر(١) عند أستاذه ، وكان الناصري قد أصر على تتبعه وتحصيله وطلب مهتاره النعمان وسأله فأخبره أنه توجه هو وأبو زيد وأنه لما تبعهما ردّه . فعند ذلك أمر [الناصري] حسين بن الكوراني بإحضار أبي يزيد وشدّد عليه وهدّده فلم يعترف له بشيء إلى أن حضر مملوكه ، فقوى عنده العلم بأنه مقيم(٢) عنده :

وقيل إن المملوك الذي دل على الملك الظاهر كان الوالي قبض على زوجته وعاقبها فأعلمته أنه في بيت رجل خياط بجوار أبي يزيد ، فاستدعوا أبا(٣) يزيد ثانيا وأرادوا الفتك به فاعترف أنه عنده ، فتوجه الأمير ألطنبغا الجوباني معه وسارا إلى المكان الذي الظاهر مقيم فيه ، فأوقف الجوباني أتباعه وصعد إليه بمفرده ، فلما عاينه الظاهر انتصب قائما له وأراد تقبيل يده فاستعاذ بالله من ذلك وكان من جوابه : « يا خوند أنت أستاذنا ونحن مماليكك ». ثم إن الملك الظاهر لبس(٤) قماشه وعمم رأســه وطيلس وجهه وركب فرساً وشق الصليبة في وسط النهار والنـــاس يبكون ويصرخون ويدعون له إلى أن صـــعد إلى الناصري في الإصطبل فرسم بتوجهه إلى قاعة الفضة بالقلعة ورسم لأبي يزيد بإحضار ما كان مع الظاهر ، فأحضر كيساً فيه ألف دينار فأنعم به عليـــه وخلع أيضاً عليـــه ، ورسم أن يكون في خـــدمة الظاهر غلامه المهتار النعمان ومملوكان ، وصُـــفِّد(٥) بقيد ثقيل ، وأجرى عليه كفايته من المطعم والمشرب :

(١) في الأصل « مستترا » . (٢) في الأصل « مقيما » .
(٣) في الأصل « أبو » .
(٤) الوارد في أبي المحاسن : النجـوم الزاهرة ١١/٣٢٥ أن الذي ألبســه ذلك هو الجوباني ، ويلاحظ أن هذا الخبر كله منظور فيه إلى رواية أبي المحاسن .
(٥) أي الملك الظاهر برقوق .

[وفى] خامس عشره قرئ عهد الخليفة للملك المنصور فأفيض على الخليفة المتوكل تشريف جليل وقدم له فرس بقماش ذهب وخلع على القاضى بدر الدين بن فضل الله ـــ لأجل قراءته العهد ـــ خلعة سنية .

وفيه أخلع على الأمراء الذين حضروا (١) مع الناصرى أقبية ملونة بطرز زركش .

وفيه استقر حسام الدين حسن الكجكلى فى نيابة الكرك عوضاً عن مامور القلمطاوى ، وأنعم على مامور بتقدمة ألف بالقاهرة .

[وفى] تاسع عشره سار حسن لنيابة الكرك .

وفيه ورد الخبر على البريد بأن الأمير آقبغا الصغير وألطنبغا أستادار (٢) جنتمر اجتمع عليهما من المماليك الظاهرية نحو الأربع مائة فارس وقصدوا الركوب على جنتمر نائب الشام ليقتلوه ويملكوا منه البلاد ، فبلغه الخبر فكبسهم على حين غفلة فلم يفلت منهم إلا اليسير ، وقبض (٣) من جملتهم على آقبغا الصغير .

وفيه أنعم على من يذكر من الأمراء بعدة وظائف وهم :

الأمير بزلار العمرى خلع عليه واستقر نائب الشام ، والأمير كمشبغا الحموى خلع عليه واستقر نائب حلب ، والأمير ممجق [الحسنى] خلع عليه واستقر فى نيابة طرابلس ؛ وخلع على شهاب الدين أحمد بن محمد بن الهيدبانى واستقر حاجب طرابلس .

(١) ذكرهم أبو المحاسن : شرحه ١١/٣٢٥ وهم منطاش والأمير بزلار العمرى (راجع عنه الدرر الكامنة ١/١٢٨٥) والأمير قراد مرداش الأحمدى (راجع عنه الدرر الكامنة ٣/٣٢٤٣) .

(٢) فى النجوم الزاهرة ، ١١/٣٢٦ « أقبغا أستادار آقتمر » .

(٣) هـذه الرواية تخالف رواية أبى المحاسن ، شرحه ١١/٣٢٦ حيث تشير الأخيرة إلى أن أقبغا الصغير أفلت ولم يقبض عليه .

[وفي] حادى عشريه رسم للأمير ألطنبغا الجوبانى بعرض المماليك السلطانية الظاهرية فعرضهم وعين منهم لخدمة السلطان مائتين وثلاثين مملوكا وسبعين من المشتروات نزلهم بالأطباق من القلعة، وفرق ما تأخر على الأمراء، وكان هذا العرض بالإصطبل السلطانى :

وفيه رسم لجماعة من الأمراء بالتوجه إلى حلب وهم : الأمير آقبغا الهيدبانى أميرآخور ويلبغا السودونى وتانى بك اليحياوى وسودون اليحياوى، وأنعم على كل نفر منهم بإمرة عشرة بحلب ورسم بسفرهم فى خدمة النائب(١):

[وفى] ليلة الخميس ثانى عشريه رسم للملك الظاهر برقوق أن يسافر إلى الكرك وأخرج من مكانه ثلث الليل إلى باب القرافة(٢) الذى هو أحد أبواب القلعة، وقد توجه معه (٢٤ ب) الأمير ألطنبغا الجوبانى وعدة من المماليك فركب هجيناً وساروا به إلى قبة النصر خارج القاهرة فأسلموه إلى الأمير سيف الدين محمد بن عيسى العائدى، فسار به على عجرود(٣) إلى الكرك فسلمه إلى نائبها الأمير حسن وأشهد عليه بتسليمه، فأنزله النائب فى مكان زهر يسمى « قاعة النحاس »، والعجيب أنه انتقل من « قاعة الفضة » إلى « قاعة النحاس »؛ وكانت ابنة الأمير يلبغا العمرى امرأة مامور — الذى عزل عن الكرك — مقيمة بالكرك فبالغت فى إكرامه وخدمته وأرسلت إليه مايحتاجه

(١) يقصد بذلك نائب حلب كمشبغا الحموى :

(٢) يستفاد مما أورده المقريزى فى الخطط ٢/٢٠٣ — ٢٠٤ فى ذكره صفة القلعة أن الداخل يدخل إليها من بابين أحدهما «الباب الأعظم» المواجه للقاهرة ويعرف بباب المدرج أو باب الدرفيل (أنظر ما سبق ص ١٩٩ حاشية رقم ١) الذى يجلس بداخله والى القلعة، وثانيهما باب القرافة .

(٣) كانت عجرود إحدى محطات الحاج القديمة فى الطريق بين القاهرة والسويس، أنظر على مبارك : الخطط التوفيقية ١٤/٧، ومحمد رمزى : القاموس الجغرافى ق ١ ص ٣٢١ .

من الفرش والآلات ، وصارت تطبخ له الأطعمة الملونة اللائقة بمقــامه ، ووفق الله تعالى حسناً نائب الكرك إلى الاعتناء بخدمته أيضاً مع أن الناصرى كان أوصاه به وأمره إن سمع شيئاً من أمر منطاش أو تحركه فيبادر بالإفراج عن الظاهر ، وكل ذلك فى الباطن ، فامتثل ما أمر به وزيادة وصار فى خدمته ويتعطف عليه ويتلطف لديه ويَعِـــدُه بأنه يتوجه به إلى معـــارفه الأمراء من التركمان ، وأخذ فى تحصين القلعة وصار مقيما عنده يخدمه ويأكل معه إلى أن صار السلطان لا يطيق فراقه وركن إليه وأنس به واطمأن إليه ، وصار لا يفعل شيئاً حتى يوقفه عليه :

[وفى] يوم الخميس خلع على نواب البلاد الشامية خلع السفر ونودى فى القاهرة ومصر أن المماليك الظاهرية يتوجهون(١) فى خدمة النواب ولا يتأخر منهم أحد بالقاهرة ، ومن أقام بعد النداء شنق وصار دمه هدراً للسلطان ، وكرر النداء من الغد بذلك :

وفيه خلع على الأمير قطلوبغا الصفوى واستقر فى نيابة صفد وخلع على الأمير بغاجق واستقر فى نيابة ملطية :

[وفى] رابع عشريه برز النواب بالريدانية للمسير إلى بلادهم :

[وفى] سادس عشريه أخلع على الأمير يلبغا الناصرى واســتقر أتابك العساكر وكذا على الأمير ألطنبغا الجوبانى واستقر رأس نوبة النوب ، وعلى الأمير قرا دمرداش الأحمدى واستقر أمير سلاح ، وعلى الأمير أحمد بن يلبغا واستقر أمير مجلس ، وعلى الأمير تمرباى الحسنى واستقر حاجب الحجاب :

وفيه خلع على قضاة القضاة الثلاثة وهم : شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى وجمال الدين عبد الله بن خيرة المالكى وناصر الدين نصر الله الحنبلى ،

(١) فى الأصل « أن يتوجهوا » ع

ولم يخلع على قاضى القضاة ناصر الدين بن بنت الميلق الشافعى بسبب توعك بدنه وانقطاعه ، وخلع على صدر الدين محمد المناوى مفتى دار العدل ، وعلى بدر الدين محمد بن فضـل الله العمرى كاتب السر وعلى الوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وعلى موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص وعلى جمال الدين محمود القيصرى ناظر الجيش وعلى فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة وعلى ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين ، وعلى مقدمى الدولة باستمرارهم على عادتهم ؛

وفيه أخلع على السـيد الشريف شرف الدين على بن السيد فخر الدين واستقر فى نيابة الأشراف على عادته وصرف الشريف جمال الدين عبـد الله الطبـاطبى ؛

وفيه أخلع على كمشبغا الأشرفى الخاسكى واستقر نائب قلعة الروم ؛

وفيه رحل النواب إلى البلاد الشامية فسافر معهـم غالب المفسدين من التركمان وأجناد الشام وأمرائها والمماليك الظاهرية برقوق ، ونودى فى المدينة أن لا يتأخر بهـا أحد من المماليك الظاهرية إلا من يكون فى خدمة السلطان والأمراء ومن تأخر منهم حل ماله ودمه للسلطان ؛

وفيه أخذ قاع البحر فكان خمسة أذرع وعشرين أصبعا ؛

وأشهر النداء فى يوم الأربعاء والخميس بأن يسافر من مصر من تأخر من الغرباء والأكراد والتركمان ؛

[وفى] يوم الخميس تاسـع عشريه صـعد قاضى القضاة ناصر الدين ابن بنت الميلق وقـد عوفى من علته فخلع عليه أسوة برفقته ، وخلع عـلى بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام قاضى العسكر وكذا على أخيه جلال الدين مفتى دار العدل وعلى شهاب الدين مفتى دار العدل المالكى ؛

وفيه خلع على نجم الدين محمد الطنبدى محتسب القاهرة وكذا حسام الدين العجمى محتسب مصر ، وخلع على شمس الدين الدميرى ناظر الأحباس ، وخلع على الأمير آقبغا الجوهرى واستقر استادار السلطان ، وخلع على الأمير ألابغا العثمانى واستقر دوادارا كبيرا ، وخلع على الأمير ألابغا الأشرفى رأس نوبة ثانيا ، وخلع على الأمير جلبان العلائى حاجبا ، وعلى بلاط العلائى خازندارا ؛ وخلع أيضا على شهرى نائب دوركى [1] ؛ وخلع على بقية أصحاب الوظائف ؛

وفيه ورد الخبر على البريد بأن الأمير نعير [2] بن حيار بن مهنا أمير العربان وصل إلى الشام وهو سائر منها إلى القاهرة [3] للفوز بمشاهدة الملك المنصور مع أنه لم يحضر فى أيام الملك الظاهر [برقوق] ؛

وفيه وصل فتح الدين محمد بن إبراهيم بن محمد الشهيد [4] كاتب سر الشام ؛

[وفى] سلخه نودى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والبيع والشراء ومن ظلم أو غبن أوقهر من عشرين سنة فعليه بباب الأمير الكبير الأتابكى يلبغا

(١) دوركى بضم الدال وسكون الواو وكسر الراء ، إحدى بلاد الروم من مضافات حلب ، أنظر ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ، ٢/٥٤٠ .

(٢) واسمه أيضا محمد بن حيار وهو أمير آل فضل بالشام راجع إنباء الغمر وفيات سنة ٨٠٨ ، والسخاوى : الضوء اللامع ١٠/٨٦٥ .

(٣) كان وصوله إلى القاهرة فى خامس رجب كما سيذكر ذلك ص ٢٣٠ س ١٤ — ١٦ ، حيث خلع عليه ونزل بالميدان الكبير وبقى بها حتى الثامن منه حيث خلعت عليه خلعة السفر .

(٤) هو فتح الدين محمد النابلسى الأصل ، وقد وصفه ابن حجر فى الدرر الكامنة ٣/٣٢٠ بأنه كان « أوحد عصره فى النظم والنثر ... ونظم السيرة فى بضع عدة ألف بيت » وسماها « الفتح القريب فى سيرة الحبيب » ، وكان موته بالقاهرة فى شعبان ٧٩٣ ، أنظر أيضا إنباء الغمر ١/٤٢٧ ، شذرات الذهب ٦/٣٢٩ — ٣٣٠ ، وعقد الجمان ، والسلوك .

الناصرى ، فليت شعرى ما يحتاج إلى عشرين سنة ، بل الظلم والقهر الذى حصل على مصر وأهلها بقدومك يكفيهم !!

(٢٥ أ) وفيه رتب الناصرى الأمراء المقدمين[(١)] وجعلهم أربعة وعشرين مقدماً[(٢)] وفرق عليهم المثالات ، فحصل عند منطاش من ذلك أمر كبير فى الباطن ؛

وفيه توجه الحجاب إلى حارة اليسرا من النصارى فنهبوا ما عندهم من الخمر الموضوع فى الجرار وحملوها إلى تحت القلعة فأريقت ؛

* * *

شهر رجب أهل[(٣)] بيوم السبت ؛

[فيه] رسم الأمير الكبير يلبغا الناصرى أن يقرر زامراً يزعق تحت باب السلسلة فقرر ذلك وزعق واجتمع عليه عند باب السلسلة جماعة كبيرة من الأمراء والمماليك ، وهذا أمر لم يسبق إليه ولا عُهِد ولا اتفق أبداً[(٤)] ، لكن العادة فى بلاد حلب أن الزامر يزعق على باب دار السعادة ؛

وفيه ركب الأمير يلبغا الناصرى الأتابكى فى عدة من الأمراء والخاصكية والمماليك السلطانية ، فتوجه إلى البحر وسير وعاد إلى الإصطبل ؛

وفيه عقد مجلس لقضاة القضاة الأربعة بالمدرسة الصالحية بسبب وقف أبيع على أنه ملك[(٥)] ثم ظهر أنه وقف[(٦)] ؛

(١) فى الأصل « المقدمون ... وعشرون » .

(٢) وذلك جريا على العادة القديمة قبل مجىء الظاهر برقوق .

(٣) يتفق هذا التاريخ وما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٦ .

(٤) أشار أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٣٣٠ إلى أن ذلك من عادة ملوك التتار إذا ركبوا يزعق الزامر بين أيديهم .

(٥) فى الأصل « ملكا » . (٦) فى الأصل « وقفا » .

[وفى] ثالثـه خلع على الأمير حسن بن باكيش واستقر نائب غزة على عادتـه .

وفيه خلع على عدة من الأمراء هم : الأمير بورى الأحمدى لا لا المقام الشريف ، والأمير أرسلان اللفاف ، والأمير قراكساك ، والأمير أردبغا العثمانى واستقروا رءوس نوب ؛ ورسم الأتابكى الناصرى أن رءوس نوب السلحدارية والسقاة والجمدارية [يكونون] ستة نفر من كل فرقة على عادتهم القـديمة قبل تقرير الملك الأشرف شعبان بهـم ثمانية فى عام ست وسبعين [وسبعمائة] بزيادة اثنين فى كل فرقة .

وفيه خلع على قطلوبك السيفى واستقر والى القلعة عوضاً عن بجاس ، واستقر الأمير زين الدين فرج أمير جندار بإمرة طبلخاناه .

وفيه خلع على شهاب الدين أحمد بن زين الدين عمر(١) القرشى الواعظ ، واستقر فى قضاء القضاة بدمشق عوضاً عن القاضى شرف الدين محمد بن المسلاتى(٢) ، وأضيف له مع القضاء نظر الجامع الأموى .

وفى خامسه صعد الأمير نعير إلى القلعة وتمثل لدى المواقف الشريفـة وقبل يدى الأمير الكبير يلبغا الناصرى فأخلع عليه ورسم له أن ينزل بالميدان الكبـير .

وفيه أخلع على الأمير ألابغا الدوادار واستقر فى نظر الأحباس ، وخلع على قرقماس الطشتمرى واستقر خازنداراً .

(١) فى الأصل « عمـير » وهو خطأ ، والوارد فى قضاة دمشق ، ص ١١٦ — ١١٧ أن يلبغا الناصرى ولاه قضاء دمشق وخطابتها ومشيخة الشيوخ والأسـوار والأسرى ، وأشار إلى أن وفاته كانت فى ١٩ رجب ٧٩٣ ، على حين جعلتها : الدرر الكامنـة ١/٥٨٣ فى التاسع منـه وكذلك إنباء الغمر ٤٢٣/١ ، وأنظر أيضا النعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ٤٠/١ س ١٧ وما بعده .

(٢) ابن طولون : قضاة دمشق ، ص ١١٥ — ١١٦ .

[وفى] ثامنه أخلع على الأمير نعير خلعة السفر وأنعم عليه بإقطاع وخيول وقماش وغير ذلك :

[وفى] ثالث عشره أنعم على صواب السعدى الطواشى شكل بإمرة عشرة بعد أن أخذ منه قبلها إمرة طبلخاناه ، ويشبه هذا الأمر مثل النصارى « ياشماس الله يميته راهب » قال : « دى درجة لأسفل » ، وما اتفق أن يكون مقدم المماليك بإمرة عشرة .

وفيه مسك الأمير بهادر القجاوى المهمندار :

وفيه وقع من الناصرى فى حق السلطان الملك المنصور بهدلة عظيمة واحتملها غصباً وتجرعها كرهاً ، وهو أن السلطان خلع على شخص واستقر به خياطه فبلغ الأمير يلبغا ذلك فطلبه وضربه وأخذ الخلعة منه وسلمه إلى شاد الدواوين ثم شفع فيه ولده[1] فأفرج عنه ، وحصل عند السلطان بسبب ذلك أمر كبير :

[وفى] خامس عشره[2] قبض على الأمير قراكشك ورسم بنفيه .

[وفى] سابع عشره رسم بالإفراج عن الأمراء المسجونين ، وسبب ذلك أن الأمير نعير لما قدم القاهرة وتمثل لدى المواقف الشريفة واجتمع بالأمير يلبغا شفع فى المذكورين فقبل شفاعته فيهم :

[وفى] ليلة الثلاثاء ثامن عشره عين الأمير يلبغا الناصرى — على لسان السلطان — عدة من الأمراء الألوف والطبلخاناة والعشرات وعدتهم أربعون أميراً ، منهم : الأمير منطاش والأمير ألطنبغا الجوبانى والأمير قرادمر داش

(١) أى ولد الأمير يلبغا واسمه « أحمد » وقد سماه السخاوى : الضوء اللامع ٢/٦٨٤ « بصاحب الكيس وأستاذ الظاهر برقوق » وقد ذبح مع أيتمش فى سنة ٨٠٢ ه .

(٢) فى الأصل « عشرينه » .

ليهجموا بالكبس على عربان الشرقية الزهيرية فإنهم بالغوا فى العتو والفساد واجتمعوا فصاروا فى عدد إذا ذبح لهم أربعـــة مائة رأس بقر تكفيهم أكلة واحدة ، وانتشروا فى بلاد الريف ينهبون ويفسدون ، فتوجه الأمراء إليهم وكبسوهم فشنوا فيهم الغارات نحو بلاد أشمون الرمان إلى السباخ فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقبضوا على ثلاثمائة رجل منهم وأخذوا ألف فرس ورجعوا إلى القاهرة ، فسمر منهم فى خامس عشريه ثمانون رجلا ، وأشهروهم على ظهور الجمال والمشاة الذين تأخروا ، ثم رسم بالإفراج عنهم ؛

[وفى] سابع عشريه خلع على طغنجى واستقر نائب ألبيرة ؛

وفيه خلع على بدر الدين محمد الكلستانى (١) واستقر قاضى العسكر عوضاً عن سراج الدين عمر بن العجمى ؛

واستقر محمد بن العلاف ــ إمام الأمير الكبير ــ محتسب مصر ، وكان مؤدب الأطفال بمصر ثم توجه إلى حلب فاتصل بالأمير يلبغا فصار إمامه عوضاً عن همام الدين ؛

وفى أول شهر شعبان طلبوا المؤذنين بالقاهرة ومصر ورسم لهم أن يقولوا بعد فراغ الأذان لكل صلاة : « الصلاة والسلام عليك يا رسول الله » عدة مرار ، وسبب هذا أن شخصاً من الفقراء الصالحين المعتقدين سمع فى ليـــلة الجمعة ــ بعد أن أذن للعشاء الآخرة ــ صلاة وسلاماً على النبى صلى الله عليه وسلم ــ (٢٥ ب) فأخذ بمجامع قلبه وأعجبه فقال لأصحابه : « اعملوا مثل هذا فى كل أذان » ، فقالوا : « سمعاً وطاعة » ، فنام وأصبح وقد زعم أنه رآى النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه يأمره بأن يقول لنجم الدين الطنبدى

(١) « الطستانى » فى ز ؛

أن يأمر الناس بذلك ، ففرح بما قاله و [بما] أخبره به هذا الرائى وأمره بذلك كما قدمنا ، فاستمر إلى يومنا هذا ؛

[وفى] يوم الاثنين ثانى شعبان خلع على علاء الدين الحلبى الفيومى واستقر موقع الدست عند الأمير الكبير ؛

وفيه خلع على قطلوبك النظامى واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضاً عن أبو درقة (١) ، وخلع على قطلوبغا التركمانى واستقر فى ولاية الفيوم عوضاً عن شاهين العلائى ، وخلع على تمراز واستقر فى ولاية البحيرة عوضاً عن أيدمر الشمس أبو زلطة ؛

وفى هذا اليوم زاد ماء النيل ثلاثين أصبعاً ؛

وفيه قبض على آقبغا اللاجينى ورسم بنفيه إلى دمشق ، وخلع على أمير ملك قريب جنتمر أخى طاز واستقر نائب الرحبة (٢) وأنعم عليه بتقدمة ألف ؛

وفيه رسم للمماليك الذين قُرروا فى الأطباق بالقلعة الظاهرية بالنزول منها وفرقوا على الأمراء ، ورسم أيضاً للمقدمين والسواقين والخدام ونحوهم بأن ينزلوا من القلعة ، فانكسر جانب السلطان وضعف أمره وصار له مجرد الاسم ، وصار أمر المملكة بيد يلبغا الناصرى ؛

وفيه حضر من الثغر السكندرى عدة من الأمراء وهم : أبو بكر بن سنقر الحاجب ومنكلى الطرخانى وعبد الرحمن بن منكلى بغا الطرخانى فأمروا بالتوجه إلى الشام إلا أبو بكر بن سنقر وعبد الرحمن فرسم لهما أن يلزما دورهما بطالين ؛

(١) لعله يقصد بذلك عز الدين أيدمر المعروف بأبى درقة .

(٢) اكتفى مراصد الاطلاع ٢/٦٠٨ بتعريفها لغويا فقال «هى الموضع المتسع بين أفنية البيوت» ، لكن أنظر Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, p. 10,

[وفى] خامسه خلع على آقبغا الفيل و استقر فى ولاية الشرقية عوضاً عن قطلوبك السعدى ؛

[وفى] سادسه نودى بوفاء النيل[(١)] ستة عشر ذراعا ووافق أنه سادس مسرى أيضاً ، وفتح الخليج وخلق المقياس على العادة ؛

[وفى] ثانى عشره خلع على الوزير الصاحب كريم الدين عبـد الكريم ابن عبد الرازق بن إبراهيم بن مكانس واستقر مشير الدولة ، وخلع على أخيه زين الدين نصر الله واستقر ناظر الإصطبلات الشريفة وديوان الأمير الكبير ، ونزلا إلى دورهما فى موكب جسيم وبين أيديهما زامر يزعق ، وهذا لم يعهد قط بمصر ؛

وفيه انتشر الخبر بأن الأمير منطاش تغير من يلبغا الناصرى ولم يصعـد للخدمة وعمل أنه ضعيف ، فتيقظ الأمير الكبير أنه يريد إثارة فتنـة ، فلم يتوجه لعيادته لكنه أرسل إليه الأمير ألطنبغا الجوبانى فى يوم الاثنين فدخل له واستوحش منه وأراد الانصراف ، فلما هم بالقيام قبض عليه وعلى عشرين مملوكاً من مماليكه وأراد قرقماس دواداره أن يمنعهم من ذلك فضرب بالسيف فمات من تلك الضربة ولكن بعد أيام قليلة ؛ وفى أسرع وقت ركب منطاش — عقب مسك الجوبانى — فى جماعة من مماليكه وأخصائه إلى باب السلسلة ، فأخذ ما وجده من الخيول التى تقف هناك تنتظر من بالإصطبل عند الناصرى وقصد الدخول من باب السلسلة ليدهم الناصرى فجأة على حين غفلة ، فمنعوه

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٦ أن غاية فيضان النيـل بلغت ١٩ ذراعا و ٤ قراريط ، كما يلاحظ — حسب جداول التـوفيقات — أن سادس شعبان يوافقـه السابع من مسرى ١١٠٥ ق ، ويتفق التوفيقات وتقويم النيل ١/١٩٧ فى أن زيادة النيل ثبتت إلى تاسـع بابه (= ٦ أكتوبر ١٣٨٩ م) وأن ذلك عد من النوادر ، أنظر أيضا النجوم الزاهرة ١١/٣٩٠ .

من ذلك بأن أغلقوا الباب ورمى عليه مماليك الناصرى من أعلى السور ، فعاد بالخيول إلى داره[١] وهى بالقرب من الرميلة مجاورة لمدرسة السلطان حسن ، فرسم بنهب بيت الأمير آقبغا الجوهرى وأخذ ما فيه من الخيول والقماش ، وأمر الأمير تنكز بغا رأس نوبة والأمير أزدمر الجوكندار دوادار الملك الظاهر ومعهم عدة من المماليك أن يصعدوا إلى سطح المدرسة الحسنية[٢] ، وأمدهما

(١) المعروف أنه اتخذ دار منجك اليوسفى دارا له ، وهذه الدار واقعة برأس سويقة العزى بالقرب من مدرسة السلطان حسن وكانت معدودة حتى القرن التاسع الهجرى من الآثار الإسلامية الهامة ، وقد ازدحمت سويقة العزى بالمبانى الضخمة فى تلك الفترة فكان بها حمام الأمير بشتاك الناصرى الذى لا يزال قائما حتى يومنا هذا بشارع سوق السلاح وكذلك جامعه وأيضا جامع أو مدرسة ألجاى اليوسفى المعروفة اليوم باسم جامع « السايس » نسبة إلى واحد تولى نظارته اسمه على بن أحمد الطيبرسى المعروف بابن السايس ، هذا وتقع سويقة العزى خارج باب زويلة بالقرب من قلعة الجبل ، أنظر المقريزى : الخطط ٢/١٠٦ ، ٣٩٨ — ٣٩٩ .

(٢) تعرف هذه المدرسة بالحسنية أو بالناصرية الحسنية و بجامع ومدرسة الملك الناصر حسن وهى لا تزال موجودة حتى اليوم مسجدا جامعا بميدان القلعة ، وقد أشار المقريزى : الخطط ٢/٣١٥ — ٣١٦ إلى أن موضعها كان بيت الأمير يلبغا اليحياوى (راجع عنه ابن حجر : الدرر الكامنة ٥/٥٠٧٨) تجاه قلعة الجبل فيما بين القلعة وبركة الفيل ، وقد صرف الناصر حسن عليها مبالغ ضخمة ، وكان فى عزمه إقامة أربع منائر عليها لكن حدث أن سقطت المنارة الثالثة — التى كانت على الباب — قبل إنشاء الرابعة ومات تحت الردم نحو ثلاثمائة من الأيتام ، فتطير الناس وعدوا ذلك السقوط نذيرا بزوال الدولة ، فقال الشيخ بهاء الدين أبو حامد السبكى يخاطب السلطان و يطمئن خاطره :

أبشر فسعدك يا سلطان مصر أتى * بشيره بمقال سار كالمثل
إن المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفى قد تبين لى
من تحتها قرئ القرآن فاستمعت * فالوجد فى الحال أداها إلى الميل
تلك الحجارة لم تنقض بل انهبطت * من خشية الله لا للضعف والخلل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها بالعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت * علما ، فليس بمصر غير مشتغل

بالنشاب والأحجار ، فصاروا يرمون على جماعة الناصرى الذين بالرميلة وهم فى أعلا المئذنتين وحول القبة .

وأمر الناصرى مماليكه بلبس السلاح وهرع المماليك الأشرفية والظاهرية إلى منطاش فصار فى نحو الخمسمائة فارس بعد أن كان عدد من ركب معه أول ما توجه لباب السلسلة نحواً من سبعين فارساً ، ثم اجتمع عنده من العوام والزعر عالم كبير ، وقويت الحرب بين الطائفتين فتراموا بالسهام وبالأحجار ورسم يلبغا لحسام الدين بن الكورانى والى القاهرة وللأمير مامور الحاجب أن يشهرا النداء بالنهب على دار منطاش والقبض على مماليكه وإحضار من قدروا عليه إلى الأمير الكبير ، فبرز لهما عدة من المنطاشية وغيرهم فهزموهما وهزموا من معهما ، فعادوا إلى الناصرى وأخبروه بصورة الحال ، وتوجه والى القاهرة فغلق أبوابها وقويت الحرب بين الفريقين ، ودنا منطاش بعساكره من القلعة وقرب الزعر والعوام وأعطاهم ووعدهم فقاتلوا معه قتال الحريم وفعلوا معه ذلك بغضاً فى الناصرى وما حصل عليهم من مقدمه مصر من المظالم والمفاسد فتعصبوا وصاروا يخطفون السهام التى يرمون بها جماعة الناصرى ويأتون بها إلى منطاش ، وقد تقسم العوام أقساماً فقسم منهم يحمل الأحجار وقسم ينقى النشاب ويصعدون به إلى سطح مدرسة السلطان حسن إلى أن دخل الليل وولى النهار ، واستمر منطاش قائماً على باب مدرسة السلطان حسن وهى ليلة الثلاثاء والرمى يأتيه من القلعة وهو ثابت لا يتحرك ، وحضر إليه فى هذه الليلة من الظاهرية عدة زائدة فأصبح يوم الثلاثاء راكباً فى ألف فارس بالسلاح وأتاه مماليك الأمراء (١٢٦) وغيرهم أفواجاً فقويت شوكته واستفحل أمره وعظم جانبه ، فأرسل إليه الناصرى الأمير بجمان والأمير قرا بغا الأبو بكرى فى عدة زائدة من المماليك السلطانية والخاصكية ومعهم المعلم أحمد بن الطولونى وصحبته

جماعة من الحجارين ليثقبوا بيت منطاش من خلف ظهره بحيث أنه لا يعلم بهم فينحصر بين الطائفتين ، فعلم بهم وجهز إليهم عدة من أعوانه فقاتلوهم وهزموهم ، ورتب الناصرى على الطبلخاناه عدة رماة [من] المقاتلين لمدرسة السلطان حسن فرموا على منطاش بجميع آلات الحصار من المدافع والمكاحل والنفط والنشاب فقتلوا عدة من العوام وجرحوا كثيراً منهم ، وركب الأمير أحمد بن يلبغا والأمير جمق بن أيتمش فى عدد كبير فطردوا العوام وقتلوا منهم وجرحوهم ، فاجتمع العوام مع فرسان منطاش وحملوا عليهم حملة واحدة فهزموهم هزيمة قبيحة ، واستمرت الحرب بينهما حتى انتهى النهار ، فطلب منطاش الأمير آقبغا المارداني فحضر إليه وصار من أعوانه وصار الأمراء يتسللون شيئاً فشيئاً إلى منطاش ، وصار كل من يحضر إليه من الأمراء يرسم عليه من يحفظه ويأخذ مماليكه فيقاتل بهم حتى ظهر على الناصرى علامة الذل والهوان ، و[لما] رأى حسين بن الكورانى أن الناصرى فى غلبة وانحطاط ، وأن منطاش فى الظفر والسمو خاف على نفسه فاختفى ، فعند ذلك طلب منطاش ناصر الدين بن ليلى نائب حسين بن الكورانى فأخلع عليه بولاية القاهرة وألزمه أن يهجم الدور التى للأمراء كائناً من كان ويأتيه بما وجد فيها من السلاح لا سيما النشاب ، فدخل القاهرة وأحضر إليه بشىء كثير من السهام ، ونادى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان وإبطال المكوس والدعاء للأمير الكبير منطاش بالنصر ، فعند ذلك أرسل الناصرى إليه الخليفة المتوكل على الله ليتكلم معه فى الصلح وإخماد الفتنة فكان جوابه : « أنا فى طاعة السلطان وراض عن جميع الأمراء وموافقهم ، لكن غريمى الناصرى لأنه خان العهود والأيمان فإنه حلف لى أيماناً متعددة بسيواس وبحلب وبالشام بأنى أكون أنا وإياه شيئاً واحداً ، وأن حكم السلطان ليس لنا فيه دخل ، فترافع على

وبهدلنى ثم بهدل السلطان ومنعه من الحكم والتصرف وانفرد بالمملكة وصرت عنده تارة يجهزنى لقتال العربان وتارة لغير ذلك مما يخطر له ، ولم يجعل لى من المال سوى مائة ألف درهم وأخذ هو ما لا يحصر من الأموال ، وخرج أحسن الإقطاعات وأضافها لنفسه وأعطانى أحقرها ، وهو أن إقطاعى ستمائة ألف درهم فى السنة وهو إقطاعه قدر ذلك عشر مرار ، ووالله ثم والله ما أكف عنه حتى أقتله أو يقتلنى أو يقيم سلطاناً يتصرف فى الأمور » ، فعاد الخليفة إلى الناصرى وأعاد له ما سمع ، فعند ذلك جمع [الناصرى] أصحابه وأخصاءه وركب بهم ونزل لقتال منطاش ، فبرز إليه وقاتله قتالا عظيما فكسره ؛ وحضر إليه وهو فى أثناء القتال عدة من الأمراء منهم : عبد الرحيم ابن منكلى بغا وصلاح الدين محمد بن تنكز وصحبته خمسة أحمال نشاب ، ومن المآكل ثمانون حملا وعشرة آلاف درهم فضة ؛ ثم إن الأمير قرادمرداش وأحمد بن يلبغا وألطنبغا المعلم ومامور [القلمطاوى حاجب الحجاب] ركبوا وقصدوا القتال مع منطاش فقاتلهم ساعة ، وصار الرمى فى أثناء القتال ينزل على جماعة الناصرى من مدرسة السلطان حسن والعوام(١) تحطم عليهم وتارة يلقطون النشاب من الرميلة ويدفعونه إلى الذين بأعلى المدرسة ، ومنطاش يتأدب مع العوام ويلين خطابهم له حتى يقول : « أنا واحد منكم » ، فكلما سمعوا منه هذا المقال بذلوا نفوسهم فى خدمته ، هذا مع شدة الرمى من القلعة على مدرسة حسن وكذا من مدرسة حسن على القلعة ، ودُل منطاش على حاصل لجركس الخليلى وحاصل لبكلمش فظفر بهما وأخذ منهما سلاحاً كثيراً ونشاباً لا يعلم عدده فتقوى به ، ونزل إليه الأمير مامور و [قرا] كشك وجمق بن أيتمش فى جماعة كثيرة من المماليك ، فهرع إليه العوام فصاروا يرمونهم بالأحجار

---

(١) فى الأصل « الأعوام » .

حتى كسروهم، وأصاب حجر من حجارة المدفع القبة فخرقها وقتل مملوكاً من مماليك منطاش، فأرسل منطاش من أحضر إليه ناصر الدين محمد بن الطرابلسى وكان غلامه أستاذاً فى الرمى بالمدافع النفط، فلما حضروا به أمر بتوسيطه فجرد من أثوابه بسبب أنه تأخر عن خدمته فما زال يعتذر إليه حتى عفى عنه وبادر ومعه طائفة من الفرسان فأحضر آلات النفط والمدافع، وصعد أعلى المدرسة وصار يرمى على المكان الذى الناصرى جالس فيه حتى أحرق جانباً كبيراً من الخيمة، ففر السلطان والناصرى والخليفة من ذلك الموضع إلى موضع غيره، وما فرغ النهار حتى صار منطاش فى نحو الألفى فارس، وهكذا كان حال الملك الظاهر برقوق مع الناصرى، وكما تدين تدان؛ وبات الفريقان والرمى لا يبطل بينهما ساعة واحدة حتى أصبح يوم الأربعاء فحضر إلى منطاش عدة من مماليك الأمراء، ثم أتاه الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب والأمير قردم الحسنى ومعه عدة من الأمراء (٢٦ ب) وصاروا من حزبه، وانتدب لحربه الأمير قرادمرداش وأحمد بن يلبغا فانهزموا عدة مرار وصار أصحاب الناصرى ينفلون عنه ويحضرون إلى منطاش شيئاً فشيئاً ولقبوا (١) العوام مع الأتراك فإنهم صاروا — أى الأتراك — من وجدوه من العوام يقولون له: «ناصرى؟ أو منطاشى؟» فإن قال «ناصرى» حملوه إلى منطاش، وإن قال «منطاشى» أخذوا ما عليه من الثياب وسجنوه حتى يحضروا به إليه.

ثم إن العوام توجهوا إلى بيت أيدكار وازدحموا عليه حتى أحضروه إلى منطاش فأكرمه ورحب به وأدناه، وحضر إليه الأمير ألطنبغا المعلم فعين معه عدة من المماليك ورتبهم على جهة يقفون فيها ويقاتلون هناك، وأرسل إليه

(١) يستفاد مما ورد فى النجوم الزاهرة ١١/٣٣٨ أن العامة كانت تمسك من وجدته من الترك تسأله عما إذا كان ناصريا أو منطاشيا.

الأمير قرادمرداش يستأذنه فى الحضور طائعاً ويطلب منه الأمان فلم يأذن له، وحضر إليه الأمير بلوط الصرغتمشى بعد أن قاتله عدة مرار ، وحضر إليه أيضاً جمق بن أيتمش طائعاً واعتذر مما فعله فقبل معذرته ، إلى أن أذن للعصر اضمحل عسكر الناس وبقى فى شىء يسير فلم يسعه إلا الفرار، فهرب هو وقرا دمرداش وآقبغا الجوهرى وابن يلبغا وآلابغا الدوادار وكشلك ومعهم نفر قليل من المماليك ، وكانوا غلقوا باب الإصطبل وصعدوا إلى القلعة فتوجهوا من باب القرافة ، فأرسل أهل القلعة قصادهم إلى منطاش فأعلموه بهروبهم فركب وصعد إلى الإصطبل بعساكره ووقع النهب فيه فأخذوا ما وجدوه من خيول وقماش ، وصار الزعر ينهبون ويأخذون فنهبوا من الإصطبل مالا تحصره الأقلام لكثرته ، ثم إن الزعر توجهوا إلى دور الأمراء المنهزمين يريدون نهبها فأخذوا منها مالهم قدرة على أخذه ومنعهم الناس من بقية المواضع ، ونام فى الإصطبل منطاش فى موضع الناصرى إلى أن أصبح يوم الخميس تاسع عشره فصعد القلعة إلى السلطان وأعلمه بأنه طائع منحاز إليه وفى خدمته وتمثل بين يديه ، ورسم لرءوس النوب بجمع المماليك وأن يصعدوا بهم إلى الأطباق بقلعة الجبل على العادة ونزل هو إلى الاصطبل ، فحصل الأميران وهما أحمد بن يلبغا ومامور وأحضرا بين يديه فرسم بسجنهما فى قاعة الفضة ، وأخرج الأمير بجمان فجلس بها ،وكتب باستدعاء الأمير سودون الفخرى النائب ، ثم إنه استدعى بالوزير الصاحب كريم الدين بن الغنام وبقية المباشرين وأعيان الدولة ، ثم قبض على الأمير يلبغا الناصرى من ناحية سرياقوس ورسم بسجنه فى قاعة الفضة من القلعة ، وكان الناصرى قد سجن الملك الظاهر بها ، فانظر إلى القصاص ما أقربه ، والجزاء من جنس العمل ؟.

[وفى] عشريه قبض على الأمير قرا دمرداش ؟

وفيه خلع على الأمير دمرداش القشتمرى واستقر فى نيابة الكرك ثم بطل ذلك فى بقية يومه :

وفيه قبض على الأمير ألطنبغا المعلم وكشلى القلمطاوى وآقبغا الجوهرى وألطنبغا الأشرفى وألابغـا العثمانى وفارس الصرغتمشى وكمشبغا وشـيخ اليوسفى وعيدوق العلائى وجهزهم إلى إسكندرية أجمع :

[وفى] حادى عشريه حصل الإنعام على الأمير إبراهيم بن قطاوتمـر الخازندار بإمرة مائة وتقدمة ألف واستقر أمير مجلس :

وفيه توجه البريد يستدعى الأمير قطاوبغا الصفوى نائب صفد والأمير أسندمر الشرفى ويعقوب شـاه والأمير تمان تمر الأشرفى ، وقرر كل منهم فى تقدمة ألف :

وفيه سجن كريم الدين بن مكانس بخزانة شمائل بعـد أن ضرب وعصر مرتين فدل على حاصل لجركس الخليلى فأخذ منه أموال جمة :

[وفى] ثامن عشريه قبض على جماعة من الأمراء هم : تمرباى الحسنى حاجب الحجاب ، ويلبغا المنجكى وإبراهيم بن قطلوتمر أمير مجلس ، وخلع على ناصر الدين بن ليـلى واستقر فى ولاية القاهرة ، ورسم بإخراج تقطاى الطواشى إلى الشام ولكن بإمرة طبلخاناه :

[وفى] ثالث عشريه وقع القبض على جماعة من الأمراء وهم : أيدكار العمرى وقردم الحسنى وأرسلان اللفاف وقراكساك السيفى وآقبغا المادرانى وعدة من المماليك :

[وفى] خامس عشريه طلع فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة إلى الأمير منطاش طائعاً مختاراً فقرر عليه مالا ، واستقر فى وظيفته على عادته :

وفيه قبض على الطواشى جوهر اليلبغاوى اللالا للملك المنصور وكذا على الطواشى مقبل الدوادارى .

وفى هذا اليوم أنعم على الأمير ألطنبغا الدوادار الناصرى بإمرة فى صفد، وعلى بكتمر الدوادار الثانى بإمرة فى طرابلس ، وعلى رأس نوبته بإمرة مائة فى حلب :

[وفى] سادس عشريه خلع على مبارك شاه واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى بحكم انتقال قطلوبك النظامى منها إلى نيابة صفد عوضا عن قطلوقجا الصفوى بحكم استقراره فى تقدمة ألف :

وفيه أنعم على إبراهيم بن قطلوتمر الخازندار بإمرة تقدمة ولكن بحلب ، وخرج من يومه مسافراً حسب المرسوم المنطاشى ، وكذا رسم على الأمير قرا كسك بإخراجه فى يومه إلى طرابلس على إمرة :

وفى هذا اليوم عوقب الطواشى صندل المنجكى وقرر على ذخائر السلطان الملك الظاهر وعصر مراراً ، وآخر أمره أنه دل على غالبها .

وفيه خلع على شمس الدين ابن الرويهب واستقر فى نظر الدولة رفيقاً للفخر ابن مكانس :

وفيه طلبوا كتاب الدولة وقرروا عليهم مالا يحملونه فتوازعوه على كل إنسان بحسب مقامه ، وخلع على همام الدين واستقر فى حسبة مصر عوضاً عن إمام الدين إمام الملك الظاهر ، وأعيد سراج الدين العجمى إلى قضاء العسكر :

(٢٧ أ) [وفى] ثامن عشريه قدم الأمير سودون النائب من ثغر اسكندرية فرسم بلزوم داره بطالا :

وفيه حضر أميران من الشام فرسم بنفيهما إلى قوص وهما : الأمـير منكلى الشمسى الحاجب وطرجى الحسنى ، وأما الجـوبانى فإنه مسجون بقاعة الفضة بالقلعة كما قدمنا ذكر ذلك :

* * *

وفيه كانت النفقة المنطاشية فأنفق(١) فى مائة منهم ألف دينار : ضريبـة مائة دينار الواحد ، وبعدهم لكل نفر عشرة آلاف درهم ، ودونهم خمسة آلاف كل نفر ، وأقل منهم ألف درهم لكل إنسان ، ودونهم خمسمائة ، وما دونهم مائتا درهم ، وهذه النفقة من الخزائن السلطانية :

[وفى] تاسع عشريه خلع على زين الدين نصر الله بن مكانس واسـتقر فى نظر الإصطبل السلطانى بعد أن قرر عليه مال وحمله :

* * *

شهر رمضان

أهل بيوم الاثنين(٢) :

فى ثانيه جمع منطاش المماليك الظاهرية بالإصطبل وغلق عليهم الأبواب فمسك منهم ما يزيد على مائتين بعد أن أخذت خيولهم وقيدوا وسجنوا ببرج قلعة الجبـل وأشهر النـداء بالقاهرة : « من حضر بمملوك من المماليك الظاهرية أو دل عليه فله كذا وكذا ، ومن أخفاه هدد بكذا وكذا » :

وفيه مسك آقبغا الماردانى وقيد بعد أن كان خلع عليه واستقر فى نيابة الوجه القبلى عوضاً عن مبارك شاه ثم عصر وعوقب عقاباً شديداً حتى يخـبر بالمماليك الظاهرية ويقر عليهم :

(١) فى نسخة ن « فأنفق فى مائة ألف منهم ألف دينار ضريبة مائة دينار » .

(٢) يتفق هذا التاريخ وماجاء فى النجوم الزاهرة ١١/٢ ٣٤٢ س ١٢ ، ولكن الوارد فى التوفيقات الإلهـامية ، ص ٣٩٦ أن أول رمضان هو الثلاثاء = ٢٤ أغسطس ١٣٨٩ .

[وفى] ثالثه قبض على الأمير سودون النائب بعد أن حضر من اسكندرية ورسم له بأن يلزم بيته وله خمسة عشر يوماً فى داره ، وقرر عليه مال يحمله للأمير منطاش ، وقبض على الأمير قردم الحسنى ، وجماعة من الأمراء بعد أن أطلقهم ، وهم : الأمير بورى الأحمدى وأرغون السلامى وشاهين أمير آخور وبهادر فطيس أمير آخور وعدة من المماليك الظاهرية .

[وفى] رابعه رسم بضرب الأمير آقبغا المارداني وبضرب عبد الرحمن ابن الصاحب كريم الدين بن مكانس فضربا ضرباً مبرحاً ، فحمل ابن مكانس مالا له صورة ووقع الطلب على ما قرر على الأمير سودون النائب وهو أن يحمل ستمائة ألف درهم كان أنعم عليه بها الملك الظاهر برقوق .

وفيه أشهر النداء بالقاهرة بتجهيز الناس إلى الحجاز الشريف صحبة الأمير أبى بكر بن سنقر .

وفيه اجتمع عالم كبير من العوام والخاص والناس تحت باب السلسلة وهم يدعون للأمير منطاش ويسألونه فى إعادة حسين بن الكورانى إلى ولاية القاهرة فإن الزعر كثر عتوهم وفسادهم بسبب أن منطاش استدعاهم لحربه مع الناصرى وأنفق(١) فيهم ستين ألف درهم وليس لهم من يقمعهم إلا ابن الكورانى ، فطلب فى وقته وخلع عليه ونزل فى موكب جسيم .

[وفى] خامسه مسك الوالى عدة من المماليك الظاهرية وسجنهم ونادى بالقاهرة : « إن من أحضر مملوك فله كذا ومن أخفاه وظهر عليه حل دمه وماله للسلطان » ، وتتبع الزعر فقبض على عدة منهم نحو الأربعة عشر نفراً فقطع

(١) فى الأصل « نفق » .

أيديهم وشهرهم فى يوم الأحد ، وقرر بكل حارة من الحارات عـدة من الخفراء وألزمهم بإحضار الزعر فأحضروهم من كل مكان ، وصار يضربهم ويسجنهم بخزانة شمائل ؛

[وفى] ثامنه قبض على الأميرين : قطلوبغا الصفوى نائب صفد وأسندمر الشرفى بن يعقوب شاه ورسم بنفيهما وأنعم لها بإمرة ؛

وفيه رسم بمسك من كان فى خدمة الأمراء من الناصرية حتى البطالين فأحيط عليهم من بيوتهم وإسطبلاتهم وأودعوا خزانة شمائل مقيدين فى أتعس الأحـوال ؛

وفيه غمز للظاهر على ذخيرة بجوار جامع الأزهر وظفر بها منطاش فطاش ؛

وفيه أفرج عن الأمير محمود الأستادار وخلع عليه خلعة سنية ، وكان له موكب جسيم إلى الغاية ؛

[وفى] تاسعه قبض على الشريف عنان (١) بن مغامس وسجن .

وفيه ورد البريد مخبراً بأن الأمير نعير بن حيار بن مهنا أمير العربان لمـا بلغه ما وقع للأمير يلبغا الناصرى غضب لذلك غضبا شديداً ، واتفق هـو وسولى بن ذلغادر ونهبوا عدة من البـلاد الحلبية ، وأن الأمير بزلار نائب الشام لمـا بلغه هذا الأمر أيضا خرج عن الطاعة .

وفيه خلع على أبى بكر بن المزوق واستقر فى ولاية الشرقية عوضاً عن آقبغا الفيل ؛

وفى عاشره حضر من الإسكندرية على ظهر النيل إلى بولاق جمـاعة من الأمراء المسجونين ، فأخبر الأمير منطاش بهم فرسم لعدة منهم بالتوجه إلى

---

(١) راجع ترجمته فى الضوء اللامع ٦/٤٦٤ ؛

دمياط وهم : ألطنبغا العثمانى وبطا الطولوتمرى وألطنبغا مناوى وعبدوق العلائى وعدتهم أربعة أنفار ، ورسم بتوجه عدة منهم إلى قوص وهم : تمربغا المنجكى وقرمان المنجكى وقنق باى السيفى و بيبرس التمان تمرى وطرجى الحسنى وقوصون المحمدى وحسن خجا ومقبل الرومى وبغداد الأحمدى ويونس الأسعردى وبلاط المنجكى وطولوبغا الأحمدى .

وفيه حمل الأمير سودون النائب إلى الأمير منطاش مالا مما قرر عليه ، واستمر مطالبا بالمتأخر .

[وفى] حادى عشره قبض منطاش على شخص من أخصائه وأحبابه وقيده وهو الأمير أرغون البجمقدار العثمانى .

[وفى] ثالث عشره خلع على الأمير جوهر الطواشى واستقر فى تقدمة المماليك السلطانية عوضاً عن صواب السعدى شكل ورسم بإخراجه من القلعة ، وخلع على صارم الدين إبراهيم بن بكرغى واستقر فى ولاية القلعة عوضا عن جلبان أخى مامق .

وفيه عينت عدة تقادم برسم من يذكر من الأمراء وهم(١) : ناصر الدين محمد ولد الأمير منطاش وقطاوبغا الصفوى ، وأسندمر بن يعقوب شاه ، وتمان تمر الأشرفى ، وأيدكار العمرى ، وأسندمر الشرفى رأس نوبة منطاش وجنتمر الأشرفى ، ومنكلى بيه الأشرفى ، وتكا الأشرفى ، ومنكلى خازندار منطاش ، وصراى تمر دوادار منطاش ، (٢٧ ب) وتمربغا الكريمى وألطنبغا الحلى ومبارك شاه ، وعدتهم أربعة عشر أميراً بأربع عشرة تقدمة ، وأنعم على ستة وعشرين أميراً كل واحد بإمرة طبلخاناه وهم : الشريف بكتمر على الحسنى ، وأبو بكر بن سنقر الجمالى ، ودمرداش القشتمرى ، وعبد الرحمن

(١) فى ز « عدة مقادم هم من يذكر » .

ابن منكلى بغا ، وجلبان السعدى ، وأروس بغا السيفى ، وإبراهيم بن طشتمر ، وصربغا الناصرى ، وتنكز الأعور الأشرفى ، وصراى تمر الأشرفى ، وآقبغا المنجكى ، وتلكتمر المحمدى ، وقرا بغا السيفى ، وقطلوبغا الزينى ، وتمربغا المنجكى ، وأرغون شاه السيفى ، ومقبل السيفى منطاش أمير سلاح ، وطيبرس السيفى رأس نوبة ، وبيرم خجا الأشرفى ، وألطنبغا الجربغاوى ، ومنجك الزينى ؛ وبزلار الخليلى ، ومحمد بن أسندمر العلائى ، وطاس بغا السيفى ، وإلياس الأشرفى ، وقطلوبغا السيفى ، وشيخون الصرغتمشى ، وجلبان السيفى ، وألطنبغا الطازى ، وإسماعيل السيفى وحسين بن الكورانى الوالى : وأنعم على اثنين وثلاثين أميراً كل واحد بإمرة عشرة ، وهم : صلاح الدين محمد بن تنكز ، وخضر ابن عمر بن بكتمر الساقى ، ومحمد بن يونس الدوادار ، ومحمد بن رجب ابن محمد التركمانى ، ومحمد بن رجب منكوتمر (١) عبد الغنى ، وعلى الجركتمرى ، وجوهر الصلاحى ، وإبراهيم بن يوسف بن بلرغى (٢) ، ولؤلؤ العلائى ، وتنكز العثمانى ، وصراى تمر الشرفى ، ومنكلى بغا المنجكى ، وآقسنقر الأشرفى ، وجركس القرانعاوى ، وأسنبغا التاجى ، وسنقر السيفى ، وكزل الجوبانى ، وقرابغا الشهابى ، وبك بلاط الأشرفى ، ويلبغا التركمانى ، وأسنبغا الأشرفى ، وحاجى اليلبغاوى ، وأرغون الزينى ، وتمر الأشرفى ، وجنبغا الشرفى ، وجقمق السيفى ، وأرغون شاه البكلمشى ، وألطنبغا الأشقر ، وصراى السيفى ، وألطنبغا الإبراهيمى ، وآقبغا الأشرفى ، وألجيبغا السيفى :

[وفى] خامس عشره أشهر النداء بالقاهرة ومصر من بيت الوالى حسين (٣) مرسوم الأمير الكبير منطاش أن أحداً من الزعر لا يحمل سلاحاً ألبتة ، ومن وجد معه سلاح أو شالق بالأحجار وسط بلا معاودة فى أمره .

(١) « جنتمر » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٤٦ .
(٢) « برلغى » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٤٦ .
(٣) لعلها « حسب » .

[وفى] ثامن عشره حصّل الوالى ستة أنفس من الزعر، ومعهم السلاح فقطع أيديهم وأشهرهم ، فرجع الباقون :

[وفى] تاسع عشره قدم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء من الشام ، وخرج للقائه الأكابر والأعيان :

وفيه خلع على عمر بن خطاب واستقر فى ولاية الغربية عوضاً عن فرج ابن أيدمر بحكم صرفه عنها وانتقاله إلى الوجه البحرى .

وفيه وقع القبض على الأمير جمال الدين محمود [الأستادار] :

وفيه ورد البريد من الشام مخبراً بأن الأمير جنتمر أخا طاز قبض على الأمير بزلار نائب الشام . وفى هذا اليوم نزع (١) الأمير منطاش عن بدنه ورأسه آلات الحرب والقتال ، وأمر العسكر بنزعها فنزعوها ، وكان من حين حصل بينه وبين يلبغا ما حصل وهو لابس آلة الحرب هو ومن معه إلى هذا اليوم .

وفى حادى عشريه قبض على الأمير جمق بن أيتمش وعلى بيرم العلائى رأس نوبة أيتمش :

وفيه حضر سيف بزلار نائب الشام ، وكيفية القبض عليه : أن الأمير منطاش لما ظفر بالنصر على الناصرى واستبد بالأمر فى المملكة كتب إليه أن يحضر إلى القاهرة فى ثلاثة سروج [لا غير (٢) على البريد] فكان جوابه : « لا أحضر إلا فى ثلاثين ألف سرج » ، وتعالى وبالغ فى الجواب ، فكاتب منطاش فى الباطن الأمير جنتمر أن يقبض عليه ، وله نيابة الشام ، وكتب

(١) وذلك لأنه كان شديد الخوف من بزلار بن عبد الله العمرى نائب الشام ، انظر الدرر الكامنة ٢/١٢٨٥ ، والنجوم الزاهرة ١١/٣٨٤ — ٣٨٥ ، وإنباء الغمر ١/٣٨٥ :

(٢) الإضافة من النجوم الزاهرة ١١/٣٤٦ .

[منطاش] إلى محمد شاه بن بيدمر بمساعدة جنتمر ، وأن يكون أتابك دمشق ، وإلى جبرائيل — حاجب الحجاب — بصورة الحال فتعاونوا عليه وما زالوا به حتى قبضوه غير أن دواداره فرمنهم وحشد عليهم ، فانضم إليه جمع كثير وأظهر العصيان وهو مقيم خارج دمشق .

* * *

وفيه حضر البريد من غزة مخبراً بخلاص الملك الظاهر برقوق [وأنه] خلص من سجن الكرك واستولى على مدينتها بموافقة نائبها(١) وأهلها وانضم لخدمته عالم كثير ، ومن جملة من انضم له ابن خاطر أمير بني عقبة من عرب الكرك وصار تحت لوائه وطاعته ، فأرجف بهذا الخبر منطاش وكاد أن يموت ؛ والسبب في هذا الأمر وخلاصه من السجن أن منطاش ، وهو أنه لما صار إليه الأمر والنهي والحكم بمصر والشام وقويت شوكته كتب إلى الأمير حسام الدين حسن الكجكني بقتل الملك الظاهر على يد شخص يسمى الشهاب البريدي من أهل الكرك كان ، وكان بينه وبين أهل الكرك شرور كثيرة وبغضاء زائدة وعداوات ، منها أنه تزوج بابنة عماد الدين [اسماعيل ابن] أحمد بن عيسى المقيّري قاضي الكرك ثم وقع بينهما شرور فطلقوها منه وكانت في غاية الحسن والجمال وزوجوها لغيره ، فكاد أن يصير مجنوناً وما ساعه إلا خروجه من الكرك واستمر يتعثر في أذيال الخمول أعواماً إلى أن تحرك منطاش ووصل أمره إلى ماذكرناه ، فاتصل به وخدمه ولازمه ووعده بأن يقتل الملك الظاهر ، فكتب له بذلك إلى حسن الكجكني النائب بأنه يتعاون هو وإياه على قتل برقوق ، وأن يكرم الشهاب وينزله بالقلعة ، فركب البريد وتوجه حتى وصل إلى الكرك فنزل على بلد القاضي عماد الدين صهره الذي طلق بنته والبلد يسمى المقيّر وهي قريبة جداً من الكرك ، فأظهر ماعنده

(١) وهو الأمير حسام الدين حسن الكجكني .

لأهلها من الحقد على القاضى وشرع يقول : « والله لأفعلن به ولأفعلن ولأعزلنه ولأخربن دياره وأزيد فى أحكار أملاكه » ، فاستوحشوا منه وازدادوا فيه بغضاً إلى بغضهم ، (٢٨ ا) وقام[(١)] من الليل ولم يمهل حتى يصبح الصباح فوجد أبواب القلعة مغلقة فصار هو ومن معه يصيحون للنائب من تحت السور ، فامتنع النائب من فتح المدينة فى الظلام ، وأحس أنه ورد بخبر يتضمن شراً إلى أن أصبح الصبح ولاح أحضره إلى دار السعادة فأخرج مرسوم السلطان [حاجى] فقرئ [هو] وكتاب الأمير منطاش ومضمونهما الاحتراز على السلطان الملك الظاهر وأمور أخرى تتعلق بأمر البلاد .

وانصرف الناس :

و [لما] صار هو والنائب فى خلوة أخرج[(٢)] له كتاب منطاش بالأمر بقتل الظاهر [برقوق] ومعاونة الشهاب [البريدى] على ما قصده وإنزاله بالقلعة ، فأظهر له الإذعان وأنزله بالقلعة وتوجه من وقته إلى الظاهر ومعه كتاب منطاش فأوقفه عليه وأعلمه بحضور الشهاب البريدى وأنه أنزله قريباً من منزل السلطان بالقلعة ، فكاد السلطان [برقوق] أن يموت جزعا ، فلما رأى النائب ما داخل الظاهر من الجزع والهلع صار يحلف بالأيمان المغلظة وبالطلاق أنه لا يتعانى ذلك ولو مات ، فلما سمع الظاهر ذلك سكن روعه ،

واشتهر بالمدينة قدوم الشهاب وكثرت القالة بين العوام وصاروا متوقعين لشرّه وهم فى غاية الإرجاف ، وصار الشهاب يلح على النائب فى قتل الظاهر والنائب يعده ويمنيه ويدافعه إلى أن تحقق الشهاب من النائب عدم إقدامه على

(١) وردت هذه العبارة قبل هذا فى سطر مستقل فى آخر ورقة ٢٧ ب على النحو التالى : « وقام من الليل ولم يصبر أن يصبح الصباح » ، ثم عاد المؤلف فى أول ورقة ٢٨ ا وكتبها على الصورة الواردة أعلاه .

(٢) فى الأصل « أخرجه » .

قتل الظاهر بوجه من الوجوه ، « ولكنى أكاتب إلى مصر بما أعرفه » ؛ واستدعى صاحب البريد وكتب عليه أنه لايدخل فى هذا الأمر « وإن أردتم قتله فأرسلوا من يتسلمه ويقتـــله » ، وكان الظاهر قـــد أحبه أهل الكرك ، و[كان] فى خدمته غلام مقرب منهم يسمى عبد الرحمن فهبط إلى المدينة وأعلمهم بما جاء به الشهاب البريدى من قتل الظاهر ، فوثبوا كالأسود الضارية إلى أن صعدوا القلعة على حين غفلة ، ودهموا بالهجوم على الشهاب فقتلوه أنحس قتلة ، وصاروا يجرّونه برجليه إلى باب السلطان الظاهر والغوغاء قائمة ، فبلغ النائب ذلك وهو عند السلطان وقد ابتدءوا بالفطر فى ليلة الأربعاء العاشرة من رمضان فهجموا عليه وهم يدعون له بالنصر ومسكوه بيده حتى أخرجوه وقالوا له : « دُسْ برجلك على عدوك » وأروه الشهاب مقتولا وهبطوا به إلى المدينة ، فجمد النائب واندهش وما ساعه إلا مطاوعتهم لأنه لوخالفهم قتلوه ، والواقع أنه كان يحب الظاهر فشرع فى تجهيز القُصّاد إلى البلاد الشامية بإطلاق الملك الظاهر ، فهرعوا إليه من كل مكان .

وقيل إن الناصرى لمـــا تحقق زوال دولته كتب بإطلاق الملك الظاهر ، ولمـــا تحقق منطاش الظفر والغلب كتب بقتل الظاهر ، فسبق قاصد الأفراج قبل قاصد القتل بشىء يسير ، فلما ورد المرسوم من منطاش بالقتل لم يلتفتوا إليه وقتلوا قاصده ، والله أعلم بحقيقة الحال .

* * *

[وفى] ثانى عشريه خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن أسندمر العلائى واستقر فى نيـــابة اسكندرية عوضاً عن أمير حاج بن مغلطاى أحـــد الأمراء المقدمين بالقاهرة ؛

وفيه خلع على تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز واستقر فى قضاء القضاة المالكية بالديار المصرية عوضاً عن قاضى القضاة ابن خير بحكم وفاته إلى رحمة الله.

وفيه انتهت زيادة النيل إلى ثمانية أصابع بعد عشرين ذراعا وهو اليوم الذى يسميه القبط بعيد الصايب.

[وفى] خامس عشريه قبض منطاش على عدة من الأمراء وهم: الأمير قرقماس الطشتمرى الخازندار والأمير شاهين الصرغتمشى أمير آخور وقطلوبك أستاذ الأمير أيتمش وعلى عدة من المماليك الظاهرية، وقبض أيضا على الأمير ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين وضرب ضربا مبرحا.

وفى هذا اليوم قرر الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى قاضى العسكر بحكم وفاة أخيه بدر الدين محمد.

[وفى] تاسع عشريه أشهر النداء على المماليك الظاهرية ووعد من أحضر أحداً منهم بأمور عظيمة جليلة وهدد من أخفاهم بأمور فظيعة شنيعة؛ وأشهر النداء أيضا بسفر الغرباء من الأجناد الغزاويين وأمثالهم من القاهرة.

[وفى] سلخه قبض حسام الدين بن الكورانى على اثنين حضرا من الكرك أحدهما مملوك والآخر بدوى وصحبتهما مطالعة إليه بتجهيز الإقامات للملك الظاهر وملاقاته فأودعهما بخزانة شمائل.

* * *

شهر شـــوال

أهل بيوم الأربعاء[1] وهو عيد الفطر، ركب السلطان الملك المنصور ونزل إلى الميدان فصلى صلاة العيد وحمل القبة والطير على رأسه الأمير قطلوتمر.

(١) جعلت التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٦ أوله الخميس.

[و] فى ثالثه رسم بالإفراج عن الصاحب كريم الدين بن مكانس بعد أن حمل للأمير منطاش من الفضة والذهب ما جملته ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وثلاثون ألف دينار ، خارجا عما أخذه منه غير ذلك .

[وفى] خامسه سمّر المملوك والبدوى اللذان حضرا من الكرك[1] ، وأشهرا بالقاهرة ومصر ،وأشهر النداء بالقاهرة ومصر أن لا يسافر أحد من الخواص والعوام إلى مكة إلا بورقة الأمير الكبير منطاش ؛

[وفى] سادسه عين الأمير منطاش من الأمراء المقدمين أربعة أنفار هم : أسندمر السيفى وقطلوبغا الصفوى ومنكلى بيه الأشرفى وتمربغا الكريمى ، وأنفق فى كل أمير مائة ألف درهم ، ومن المماليك أربعة آلاف فارس ، وأنفق فى كل فارس منهم مائة دينار ورسم لهم بالتوجه إلى غزة ؛ وعين فى هذا اليوم أيضا من المماليك السلطانية إلى الحجاز الشريف صحبة الركب وأمراء الحاج ؛

[وفى] سابعه فوض السلطان الملك (٢٨ ب) المنصور إلى الأمير منطاش أمور المملكة وتدبيرها ، ولعمرى هو كان فى غير ما فوض إليه ، وخلع عليه بأتابك العساكر وعلى قطلوبغا الصفوى أمير سلاح ، وعلى تمان تمر الأشرفى رأس نوبة النوب ، وعلى أسندمر بن يعقوب واستقر أمير مجلس ، وعلى ألطنبغا الحلبى دواداراً ، وعلى تكا الأشرفى رأس نوبة ثانياً ، واستقر إلياس الأشرفى أمير آخور بإمرة طبلخاناه ، واستقر أرغون شاه السيفى رأس نوبة ثالثاً ، واستقر تمربغا المنجكى رأس نوبة رابعاً ، واستقر قطلوبغا الأرغون شاوى - أستادار جقمق - شاد الشراب خاناه ؛

(١) انظر ص ٢٥٢ س ١٥ - ١٧ .

وفى ثامنه خُلع على الأمير تمان تمر – رأس نوبة النوب – بنظر المارستان المنصورى ، وعلى الأمير ألطنبغا الحلبى الدوادار بنظر الأحباس ؛

وفيه رسم بإبطال التجريدة [إلى غزة] واستعادوا ما أنفقوه عليهم ، وسبب ذلك أن منطاش داخله من سفر هذا العسكر وهمٌّ عظيم وتحقق أنهم يخامرون ويطيعون السلطان الملك الظاهر ؛

[وفى] تاسعه خلع على الأمير أيدكار العمرى واستقر حاجب الحجاب، وخلع على أمير حاج بن مغلطاى واستقر حاجباً ثانياً .

وفيه استدعى الأمير منطاش الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى ، فحضر محمولا ويديه ورجليه قدعصبهما ووضع عليهما شيئاً حتى تورمت ، ففوض له الوزارة ونظر الخاص وأحضر تشريفه ليلبسه فصار يمتنع ويظهر ما به من ضربان المفاصل والآلام، فقبل عذره وصرفه، ثم طلب الصاحب الوزير كريم الدين بن الغنام فألزم بمال يحمله وخلع عليه بالاستمرار على عادته ، وخلع على القاضى موفق الدين أبى الفرج ناظر الخاص بعد أن ألزم بحمل مال للأمير منطاش ؛

وفى هذا اليوم سمر أربعة من الأمراء بسبب ما بلغ منطاش عنهم أنهم متوجهون إلى السلطان الظاهر ، وهم : سودون الرماح أمير عشرة ورأس نوبة، وألطنبغا أمير عشرة ، وأميران من أمراء دمشق وشهروا بالقاهرة ونودى عليهم : « هذا اجزاء من يخرج عن طاعة الله ورسوله والسلطان » ، وأودعوا خزانة شمائل إلى عاشره ووسطوا بها ؛

وفيه – أى فى عاشره – أفرج عن ناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين ؛

[وفى] حادى‌عشره طلب الأمير الكبير نجم الدين الطنبدى فضرب بين يديه وقرر عليه مالا يحمله له .

[وفى] ثانى عشره خلع على سراج الدين عمر بحسبة القاهرة على عادته بحكم عزل نجم الدين الطنبدى وضربه فى أمسه .

وفى هذا اليوم حمل جهاز خوند بنت الملك الأشرف شعبان وأخت الملك المنصور حاجى على الأمير الكبير الأتابكى ، فكان جهازاً قليل المثل لعظـيم ما فيـه من الجواهر والفصوص والذهب والقماش المختلف الألوان ، وعُدّ الحمالون فبلغت عدتهم خمسمائة حمال خارجاً عن عشرة قطر بغال ، والحجاب قد مشوا بين يديه وغالب العسكر والأعيان ، فأخلع عليهم وأحسن إليهم ، وكان [منطاش] قد قام بأمر مهم العرس وصنع فيه أشياء كثيرة من الأغنام والأبقار والخيول والسكر والأعسال ، وهيأ لها عدة من الذهب لأجل نقوط المغـانى والمواشط وما أشبه ذلك . وصنع لها أموراً زائدة على الحد ، وبنى بها فى ليلته وعندما زفت إليه قام إليها وعلق فى شربوشها ديناراً زنته مائتا مثقال ، ثم آخر زنته مائة مثقال ، وفتح له من الإصطبل باباً إلى القصر بجوار باب السر .

[وفى] ثالث عشره قدم البريد من الشام ومعه الأمير بزلار نائب الشام وصحبته أمير من أمراء الشام .

وفيه استقر تنكز الأعور نائب حماة عوضا عن نغاى تمر القبلاوى ، ونفى فى هذا اليوم عدة من المماليك الظاهرية إلى قوص وغيرها ؛ ثم أنهم استدعوا ورسموا بإقامتهم ببرج القلعة لأن الخبر ورد عليه بالبريد بأن المماليك المقيمين بقوص خرجوا عن الطاعة ووثبوا على الوالى وقبضوه ، فعين للخروج إليهم

ثلاثة أمراء من أمراء الطبلخاناه ، وهم : الأمـــير تمربغا الناصرى ، وبيرم خجا ، وأروس بغا .

وفيه — الموافق من أشهر القبط تاسع بابه — بلغت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا ، ولم يقع مثل هذا إلا فى النادر ثم انحط .

[و] فى عشريه قبض على نور الدين الحاضرى قبضا شنيعا وضرب ضربا مبرحا وعصر وأهين بسبب أنه صار يتكلم ويخبر بحضور السلطان الملك الظاهر وعوده إلى المملكة .

وفيه ورد البريد مخبراً بأن الأمير كمشبغا الحلبى الحموى نائب حلب خرج عن طاعة السلطان [الملك حاجى] وأن أهل بانقوسا(١) وأعيان حلب وقضاتها حاربوه فهزمهم وظفر بهم فوسط إبراهيم بن قطلوتمر الخازندار بعد أن قاسى منه أهوالا وعقوبة زائدة . وكذا وســـط قاضى القضاة الشافعى بحلب المسمى شهاب الدين أحمـــد بن عمـــر بن أبى الرضا ، وقتل من أهـــل بانقوسا شيئاً كثيراً ، فأزعج هذا الخبر مسامع منطاش وكاد أن يصرع وما ساعه إلا التجلد والكتمان .

وفى هذا اليوم استقر الأمير آق كبك أمير علم بإمرة طبلخاناه .

[وفى] ثانى عشريه خلع على الصاحب كريم الدين بن الغنام واســـتقر ناظر الخاص عوضا عن موفق الدين أبى الفرج ، واستقر فى وظيفة الوزارة موفق الدين أبو الفرج الذى كان ناظر الخاص وخلع عليه خلعة الوزارة .

وفيه ورد البريد بأن الأمير حسن بن باكيش نائب غزة استدعى العشران والعربان وتوجه لمحاربة الملك الظاهر ؛ وقدم البريد فى هـــذا اليوم مخبراً بأن

(١) اكتفى مراصـــد الاطلاع ١ / ٨٥ فى تعريفهـــا بأن قال : « بانقوسا جبـــل فى ظاهر مدينة حلب » .

الأمراء الذين هم بالصعيد قويت شوكتهم وأظهروا المخالفة والعصيان، فعين الأمير أسندمر بن يعقوب شاه فى نحو خمسمائة فارس وتوجه فى ثالث عشريه :

[وفى] سادس عشريه خرجت بلاد الخاص من ابن الغنام وتحدث عليها ناصر الدين محمد بن الحسام فحصل عنده بسبب هذا الأمر انحطاط واستعفى، فقبض عليه وسجن بالقلعة فى قاعة الصاحب (١) وقبضوا على بعض أخصائه وحواشيه (١٢٩) واستكتبوه خطه بثمانمائة ألف درهم، وصار يحمل المال أولا فأول .

[و] فيه خلع على طشبغا القشتمرى واستقر فى ولاية دمياط :

وفيه قدم الخبر بأن الأمراء الذين توجهوا للصعيد اتفقوا مع الولاة ، وخبرهم أن أبو درقة لما استقر فى ولاية أسوان توجه إلى قرط واتفق معه على العصيان وسارا إلى قوص، فأفرج عن الأمراء وعدتهم زهاء (٢) ثلاثين أميرا فى عدة كثيرة من المماليك، فلما سمع الأمير مبارك شاه — نائب الوجه القبلى — بذلك وكان معه زهاء ثلاثمائة مملوك من الظاهرية أخبرهم بما سمعه واتفق معهم على المخامرة ، ثم إنه طاب عربان هوارة واستمالهم فمالوا إليه وأطاعوه واستولوا على البلاد، فلما خرجت التجريدة الأولى من القاهرة ، ووصلوا أسيوط قبض عليهم مبارك شاه كما قدمنا ذكره وسار إلى الشرق :

[وفى] سابع عشريه ندب الأمير منطاش من الأمراء المقدمى الألوف وثلاثمائة مملوك ليتوجهوا إلى الكرك :

(١) يستدل من تعليقات المرحوم محمد رمزى فى النجوم الزاهرة ١٣٧/٩ حاشية رقم ٢ أن البحث دله على أنها كانت بجوار دار النيابة وكانت تقع فى الحوش الداخلى للقلعة .

(٢) فى الأصل « زهاء على » وهو تعبير يستعمله المؤلف على الدوام :

[وفى] ثامن عشريه ورد الخبر بأن الأمير أسندمر بن يعقوب شاه لما وصل بمن معه من العساكر لملاقاة العاصين الذين خرجوا عن الطاعة وكسروه ومن معه وهم يسألون فى نجدة تعينهم على ما دهمهم من الأمراء ، فعين له جماعة من المماليك السلطانية وأجناد الحلقة ثم إنهم رسموا بتعويقهم .

[وفى] سلخه استدعى القاضى صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى (١) مفتى دار العدل فخلع عليه واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن الشيخ ناصر الدين محمد بن بنت الميلق بحكم صرفه ، وركب فى خدمته الأمير الدوادار الكبير وحاجب الحجاب ورفقته قضاة القضاة وأعيان المملكة وتوجه إلى مدرسة الصالحية وقد اجتمع أهل الذمة ومعهم الشموع توقد والرسل يدعون بدوام السلطان ، ثم ركب إلى منزله والكل فى خدمته ، وسر الناس قاطبة بولايته ، وكان له يوم مشهود .

وفيه رسم للأميرين بلوط الصرغتمشى والأمير غريب أن يسيرا لجهة الشام للكشف عن أحوال الملك الظاهر وأخباره ومن اجتمع عليه ، فخرجوا من فورهم .

---

(١) هو محمد بن إسحق بن إبراهيم المناوى ، وقد ذكر السخاوى : الضوء اللامع ٦ / ٨٦٧ أنه منسوب لمنية القائد فضل بن مصلح من أعمال الجيزية ، وكان مولده سنة ٧٤٣ هـ ، وأكثر من السماع على كثير من شيوخ العصر وفقهائه ، كما ناب فى الحكم للشافعية وتولى التدريس بالشيخونية والمنصورية والسكرية كما ولى إفتاء دار العدل بالقاهرة ، والقضاء استقلالا بالديار المصرية أكثر من مرة ، ومات فى أسر اللنكية غريقا فى نهر الزاب بالفرات ، انظر أيضا ابن حجر : إنباء الغمر ، وفيات سنة ٨٠٣ ، وشذرات الذهب ٧/ ٣٤ .

شهـــر ذى القعـــدة

أهل بيوم الخميس :

[فى] ثانيه خلع على قاضى القضاة بدرالدين محمدبن أبى البقاء[1] واستقر قاضى القضاة بدمشق عوضا عن شهاب الدين أحمد بن عم القرشى :

[وفى] ثانى عشريه حضر الأمير مبارك شاه الكاشف وهومقيد مزنجر فأودع فى خزانة شمائل :

وفى هذا الشهر كثرت القالة فى الملك الظاهر وهو أنه لمـــا قتل الشهاب أهل الكرك ووثبوا حتى أخرجوا الملك الظاهر من القلعة واجتمع به الأعيان وقاموا بخدمته ،وأتاه العربان من كل فج والعشران وصار فى طائفة كثيرة ، غير أن أهل الكرك نظروا فيمافعلوه وخافوا على أنفسهم سوء صنيعهم وعاقبتهم وقد عزم السلطان الملك الظاهرعلى الخروج من الكرك وخرجت أثقـــاله ، فاجتمع أعيان البلد إلى عماد الدين اسماعيل بن أحمد بن عيسى المقيرى قاضى الكرك ، وقد خافوا على أنفسهم من سلطان مصر وأرادوا أن يمنعوا الملك الظاهر من الخروج من الكرك ويقبضوا عليه ويظهروا أن هذا الأمر الذى صدر من سفهائهم ليس باختيارهم ، وأن يكون ذلك فيه ملجأ لهم وخلاص من ورطتهم التى وقعوا فيها ، وأرسلوا ناصر الدين محمد ــ أخا القاضى العماد فغلق باب المدينة وحالوا بين السلطان وبين أثقاله وغالب أصحابه ، فلمـــا ركب السلطان وأراد الخروج بلغه أنهم غلقوا الأبواب وكان علاء الدين كاتب

---

(١) هو محمد بن محمـــد بن عبد البر السبكى ، ولد ســـنة ٧٤١ ، ودرّس بالأتابكية بدمشق كما ولى خطابة الجامع الأموى بها ، وتنقل فى وظائف التدريس والقضاء بين مصر والشام ، وكان موته سنة ٨٠٣ ، أنظرعنه الضوء اللامع ٩/ ٢٥٠ ، ابن طولون : قضاة دمشق ص ١١٧ ـــ ١١٩ ، والنعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١/ ١٣٥ ـــ ١٣٦ ، وشذرات الذهب ٧/ ٣٧ ـــ ٣٨ .

الإنشاء بالكرك قد كتب إلى الظاهر أن يسيّر ثقله وأصحابه أمامه ، فلما بلغه مافعلوه بالظاهر حضر إليه وقوّى عزمه وجأشه وركّبه حتى وصل به إلى باب المدينة فإذا هو مغلوق ، وأخوه [ناصر الدين محمد] قائم بإزائه ، فما زالوا به يعدونه ويمنونه ويوعّونه حتى فتح الباب وخرج الظاهر ولحق بأصحابه الذين كانوا فى خدمته من العربان والتركمان وغير ذلك من أخلاط أهل الكرك ونزل بالثنيـــة(١) خارج الكرك يوماً ورحل منها ثانى عشرى شوال وسار بمن معه إلى دمشق ونائبها إذ ذاك الأمير جنتمر أخو طاز ، وكان قد حضر إليه الأمـــير ألطنبغا الحلبى الدوادار نائبا فى حلب عوضاً عن كمشبغا الحموى ، فاستعدوا لقتال الظاهر ، وكان معهم الأمير حسام الدين بن باكيش نائب غزة ، فأقبل عليهم الظاهر بمن معه فخرجوا إليه وقابلوه بشقحب(٢) بالقرب من الشام واشتدت الحرب وكسروه عدة مرار وهو يرجع إليهم ويقاتلهم مقاتلة الحريم ، وآخر الأمر كسرهم وهزمهم إلى الشام ووصل منهم زهاء ألف من جملتهم خمســة عشر أميراً وقتل ممن معه نحو الستين ، ومن أمرائه سبعة أنفار ، وصار يتبعهم فى أقفيتهم بالضرب والطعن وغير ذلك من الجراحات ، فصعد جنتمر نائب الشام لقلعتها واحتمى بها .

وأما أمراء دمشق فتوجهوا إلى مصر وعدتهم ستة وثلاثون أميراً وصحبتهم من المماليك الفرسان ما يزيد على ثلاثمائة وستين فارساً وغالبهم مثخن بالجراحات وصحبوا نائب صـــفد معهم إلى مصر ، فلم يكن بعد مضيهم إلا يوم واحد وإذا بابن باكيش وصل إلى الظاهر ومعه جماعة ، فتقاتل معه الظاهر فكسره وغنم

---

(١) Dussaud : Topographie Historique de la Syrie, p. 318.

(٢) ذكر Dussaud : op. cit. p. 322. أنهـا واقعة فى الشمال الغربى من قباغب وتسمى أيضا بتل شقحب .

جميع ما معه وفر ابن باكيش ، فقويت شوكة السلطان [برقوق] وتقوى بما أخذه من نائب غزة ، واجتمع عليه عدة من المماليك فصار في جيش عرمرم وعسكر كثير ، وقدم إليه جماعة من أمراء الشام ودخلوا في طاعته وهم : الأمير جبرايل حاجب الحجاب بدمشق وأمير على بن أسندمر الزيني جقمق ومقبل الرومي ، فركب الظاهر وحاصر دمشق وحرق منها أماكن مثل القبيبات (١) وغيرها حتى هلك من الحريق عالم كثير وصار (٢) أهل المدينة يقاتلونه ويوسعون عليه إساءات فاحشة وهو ثابت على قتالهم ولا يرد عنهم طرفة عين ، وبرز لقتاله الأمير كمشبغا فكسره ونهب ما معه ، إلى أن أقبل الأمير نعير بعدده وعدده يريد قتاله فقاتله فكسره وهزمه ونهب غالب ما معه ، فازداد قوة بما حصّله من هذه الوقعات وصار له توسل (٣) عظيم بعد أن كان ما يملك إلا خيمة صغيرة :

(٢٩ ب) وأما مماليكه فكان المجسم منهم يجد له خصا يقيه والصمد فيهم يخدم فرسه بنفسه ، ودام حصاره لدمشق وقتال أهلها وكفّهم عنها ، فوصل الخبر إلى منطاش في خامس عشر ذي القعدة ، فرسم في تاسع عشره للصاحب موفق الدين بتجهيز الملك المنصور للتجريدة فوجدوا الخزانة لا حاصل فيها ولا واصل ، فسألوا من كاتب الخزائن والخازندار فأجابوا بأن المال بعضه نهب وبعضه أنفق في هذه الحركات والوقعات ، فقبل ذلك منهم ، فعند ذلك رسم باستدعاء القضاة فحضروا إليه ، فطلب من قاضي القضاة صدر الدين المناوي أن يقرض السلطان ما في المودع الحكمي من أموال الأيتام فامتنع

---

(١) عرفها مراصد الاطلاع ١٠٦٦/٣ بأنها حاضر من حواضر دمشق من جهة القبلة .

(٢) في الأصل « وصاروا » .

من ذلك امتناعا شديدا وصار يقول : « إن كان تريدوا الظفر على أعدائكم فلا تتعرضوا لمـال الأيتام! » وأخذ فى وعظ منطاش فلم يقبل ذلك ولا أثر فيه ، ورسم بالختم على مال الأيتام ، وكان إذ ذاك جانبا كبيراً .

ورسم للأمير حاجب الحجاب ، ولناصر الدين محمد بن قرطاى نقيب الجيوش المنصورة بأن يطلب أجناد الحلقة ويحثهم الحث الزائد على التجهيز لأجل التجريدة بعد عرضهم .

[وفى] تاسع عشره ورد البريد من الشام مخبراً بأن باكيش — نائب غزة — انكسر وانهزم وغنم الظاهر جميع موجوده ، فقوى الإرجاف واشتد الاضطراب وأخذ الأمراء والترك فى تجهيزهم للتجريدة ، وهلك أجناد الحلقة من هـذا الأمر فإن غالبهم ضعفاء ولا يملكون النفقة اليومية إلا بالجهد .

وفيه استدعى الأميرُ الكبير أتابك العساكر منطاش أميرَ المؤمنين المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربعة وشيخ الإسلام وأعيان أهل العلم وذكر لهـم ما فعله الظاهر بدمشق وأهلها من الحرق والقتل والنهب ثم قال لهم : « فمـا يجب على من صدر منه هذه الأفعال ؟ » ، فرتبوا صورة فتيا فى أمر الظاهر ، وانفض المجلس على غير شىء .

* * *

وفى هذا اليوم قدم البريد مخبراً بأن نائب(١) صفد فر منها فى مملوكين ، وسبب ذلك أن مملوكا يسمى يلبغا السالمى من مماليك الظاهر كان أسلمه لمقدم المماليك بهادر الشهابى فجعله خازنداره واستمر فى خدمته إلى أن نفى بهادر كما ذكرنا ذلك فى موضعه واستقر عوضه صواب السعدى شنكل ، فخدم يلبغا عنـده

---

(١) وكان إذ ذاك قطلوبك النظامى . كما سيأتى بعد ، ص ٢٦٣ س ٢ .

فقرره خازندارا على عمارته وقيل دوادارا صغيرا ، فلما قبض الناصرى على شنكل المقدم خدم يلبغا عند الأمير قطلوبك النظامى نائب صفد فقرره دوادارا وتوجه معه إلى صفد ، فأحسن إلى أهلها ولاطفهم وتكرم فيهم ، واستمال عدة من مماليك قطلوبك فاستمالوا إليه ، فورد عليه خبر أستاذه الملك الظاهر بأنه أطلق من الكرك وتوجه إلى دمشق ، فنهض يلبغا ومعه عدة من المماليك الذين استمالهم ، فأطلق الأمراء المسجونين بصفد وهم : الأمير إينال اليوسفى ، والأمير قجماس بن عم الظاهر وصحبتهم نحو المائتى(١) مملوك ؛ وهم بالقبض على النظامى فلم يسعه إلا الفرار كما قدمنا ، ونادى فى صفد وأعمالها بشعار الملك الظاهر ، واستمر الأمير إينال اليوسفى متملكا صفد وقلعتها ويلبغا فى خدمته ، وأخذ أموال النظامى فتقووا بها ، فحصل عند منطاش بهذا الخبر أمر عظيم وهمٌّ زائد وقلق لا يوصف ، وشاع هذا على لسان العوام ، وكثرت الأقوال بنصرة الظاهر وخذلان منطاش .

[وفى] حادى عشريه خلع على الأمير بكتمر واستقر فى ولاية البحيرة عوضا عن تمراز العلائى بحكم انتقاله إلى كشف الوجه البحرى .

وفى هذا اليوم ورد الخبر بوصول عدة من الأمراء بدمشق يزيد عددهم على ثلاثين أميرا ، منهم نائب صفد ونائب حماة ومحمد بن بيدمر أتابك دمشق وصحبتهم جمع كثير وقد فروا من الملك الظاهر ، فرسم بصعودهم إلى القلعة وسألهم عن الأخبار فأخبروه بما أضعف قلبه وجنانه وأصم أذنيه وأخرس لسانه ، فاستدعى أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله وقضاة القضاة الأربعة وشيخ الإسلام البلقينى وعدة من العلماء والفقهاء وتكلم معهم فى الفتيا التى رتبوها فى المجلس السابق ، فرسم لناصر الدين الصالحى موقع الحكم فكتب

(١) فى الأصل «المائتين» .

فتيا مضمونها : « ما قول العلماء فى رجل خلع الخليفة والسلطان ، وقتـل شريفا من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشهر الحرام وهو محرم ، واستباح أخذ أموال المسلمين وقتل النفس التى حرم الله ؟ » ، وجعلهـا عشر نسـخ ؛

[وفى] ثالث عشريه حضر سواق من سواقى (١) البريد من الشام بحيلة ومشت عليه ، وهو أنه أخبر أن الظاهر ملك دمشق واستمر فيها إلى الليل فكبس عليه أهل القلعة فكسروه وانهزم ونهبوا بركه ، فمشت الحيلة عليه وألبسه خلعة ؛ وكان حضر صحبة السواق بريدى أيضا فوافقه على ذلك وأخلع على الآخر ، ورسم منطاش — لمـا سمع بكسرة الظاهر — أن يفتح بقلعة الجبل سجن قد انطم بالتراب وسجن به عدة من المماليك الظاهرية ؛

وفيه غمـز على ذخيرة بالقاهرة فى دار عماد (٢) الدين بن المشرف أستادار الأمير جركس الخليلى ، فيها خمسون ألف دينار وستمائة ألف درهم فأخذها بتمامها وكمالها الأمير منطاش ، وأخذ مال ابن جركس الخليلى وهو مال كبير يبلغ ثلثمائة ألف دينار مصرية ؛

* * *

وفى هذا اليوم وصـل الأمراء المنهزمون وصحبتهم المماليك وهـم : قطلو بك النظامى نائب صفد ، وتنكز [الأعور] نائب حماة ، ومحمد بن بيدمر أتابك دمشق ، ويلبغا العلائى أحد المقدمين بالشام ، وأقباى الأشرفى نائب قلعة المسلمين (٣) ، ومن الطبلخاناه (١٣٠) دمرداش الأطروش والى الولاة ،

(١) فى الأصل « سواقين » .

(٢) هكذا فى الأصل ولكنها « جمال » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٥٩ .

(٣) « قلعة الروم » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٥٩ .

وتنكز أحمد وجوبان الخاسكي وقطلوبغا ججق وجبرائيل من العشرينات، وآقبغا الوزيرى ، وأزدمر العشقتمرى ، وقنق الزينى ، ومنكلى بغا الناصرى، وآقبغا الإينالى ، وأحمد بن ياقوت؛ ومن العشرات أسنبغا العلائى ، وطغاى تمر الأشرفى ، ومصطفى البيدمرى ، وقرا بغا السيفى من أمراء صفد ، وتغرى بردى الأشرفى ، ومنجك الأشرفى ، وحسين الأيتمشى ، وصحبهـم من المماليك مائتان وأحد وعشرون ، فطلعوا للسلطان واجتمعوا بالأمير منطاش وتفرقوا فى الدور بالقاهرة .

وفى هذا اليوم أفرج عن عدة من الأمراء والخاسكية ، منهم : قرقماس الطشتمرى واستقر خازندارا على عادته ، وشيخ الصفوى الخاصكى ، وأرغون السلامى ، ويلبغا اليوسفى ، وهبطوا إلى دورهم .

وفيه رسم بالترسيم على مباشرى الأمراء الذين أطلقوا من السجن ليجهزوا مخاديمهم للتجريدة ولهم مدة مفصولون ، فلم يُسْمع بأعجب من هذه الحادثة .

وفيه أشهر النداء بالقاهرة ومصر أن الفقهاء وأرباب الوظائف لا يركبون خيولا ، وأنهم يركبون البغال .

وفيه رسم بأخذ خيول الطواحين وأكاديش الحمالين فأخذوا ، وبالغ حسين بن الكورانى فى تتبع المماليك الجراكسة وحصل منهم عدة فيهم شيخ يقال له : يلّو الأحمدى ، فضرب وأخذ منه خمسون ألف درهم فضة ، ثم أفرج عنه وعن جماعة معه هم : طرنطاى الحضرى ، وطولوبغا الأحمـدى ، وآقبغا اليشبكى ، ورسم بإخراجهم من مصر لأن لكل منهم نحواً من سنتين بمصـر .

وفيه رسم بتخشيب أيدى المماليك الظاهرية ورجليهم (١) .

[وفى] خامس عشريه جمع منطاش أعيان الدولة والأمراء واتفقوا على أن الملك المنصور يستبد بالأمور بنفسه ، وأثبتوا رشده بعد أن حضر هـذا المجلس قضاة القضاة وأمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله ، وأخلع عليهما عند انفضاض المجلس :

وفيه رسم السلطان بتعليق الجاليش ليتأهب العسكر للسفر :

وفيه أفرج عن الأمير محمود الأستادار ، ورسم لأجناد الحلقة بالعرض وكرر النداء بأن أحداً من الفقهاء والمباشرين لا يركب فرسا ، وأن الحالين لا يحماون على أكديش حملا ، بل يحماون على الحمير :

وفيه حضر الخليفة والقضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقينى وولده جلال الدين عبد الرحمن قاضى العسكر ، وقاضى القضاة جلال الدين محمد بن أبى البقاء [و] ابن خلدون وسراج الدين عمر بن الملقن الشافعى ، وجماعة من الفضلاء و العلماء بالقصر الأبلق (٢) ، وقدمت لهم نسخ الفتاوى من الملك الظاهر وزيد فيها « واستعان على قتال المسلمين بالكفار » فكتب الحاضرون بأجمعهم عليها مايقتضيه الشرع وانصرفوا إلى منازلهم .

وفيه كرر النداء على أجناد الحلقة بالعرض ومن تأخر هدد تهـديدا فاحشا ، وكتب إلى عربان البحيرة بالحضور للسفر مع العسكر المتوجه لقتال الظـاهر :

---

(١) هكذا فى الأصل ، وهو تعبير مصرى دارج .

(٢) فيما يتعلق بالقصر الأبلق بالقاهرة ، راجع ما سبق ص حاشية رقم

وفيه خلع على أمير حاج بن مغلطاى واستقر أستادار السلطان .

وفيه أنعم على عدة من الأمراء بما يذكر فيه ، فمنهم : أرغون شاه السيفى أنعم عليه بإمرة مائة ، وأنعم على الأمراء الذين قدموا من الشام بفرس بقماش ذهب لكل مقدم ، ومن عداهم من الأمراء بأقبية بطرز زركش ، ورتب لهم اللحم والجوامك والعليق .

[وفى] سابع عشريه أخليت خزانة الخاص التى بالقلعة وسدوا شبابيكها وأبوابها ، وفتح لها من سقفها طاقة وصارت سجنا (١) .

* * *

شهر ذى الحجة

أهل بيوم السبت ، ورد البريد من الصعيد مخبراً أن العسكر المجرد مع ابن يعقوب شاه التقى مع الأمراء العاصين بمدينة قوص وقبضوا عليهم بتمامهم وكمالهم فدقت البشائر ثلاثة أيام بالقلعة .

وفيه طلب ابن الغنام فقبض عليه وألزم بحمل ثلاثمائة ألف درهم فضة وخمسين فرسا .

وفيه كانت النفقة على الأمراء المقدمين وجهز لكل منهم مائة ألف درهم فضة .

وفيه رسم بسد باب الفرج (٢) أحد أبواب القاهرة وخوخة أيدغمش .

[وفى] ثالثه طلب متى بطريك النصارى فقبض عليه وألزم بحمل مال إلى الأمير منطاش ، وطلب رئيس اليهود وأخذ منه خمسون ألف درهم فضة .

---

(١) أى أنها أصبحت سجنا للماليك الظاهرية .

(٢) باب الفتوح فى الأصل من وضع القائد جوهر الصقلى برأس حارة بهاء الدين ، ويقول المقريزى فى الخطط ١ / ٣٨٠ «إن بين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح» .

وفيه استدعى الشيخ العلامة شمس الدين محمد الركراكى وألزم بالكتابة على الفتوى المتعلقه بالملك الظاهر فامتنع من ذلك فلم يقبلوا منه، وآخر الأمر ضرب مائة ضربة وسجن بالإصطبل .

[وفى] رابعه أفرج عن الصاحب كريم الدين بن الغنام .

[وفى] سادسه شكى(١) إلى منطاش أهل خوخة أيدغمش من سدها فرسم بفتحهـــا .

وفيه خرجت تجريدة من الأمراء والمماليك السلطانية إلى الصعيد بسبب الأمراء والمماليك الظاهرية المقبوض عليهم خوفا من العربان أن يطلقوهم .

[وفى] سابعه ورد الخبر الكاذب بأن إينال اليوسفى سار من صــفد إلى دمشق فقاتله أهلها وقتلوه وأخرجوا الملك الظاهر، فدقت البشائر بالقلعة .

[وفى] ثالث عشره خلع على الأمير تمان تمر الأشرفى واستقر رأس نوبة وعرض المماليك السلطانية وصارت الأقاويل مختلفة فى خبر الملك الظاهر، فتارة تخبر بأنه منصور مظفر، وتارة تخبر بهزيمته وكسرته، وكل مخبر يخبر على وفق غرضه ومراده .

[وفى] خامس عشريه عرض الأمير تمان تمر أجناد الحلقة الذين إقطاع [الواحد منهم] أربعمائة دينار فما فوقها، وعين منهم جماعة لحراسة القلعة، وجماعة للتجريدة وجماعة لحراسة القاهرة، وجماعة لحراسة مصر، وعرض مقدمى الحلقة والتجريدة .

وفى هذا اليوم خرج الأمراء الشاميون لظاهر القاهرة متوجهين إلى دمشق .

(١) فى الأصل « شكوا » .

وفيه (٣٠ ب) [استدعى(١)] الخليفة الذى خلع المسمى زكريا وطلب منه العهد الذى عهد إليه أبوه فيه بالخلافة ، فأخذ منه وأشهد عليه أنه أسقط حقه من الخلافة وأن لا حق له فيها .

وفيه حضر الأمراء المجردون من بلاد الصعيد ومعهم الذين خرجوا عن الطاعة فى قيود حديد وزناجير، فرسم بتغريق جماعة من المماليك(٢) فأغرقوا ببحر النيل ، وقتل(٣) ستة فى الجب وأخرجوا(٤) من عدة موتى فدفنوا .

[وفى] سادس عشره قدم الأمير أسندمر بن يعقوب شاه من الصعيد وصحبته عدة من الأمراء فى قيودهم وهم : تمرباي الحسنى ، وقرابغا الأبو بكرى ، وبجمان المحمدى ، ومنكلى الشمسى ، وفارس الصرغتمشى ، وتمر بغا المنجكى ، وطوخى الحسنى ، وقرمان المنجكى ، وبيبرس التمان تمرى ، وقرا كسك السيفى ، وأرسلان اللفاف ، ومقبل الرومى ، وطغاى تمر الجركتمرى ، وجرباش الشيخى ، وبغداد الأحمدى ، ويونس الأسعردى ، وأردبغا العثمانى ، وتنكز العثمانى ، وبلاط المنجكى ، وقراجا السيفى ، وكمشبغا اليوسفى ، وآقبغا حطب ، وقرابغا المحمدى ، وعيسى التركمانى ، وبلك بلاط السونجى ، فأوقفوا بين يدى السلطان ومنطاش زمنا طويلا ثم رسم بسجنهم ، ثم أفرج عن جماعة منهم وهم : قنق باى اللالا ، وآقبغا السيفى ، وتمرباى الأشرفى ، وشمس الصرغتمشى وخلع عليهم ، وأفرج أيضاً عن بلك بلاط السونجى :

(١) فراغ فى الأصل ، وجاءت فيه كما يلى : « وفيه ... على الخليفة الذى خلع » .

(٢) كان هؤلاء من جماعة المماليك الظاهرية .

(٣) ورد هذا الخبر فى النجوم الزاهرة ٣٦٢/١١ على الصورة الآتية : « وأخرج بستة من الجب بالقلعة موتى خنق » .

(٤) أى جب القلعة .

وفيه سجن بخزانة [شمائل؟](١) الأمير جمال الدين محمود الأستادار والأمير آقبغا المارداني وأيدمر أبو زلطة، وشاهين الصرغتمشي أمير آخور وجمق بن أيتمش [البجاسي] وبطا الطولوتمري وبهادر الأعسر وغيرهم من الأمراء وعدد كثير من المماليك .

وفيه ألزم سائر المباشرين والمستقرين في الوظائف من دواوين الأمراء بأن يحمل كل نفر منهم خمسمائة درهم فضة وفرسا وقرر ذلك على الوظائف لا على الأشخاص حتى من كان له عدة(٢) وظائف في عدة دواوين يقوم عن كل وظيفة خمسمائة درهم وفرس ، وحل بأهل مصر من البلاء أمر عظيم ، وجاءت عدة الخيول التي جمعت من المباشرين ألف فرس خارجا عما جبي منهم قبل ذلك من الخيول وخارجا عن المبلغ :

وفيه أحضر من عين من أجناد الحلقة للتجريدة وأعفوا من السفر بعد أن قرر على كل نفر منهم فرس خاصة وأحضروا خيولهم فأخذ جيدها ورد رديها ، وألزم من لم يكن عنده فرس جيد [أن] يقوم بألف درهم ثمنها فوزنوا ذلك ، ورسم لرءوس نوب الحجاب أن يقوم كل واحد منهم بخمسة آلاف درهم ، وعدتهم أربعة ، ثم تزايدت فقرر على كل واحد منهم أربعة عشر ألفا أو خمسة عشر ألفا فحملها .

وفيه أنفق على مماليك الأمير منطاش لكل نفر ألف درهم فضة ، نفقها عليهم محمد بن الأمير منطاش .

[وفي] يوم الاثنين سابع عشره ركب الملك المنصور ونزل من القلعة وصحبته الأمير الكبير منطاش والأمراء والعساكر إلى الريدانية خارج القاهرة

(١) يستفاد مما ذكره أبو المحاسن – وكان أبوه من معاصري هذه الأحداث كما اشترك في بعضها – أن الحبس كان في خزانتي شمائل والخاص ، أنظر النجوم الزاهرة ١١/٣٦٣ .
(٢) في النجوم الزاهرة ١١/٣٦٣ « عشرة » .

واستدعى قاضى القضاة صدر الدين محمد المناوى وألزمه بالسفر فسأل الإعفاء فأعفى ، فطلب قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء فأخلع عليه واستقر قاضى القضاة بشروط منها أنه يقرض السلطان أموال الأيتام ، ويقوم من ماله بمائة ألف درهم فضة ، ولما خلع عليه فى الريدانية دخل من باب النصر .

وفيه استقر عبيد الله العجمى فى قضاء العسكر :

وفيه اعتقل زكريا المخلوع من الخلافة بقلعة الجبل فى قاعة الفضة وصحبته الأمير سودون النائب :

وفيه تقرر على المماليك البحرية المقيمين بالقاهرة وعلى موقعى الإنشاء عدة خيول بحسب مقامهم ، فنهم من ألزم بعشرة ، ومنهم دون ذلك ، ودخل عليهم إزعاج عظيم ، وحل بهم ما لم يعهد مثله :

[وفى] سابع عشره ركب الأمير تمان تمر رأس نوبة فى عدة من المماليك ونزل الرميلة فقبض على من وجده راكبا على فرس من المتعممين وغيرهم ، فأخذ خيولهم وذهب بها إلى داره .

وفيه حثوا الطلب وجدوا فى أثمان الخيل التى قرروها على الأجناد وسلموها إلى حسين بن الكورانى ليخلص ذلك منهم بأنواع العذاب :

وفيه رسم للوزير موفق الدين أبى الفرج وناصر الدين محمد بن الحسام شاد الدواوين أن يتوجها إلى خان (١) مسرور بالقاهرة الذى [كان] فيه مودع

---

(١) ينسب هذا الخان إلى مسرور أحد خدام القصر لصلاح الدين الأيوبى بالقاهرة ، وكان مسرور هذا كثير البر والصدقة فى مصر والشام على السواء ، وقد أشار المقريزى فى خططه ٢/٩١ إلى أن « خان مسرور » يتألف من مكانين أحدهما كبير وثانيهما صغير ، ويضيف إلى ذلك أنه أدركه « فى غاية العمارة تنزله أعيان التجار الشاميين بتجاراتهم ، وكان فيه أيضا مودع الحكم الذى فيه أموال اليتامى والغياب ، وكان من أجل الخانات وأعظمها » . ويضيف إلى ذلك المرحوم محمد رمزى أنه لم يبق اليوم من كل هذا إلا « زاوية صغيرة تعرف بزاوية الجوهرى بابها بشارع خان الخليلى من جهته الشرقية بالقاهرة » ، أنظر النجوم الزاهرة ١١/٣٦٤ حاشية رقم ١ .

الأيتام ويأخذا منه ثلاثمائة ألف درهم فضة ، وألزما أمين الحكم بالقاهرة أن يحمل مائة ألف درهم ، وألزما أمين الحكم بالحسينية أن يحمل مائة ألف درهم أيضا قرضاً حسبما أذن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء .

وفى هذا اليوم طلبوا قضاة القضاة إلى الريدانية بكرة النهار ورسم لهم بالجلوس فى خيمة فأجلسوا فيها بغير أكل ولا شرب إلى قريب العصر ، ثم طُلبوا إلى عند السلطان فعقدوا عقْدَه على خوند بنت أحمد بن السلطان حسن على صداق جملته ألف دينار وعشرون ألف درهم ، وعقدوا عقد الأمير قطلوبغا الصفوى على ابنة الأمير أيدمر الدوادار .

وفى ثانى عشريه رحل شاليش العسكر السلطانى أربعة من الأمراء وهم : أسندمر بن يعقوب شاه الكريمى وتمان تمر رأس نوبة وقطلوبغا الصفوى ، وأمير آخر .

[وفى] ثالث عشريه رحل السلطان ومعه الأمير منطاش فى عدة من الأمراء والخليفة وقضاة القضاة والعسكر بعد أن قرروا نائب الغيبة بالقاهرة الأمير تكا ومعه الأمير دمرداش الطشتمرى ، وبالإصطبل الأمير صراى ، وبالقاهرة الأمير قطلوبغا الحاجب ، وفوّض أمر العزل والولاية والحكم للأمير صراى تمر بالقاهرة .

وفيه نقل الأمير سودون النائب إلى مكان بالقلعة .

وفيه ألزم قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء بعشرة أرؤس من الخيول أو ثمنها . وطلب من كل من الأمراء المقيمين عشرة أرءوس أو ثمنها ، ومن كل أمير طبلخاناه أربعة أرءوس ، ومن كل أمير عشرة رأسان ، فأخذ ذلك من الجميع . وطلب من سائر الولاة المستقرين بأعمال القاهرة والمعزولين أيضا

خيولا ، وألزم كل واحد بحسب مقامه ، وطلب من سائر الخدام (١٣١ أ) خيولهم فوقفوا واستعفوا من ذلك فأعفوا .

وفيه خُلع على الأمير حسام الدين بن الكورانى واستقر فى ولاية مصر ، مضافا لمـــا بيده من ولاية القاهرة ، واستناب فيها ولد أخيه :

[وفى] ثالث عشريه خلع على قطلوبغا السيفى واستقر أمير حاجب ثانيا عوضا عن أمير حاج بن مغلطاى ، ورسم لفرج السيفى بإمرة عشرة ، وأنعم على كل من قراكسك وأرسلان اللفاف وبكبلاط السونجى بقباء حرير بفرو وشـــق :

وفيه وصل نجاب من مكة وأخبر بموت مثقال الطواشى الزمام ببدر :

وفيه رحل السلطان من العكرشا إلى بابيس وتقنطر عن الفرس فتفاءل الناس وتطيروا من ذلك ، وأرجفوا إرجافا زائدا وقالوا بأنه يرجع مكسورا مأسورا (١) ، وكان كذلك :

[وفى] سلخه أمر الأمير صراى تمر بسد باب القصر الذى يوصـــل إلى الإصطبل ، وبسد شبابيك الشراب خاناه ، ومضت هذه الأيام (٢) ، وقد دخل على الناس من الأذى والبـــلاء والشر بمصر والشام مالا تحصره الأوراق ولا يدخل تحت دائرة النطاق :

* * *

وبلغنا أن فى هذه السنة حدث حادث كبير ببلاد خراسان وهو أنه ثارت ريح عاصفة بنيسابور فى شهر صفر ارتجت منها الأرض من عظم هبوبهـــا وحدثت زلزلة عظيمة بحيث أن الأرض تحركت منها حركة شديدة حتى كان الإنسان وغيره يرى أنه مرتفع عن مكانه بقامتين أو أكثر ، وصارت الأرض

(١) فى الأصل « مقسورا » . (٢) فى الأصل « الناس » .

تنتقل من موضع إلى موضع حتى لم يبــق شيء من جميع أقطار المــدينة من البيوت والجوامع والمدارس والطرقات والأسواق حتى اهتز اهتزازا عنيفا، واستمر هذا الأمر إلى ضحوة اليوم الرابع فسكنت الزلزلة وقد أمِنَ الناس واطمأنوا إذ هبت عليهم ريح عاصفة أشد من الأولى وأكفأت أهل المدينة فصار أعاليها أسافلها وخربت المدينة وهلك أهلها فلم ينج منهم إلا النــادر الذى لا حكم له، وسلم سكان الفوقانيات وهلك سكان التحتانيات، وسلم جماعة كانوا ببعض الحمامات، ثم خرجوا إلى أماكنهم فاحتووا على أموال من هلك؛ ومن عجيب ما وقع فى هــذه الحادثة أن قرية انقلبت بأهلهــا من مكانها إلى قرية أخرى فصارت فوقها بحيث إنه لم يبق للتى كانت أولا أثر تعرف به، وحصل بين أهل القريتين مخاصمات ومشاجرات ومحاربات؛ واتفق أيضا أن رجلا كان فى داره فسقطت الدار إلا الموضع الذى هو فيــه فإنه سلم وسلم الرجل، وكانت زوجته فى الحمام وقد وضعت لقمة فى فيهــا فسقط الحمام عليها فهلكت فلما نبش عليها وغسلت وجدت واللقمة فى فيها لم تزدردها وفى حجرها ولد صغير ومئزرها فى وسطها، وقد اشتهر عنــد أهل نيسابور أنها خربت بالزلازل سبع مرار، وكانت هذه الحادثة أشــنع وأفظع مما مضى لأنها نزلت بالمدينة فتركت عاليها سافلها وهلك منها عالم كبير، والله يحكم ما يريد.

* * *

وتوفى فى هذا العام خلق كثير ممن لهم ذكر من الأعيان، وغالبهم بعلة الطاعون

١٠٦ ــ صارم الدين إبراهيم ولد الأمير قطلوتمر(١) العلائى [مات] بمدينة حلب مقتولا من كمشبغا الحموى نائبها لمــا عصى، وسبب قتله له أن إبراهــيم

(١) سماه ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٣٨١ بابن طلقتمر.

انتصر لمنطاش وصار يستميل الناس معه وحارب كمشبغا فانتصر عليه كمشبغا فوسطه فى شوال ، وكان شابا شجاعا عارفا بأنواع الحروب من لعب الرمح والسيف ورمى النشاب :

١٠٧ ــ وتوفى قاضى القضاة بحلب شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر ابن أبى الرضا(١) الشافعى مقتولا من كمشبغا ، وسبب قتله أن كمشبغا النائب لما عصى على منطاش وثب عليه شهاب الدين المذكور وحشد عليه بأهل بانقوسا فكسرهم كمشبغا وقتل غالبهم ، فهرب ابن أبى الرضا فحصل ووسط فى شوال وكان عمره إذ ذاك زهاء عن أربعين سنة ، رحمه الله ، وكان أستاذا فى عدة من العلوم الشرعية والعقلية ، لم يُشْهَر عنه أخذ رشوة فى حكمه ، وكان مهابا عند الناس صارما شهما كثير المحبة فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم وفى ضبطه وحب أهله :

١٠٨ ــ ومات شيخ الرحلة برهان الدين إبراهيم بن على المشهور بالحلوانى ، الشامى الأصل ، المصرى ، الواعظ الحافظ فى عاشره ، ولم يخلف بعده مثله فى المواعيد والحفظ وسرد التفاسير والأحاديث :

١٠٩ ــ وتوفى(٢) الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى يزيد بن محمد ويعرف بمولانا زاده السيرامى العجمى الحنفى فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم بالقاهرة ، وكان من أهل الفضل والذكاء فى عدة من العلوم ، وهو أول من تولى تدريس الحديث بالظاهرية المستجدة بين القصرين ، وانقطع عليه غالب الطلبة فإنهم كانوا ينتفعون عليه :

(١) أنظر إنباء الغمر ١/٣٨١ ترجمة رقم ٤ ، والطباخ : إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، ٥/١٠٣ .

(٢) يستفاد من إنباء الغمر ١/٣٨٤ نقلا عن الكلستانى أنه مات مسموما ، على أن ابن حجر لم يشر فى الدرر الكامنة ١/٨٣٥ إلى هذه الميتة بل اكتفى بقوله : «مرض فطال مرضه إلى أن مات فى المحرم» .

١١٠ـ وتوفى الأمير أرنبغا مقدم البريدية وأحد الأمراء العشرات بالقاهرة فى شهر صفر ولم يعرف له صنيع فينقل عنه :

١١١ ـ وتوفى الأمير ملكتمر أحد أمراء الطبلخانات بالطاعون فى شهر جمادى الأولى وسيرته كسيرة من تقدمه من الأمراء :

١١٢ ـ ومات الأمير الجليل جركس الخليلى أمير آخور قتيلا فى وقعة الناصرى خارج دمشق فى يوم الاثنين حادى عشر ربيع الأول ، وكان أميرا فاضلا عارفا مهابا شهما خبيرا بالتجارب والأمور ، وصنع معروفا تقبله الله منه ، وهو أنه أوقف خانا يعرف بخان الخليلى يتحصل منه فى كل سنة جملة من الأموال على جهات بر بمكة المشرفة :

١١٣ ـ ومات الأمير بزلار العمرى نائب الشام وهو من مماليك الناصر حسن رباه مع أولاده وأحسن تأديبه وعلمه القرآن والكتابة فمهر فيها ، واشتغل بالعلوم فنبغ فيها سيما فى الفلكيات وعلم النجوم ، وكان فارسا شجاعا قد أتقن صنائع الملعوب (١) ، ذكيا ذواقا متيقظا ، استقر نائب الإسكندرية ثم تنقل منها إلى نيابة طرابلس ، وحضر مع الأمير يلبغا الناصرى إلى القاهرة فولى نيابة الشام ثم قبض عليه واعتقل بقلعتها حتى قضى نحبه وقد زاد على الخمسين سنة ؛ رحمه الله تعالى :

١١٤ـ (٣١ ب) وتوفى الأمير حسام الدين بن الأمير علاء الدين بن الأمير قشتمر أحد العشرات بعلة الطاعون بالقاهرة ، وكان له معرفة ببعض أنواع الملعـوب :

(١) الوارد فى النجـوم الزاهرة ١١/٣٨٥ أنه أتقن أنواع الملاعيب ، راجع الدرر الكامنة ١/١٢٥٥ :

١١٥ — ومات الشيخ الصالح الربانى المعتقد المفنن حسن الخباز الواعظ فى حادى عشرى ربيع الآخر ودفن بالقرافة ، وكان قد صحب الشيخ الإمام الأستاذ العارف ياقوت الشاذلى[(١)] نفع الله به ، وتلقن بسنته وتزوج ابنته ، وبطل بيع الخبز وأقام بزاويته خارج القاهرة ، وجلس للوعظ فأحسن ، وهرع إليه الناس من كل مكان ، وصار له عدة أتباع ومحبون ، رحمه الله .

١١٦ — وتوفى الأمير سودون المظفرى أحد الأمراء بحلب ، وبها كانت نشأته حتى ترقى وصار خازندار الأمير جرجى نائب حلب ثم استقر أحد الحجاب ، وترقى حتى استقر فى نيابة حماة ، ثم ولى نيـابة حلب وصرف عنهـا وصار أتابكا بحلب إلى أن مات مقتولا[(٢)] وقد أناف على الستين سنة .

١١٧ — ومات الأمير سراى[(٣)] الطويل الرجبى أحد المماليك اليلبغاوية من الأمراء الطبلخانات خارج القاهرة فى ثالث عشر ربيع الأول .

١١٨ — وتوفى قاضى القضاة جمال الدين عبد الرحمن بن خير السكندرى المالكى فى يوم الأربعاء رابع[(٤)] عشر رمضان وكان فقيرا من العلوم .

(١) هو ياقوت بن عبد الله الحبشى الشاذلى زاهـد الاسكندرية تلميذ سيدى أبى العباس المرسى ، وكانت وفاته سنة ٧٣٢ ، أنظر عنه الدرر الكامنة ٥/٤٩٨٨ ، والسلوك ٢/٣٥٥ ، وشذرات الذهب ٦/١٠٣ .

(٢) أنظـر الطباخ : إعلام النبـلاء ٢/٤٥٨ ، ٤٦٤ ، وراجع أيضا ابن إياس : بدائع الزهور ١/٢٦٩ — ٢٧٠ ، ٢٧٨ .

(٣) أورده أبو المحـاسن : النجوم الزاهرة ١١/٣٨٦ وابن حجـر : إنباء الغمر ١/٣٨٥ باسم «صراى» وذكر المرجع الأخير أنه أخو بركة ، أنظر أيضا : Wiet: Les Biographies du Manhal Safi, No. 1055.

(٤) الوارد فى ابن حجـر : إنباء الغمر ١/٣٨٦ ترجمة رقم ٢٦ أنه مات يوم ١٧ رمضان وهو التاريخ الأرجح ، إذ جاء فى التوفيقات الإلهـامية ص ٣٩٦ أن أول رمضان كان الثـلاثاء وهذا هو التاريخ الذى اعتمدته شذرات الذهب ٦/٣١٧ ، على أن ابن حجر عاد فى الدرر الكامنة ٢/٢٣٥٧ فجعل وفاته يوم ١٩ رمضان وهو يختلف فى صفته عما جاء بالمتن حيث يشير إلى أنه « كان عارفا بالفقه » ، كذلك أثنى عليه أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ١١/٣٨٦ .

١١٩ — وتوفى جمال الدين عبد الرحمن بن الشيخ علاء الدين مغلطاى بالقاهرة فى ثانى عشرى ربيع الآخرة ، وكان دينا خيرا .

١٢٠ — ومات الشيخ شرف الدين عثمان بن سليمان بن رسول التركمانى الحنفى المشهور بالأشقر ، دخل القاهرة واتصل بالأمير الكبير برقوق فأكرمه وأدناه وحظى عنده حتى صار يداخله فى أحواله كلها ، فلما ولى المملكة استقر به إمامه فصار يؤم به ، ثم استقر به شيخ الخانقاه الركنية بيبرس ، ثم ولاه قضاء العسكر ، وكان عنده بعض أدوات من كل فن ، وكانت وفاته بالطاعون فى رابع عشرى (١) ربيع الآخرة .

١٢١ — وتوفى الأمير أشقتمر المارديني نائب حلب وهو بطال بالقدس ، وله سيرة جميلة وخيرات كثيرة يذكر بها ، وعمر دارا بدمشق (٢) وأوقفها على الفقراء ، وعمر غير ذلك من الأوقاف ، وكان باسلا شجاعا مهابا عارفا بالأحوال .

١٢٢ — وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن بزلار أحد العشرات بالطاعون بالقاهرة ، وكان من الفرسان .

١٢٣ — وتوفى الشيخ بدر الدين محمد بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى الشافعى قاضى العسكر فى يوم الجمعة سابع عشر شعبان ، ودفن بمدرسة (٣) والد أبيه من حارة بهاء الدين ، وكان قد قرأ فى عدة علوم وأفتى ،

---

(١) هكذا أيضا فى النجوم الزاهرة ١١/٣٧٧ لكنه ١٤ ربيع الآخر فى الدرر الكامنة ٣/٢٥٨٠ .

(٢) راجع ابن الشحنة : الدرر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب ، ص ١٩٠ ، وإنباء الغمر ١/١٩٢ ، ١/٣٨٤ ، والطباخ : إعلام النبلاء ٢/٤٤١ ، ٤٤٩ ، ٤٥١–٤٥٢ .

(٣) وهى التى تعرف اليوم بجامع البلقينى .

وكان له ذكاء مفرط لكنه كان سيئ المزاج مستغرقا فى اللهو واللذات التى تميل إليها غالب النفوس ، ممتعا بالجاه والمال ، مثابراً على بلوغ الآمال .

١٢٤ — وتوفى الشيخ محمود[١] بن عبد الله النيسابورى المشهور بابن أخى جار الله الحنفى فى رابع شهر ربيع الأول وكان ساكنا وقوراً كثير الفضل .

١٢٥ — وتوفى الشيخ الصالح المعتقد[٢] شهاب الدين أحمد الشيتى فى العشرين من صفر وأثنوا عليه خيراً ، وكانت له جنازة حفلة :

١٢٦ — [ومات] الشيخ شهاب الدين أحمد بن موسى عرف بابن الوكيل الشافعى المكى[٣] بالقاهرة فى نصف صفر .

١٢٧ — وتوفى الأمير شهاب الدين أحمد أحد الأمراء العشرينات وأمير علم .

١٢٨ — ومات القاضى تاج الدين أبو ريشة ناظر الدولة فى سادس عشرى جمادى الأول ، وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند ولايته الوظيفة .

١٢٩ — وتوفى الأمير يونس[٤] الدوادار النوروزى وهو من مماليك يلبغا ثم استقر دوادار الأمير الكبير أسندمر الأتابك ، فلما تسلطن السلطان الملك

---

(١) ورد اسمه بهذه الصورة أيضا فى النجوم الزاهرة ١١/٣٨٩ ، ولكن إنباء الغمر ١/٣٨٩ سمته « محمد بن محمود بن عبد الله » وتبعتها فى ذلك شذرات الذهب ٦/٣١٩ ؛ أما الشهر فهو ربيع الآخر فى كل من إنباء الغمر وشذرات الذهب ولكنه سابع جمادى الأولى فى النجوم .

(٢) كان صاحب الترجمة قد انقطع بمصلى خولان بظاهر مصر بالقرافة ، وينسب هذا المصلى إلى جماعة من العرب اليمنية ممن دخلوا مصر فى الفتح العربى لها ، أنظر المقريزى : الخطط ٢/٤٥٤ .

(٣) فى الأصل « المالكى » مما لا يتفق ونعته بالشافعى ، كما أن هناك من سلفه من اسمه محمد بن عمر ابن مكى المعروف بابن المرحل ، انظر الدرر الكامنة ٤/٤١٨٢ ، وابن كثير : البداية والنهاية سنة ٧١٦ ، والسلوك للمقريزى ٢/١٦٧ ، والنعيمى : الدارس فى تاريخ المدارس ١/٢٧ — ٢٨ .

(٤) هو صاحب خان يونس فى الطريق إلى غزة ، انظر إنباء الغمر ١/٣٩٠ ، والدرر الكامنة ٩/٥٢٠٤ .

الظاهر رقاه حتى جعله دواداراً كبيراً ، وكان من أخص أمرائه ، فلما أرسله لمحاربة الناصرى وتقابل معه وانهزم فقتله عنقا بن شطى أمير آل مرا بالقرب من خربة اللصوص فى يوم الثلاثاء ثالث عشرى ربيع الآخر عن نيف وستين سنة ؛ وكان رحمه الله كثير الخير والعبادة ، ملازما للصوم والصلاة والتهجد فى الليالى ، وافر الحرمة زائد الهيبة معرضا عن الهزليات محبا للعلماء والصلحاء وأهل الدين كثير الإحسان إليهم ويبالغ فى إكرامهم واحترامهم ، وصنع خيرات كثيرة يعرف بها خيره ودينه ، فمما عمره بالقاهرة قيسارية وربع وقفهما على تربته بقبة النصر ، ودفن بها خارج غزة ، وله عدة سبل وأحواض بالقاهرة ودمشق :

١٣٠ — وماتت خوند شقراء بنت الملك الناصر حسن زوجة الأمير أروس فى ثامن عشرى جمادى الأولى .

١٣١ — ومات الأمير قرا محمد متملك الموصل مقتولا :

* * *

سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة من الهجرة النبوية

* * *

أهلت هذه السنة بيوم الاثنين أول المحرم ، وأهل مصر والشام إلى أسوان والفرات فى غاية الإنكاد والإزعاج :

[وفى] ثامنه دخل السلطان الملك المنصور بعساكره إلى غزة المحروسة والكل لابسون آلات الحرب مشهرين بالسلاح ، وكان الأمير صراى نائب الغيبة عدى للجيزة فى سادسه واحتاط على خيول الناس التى تأكل الربيع فأخذها بأسرها ، وأرسل يأخذ خيول العربان بالبحيرة والشرقية والغربية :

[وفى] سابعه دقت البشائر بالقلعة إلا أنهم أشاعوا فرار[1] الملك الظاهر وبالغوا فى ذلك وزينوا القاهرة ومصر وليس لهذه الإشاعة صحة .

[وفى] حادى عشره قبض والى القاهرة ابن الكورانى على ستة نفر من المماليك بالبرقية بالقاهرة وكان من خبرهم أنهم لبسوا السلاح وأعدوا عندهم مئة جانبا وأحضروا إلى عند صراى (٣٢ أ) نائب الغيبة فأقروا أنهم اتفقوا مع جماعة من مماليك نائب الغيبة ومماليك الأمراء المقيمين بالقاهرة أنهم يثبون

(١) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٣٩١ .

يوم الجمعة ثانى عشره على الأمراء ويمسكونهم ويملكون الاصطبل والقلعة ، فبادر الأمير صراى — نائب الغيبة — فقبض على خمسة وثلاثين نفرا ، وقبض الأمير تكا على عشرين نفسا والأمير سلاح على سبعة ، وقرروا الجميع على من اتفق معهم من الأمراء فأقروا على ثلاثة أنفس من أمراء العشرات فقبض عليهم وهم : يونس من الأمراء العشرات ، وناصر الدين البدرى الأستادار وقطلوبك وقبرج .

وفى هذا اليوم توجه حسين بن الكورانى والأمير قطلوبغا الحاجب إلى [قاعة] البيسرية(١) بالقاهرة و [كان] إخوة الملك الظاهر [برقوق] مقيمين بهـا فقبض على بيبرس ابن أخت الظـاهر وصار [ابن الكورانى] يفحش فى الذم على الظاهر ويوشى على حاشيته حتى إن النساء صرن يتخضعن له فلم يلتفت لفعلهن ، وأخرجهن حاسرات وهن مسحوبات فى قوارع الطرقات حتى بلغ الأمير مقبل نائب الغيبة بالقاهرة فردهن من خارج باب زويلة ، ولو ظن ابن الكورانى أن هذا الفعل سبب هلاكه ما قدم عليه ، ولكن ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

[وفى] ثالث عشره فكت الزينة ولم يكن لها فائدة فان الإشاعة كانت كاذبة ، والله يحسن العاقبة . ولمـا بلغ قطلوبغا هذا الأمر ركب ونزل من البيسرية ففتشها فلم يجد بها أحداً من المماليك الظاهرية فطمنهم ، ثم انتقـل

(١) قاعة البيسرية وقـد سماها المقريزى فى الخطط ٢/٦٩ بالدار ، من إنشاء الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى أحد مماليك بيـبرس البندقدارى سـنة ٦٥٩ هـ ، وصرف عليها أموالا كثيرة ، وكانت تقع بخط بين القصرين بالقاهرة ، وسعتها بأصطبلها وبستانها وحمامها نحو فدانين ، حتى إذا كانت سنة ٧٣٣ استبدلها قوصون طمعا فيها ، ثم صارت من جمـلة أوقاف الظاهر برقوق ، وقيـل إنه كان لها باب من أعظم أبواب القاهرة .

منها إلى المدرسة الظاهرية المستجدة وفتشها مكانا مكانا حتى خلاوى الطلبة فلم يجد بها أحدا ؛ غير أنه قبض على رجلين من تجار العجم أحدهما الخواجه إسماعيل ووضعهما فى الحديد وسار بهما إلى القلعة فسجنهما .

وفيه أشهر النداء ببولاق ومصر أن أصحاب المراكب لا يعدون بفرس من الجيزة إلى القاهرة ومصر ، وأشهر النداء بالقاهرة ومصر : من أحضر مملوكا من المماليك الظاهرية فله ألفا درهم .

وأما أجناد منطاش والملك المنصور والعساكر المصرية فالأخبار لا تنقطع عنهم مفصلة بأحوال الملك الظاهر ، وأن الأمير كمشبغا [الحموى] نائب حلب أمده بعساكر كالمطر وأزواد وآلات وخيول وأموال وغير ذلك ، وأنه صار فى محفل عظيم ، وآخر أمر كمشبغا المذكور أنه حضر لنصرته ومعه عساكر حلب وتركمانها ، فعند ذلك ركب الملك المنصور من غزة وجد فى السير فبلغ ذلك الملك الظاهر وكان يحاصر دمشق فترك القتال وأخذ عساكره وقصد شقحب ونزل العسكر المصرى على قرية تسمى المليحة (1) ، بينها وبين منزلة الظاهر بريد واحد ، وأرسل كل من الفريقين كشافتهم ، وكان الملتقى بين العسكرين يوم الأحد رابع عشره وإذا بالملك الظاهر قد أقبل فى عدده وعدده وقد رتب عسكره ميمنة وميسرة وقلباً ، ووقف هو فى القلب ، وأقبل منطاش وقد جعل نفسه فى الميمنة والسلطان [المنصور الملك حاجى] فى القلب ورتب قوما فى الميسرة ، فحمل منطاش على ميسرة الظاهر وحملت ميمنة الظاهر على الميسرة ، وأظهر كل من الفريقين مجهوده ، فكانت بينهم حروب كقطع الليل المظلم لا يسمع فيها إلا قعقعة السلاح والضرب بالسيوف والطعن

(1) Cf. Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, pp. 305, n. 14; 306, n. 1.

بالرماح فانكسرت ميمنة الظاهر وانهزموا فتبعهم منطاش بعسكره واستمر الظاهر ثابتا فى القلب ولا يعرف لأصحابه خبراً وتحقق الهلاك . ثم إنه حمل على الملك المنصور ببقية من معه من العساكر فظفر به وبالخليفة والقضاة والذخيرة ، فبادر جماعته الذين ثبتوا معه ينهبون فى أثقال الملك المنصور ، وعساكره (١) قد انفلتوا عنه فنهبوا من أثقال الملك الظاهر شيئا لا يحصر من كثرته .

وأما الأمير قجماس ابن عم الملك الظاهر فإنه وقع فى حوزة منطاش وأن منطاش استمر يتبع المنهزمين حتى دخل دمشق وبها الأمير جنتمر نائبها الذى هو أخو طاز فأخبره أنه كسر الظاهر وفى الغد يدخل الملك المنصور ، فظن أن ذلك على حقيقته ، وأصبح منطاش فى يوم الاثنين ــ خامس عشره ــ فخرج بمن معه من العساكر للقاء الملك المنصور فسمع أن الظاهر قد احتاط على الملك المنصور والخليفة والقضاة ، هذا مع العدد اليسير الذين كانوا معه ومع هزيمة كمشبغا [الحموى] نائب حلب من شقحب هو ومن معه من العساكر وحسام الدين الكجكنى نائب الكرك تابعهم بعساكر كثيرة إلى أن دخلوا حلب فاستولى عليها كمشبغا المذكور ، وكان هذا الحرب كله على الظاهر إلا أنّ الله تعالى أيده بالنصر عند الغلبة ، وهو أنه لما رآى أنه قد هلك ولم يتأخر معه إلا نحو الثلاثين مملوكا من خواصه وقد تفرقت عساكره شذر مذر قصد القبض على المنصور وهو جل المقصود فأخذه كما قدمنا ذلك وأخذ الخليفة والقضاة وخرج منهم قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء الشافعى وقاضى القضاة شمس الدين الطرابلسى الحنفى ، ومد النهابة أيديهم فى أثقال القضاة والمتعممين خلا قاضى القضاة ناصر الدين الحنبلى فإنه امتنع عن الركوب فى الحرب فسلم من الجرح والحرج والنهب هو وولده برهان الدين إبراهيم ؟

(١) أى عساكر الملك حاجى .

وهلك فى هذا اليوم عالم كبير ، وإلى الله المصير .

وأما المباشرون وهم : القاضى بدر الدين بن فضل الله العمرى كاتب السر الشريف وأخوه عز الدين حمزة والقاضى جمال الدين محمود ناظر الجيش ، وشمس الدين محمد بن الصاحب الذى هو موقع الإنشاء ، وتاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين بن أبى شاكر صاحب ديوان منطاش فإنهم انهزموا فى طائفة كبيرة إلى دمشق فدخلوها ، وأما الملك الظاهر فلما كان من أمره ما قدمناه من القبض على الملك المنصور ومن معه استمر طول ليلته على ظهر فرسه وهو تحت العصائب السلطانية فلم يكتحل بمنام ولا سنة ، والمنصور والخليفة إلى جانبه وقد أحيط بهما (٣٢ ب) ، [إحاطة] الخاتم بالإصبع أو الثغر بالألسنة وهو يقطع فى أدبار من خالفه . وأقبل إليه فى الليل جموع كثيرة من الطوائف فأصبح يوم الاثنين فى جيش عرمرم كثيف فإذا بمنطاش قد أقبل إليه فى عالم كبير من عامة دمشق وعسكرها ، فكان بينه وبين الظاهر فى هذا اليوم حرب من شروق الشمس إلى غروبها حتى نقلوا [أن] القرانصة من الأتراك [قالوا] إن هذه الحرب لم يعهد بمصر والشام [مثلها] وآخر الأمر أرسل الله ريحا عاصفا ومطرا كالحصى الكبار فألقاه فى وجه منطاش وعسكره ، فكان هذا سبب كسرته وخذلانه ، وقد هلك من فرسان الفريقين وعوامهم عالم كثير ، وآخر هذا انهزم منطاش إلى الشام فعاد الملك الظاهر إلى منزلته شقحب فأقام بها سبعة أيام ، فهرع إليه غالب العشران والتركمان وقويت شوكته واشتد بأسه لكن عزت عنده الأقوات وصاروا لا حياة ولا موات ، حتى إن البقسماطة المدورة أبيعت بخمسة دراهم ، وهم مع ذلك صابرون مصابرون . وأما الخيول والبغال فلكثرتها وقلة العليق أبيع

الفرس بعشرين درهما وأقل من ذلك، وأما الجمال وغيرها من الدواب فلا يرضى أحد ابتياعها لا بقليل ولا كثير .

وأما أعوان الظاهر فغنموا من الأموال الجزيلة ما يكفيهم ويكفى أعقابهم ونسلهم بعد ذلهم وفقرهم وخمولهم، فسبحان المعز المذل، والمعطى والمانع .

وفى أثناء هذه المدة وهو مقيم بشقحب جمع الأعيان والخليفة وقضاة القضاة وأشهر على المنصور حاجى أنه خلع نفسه من الملك، وحكم بموجب ذلك قضاة القضاة فنهض الخليفة وبايع الظاهر وأثبت القضاة بيعته، ونودى بذلك فى المنزلة بين العسكر واشتهر هذا الأمر وشرع السلطان فى ولاية النواب فولى الأمير فخر الدين أياس الجركاوى (١) نيابة صفد وأخلع عليه، واستقر الأمير قديد القلمطاوى نائب الكرك، والأمير آقبغا الصغير [فى] نيابة غزة، وزعق فى العسكر بالرحيل فبلغ منطاش ذلك، فنظر (٢) إليه وصار يتأمل عساكره من بعيد، فاشتد الظاهر للعود لقتاله فولى خائبا مدحوراً، وسار الظاهر بعساكره قاصداً الديار المصرية وقد جهز إلى حاجب غزة الذى هو الأمير منصور يأمره بالقبض على حسن [بن] باكيش الذى هو نائبها من قبل منطاش، فقبض عليه، واستولى أعوان الظاهر على غزة وتملكوها وضرب ابن باكيش ضربا مبرحا يوم دخول السلطان إليها وذلك فى يوم مستهل شهر صفر .

* * *

وأما أخبار القاهرة والمقيمون بها فإنهم وصلت إليهم الأخبار الكاذبة بهروب الناصر وكسرته وانتصار منطاش، ولما كان يوم الرابع عشر من المحرم الذى هو يوم الوقعة أخلع على ابن الحسام واستقر أستادار الأمير منطاش واستقر به الأمير صراى وخلع عليه بالقاهرة .

---

(١) « الجرجاوى » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٧١ .
(٢) فى الأصل « لحضر » .

[وفى] خامس عشره أفرج عن بيبرس بن أخت الملك الظاهر والأمير ناصر الدين محمد بن ناصر البلدى وصراى تمر الشرفى وصحبتهم جماعة أخر من المماليك الظاهرية :

[وفى] هذا اليوم ورد من الفيوم محضر مفتعل مضمونه أن الأمراء المسجونين بالفيوم سقط عليهم حائط فقتلهم وهم : تمرباى الحسنى وقرابغا الأبو بكرى وطغاى تمر الجركتمرى ويونس الأسعردى وقيران(١) السيفى وتنكز العثمانى وأردبغا العثمانى وعيسى التركمانى :

[وفى] ثانى عشريه وصل المحمل بالحاج ركبا واحداً من الإرجاف والإشاعات .

[وفى] خامسه ورد القاهرة سواق من سواقى البريد وعلى يده كتب مزورة تتضمن أن السلطان الملك المنصور تملك البلاد الشامية وأن الظاهر [برقوق] انهزم منه هزيمة قبيحة فدقت البشائر بقلعة الجبل ثلاثة أيام ، ولما بلغ حسين ابن الكورانى الوالى هذا الخبر سر به وأظهر ذلك وصنع وليمة عظيمة اجتمع عنده فيها خلق كثير من الأعيان ، ولم يصدق غالب أهل القاهرة بصحة هذا الخبر إلى ثامن عشريه فشت الأخبار وكثرت الإشاعات التى ملأت القاهرة وصارت تتواتر بظفر الملك الظاهر وقبضه على المنصور والخليفة وهزيمة منطاش ، وأنه سار إلى القاهرة فى جيش عرمرم :

[وفى] يوم الأربعاء مستهل شهر صفر ورد البريد من غزة مخبراً بدخول الملك المنصور إلى دمشق وفرار الظاهر ، هذا مع ما بين الأمير صراى تمر والأمير تكا المقيم بالقلعة من الفتن والمحن ، وكل منهما يروم قتل صاحبه

(١) « قازان » فى النجوم الزاهرة ١١/٣٧٣ :

ويحترز منه، وقدر الله تعالى أن المماليك الظاهرية المسجونين بخزانة الخاص بالقلعة ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وأخذ أتباعهم فزرعوا بالسجن قليلا من البصل فى قصارى طين فأرادوا سقيها بالمـاء، ووجدوا إحدى القصارى نجب ما بها من الزراعة والباقى لم ينجب، فأرادوا رميه وحملوه فإذا تحته حجر كبير فرفعوه فإذا تحته نقب منقوب، ووصلوا إلى سرداب عظيم يتوصل منه إلى القصر فصاروا يتوصلون فى تنظيفه وتوسيعه حتى وصلوا منه إلى الأشرفية(١) من بعض أطباق المماليك بالقلعة، وكان منطاش قد سد بابهـا الذى يتوصل منه إلى الإصطبل السلطانى فنهضوا وقاموا بأجمعهم وهم نحو الخمس مائة مملوك، ومضوا منه ليلة الخميس ثانى صفر بعـد أن اتفقوا مع الأمير بطا وجعلوه رأسهم وبالغوا فى [معالجة] باب الأشرفية حتى فتح فعلم بهم الحراس الموكلون بحفظ الأبواب فوثبوا عليهم وضربوا مملوكا يقال [له] تمربغا فمات، وأراد بطا أن يخرج فوثب عليـه أحد الحرس فضربه ضربة شديدة سقط منها إلى الأرض مغشيا عليه ثم نهض وضرب الضارب له بقيده فصرعه وخرج بقية من معه وهم يصرخون: «تكا يا منصور»، وجعـلوا سلاحهم ما فى أرجلهم من القيود يضربون بها من وجدوه فاستيقظ صراى تمر مرعوبا وهو محقق وثوب بطا عليه ليقتله، ففر من الإصطبل فنزل بطا وملكه واحتوى على ما فيه من متاع صراى وقماشه وخيوله، وصار يقبض [على] المنطاشية ويفرج عن الظاهرية، واحتوى على الخيـول ورسم بدق الكوسات نحو نصف الليـل الأول إلى أن أصـبح يوم الخميس فتسامعت

---

(١) قاعة الأشرفية وتسمى بقصر الأشرفية أيضا وقـد يكتفى فى تسميتها بالأشرفية فقط، وهى من إنشاء الأشرف خليل بن قلاون سنة ٦٩٢ هـ، وهى بالقلعـة، وأول ما افتتحها الأشرف بعمل مهم لختان أخيه جمع فيه سائر أرباب الدولة والملاهى، وقام الأمراء الخاصكية فيه بالرقص، انظر المقريزى: الخطط ٢/٢١٠.

المماليك الظاهرية وظهروا هم واليلبغاوية من كل مكان وتوجهوا إلى سجن الديلم فكسروه، وأرسلوا إلى خزانة شمائل فكسروها وأخرجوا من فيهما [(١)] من المماليك الظاهرية واليلبغاوية حتى كسروا سجن الرحبة، فداخل ابن الكورانى من هذا الأمر هلع عظيم فهرب واختفى، وركب الأمير صراى تمر والأمير قطلوبغا الحاجب فى عدد لقتال بطا وأصحابه فرمى عليهم من الرفوف [(٢)] والقصر وساعده الأمير مقبل أمير سلاح ودمرداش القشتمرى ومن معهم من المماليك الظاهرية وآخر ذلك نزل إليهم وقاتلهم وقد انضم إليه عدد كثيرون لا يحصون، فلما رآى أصحاب صراى الجيش العظيم الذى اجتمع مع [بطا]، انفلوا عنه [(٣)]، وأتوا بطا طائعين فانكسر المنطاشية (٣٣ أ) وانهزموا إلى مدرسة السلطان حسن فتوجه جماعة وأحاطوا بيت قطلوبغا الحاجب فملكوه ونقبوا منه إلى مدرسة السلطان حسن وصاروا يرمون على من بالطبلخاناه حتى هزموهم وملكوا منهم الطبلخاناه وانتقلوا إلى محاصرة [مدرسة] السلطان حسن وكان بها جمع كبير من التركمان أعدهم منطاش لحفظها، فسألوا الأمان من عظم ما وقع عليهم من الرمى والمكاحل المملوءة من النفط وغير ذلك من السهام، وانهزم من كان بباب القلعة من الرماة، فوثب الظاهرية وقصدوا بيوت الأمراء فنهبوها، وأهل البلد مع هذا جميعه فى أمان واطمئنان وبيع وشراء وأخذ وعطاء، ولم ينهبهم أحد من الزعر مع عدم من يحفظهم. وما فرغ النهار حتى صار الظاهرية نحو الألف فارس وأرسل إليهم ناصر الدين أستادار

---

(١) يقصد بذلك حبس الديلم وخزانة شمائل.

(٢) الرفرف فى الأصل دار من دور قلعة الجبل، وقد عمره الأشرف خليل بن قلاون، وكان من مجالس السلطان وكان شديد الارتفاع تقع الجيزة عند أسفله، وقد سكنه بعض المماليك فعرفوا بطبقة الرفرف، أنظر المقريزى : الخطط ٢/٢١٢.

(٣) الضمير هنا عائد على صراى تمر.

منطاش مدداً لهم بمائة ألف درهم فضة ، ورسم بطا لناصر الدين محمــد ابن العادل بالتحدث فى ولاية القاهرة ، فركب بها ونادى بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك الظاهر ، ففرح غالب المسلمين وأهل الذمة فرحا عظيما سيما زوال الدولة المنطاشية من مصر .

وفى صبيحة يوم الجمعة سلم الأمير بطا(١) القلعة للأمير سودون [الشيخونى] النــائب .

وفيه استقر بطا بمنجك اليوسفى والى القاهرة عوضا عن ابن العادلى ، فنادى فيها بالأمان والاطمئنان والدعاء لسلطان الملك الظاهر بالنصر .

وفى هذا اليوم نزل الأمير سودون النائب من قلعة الجبل ومعه تكا ودمرداش القشتمرى ومقبل السيفى إلى الأمير بطا ، فمسكهم وأودعهم الحديد خلا الأمير سودون النائب فإنه بالغ فى إكرامه واحترامه ، وأرسل رسلا إلى الأمــير صراى تمر وإلى الأمير قطلوبغا فما زال بهم حتى كفّوا عن الرمى والقتــال ، ونزل هو وقطلوبغا الحاجب إلى الأمير بطا فازدحم الناس عليهما وقصدوا الفتك بهما ، فصــار الأمير سودون النائب يحميهما ويمنعهما من ذلك غاية ما يكون فلم يسمعوا لسودون وصاروا يرجمونهما رجما شديدا حتى أشرفوا كلهم على الهــلاك ، فعند ذلك رموا عليهم بالنشاب وضربوهم بالسيوف فقتلوا منهم عدة ، وأخذهما سودون فسار بهما وبمن معهما إلى الاصطبل السلطانى فصفدوا بحضوره وأمر بسجنهم ، وطلب من فى مدرســة السلطان حسن من المقاتلة فأحضروا بين يديه ، وأزال الله الدولة المنطاشية من مصر والقــاهرة . ووثب الأمير سودون النائب فركب وشــق القاهرة والمنادى بين يديه ينادى بالأمان والاطمئنان والدعاء للسلطان الملك الظاهر بالنصر ،

(١) فى النجوم الزاهرة ٣٧٥/١١ « تكا » ، وهو تكا الأشرفى ، انظر فهرست النجوم .

وطلب خطبــاء الجوامع وأمرهم بالدعاء للسلطان الملك الظــاهر برقوق في خطبهم الجمعية .

وفي هذا اليوم أفرج الأمير بطا عن زكريا المخلوع من الخلافة وأفرج عن الشيخ شمس الدين محمد الركراكي المالكي الذي كان امتنع من الكتابة على الفتيا المتعلقة بالملك الظاهر وضرب مائة ضربة . وأفرج عن جميع المسجونين في سجن منطاش بتمامهم وكمالهم ، ونودي في القاهرة ومصر بإحضار المنطاشية ، ومن أحضر منهم إنسانا فله ألف درهم .

وفيه ورد الدليل أحمد بن شكر مخبراً بقدوم السلطان الملك الظاهر، وحضر في هذا اليوم أيضا جلبان العيسوي الخاصكي مخبراً برحيل الملك الظاهر من غزة يوم الخميس ثاني صفر ، فرسم بدق البشائر والكوسات ، فاستبشرت المماليك الظاهرية وتخلقوا بالزعفران وأظهروا الفرح والسرور ، وكاتب الأمير بطا السلطان بما اتفق له وكيف تحيل حتى تملك القاهرة ومصر و[أنهم] أقاموا الخطبة باسمه واستولوا على القلعة ومسكوا من بها من المنطاشية من الأمراء والمماليك ، وأرسلوا(١) بهذه الأخبار السارة الشريف عنان بن مغامس وآقبغــا الطولوتمري في يوم السبت رابعه .

وفيه خلع على الأمير ناصر الدين محمــد بن ليلى بين يدي الأمير بطــا واستقر في ولاية القاهرة عوضا عن منجك ، فشق القاهرة ونادى بالأمان . وكتب بطا إلى سائر الأقطار بإحضار المنطاشية وإطلاق الظاهرية وإحضارهم إلى قلعة الجبل .

وفي هذا اليوم وقع الطلب على حسين بن الكوراني فأحضر بين يدي الأمير بطا فأعيد إلى الولاية وأخلع عليه ، وألزم بتحصيل المنطاشية فنادى : « من أحضر منهم نفراً فله كذا وكذا من الأموال » .

(١) أي أرسلوا بهذه الأخبار إلى برقوق .

وفيه قبض بطا على عدة من الأمراء وهم : بورى صهر منطاش وقطاوبغا وبيدمر شاد القصر وصلاح الدين محمد بن تنكز فسجنهم ببرج قلعة الجبل، وشرع [بطا] فى تحصين القلعة تحصينا ماله مثل ، ورتب الرماة والنفطية ، حتى توهم الناس أن بطا يمهد(١) بهذا الأمر لنفسه وأنه يمتنع بذلك من السلطان، وكثرت القالة فى هذا الأمر وطلب الأمير فخر الدين بن مكانس ناظر الدولة أن يعمل سماطا بالإصطبل فبقى الأمراء والمماليك يجتمعون على أكله فى كل يوم عند الأمير بطا ، ورُتب احتياج السلطان ولحمه على الدولة .

وفيه أفرج عن الصارم إبراهيم بن بلرغى والى القلعة وأخلع عليه وأعيد إلى عادته من ولاية القلعة .

وفيه حضر الأمير سيف الدين محمد بن عيسى العائدى وعلى يده كتاب السلطان إلى الأمير بطا بتجهيز الإقامات والعلوفات .

وفى سادسه حضر زيد بن عيسى العائدى وأخبر بكيفية الوقعة التى كانت بين السلطان الملك الظاهر ومنطاش .

وورد البريد من قطيا مخبراً بورود الملك الظاهر وعليه كتاب السلطان لعلاء الدين الطشلاقى مضمونه : « أن يحتفظ على الدروب والقبض على المنهزمين والبشارة بالنصر والتمكين على منطاش ومن معه من المخالفين » ، وهذا الأمر كله وليس بطا يكلمه بأن هذه من مكائد منطاش وهو منتظر جواب كتابه المجهز إلى السلطان .

[وفى] ثامنه خلع على بكتمر الطرخانى واستقر فى ولاية الأشمونين عوضا عن أحمد السيفى ، واستقر أحمد السيفى فى ولاية قوص .

(١) تشكك أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١١/٣٧٨ - ٣٧٩ فى صدق ولاء بطا للناصر اعتمادا على ما ذكره له أبوه تغرى بردى .

وفيه قدم آقبغا الطولوتمرى قاصداً بطا من عند السلطان وقد أخلع عليه الملك الظاهر خلعة جليلة فشق بها القاهرة وعليه كتاب للأمير بطا فزال الوهم والإشكال وتحقق الناس نصرته فسروا بذلك وبلغوا غاية الآمال، وأشـــهر النداء « بالأمان والاطمئنان، ومن قهر أو ظلم فعليه بالأمير بطا ».

(٣٣ ب) وفي هذا اليوم قبض بطا على حسام الدين بن الكوراني فصفد بقيد ثقيل زنته خمسون رطلا، ورسم بنهب داره ورسم للناصر(١) أن يعاقبـــه ويخلص منه الأموال، فصار يسحبه في الحديد بين يديه كما يفعل بالسراق والمفسدين وبالغ في ضربه وعصره وإهانته، ثم نقـــل من عند الصارم الوالي إلى الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شاد الدواوين فعاقبه أشد العقوبات ونكل به ووبخه وقرعه على ما فعل بأقارب الظاهر ومماليكه مع إحسانه إليـــه والإنعـــام.

وفي تاسعه ورد البريد وعلى يده كتاب السلطان إلى الأمراء والمماليك بالشكر والثناء عليهم والسلام، فتزايد فرح الناس بنصرة الملك الظاهر، والله الولي والقادر.

وفيه حضر تاني بك المشهور بتنم الحسني الذي كان وجهه الأمير بطا إلى الإسكندرية بالإفراج عمن بها من المسجونين، فامتنع النائب من الإفراج عنهم وأحال ذلك على مرسوم السلطان.

وفيه طلب الفخري بن مكانس ورسم له بتجهيز الإقامات والشقق الحرير لأجل فرشها تحت فرس السلطان عند وصوله.

---

(١) الناصر المقصود هنا هو محمد بن آقبغا آص شاد الدواوين.

وفيه وصل من دمياط الأمير شيخ الصفوى والأمير قنق باى السيفى ومقبل الرومى الطويل وألطنبغا العثمانى وعيدوق العلائى وجرجى الحسنى ، وصحبتهم أربعة أخر . وأما ابن الكورانى فوقع فى أشد العذاب ولقى عاقبة فعله وألزم بمائة ألف درهم ومائة فرس من الخيول الخاص ، ومائة لبس من الحـرب الخـاص .

وفى حادى عشره قدم البريد بحلول ركاب السلطان إلى الصالحية فهرع الناس للقائه .

[وفى] ثانى عشره ورد مرسوم المقام الشريف وفيه أن الوالى حسين ابن الكورانى يفعـل الشىء الفلانى والأمر الفلانى ، فتوهم الأمير بطا أن ابن الكورانى مستمر على ولايته فأفرج عنه ونادى فى القاهرة بالأمان والاطمئنان والزينة لقدوم السلطان ، وصاروا يتباهون فيها ويتفاخرون ، وكل ذلك من محبتهم فى السلطان الظاهر ودولته حتى لم يسبقوا إلى مثلها .

[وفى] ثالث عشره حل ركاب السلطان الملك الظاهر والعسكر قريبا من سرياقوس بالعكرشاه ، فازداد الفرح والسرور ، ولله عاقبة الأمور .

[وفى] رابع عشره — بكرة نهار الثلاثاء — حل ركاب السلطان ومخيمه بالريدانية خارج القاهرة ، فخرج للقائه نقيب الأشراف السيد على وصحبته عالم كثير من الأشراف والفقراء بالأعلام والمصاحف والعلماء والمشايخ والعساكر باللباس الكاملة بأنواع السلاح ، وكان العسكر من حين خرج بطا وأصحابه لابسين السلاح ، وخرج حتى أهل الذمة اليهود والنصارى حاملين التوراة والإنجيل ومعهم من الشموع المضيئة شىء كثير ، وأما عوام الناس من النساء والرجال والولدان فعدد كثير لا يحصيهم إلا خالقهم ، وقد حصل

عندهم من السرور والأفراح مالايحصره إلا الله ، وهم يبتهلون ويصرخون بالدعاء للسلطان ، وقد فرشت الشقق بالحرير الأطلس والكمخا من أول الصحراء إلى باب السلسلة ، فتنحى عنها بفرسه وأمر المنصور أن يطأها بفرسه وهو إلى جانبه ، فصار الموكب كأنه للمنصور حاجى بن الأشرف شعبان ، فضج العوام والخواص من هذا التواضع ومن كونه جبر خاطر الملك المنصور ، وصارت القبة والطير محمولتين على رأسه والخليفة إلى جانبهما والقضاة بين أيدى الخليفة ، وكلما تقدم فرس المنصور من شقة إلى أخرى يتناهبها العوام ولا يمنعهم أحد من ذلك ، والعادة أن الشقق [الحرير (١)] للجمدار ، فقصد السلطان جبر خاطر العوام بسبب أخذهم الشقق ، ثم شرع ينثر عليهم الذهب والفضة وهم يتناهبونها ولا ثم من يمنعهم من ذلك ، ولما وصل السلطان الملك الظاهر إلى باب القلعة ترجل عن فرسه وصار يمشى بين يدى الملك المنصور حاجى وهو راكب حتى وصل إلى موضع نزوله فأخذ بعضده فحسن هذا الفعل منه بين الأنام ووقع موقعا عظيما ، وصار يعظمه ويعامله بمايعامل به الأمير السلطان إلى أن أدخله داره بالقلعة ، ووكل بالباب حفظة من الخاسكية للإبطال .

ثم إنه استراح وتفرغ لشأنه وطلب الخليفة وقضاة القضاة وشيخ الإسلام وأعيان المملكة والأمراء وقد نزل الإصطبل السلطانى ، وجدد الخليفة له التفويض بأمر البلاد والعباد وشهد قضاة القضاة عليه ، فأفيضت التشاريف السلطانية على الخليفة ثانيا ، وكذلك أفيضت الخلع الخليفتية على السلطان ، ونهض السلطان فركب وصعد إلى القلعة فتسلمها بالأمان والاطمئنان ، وسكن قصورها وهذا بعد [أن] صعد إليها حريمه وأقاربه وجواريه وخدمه ، فسبحان

(١) أنظر السلوك ، ورقة ٢٠٩ ب .

الحكيم العزيز ، يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء . ودقت البشائر وأفرعت الملاهى ودخلوا إلى الحريم التهانى والأفراح ، واستمروا فى ذلك ليالى وأياما ، وكذا دور الأمراء وأعيان الدولة وأكابر الناس .

[وفى] يوم الأربعــاء خامس عشره طلب الفخرى [عبــد الرحمن] ابن مكانس وخلع عليه واستقر ناظر (١) الجيش عوضا عن جمال الدين محمــود القيصرى ، وخلع على الصاحب الوزير موفق الدين [أبى الفرج] واســتقر فى الوزارة ونظر الخاص ، ورسم لمقدم البريدية بالتوجه إلى ثغر سكندرية وعليه مرسوم السلطان بإحضار المسجونين من الأمراء بها .

[وفى] سادس عشره خلع على حسين بن الكورانى وعلى ناصر الدين محمد بن آقبغا آص شاد الدواوين خلعة الاستمرار ، ورسم للأمير بطا بإمرة مائة وتقدمة ألف ، وعين أن يكون دوادارا كبيراً ، وخلع على الأمير قجماس (٢) الطشتمرى واستقر أستادارا ؛ واستقر محمد بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيش .

[وفى] سابع عشره قدم الأمراء المسجونون بالثغر السكندرى إلى بر الجيزة فباتوا بها وعدوا فى ثامن عشره فصعدوا إلى القلعة وهم سبعة عشر أميراً (٣) : يلبغا الناصرى وألطنبغا المعلم ، وقرا دمرداش الأحمدى ، وأحمــد

---

(١) الوارد فى السلوك ، ورقة ٢٠٩ ب ، س ٢٢-٢٣ أن الذى اسـتقر به برقوق ناظرا للجيش هو كريم الدين عبد الكريم بن عبد العزيز صاحب ديوان الجيوش ، أما الفخر بن مكانس فقد خلعت عليه خلعة الاستمرار .

(٢) أورده المقريزى فى السلوك ، ورقة ٢١٠ أ باسم « قرقماس » .

(٣) لم يذكر الجوهرى منهــم فيا يلى سوى أربعــة عشر أميرا ، أما الثـلاثة الباقون فهم بجاس النوروزى ومامور القلمطاوى وألطنبغا رأس نوبة .

ابن يلبغا العمرى ، وقردم الحسنى ، وسودون باق ، وسودون الطرنطاى ، وآقبغا المارداني ، وآقبغا الجوهرى ، وكشكلي القلمطاوى ، وألطنبغا الأشرفى ويلبغا المنجكى ، ويونس العثمانى ، وآلابغا العثمانى ، فقبلوا الأرض فرسم لهم بأن ينزلوا إلى منازلهم من غير أن يعاتب أحداً منهم ببنت شفة ، أو يؤاخذه بما صدر منه ، فعد هذا له من الفضل والحلم الزائد والإحسان .

[وفى] تاسع عشره خلع على السيد الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبى وأعيد إلى نقابة الأشراف .

[وفى] عشريه جلس السلطان نصره الله بالإيوان المسمى بدار العدل والموكب فيه على العادة ، فأول مابدا من فعله أن خلع على سودون النائب [١٣٤] المشهور بالشيخونى واستقر فى نيابة السلطنة على عادته ، و [خلع] على الأمير كمشبغا الأشرفى الخاصكى أمير مجلس ، وعلى الأمير إينال اليوسفى أميراً كبيراً أتابك العساكر ، والأمير يلبغا الناصرى أمير سلاح ، وعلى الأمير ألطنبغا الجوبانى رأس نوبة النوب ، وعلى الأمير بطا دواداراً ، وعلى الأمير طوغان العمرى أمير جندار وعلى الأمير سودون النظامى نائب القلعة ، وكان يوما من الأيام المشهودة المشهورة العظام .

[وفى] حادى عشريه خلع على نجم الدين الطنبدى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن سراج الدين عمر العجمى ، واستقر الأمير بكلمش العلائى أمير آخور وسكن الإصطبل السلطانى .

[وفى] يوم الخميس ثالث عشريه قرئ عهد السلطان بدار العدل وخلع على الخليفة المتوكل على الله ، وخلع على القاضى علاء الدين على بن

الكركي واستقر في كتابة السر عوضا عن القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمري بحكم صرفه عنها، وخلع على الأمير [سيف الدين] بتخاص السودوني واستقر نائب صفد .

[وفي] رابع عشريه جهز والي دمياط جماعة من المنطاشية [كان] محتفظا بهم وكان منطاش جهزهم في البحر من طرابلس إلى غزة خوفا من القبض عليهم في البر قبل وقعة شقحب ، فلما وصلوا إلى غزة ركبوا البريد إلى القاهرة وعلى يدهم كتب بنقل(١) الأمراء المسجونين عن آخرهم في البحر إلى الكرك أو غيرها من الأعمال ، فلما سمعوا بنصرة الملك الظاهر ساروا في البحر قاصدين طرابلس فألقاهم الريح إلى دمياط فسجنوا بها وحملوا إلى القاهرة فرسم بسجنهم .

[وفي] سادس عشريه قبض على حسين بن الكوراني وعذب بأنواع العقاب والعذاب .

وفيه كان عرض المماليك السلطانية بحضور السلطان .

وفيه قدم البريد من صفد بفرار الأمير طغاي تمر القبلاوي من دمشق إلى حلب في عدة نحو المائتين من المنطاشية وقدم منهم إلى صفد نحو ثلاثمائة مملوك وأخبروا بسوء حال منطاش في دمشق .

[وفي] سابع عشريه أخلع على الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار واستقر مشير الدولة .

---

(١) تختلف رواية السلوك ، ورقة ٢١٠ ب ، عما جاء بالمتن أعلاه ، إذ يقول إن الكتب التي كانت على يدهم كانت تتضمن « قتل الأمراء المسجونين عن آخرهم » .

وفى هـذا اليوم سلم الوزير الصاحب كريم الدين بن مكانس للأمير بكلمش أمير آخور فضرب بين يديه بالمقارع وألزمه باسترجاع ما أخذه من دواوينه فى أيام الناصرى ثم أفرج عنه ولكن بعد الثقة من الضمان .

يوم الأربعاء تاسع عشريه جلس السلطان فى الميدان الذى فى الإصطبل للنظر فى أحوال المسلمين والحكم بينهم وخلاص المظالم من الظالمين بعد أن أشهر النداء بذلك ، فهرع الناس إلى خدمته وأكثروا من الشكايات.

* * *

شهر ربيع الأول

أهل بيوم الجمعة .

[فى] خامسه حضر الأمير أسنبغا التاجى ومعه نحو العشرين نفراً من المماليك ومعهم عدة من المباشرين فروا من دمشق .

[وفى] حادى عشره هرب كريم الدين بن مكانس عندما طلبه السلطان فلم يعرف له أثر ولا خبر ، فوقعت الحوطة على أقاربه وخواصه وحاشيته ، ورسم على أخويه فخر الدين عبد الرحمن ناظر الدولة وزين الدين نصر الله .

[وفى] تاسع عشره [(١)] استدعى الشيخ شمس الدين الركراكى الذى حصل عليه من يلبغا ما حصل بسبب الفتيا المتعلقة بالملك الظاهر وخلع عليه ، واستقر قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن تاج الدين بهرام الدميرى بحكم صرفه عنها .

وفيه خلع على سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى المعروف بابن كاتب السعدى واستقر فى نظر الخاص عوضا عن الصاحب موفق الدين ، واستقل الصاحب موفق الدين بالوزارة .

(١) فى السلوك ، ورقة ٢١٠ ب « ثامن عشره » .

وفيه استقر الجمال بن خلاص فى حسبة الإسكندرية عوضا عن شرف الدين محمد بن الدماميني بحكم صرفه عنها .

[وفى] خامس عشريه خلع على الأمير ألطنبغا الجوبانى رأس نوبة النوب واستقر فى نيابة الشام، وخلع على الأمير قرا دمرداش الأحمدى واستقر فى نيابة طرابلس ورسم لكل منهما بمحاربة منطاش، وخلع على عــلاء الدين [على المقيرى] الكركى بنظر الظاهرية المستجدة ونظر الخانقاه الشيخونية .

[وفى] ثامن عشريه طلب الوزير الصاحب كريم الدين ابن الغنــام ، وفخر الدين بن مكانس والسلطان بالقصر، فضربا بين يديه بالمقارع ، فضرب ابن الغنام سبعة شبوب ، وضرب ابن مكانس نحواً من خمسين شيبا .

* * *

ربيع الثانى[٢]

أهل بيوم السبت، [وفيه] أخلع على الأمير مامور القلمطاوى واســتقر فى نيابة حماة ، وخلع على أرغون العثمانى واستقر فى نيابة الإسكندرية، وخلع على ألابغا العثمانى واستقر حاجب الحجاب بالشام، وخلع على أسندمر السيفى واستقر حاجب الحجاب بطرابلس .

وفيه أنعم على عدة أمراء لكل نفر منهم بإمرة مائة بدمشق وهم : ألطنبغا الأشرفى وسودون باق وبجمان المحمدى ورسم بتوجههم مع النواب .

[و] فى ثالث عاشره حضر عدة من المنطاشية هاربين من الشام .

(١) هو أخو القاضى عماد الكركى ، انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٢ .

(٢) فى الأصــل « الأول » وهو سهو قلم من المؤلف ، يؤكد هــذا ما ورد فى كل من المتن أعلاه والتوفيقات الإلهامية ص ٣٩٦ من أن أوله كان السبت .

[وفى] سادس عاشره مسك الوزير سعد الدين سعد الله بن البقرى وخلع على الصاحب علم الدين [عبد الوهاب] سن إبرة واستقر فى وظيفة نظر الدولة بمفـرده .

[وفى] ثامن عاشره ضرب الصاحب موفق الدين أبو الفرج ضربا مبرحا .

[وفى] عشريه خلع على تاج الدين عبد الله [بن الصاحب سـعد الدين سعد الله بن البقرى] واستقر فى نظر البيوت عوضا عن حسن خجا بحكم وفاته :

[وفى] رابع عشريه قبض على عدة من الأمراء فسجنوا بالبرج بقلعـة الجبل وهم : الأمير أيدكار العمرى وتمربغا الظاهرى وبكتمر الدوادار، وطاش بغا الحسنى وقرابغا وأرغون الزينى .

وفيه خلع على الأمير الكمشبغاوى واستقر رأس نوبة النوب عوضا عن حسن خجا بحكم موته .

[وفى] خامس عشريه ورد البريد مخبراً أن أهل دمشق جهزوا تجريدة لصفد ـ ليحاصروها ويملكوها ـ صحبة الأمير قطلوبغا الصفوى فصاروا كلهم طائعين وقصدوا مصر فدقت البشائر بذلك فى القلعة .

[وفى] سابع عشريه قتل ابن سبع ،قتله بعض عبيده فى الحمام وكان قبل هذا بأيام وقع منه كفر وشهد عليه به جماعة غير أنه محتم بالأمير قرقـاس الأستادار ، فلما بلغه موته احتاط على ما وجده من موجوده فكان شيئا كثيراً خارجاً عما أخفوه وأكلوه ، فوجد له من النقد ألف ألف درهم وستون ألف درهم ما بين ذهب وفضة وفلوس ، ومن الخيل والبغال والبقر والجاموس (٣٤ ب) ثمانون ألف رأس .

وفى هـذا اليوم خلع على الأمير يلبغا الناصرى واستقر مقدم العساكر المتوجهة لحرب منطاش، وخلع على نواب الممالك الشامية خلع السفر وأنعم على جماعة بإمريات فى دمشق، ورسم لهم بالسفر صحبة النواب ، ورسم لجماعة من أمراء مصر بالسفر مع النواب وألزموا من له إقطاع ببلاد الشام بتوجهه للإقامة بها .

وفى عاشر ربيع الآخر خرجت أطلاب النواب والأمراء إلى الريدانية .

[وفى] ثالث(١) عشريه حضر الأمير قطاوبغا الصفوى -الذى جهزه منطاش لمحاصرة صفد- طائعا للسلطان بمن معه من المماليك ودخل القاهرة فكان يوما مشهوداً .

وفى هذا اليوم ورد البريد من الشام مخبراً عن منطاش أنه بلغته مخامرة قطاوبغا الصفوى عليه مع القبض على عدة أمراء بالشام وغيرهم وهم : جنتمر العلائى أخو طاز، وولده ، وألطنبغا أستاداره ، وأحمد بن خوجى وأحمد ابن قجق وكمشبغا المنجكى نائب بعلبك وشهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى قضاة دمشق وعلى جماعة غيرهم من الأعيان .

[وفى] عشريه حضر من الشام نحو المائتى مملوك هاربين ، وقدم طرنطاى بن ألجاى بمن معه من المماليك وحضر نحو العشرين مملوكا من مماليك [يلبغا] الناصرى كانوا بدمشق .

وفيه حضر البريد مخبراً بأن منطاش استولى على بعلبك بعد ما حاصرها محمد بن أيدمر(٢) عدة شهور وأنه وسط أربعة أنفار من أكابرها، ووسط أيضا ابن الحنش .

(١) فى السلوك ، ورقة ٢١١ أ « سابع عشره » .

(٢) « بيدمر » فى السلوك ، ورقة ٢١١ ب .

[وفى] ثانى عشريه أخلع على الشريف عنان [بن مغامس] وتوجه إلى مكة بعدما استخدم فى صحبته عدة من المماليك السلطانية .

[وفى] ثامن عشريه طلب شمس الدين محمد الدميرى وألزم بعمل حساب الأمير قجماس ابن عم السلطان فإنه كان شاهد الديوان ووظيفته ناظر الأحباس :

[وفى] تاسع عشريه خلع على الأمير جمال الدين محمود واستقر أستاداراً على عادته عوضا عن الأمير قرقماس بحكم وفاته .

* * *

جمادى الأول

أهل بيوم الثلاثاء . ورد البريد من صفد مخبراً بنزول الأمير صارم الدين إبراهيم بن ذلغادر بجماعة التركمان على حلب وأنه تقاتل هو وتمان تمر الأشرفى فانكسر منه تمان تمر .

[وفى] ثانيه حضر رسول الأمير محمد شاه بن بيدمر إلى السلطان بأنه طائع للسلطان ويسأل العفو والأمان فأجيب إلى سؤاله وجهز له أمان وتشريف :

[وفى] ثامنه ورد البريد مخبراً بأن الأمير قشتمر الأحمدى حضر بعساكر عظيمة من قبل منطاش إلى صفد فوقع بينه وبين أهلها قتال عظيم فكسرهم قشتمر ، ثم إن غالب عسكره دخل إلى صفد طائعا وصار يقاتل مع أهـل صفد فكانت الكسرة على قشتمر ، وقتل ممن معه عدد كبير ونهبوا أثقالهم :

[وفى] ثانى عشره صرف(١) شمس الدين الدميرى عن نظر الأحباس :

[وفى] رابع عشره أنعم على الأمير قطلوبغا الصفوى بإمرة مائة عوضا عن قرقماس الطشتمرى ، وخرج إقطاعه باسم الأمير سودون الطرنطاى :

(١) ذكر المقريزى فى السلوك ، ورقة ٢١٢ أ أن الذى استقر مكانه هو القاضى تاج الدين محمد بن محمد بن محمد بن المليجى .

[وفى] سادس عشره حضر البريد من صفد مخبراً بأن نواب الممالك الشامية لمـا[1] وصلوا بالعساكر إلى بحيرة قدس حضر إليهم طائعا ولد الأمير نعير ومعه عدة من المماليك المنطاشية .

[وفى] سابع عشره وصل البريد من الشام مخبراً بأن منطاش لمـا سمع بوصول العساكر خرج من دمشق وأقام بقبة يلبغا ، ثم ارتحل منها بعساكره نصف ليلة الأحد ثالث عشر شهر جمادى الآخرة وعدة عسكره الخواص ستمائة فارس ، ومعـه من الأموال والتحف أشـياء كثيرة نحـو الستين حملا ما بين ذهب وفضة وقماش وسلاح ، وسار نحو قارا والنّبك بعد أن قتل الأمير ناصر الدين محمد بن المهمندار وقتل عدة من المماليك الظاهرية ، وأن الأمير أيتمش الذى كان مسجونا بالقلعة خرج من السجن وأفرج عمن بالقلعة من الأمراء المسجونين .

وأرسل للسلطان كتابا يعلمه بذلك وكذا النواب فدخلوا دمشق فتملكوها بغير حرب ولا قتال ولا سلوا فيها سيفا ولا رموا فيها بسهم ولا طعنـوا برمح ، فدخل على السلطان من هذا الأمر سرور كبير وفرح الأمراء وأعيان المملكة وتخلقوا بالزعفران ودقت البشائر بقلعـة الجبل ثلاثة أيام ، ونودى فى القاهرة ومصر بالزينة الكاملة ، فصار الناس يتباهون فيها بحبهم فى السلطان .

[وفى] تاسع عشره قدم البريد من دمشق وعلى يده ثلاثة عشر سيفا من سيوف الأمراء المنطاشية الذين قبض عليهم بالشام .

[وفى] حادى عشريه قدم البريد أيضا وعلى يده ثمانية سيوف من سيوف الأمراء المنطاشية الذين مسكوا بالشام لتتمة أحد وعشرين سيفا ، فنـودى

(١) الوارد فى السلوك ، ورقة ٢١٢ أ « نوب الممـاليك » فقط .

فى المدينة بتقوية الزينة وتحسينها فبالغوا فيها وعملوا عدة قلاع تزيد على العشرين قلعة وتزايدت الأفراح واللهو والمسرات وأنفق أهل مصر فى هذا الأمر أموالاً جزيلة .

وفيه قدم البريد بسبعة سيوف من أمراء دمشق ، فيهم [سيف] الأمير ألطنبغا الحلبي وسيف دمرداش اليوسفي ، وسبب ذلك أن منطاش كان أرسل إلى طرابلس يطلب عسكرها ليقاتل به العساكر المصرية ، فقبل حضور عسكر طرابلس انهزم منطاش من دمشق ووصل العسكر بعده من غير علمهم بهزيمته فقبض عليهم بتمامهم وكمالهم .

[وفى] ثانى عشريه ورد البريد مخبراً ومبشراً بأن الأمير محمد بن إينال اليوسفى دخل فى الطاعة وهو بدمشق وصحبته عنقاء بن شطى أمير آل مرا ، فازداد فرح السلطان وسروره .

[وفى] ثالث عشريه ورد البريد مخبراً بأن الأمير نعير بن حيار قبض على الأمير منطاش فزينت القلعة والمدينة ودقت البشائر ، ثم إن هذا الخبر لم يثبت .

[وفى] سابع عشره وصل الأمراء المقبوض عليهم من الشام وهم : أرسلان اللفاف [وقرا دمرداش وألطنبغا الجربغاوى وطبرق رأس نوبة منطاش] ، وأسنبغا الأرغونى فأفرج عن أسنبغا وسجنوا الباقى .

[وفى] تاسع عشريه فكت الزينة .

* * *

شهر رجب

أهل بيوم الأربعاء .

يوم الخميس ثانيه قدم عماد الدين [أحمد] بن عيسى قاضى الكرك وقد رسم السلطان للأعيان بالخروج للقائه وصعد إلى القلعة ، فحين وقوع نظر

السلطان عليه نهض قائما ومشى له خطوات واعتنقه وقربه منه وأجلسه وأدناه زمانا وصار يحادثه ويلاطفه، ثم رسم له فنقل إلى دار أعدت له بالقاهرة فيها (١٣٥) جميع ما يختاره ويشتهيه ورتب له ما يكفيه وزيادة .

[وفى] سادسه أخذ قاع النيل على العادة فجاء خمسة أذرع وثمانية أصابع .

[وفى] ثانى عشره قدم من دمشق كاتب السر بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى وجمال الدين محمود الصفدى[١] ناظر الجيش ونزلا فى دورهما قبل أن يجتمعا بالسلطان .

[وفى] ثالث عشره خلع على عماد الدين [أحمد بن عيسى المقيرى القاضى] المحضر من الكرك واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن بدر الدين محمد بن أبى البقاء ، ونزل فى خدمته غالب أهل المملكة وهو بالتشريف فدخل الصالحية وتوجهوا معه إلى منزله .

[وفى] رابع عشريه خلع على علاء الدين بن الطبلاوى واستقر فى ولاية القاهرة مضافا لما بيده من شاد البيمارستان عوضا عن محمد بن مغلطاى . وكان فى ثانى عشريه دار المحمل على العادة .

وفى رابع عشريه قدم البريد مخبراً من حلب بأن يلبغا الحموى لما فر من شقحب دخل حلب واستوطنها فأرسل إليه منطاش جيشا عرمرما[٢] عليه الأمير تمان تمر الأشرفى ، فلما وصل حلب اجتمع عليه أهل بانقوسا فلجأ

---

(١) فى السلوك ورقة ٢١٣ أ « القيصرى » ، وفى النجوم الزاهرة ١٢/١٢ « العجمى » ، وأشار المرجع الأخير إلى أن عدم اجتماعه بالسلطان كان لتغير خاطره عليه وعلى ابن فضل الله العمرى لأنهما توجها إلى دمشق صحبة منطاش .

(٢) فى الأصل « عرمرا » .

ألطنبغا بالقلعة وامتنع بها فصار تمان تمر يحاصره أربعة أشهر ونصف، وأنه أحرق الباب والجسر ونقب على القلعة من عدة مواضع وأن كمشبغا وسع أحد النقوب وصار يرمى على المقاتلة من داخل النقب بمكاحل النفط ويختطفهم بالكلاليب والحديد، وأن له سبعين يوما يقاتلهم من داخل النقب وهو في ضوء الشموع بحيث أنه لا يرى شمسا ولا قمراً، بل ولا يدرى بالليل إذا ذهب ولا بالنهار إذا أقبل، حتى سمع تمان تمر بفرار منطاش من الشام، فضعفت شوكته وخمدت ثورته وهرب فانقض عليه أهل بانقوسا فنهبوا ما معه من الأثقال، فحضر حجاب حلب إلى الأمير كمشبغا وأخبروه الخبر فعمر الجسر في يوم واحد ونزل وتقاتل مع أهل بانقوسا يومين وقد نصبوا بينهم رجلا يعرف بالحرامى(١)، واستمرت الحرب بينه وبينهم إلى اليوم الثالث، وبعد أن أذن للعصر انكسر أحمد بن الحرامى وقبض عليه وعلى أخيه(٢) وعلى عدد كثير من الأتراك والأمراء والبانقوسية نحو الثمانمائة فوسطوا أجمع وخربت بانقوسا وحرقت وصارت أرضا دكا [و] قاعا صفصفا، ونهب جميع ما كان فيها من المال والقماش، وأن كمشبغا اجتهد في تحصين حلب غاية الاجتهاد وكذا في عمارة قاعتها وأودعها مؤونة عشر سنين، وأنه أخذ من أهل حلب ألف(٣) ألف درهم وعمر لها سوراً، وكان هذا السور — منذ خرج هولاكو — وهو خراب، فجاء بعون الله تعالى في غاية ما يكون من الإحكام، وعمل فيه بابين وفرغ من بنيانه في نحو شهرين ونصف، وأمر أهل حلب أن يساعدوا البنائين فكان أكثرهم يعمل فيه.

(١) هو « أحمد بن الحرامى » في كل من النجوم الزاهرة والسلوك.

(٢) في الأصل « أخته ».

(٣) أخطأت النجوم الزاهرة ١٢/١٣ إذ جعلت هذا المبلغ ألف درهم فقط.

وأما الأمير شهاب الدين أحمد بن محمد المهندار والأمير طغجى نائب دوركى فكان بينهما بلاء كبيرهم وأهل بانقوسا ، وحصر مجموع القتلى فكان عدتهم فى هذه الواقعة بحلب عشرين ألفا .

وفى هذا اليوم رسم لأمير حاج بن مغلطاى أن يلزم بيته بطالا .

[وفى] ثامن عشره توجه البريد لحلب بحضور الأمير كمشبغا [الحموى] وعليه مثال السلطان متضمنا الثناء عليه والشكر والوعد بكل جميل وإحسان .

وفيه أشيع على لسان العوام والخواص أن الأمير بطا الدوادار قصده تحريك الفتنة فتيقظ الأمراء وتنبهوا لقتاله إلى يوم الاثنين الذى هو العشرون[(١)] منه كانت الخدمة بالإيوان المسمى بدار العدل وجلس السلطان على العادة وتوجه بعد فراغ الخدمة إلى القصر وصحبته الأمراء والأمير بطا من جملتهم ، فبرز الأمير بطا بين يدى السلطان وحل سيفه ووضع فى عنقه منديلا كهيئة من سلم نفسه للموت وهو يقول مخاطبا السلطان : « قد بلغوك عنى ما ليس له صحة ، وها أنا بين يديك فاصنع ما تختار » ، فأثنى عليه السلطان وشكره ثم التفت إلى الأمراء وسألهم عما يقول الأمير بطا وأظهر أنه لم يبلغه عنه شىء ، وهذا يسمى فى البديع تجاهل العارف من وفور عقله ودهائه وصبره ، فأخبروه أن الأمير كمشبغا رأس نوبة والأمير بكلمش أمير آخور حصل بينهما بعض تنافس ، وأيضا وقع بين الأمير بطا والأمير محمود الأستادار فتخبط الناس فى القالة ، فعند ذلك طلب السلطان بقية الأمراء وحلفهم أجمعين ، ثم إنه حلف بعدهم المماليك السلطانية وصار يلين لهم المقال ويستطيب خواطرهم ، ثم

(١) فى الأصل «الثانى والعشرون» وقد صحح ما بالمتن بعد مراجعة النجوم الزاهرة ١٢/١٣ ، والسلوك ٣ ٢١٣ ب ، وذلك يطابق ما أورده المؤلف من أن الشهر أهل بيوم الأربعاء كما سبق ص ٣٠٥ س ٢٠ .

إنهم أحضروا مملوكا متهما أنه [هو] الذى كان السبب فى هذه الفتنة وإشاعتها فضرب بين يدى السلطان ضربا شديداً مبرحا وسمر على جمل وشهر بالقاهرة وأودع بخزانة شمائل ولم يعرف له خبر بعد ذلك ، والله الولى والمالك .

وفيـه قبض على يلبغا أحد الأمراء العشرات بسبب أنه أوقع هذه الفتنة بين الأمراء ورسم بتسميره وإشهاره والنداء عليه بالقاهرة : « هذا جزاء من يوقع الفتنة بين الأمراء! » ، ففعلوا به ذلك وخمدت الفتنة ولله الحمد بعـد أن كانت استعرت إلى أن وصلت إلى الأوج .

وفيه ورد البريد مخبراً بأن الأمير منطاش والأمير نعير [بن حيار] اجتمعا فى جمع كثير من المماليك الأشرفية والتركمان والعربان ، وأنهم توجهوا لقتال نواب الممالك الشامية ، فتوجه الأمير يلبغا الناصري والأمير ألطنبغا الجوبانى بالعسكر من دمشق ونزلوا على سلمية .

[وفى] حادى عشريه ورد البريد من طرابلس مخبراً بأن إيمان التركمانى أرسله منطاش إلى طرابلس فى نحو من ثمانية آلاف فارس فحاصرها حصاراً شديداً وملكها واستولى عليها .

[وفى] سلخ هذا الشهر برز المرسوم الشريف (٣٥ ب) لأمـير حاج ابن مغلطاى أن يمشى فى الخدمة السلطانية .

وفيه رسم بنفى تنكز [بغا السيفى] كاشف التراب بالبهنسا إلى قوص .

[وفى] ثالث شهر شعبان كانت غوغاء عظيمة بدمشق وصل خبرها إلى مصر ، وهو أن الأمراء لمـا توجهوا والعساكر معهم إلى سلمية اجتمع عدد كثير من المماليك البيدمرية والطازية والجنتمرية وعوام دمشق قاصدين تملكها فسرح الأمير الكبير الطائر الذى نسميه البطاقة بمصر من القلعة إلى سلمية

وأخبرهم - أعنى الأمير يلبغا وغيره - بما وقع ، فركب الناصرى من فوره ، وكان وقت نصف الليل ومعه فرقة كبيرة من العسكر ورجع إلى دمشق وتقاتل هو والمذكورون قتالا عظيما ، وكان صحبة يلبغا الناصرى ألابغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق ، فهلك بينهما عالم كثير من العوام والأتراك ، وآخر الأمر كسرهم يلبغا وقبض على أكابرهم فوسطهم تحت القلعة وحبس عدة منهم وقطع أيدى سبعمائة إنسان ورجع إلى سلمية ، وتبددت جموع منطاش شذر مذر ، وصارت عساكر الشام ثلاث فرق ، واستبد الأمير يلبغا الناصرى بمحاربة نعير فكسره وهزمه وقتل جموعا من أتباعه وعربانه وركب أقفيتهم إلى أن دخل إلى منازلهم ونهب أموالهم وخيولهم وجمالهم . وأما قرا دمرداش فإنه استعد لقتال منطاش ومن صحبه من التركمان ، فاتفق أن كلا منهما ضرب الآخر فوقعت ضربة قرا دمرداش فى كتف منطاش فجرحته جرحا بليغا ووقعت ضربة منطاش فى كتف قرا دمرداش فقطعت أصابعه ، ودخل فى طاعة السلطان عدة من المنطاشية وخامروا عليه وهم : جماعة الأشرفية حتى غالب مماليكه وصاروا فى خدمة الأمير ألطنبغا الجوبانى فقربهم وأحسن إليهم ، فلما وقعت الحروب والقتال اتفق الأشرفية المذكورون مع بعض مماليك ألطنبغا الجوبانى فدخلوا عليه وقتلوه ووسطوا الأمير مامور [القلمطاوى] وقتلوا الأمير آقبغا الجوهرى وجماعة من الأكابر ، وقتل بين الفريقين خلائق لا يحصيهم إلا الذى خلقهم ، وصارت العربان والعشران ينهبون ما مع الفريقين ، ووصل البريد مخبراً بهذه الوقائع كلها فى ثامنه ومخبراً أيضا بكسرة منطاش وأن الأشرفية نصبوا بدله الأمير ألطنبغا الأشرفى فأصبح منطاش من الغد وأغار على آل على فوسط منهم مائتى رجل ونهب أموالهم وجمالهم فتقوى بها ورجع إلى الشام .

[وفى] ثانى عشره أشهر النداء للمماليك والأجناد والبطالين بالحضور بين يدى السلطان ليقبضوا النفقة ويسافروا لحرب منطاش ونعير .

[وفى] رابع عشره ورد البريد مخبراً بأن جنق السيفى أرسله (١) أهل دمشق لكشف أخبار منطاش فمسكه العربان وحملوه إلى منطاش فقتله ، فأنعم السلطان بإقطاعه على الأمير سودون الطرنطائى .

وفيه رسم السلطان بنيابة الشام للأمير يلبغا الناصرى – وعين الأمير أبو يزيد لتقليده فسار وعلى يده التشريف والتقليد – عوضا عن الأمير ألطنبغا الجوبانى بحكم وفاته ، وعلى يده أيضا من الذهب مبلغ عشرين ألف دينار لينفقها فى العساكر بحسب ما يراه ، ورسم السلطان أيضا للشيخ شمس الدين محمد الصوفى بالتوجه لدمشق ليكشف عن الأخبار .

[وفى] ثالث (٢) عشريه أوفى النيل ستة عشر ذراعا فرسم لبعض الأمراء بتخليق المقياس وفتح فم الخليج على العادة .

[وفى] رابع عشريه أنعم على الأمير بجاس النوروزى بإقطاع سودون الطرنطاى .

وفيه ورد البريد من حلب مخبراً أن نعيراً نزل بخيله ورجله على سرمين (٣) بسبب قسم غلاتها ، وأن الأمير شهاب الدين أحمد بن المهمندار والأمير طغجى

(١) فى الأصل « أرسلوه ... فمسكوه » .

(٢) فى السلوك ، ورقة ٢١٤ ب « حادى عشريه » ؛ هذا وقد جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٦ أن غاية فيضان النيل هذه السنة كانت ١٨ ذراعا وقيراطين .

(٣) سرمين كما عرفها مراصد الاطلاع ٢/٧١٠ بليدة من أعمال حلب وأهلها إسماعيلية ، وقد ضبطها بفتح السين على حين أنها ترد بكسرها فى كتابات الأوربيين ، أنظر على سبيل المثال :
Dussaud: Topographie Historique de la Syrie p. 222 et note 1.

قاتلاه بعساكر عظيمة من التركمان وأهل حلب ، وأنهم أسروا ولده المسمى « عايا » فى نحو المائتى رجل ، وقتلوا جماعة كثيرة وكسروه وساقوا ابنه وأصحابه ، فقتلهم كمشبغا النائب وسجن ابن نعير وجماعة .

وفيه برز المرسوم الشريف للأمير ناصر الدين محمد بن الحسام الصغير [بالسفر] إلى الصعيد ليأخذ من أهله الخيول والجمال والرقيق على العادة .

وفى يوم السبت ثامن شهر رمضان حضر البريد من الصعيد بأن ولد التركية البدوى خرج على الأمير ناصر الدين ابن الحسام فى جيش عظيم من العربان وتقاتل معه وأخذ جميع ما حصله ، فرسم السلطان بتجريدة تخرج إليه فخرجت من الفور .

[وفى] خامس عشره خلع على الأمير ألطنبغا المعلم واستقر نائب الثغر السكندرى عوضا عن أرغون البجمقدار .

وفيه ورد البريد من سكندرية بأن عدة من مراكب الفرنج مشحونة[1] بالسلاح والرجال نزلوا على طرابلس وعدتها سبعون مركبا فأرسل الله عليهم ريحا عتيا أغرقت لهم مركبا بما فيه وفرقت البقية ، فردوا مدحورين خائبين ؛ ولله الحمد رب العالمين .

[وفى] سابع عشره خلع على مجد الدين أبى الفدا إسماعيل [بن إبراهيم الحنفى] واستقر فى قضاء الحنفية بالديار المصرية عوضا عن شمس الدين محمد ابن الطرابلسى بحكم صرفه عنها ، وركب معه الأمراء والأكابر وأعيان

(١) فى الأصل « مشحونون ... وعدتهم » .

المملكة والأمير شيخ الصفوى — وهو القائم له فى هذا الأمر — إلى المدرسة (١) الصالحية ثم إلى منزله ، وكان يوما مشهوداً .

[وفى] عشريه خلع على الصاحب موفق الدين أبى الفرج وأعيد إلى وظيفة الوزارة ، ووقعت الحوطة على دور ابن البقرى وولده بعد أن قبض عليهما .

وفى حادى عشريه قدم البريد من الشام بأن الأمير قشتمر الأشرفى الذى تملك طرابلس من جهة الأمير منطاش سلمها بغير حرب ولا قتال ودخل تحت طاعة السلطان ، وأن حماة وحمص ملكتهما (٢) العساكر السلطانية واستولوا عليهما .

[وفى] ثانى عشريه حضر محمد [بن على] بن أبى هلال [بن محمد] من الغرب وعلى يده كتاب لأمير المؤمنين أبى العباس المتوكل على الله وهدية سنية من الأمير أبى عبد الله محمد بن أبى يحيى بن أبى بكر صاحب تونس ، ومضمون الكتاب : « التهنئة بعود السلطان إلى المملكة » ، فخرج للقائه الأمير محمود الأستادار حتى وصل إلى الجيزة وأحضره بين يدى السلطان بالإكرام والاحترام ، وأمر له بدار فنزل إليها ، ورتب له فى كل يوم مائة درهم فضة .

* * *

(١٣٦) شهر شوال

أهل بيوم الاثنين [وفيه] ورد البريد من حلب وصحبته عبد الرحمن حاجب الأمير نعير وعلى يده كتاب يعتذر عما فعله ويسأل العفو والصفح

(١) المدرسة الصالحية بالقاهرة هى من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب ، والواقع أنها مدرستان ، وقد رتب فيها لأول مرة بمصر وفى مكان واحد دروسا للفقه على المذاهب الأربعة وذلك سنة ٦٤٠ ، وقد كثرت الأوقاف عليها من مختلف السلاطين منذ إنشائها ، وجعل لكل مدرس معيدان وعدة طلبة ، انظر المقريزى : الخطط ٢/٣٧٣ .

(٢) فى الأصل « ملكوهما » .

والأمان ، فأجيب إلى سؤاله ، وجهز له الأمان وتشريف وتقليد بإمرة آل فضل على عادته .

[وفى] ثانيه وصل البريد مخبراً من دمشق بهروب منطاش عن حلب وصحبته عنقاء بن شطى مخافة من نعير أن يقبضه ويحمله إلى السلطان ، وأن معه نحو السبعمائة فارس من الأعراب أخذهم على أن يكونوا معه عونا ونجدة على التركمان ليكسروهم وينهبوا أموالهم وأغنامهم ، فلما قطعوا معه الدربند احتاط على خيولهم فأخذها منهم وسار إلى مرعش وترك الأعراب مشاة حفاة ، فعادوا إلى نعير فى أسوأ الأحوال .

وفيه ورد الخبر من الإسكندرية أن الفرنج اللئام — عليهم لعائن الله إلى يوم العرض والقيام — الذين أغرقت الريح مركبهم ومزقتهم كل ممزق توجهوا إلى إفريقية وحاصروها[(١)] وبها ولدا [أبى] العباس صاحب تونس فوقع بينهم حروب شديدة ، وانتصف المسلمون عليهم وقتلوا منهم عدداً كبيراً ، فلله الحمد على ذلك .

وفيه ضرب جماعة من أتباع الأمير ألطنبغا الجوبانى بالمقارع بسبب مال أخذه ألطنبغا المذكور لجركس الخليلى وأعيدوا[(٢)] بعد الضرب إلى السجن ببرج القلعة .

[وفى] عاشره قدم القاهرة الشيخ الإمام فقيه المغرب أبو عبد الله محمد ابن محمد بن عرفة المالكى الأستاذ قاصداً الحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام فتلقاه[(٣)] الفضلاء والعلماء ، وأكرم غاية الإكرام .

---

(١) أى أنهم حاصروا المهدية .

(٢) يستفاد من هذا أن الذين وقع عليهم الضرب هم جماعة من أتباع ألطنبغا ، على حين أنه يستفاد من السلوك ، ورقة ٢١٥ ب ، أن ألطنبغا وحده هو الذى ضرب .

(٣) فى الأصل « فتلقوه » .

وفيه ورد البريد مخبراً بخبر يسر المسلمين والإسلام وهو أن أسندمر اليوسفى ومعه عدة من المنطاشية دخلوا فى طاعة السلطان .

[وفى] ثالث عشريه سار الحاج وأميرهم عبد الرحيم (١) بن منكلى بغا الشمسى ، وحج معه الأمير محمد بن [أبى] هلال والشيخ الإمام الفقيه محمد ابن عرفة المالكى وخلائق لا يحصون ، وجهزته خوند أم بيبرس [عائشة] ــ أخت السلطان الملك الظاهر ــ بكسوة الحجرة النبوية ، وكانت قد نذرت أن خلص السلطان من سجنه وعاد إلى ملكه لتكسونّ الحجرة النبوية ، فوفت بما نذرت وبالغت ــ جزاها الله خيراً ــ فى تحسينها ؛ وجعلت بابها مطرزاً بالذهب على أحسن ما يكون من الحرير والصنعة ، ولما وصل الحجاج إلى عجرود (٢) أصابهم عطش شديد حتى إن القربة الماء وصلت قيمتها إلى مائة [درهم] فعاد إلى المدينة كثير من الحجاج .

[وفى] سابعه ركب السلطان ونزل من قلعة الجبل وتوجه إلى بركة الحاج من الصحراء وعاد فشق المدينة ، فدعى (٣) له العوام والخواص ودخل بيت الأمير بطا الدوادار فأقام فيه مدة طويلة ، فقدم له من الخيول عدة ومن المماليك كذلك فلم يقبل منهم شيئا ، وصعد إلى القلعة فكان يوماً مشهوداً .

[وفى] عاشر صفر ركب السلطان إلى مطعم (٤) الطيور الذى تحت الجبل

(١) « عبد الرحمن » فى السلوك .

(٢) راجع ما سبق ص ٢٢٥ حاشية رقم ٣ .

(٣) فى الأصل « فدعوا » .

(٤) مطعم الطيور ويعنى بها الطيور التى تطلق ليصطادها السلطان والأمراء ثم يطلقون فى إثرها الطيور الجارحة ، أما المطعم الخاص بها فكان يقع بالريدانية التى كانت فى الأصل بستانا ضخما من إنشاء ريدان الصقلى خادم العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله .

الأحمر[١]، وقد وصل — موافقا لوصوله المطعم — نحو الأربعين مملوكا من حلب ودخلوا فى الطاعة ، فكان يوما عظيما .

وفى سابع عشره قدم البريد من حلب مخبراً عن منطاش بأنه توجه إلى عين تاب[١] فقاتله[٢] أهلها ونائبها ناصر الدين محمد بن شهرى قتالا شديداً، وآخر الأمر أخذ منطاش المدينة فسار[٣] النائب إلى قلعتها وامتنع بها وطمنه إلى جوف الليل كبس عسكره فقتل منهم نحو المائتى فارس ، وقتل من أمرائه ستة أمـــراء .

[وفى] ثانى عشريه وصل الأمير محمد شاه بن بيدمر وكان من أتباع منطاش وفعل معه أموراً فلم يؤاخذه السلطان وأعطاه الأمان وأنزله عند الأمير محمود الأستادار ، وحضر فى هذا اليوم أيضا رأس[٤] نوبة منطاش فى عدد كثير من المنطاشية فأخلع عليه السلطان ، ووعده بجزيل الفضل والإحسان .

* * *

شهر ذى الحجـــة

أهل بيوم الخميس .

فيه رسم للأمير قرادمرداش نائب طرابلس بنيابة حلب ، ورسم أن يكون المقلد له الأمير تنم الحسنى ، فتوجه له على البريد وعلى يده التشريف والتقليد ، [و] فى خامس الشهر خلع عليه واستقر إينـــال بن خجا نائب طرابلس واستقر الأمير آقبغا الجمالى فى الأتابكية بحلب ، واستقر الأمير ناصر الدين

(١) عرفها مراصد الاطلاع ٢/٩٧٧ بأنها « قلعـــة حصينة ورســـتاق قرب حلب ، ورستاقها دلوك » ، وانظرهـــا تاريخيا وجغـــرافيا فى فهرس مدن Dussaud: op. cit. تحت اسم Doliche أيضا .

(٢) فى الأصل « فقاتلوه » . (٣) فى الأصل « فصار » .

(٤) كان رأس نوبة منطاش فى هذا الوقت هو أسندمر اليوسفى .

محمد بن سلار حاجب الحجاب بها ، ورسم لسولى [بن ذلغادر] أن يكون نائب الأبلستين ، وجهز له خلعته .

[وفى] يوم عيد النحر — الذى هو العاشر من ذى الحجة — سار الأمير بلبك(١) المحمدى إلى الأمير كمشبغا الحموى ليحضر به .

[وفى] تاسع عشره برز نائب طرابلس وسار إليها بعد أن أخلع عليه خلعة السفر .

وفيه أشهر النداء بالقاهرة ومصر حسب المرسوم الشريف أن لا يركب أحد من الفقهاء والمتعممين فرسا إلا الوزير وكاتب السر وناظر الخاص فقط ، و[أما] من عداهم فيركبون البغال .

[وفى] سابع عشريه وصل مبشر الحاج وأخبر برخاء الأسعار وسلامة الجمال والرجال ، ولله الحمد على كل حال .

وفيه(٢) خلع على الأمير ابن الحسام واسمه ناصر الدين محمد [الصفوى] ولكنه اشتهر باسم أبيه ، واستقر فى الوزارة عوضاً عن الموفق أبى الفرج ورسم له أن البلاد المؤجرة للدولة فى أيدى الأمراء تعاد إليه كما كانت فى أيام الوزير شمس الدين إبراهيم كاتب أرلان ، وأن يكون متصرفاً بنفسه ولا يشاركه أحد فى الكلام ، وأن يكون الوزراء المفصولون فى خدمته ويباشرون عنده فى وظائف الدولة ، فلما خرج من القلعة توجه إلى قاعة الصاحب وهو لابس التشريف فطلب الوزراء المعزولين فقرر شمس الدين المقسى فى نظر الدولة ،

---

(١) « تنبك » فى السلوك .

(٢) أمام هذا الخبر فى هامش الصفحة وبخط المؤلف « ولاية الصاحب ابن حسام الدين واستقرار من تقدم من الوزراء فى خدمته » .

واستقر علم الدين سن إبرة شريكا له فى نظر الدولة ، وقــرر سعد الدين نصر الله فى نظر البيوت واستيفاء الدولة ، واستقر موفق الدين أبو الفــرج فى استيفاء الصحبة واستقر الفخرى (٣٦ ب) ابن مكانس فى استيفاء الدولة رفيقا لابن البقرى ، وصاروا يركبون فى خدمته ويمتثلون ما يرسم به ديدنا ، ولم يقع لغيره من الوزراء مثل هذا ؛ ومن عجب العجاب أن ابن الحسام هذا كان فى خدمة الصاحب سعد الدين ابن البقرى فرقاه إلى أن جعله دواداره لـــا كان فى نظر الخاص وكان فى خدمته الليل والنهار قائما على أقدامه بين يديه فصار الأمر بعكسه ، فسبحان مغير الأحوال .

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بن آقبغا آص ، واستقر فى شد الدواوين على عادته عوضا عن ناصر الدين محمد بن رجب بحكم عزله واستقراره فى شاد دواوين الخاص عوضا عن خاله الأمير الوزير ابن الحسام .

ووصل الخبر عن الحجاج أنهم قاسوا مشاقا زائدة فى عودتهم من ســـوء تدبير أمير حاجهم الذى هو ابن منكلى بغا ، وذلك مختص بالمحمـــل ، فإن [حجاج] الركب الأول [كان] أميرهم بيسق الشيخونى أمير آخور فأحسن فيهم السياسة فحسنت سيرته ، لكنه ما سلم من موت الجمال ، والحمـــد لله على كل حال :

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان

١٣٢ ـ أمير حاج ولد السلطان الملك الظاهر برقوق وقد بقى أحد الأمراء ، وكان شكلا حسنا مقبولا ؛ توفى ثامن جمادى الآخرة ودفن بمدرســـة والده بالظاهرية ولم يتأخر [أحد] عن المشى فى جنازته .

١٣٣ ـ و [مات] الأمير آقبغا [بن عبد الله] الجوهرى اليلبغاوى قتلا فى وقعة حمص وقد بلغ من السن بضعا[(١)] وخمسين سنة ، وكان له معرفة ببعض المسائل الفقهية ، لكن أخلاقه ردية ، والغالب عليه الشح مع الجبن .

١٣٤ ـ وتوفى الأمير أردبغا العثمانى أحد الأمراء الطبلخانات مقتولا ، وكان كثير الطيش سريع الانقياد ملولا عديم المداراة .

١٣٥ ـ ومات الأمير تمان تمر الأشرفى نائب قلعة بهنسا .

١٣٦ ـ وتوفى الأمير تمرباى الحسنى حاجب الحجاب بالديار المصرية ، وكان له انقياد إلى الشريعة وملازمة الجماعة .

١٣٧ ـ ومات جنق الكمشبغاوى .

١٣٨ ـ وتمر الجركتمرى وكلاهما أمير طبلخاناه .

١٣٩ ـ و [مات] الأمير قطلوبغا[(٢)] الأحمدى أحد العشرات .

١٤٠ ـ وتوفى عيسى التركمانى أحد العشرات وكان كريم النفس متلفا للمال .

١٤١ ـ و [مات] الأمير قرابغا الأبوبكرى أمير مجلس ولم يعرف له خير يذكر .

١٤٢ ـ و [مات] الأمير قرقماس الطشتمرى فى نهار الجمعة حادى عشرى جمادى الآخرة .

١٤٣ ـ ومات الأمير قازان البرقشى[(٣)] أمير طبلخاناه .

---

(١) هذا هو السن الذى اتفقت عليه أيضا الدرر الكامنة ١/ ١٠٠٢ ، والسلوك ، ورقة ٢١٦ ب ، والنجوم الزاهرة ١٢/ ١٢٠ ولكن ابن حجر جعله فى إنباء الغمر ١/ ٤٠٠ قد قارب السبعين .

(٢) « طولوبغا » فى السلوك ورقة ٢١٦ ب .

(٣) ورد اسمه "البرقشى" بالياء فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٢/ ١٢١ حيث أطال فى ترجمته ص ١٢١ ـ ١٢٢ كما أشار إلى من قتل معه فى وقعة حمص ، أما السلوك ، فقد رسمه بالباء الموحدة ، على حين أهملت الدرر الكامنة الإشارة إليه .

١٤٤ — وتوفى الأمير مامور القلمطاوى اليلبغاوى حاجب الحجاب، قتل على مدينة [حمص] وكان إذ ذاك نائب حماة .

١٤٥ — وتوفى الأمير مقبل الطيبى نائب الوجه القبلى .

١٤٦ — ويونس الرماح الأسعردى .

١٤٧ — وتوفى أمير على سلطان الطائفة الجعيدية بديار مصر فى السادس عشر من جمادى الأول ، ولم يخلف بعده مثله .

١٤٨ — وتوفى الشيخ الصالح المعتقد الربانى على المغربل فى الخامس من شهر جمادى الأول وكانت له جنازة مشهورة ، ودفن بزاويته خارج القاهرة بحكر الوراق .

١٤٩ — وتوفى أيضاً الشيخ الصالح المعتقد محمد الفاوى فى ثامن[1] شهر جمادى الأول ودفن خارج باب النصر .

١٥٠ — وتوفى الأديب الشاعر البليغ الوجيز الفصيح شمس الدين محمد [بن إسماعيل] الأفلاقى[2] المالكى فى سادس جمادى الأول .

١٥١ — ومات الشيخ المقرئ شمس الدين محمد الوفائى فى سابع جمادى الأول .

* * *

(١) اختلفت مصادر هذا العصر فى تحديد يوم وفاته فهو فى إنباء الغمر ١/٤٠٥ « سادس عشر جمادى الأول » وفى السلوك ، ورقة ٢١٧ أ « ثامن عشر » منه .

(٢) صحح الاسم على ما ورد فى الشذرات ٦/٣٢٥ حيث ذكر أنه نسبة لأفلاق وهى — كما قال — قرية بالقرب من دمنهور، انظر أيضا إنباء الغمر ١/٤٠٧ وحاشية رقم ٤ هناك .

سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة[1]
من الهجـرة

* * *

أهل شهر الله المحرم بيوم الجمعة[2] والنـاس فى أمان واطمئنان مبتهلين بالدعاء بدوام أيام السلطان ؛

[وفى] ثانيه رسم السلطان بعزل ولاة مصر وأن لا يتولى الولاية أحـد كان قد تقدم له مباشرة فيها ، ورسم للأمير سودون النائب أن يقرر فى الولاية شخصا يختاره من مقدمى الحلقة فطلبهم ، ووقع اختياره على ثلاثة نفر منهم وهم : شاهين الكفتى وطرقجى وقجماس ؛

[وفى] سادسه ورد البريد من الشام مخبراً بأن الناصرى حصل بينه وبين الأمير الكبير أيتمش كلام وتنافس[3] ، فأفحش وخرج عن الطاعة ، وأشهر نفسه ولبس السلاح هو وحاشيته ونادى فى الشام : « من كان منطاشيا فليحضر » فاجتمع عنده نحو الألف ومائتى فارس فقبض عليهم أجمعين وسجنهم ، وكل

(١) فى الأصل « ثمان » وهو خطأ .

(٢) يطابق هذا اليوم ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٧ ، و يوافقه ١٣ كيهك ١١٠٧ق ، ٩ ديسمبر ١٣٧٠ م .

(٣) بعد هذا فى الأصل « مع الأمير الكبير ايتمش » .

ما صنعه من الحيلة حتى وصل إلى غرضه من المنطاشية ، فلما سمع السلطان بهذا شكره وأثنى عليه :

[وفى] سادس عشره قبض على الصاحب موفق الدين وألزم بحمل مال إلى الذخيرة الشريفة ، وكذا فعل بالصاحب علم الدين سن إبرة وألزم بعشرة آلاف درهم .

[وفى][1] يوم الاثنين ثامن شهر صفر برز المرسوم الشريف بهدم سلالم المدرسة الحسنية[2] وسد بابها وأن يفتح لها باب من شباك من الشبابيك المطلة[3] على الرميلة مقابل باب السلسلة ، وكان قبل هذا بيوم — الذى هو سابع صفر — وصل الأمير كمشبغا الحموى نائب حلب وصحبته الأمير حسام الدين الكجكنى فرسم السلطان للأمير سودون النائب وللأمراء والحجاب وأعيان المملكة أن يخرجوا إلى لقائه وأرسل أمير أستادار الصحبة بالمدات فعملت له ، ودخل فى موكب عظيم وصعد إلى السلطان فقبل الأرض وجلس فوق الأمير الكبير الأتابك — الذى هو إينال اليوسفى — ثم قام إلى دار أعدت له فنزل إليها وقدمت له المدات وجهزت إليه التقادم من السلطان والأمراء ، فأرسل إليه السلطان أربعة رءوس من الخيل الخاص مسروجين بسروج ذهب وقماش ذهب ، والباقون من الأمراء خيولا وقماشا ، وحضر معه من حلب عدة من أمرائها :

[وفى] حادى عشره وصل البريد مخبراً بأن العساكر توجهت فى طلب منطاش (٣٧ أ) إلى عين تاب فهرب منهم إلى ناحية مرعش وحضر إليهم عدة من جماعته طائعين :

(١) راجع هذا الخبر مفصلا فى إنباء الغمر ١ / ٤١٤-٤١٥ .

(٢) يعنى بذلك مدرسة السلطان حسن ، وهى تجاه القلعة بينها وبين بركة الفيل وبدئ بعمارتها سنة ٧٥٧ هـ ، أنظر المقريزى الخطط ١ / ٣١٥-٣١٧ .

(٣) فى الأصل « المطلين » .

وفى هذا اليوم حضر الأمير آقبغا الماردانى نائب الوجه القبلى فرسم بالقبض عليه وحمله إلى سجن خزانة شمائل :

[وفى] خامس عشره طلب حسن بن باكيش — الذى كان نائب غزة — من الحبس وضرب بين يدى السلطان بالمقارع ضرباً مبرحاً ، وطلب آقبغا الماردانى بعده فضرب على أكتافه [ضربا] مقترحا ، ورسم لوالى القاهرة أن يخلص حقوق المسلمين منه .

[وفى] تاسع عشره خلع الأمير يلبغا الأحمدى المشهور بالمجنون واستقر فى نيابة الوجه القبلى عوضا عن آقبغا الماردانى بحكم عزله وضربه وسجنه :

[وفى] تاسع عشريه وصل من طرابلس القاضى شهاب الدين أحمد ابن الحبال الحنبلى فى حالة فظيعة ، فلما مثل بين يدى المقام الشريف جرد من ثيابه وضرب بالمقارع ، وسبب ذلك : قيامه وانتصاره لمنطاش حتى أخذ طرابلس وقتل من بها من المسلمين وأنه أفتاه بذلك ، وحضروا بخطه :

[وفى] سابع شهر ربيع الأول خلع على الأمير يونس القشتمرى واستمر نائب الكرك عوضا عن قديد القلمطاوى .

[وفى] ثامنه أنعم على الأمير حسن الكجكلى — الذى حضر صحبة الأمير كمشبغا الحموى — بنيابة اسكندرية عوضاً عن أرغون البجمقدار العثمانى :

وفيه رسم السلطان بخروج البريد لإحضار الأمير الكبير أيتمش [البجاسى] من الشام ، وتوجه لحضوره من الأمراء الأمير قنباى[1] الأحمدى رأس نوبة .

[وفى] عاشره قدم الأمير أبو يزيد والشيخ شمس الدين محمد الصوفى الذى كان توجه للكشف عن أخبار منطاش ، وأخبر بانفلال عسكره عنه :

(١) أورده أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢ / ١٩ باسم « قنق باى » ، ولكن انظر فيما بعد ص ٣٢٤ س ٩ .

[وفى] ثامن عشريه رسم بتشديد العقوبات على ابن باكيش — الذى كان نائب غزة — وطلب منه المـال ؛

* * *

شهر ربيع الآخر

أهل بيوم الأحد : خلع على الأمير تغرى بردى الكمشبغاوى ، واستقر حاجب الحجاب بطرابلس ؛

[وفى] تاسع عاشره وقع القبض على شاهين أمير آخور ورسم بنفيه إلى الصعيد فخرج من فوره صحبة أتباع نقيب الجيوش المنصورة .

* * *

[وفى] يوم الاثنين رابع شهر جمادى الأول وصل الأمير الكبير أيتمش — الذى كان توجه لإحضاره من الشام الأمير قنباى الأحمدى رأس نوبة — ومعه عدة من الأمراء ، فخرج للقائه الأمير سودون النائب والحجاب وصعد إلى القلعة وتمثل بين يدى السلطان فجلس على الميسرة تحت سودون النائب ، وتمثل (١) الأمراء الذين حضروا صحبته بين يدى السلطان ، هم : ألابغا العثمانى الدوادار حاجب دمشق ، والأمير جنتمر أخو طاز والذى كان منطاش جعله نائب دمشق ، وأمير ملك ابن أخت جنتمر المذكور ، ودمرداش اليوسفى ، وألطنبغا الحلبى ، وعدة من المماليك السلطانية وقبلوا الأرض وعدتهم ستة وثلاثون أميرآ ، وحضر أيضا معه عدة من أعيان دمشق مصفدين (٢) بالقيود والحديد ، وهم : شهاب الدين أحمد بن عمر القرشى قاضى القضاة بدمشق ، وفتح الدين محمد بن محمد بن أبى بكر بن إبراهيم بن الشهيد كاتب السر بها ، وابن مشكور ناظر الجيش ، فلما تأملهم السلطان صار يوبخهم ويقرعهم ويبكتهم ، وعين (٣) الخطاب لجماعة وهم : ألطنبغا الحلبى وجنتمر والقاضى

(١) فى الأصل « وتمثلوا » . (٢) فى الأصل « مصفدون » .

(٣) يقصد بذلك أنه وجه الخطاب للمذكورين بعد .

[شهاب الدين أحمد بن عمر] بن القرشي ، وطوّل معهم في الحديث ، وكانوا قد أفحشوا في مقاتلته لمـا حاصر الشام إفحاشاً قبيحاً ، حتى إن القـاضي ابن القرشي كان يصعد على أعلى سور دمشق وينادى أهلها بأعلا صوته : «إن محاربة برقوق أوجب عليكم من صـلاة الجمعة» ويؤلب عليه ويأمر العوام بقتاله ويحرضهم عليه ، وآخـر الأمر سلم [برقوق] ابن مشكور(١) — ناظر جيش دمشق — إلى شاد الدواوين فعاقبه بالعصر والضرب ، فالتزم أن يحمل سبعين ألف درهم من الفضة فأفرج عنه ، ورسم بسجن البـاقين فسجنوا ، ونزل الأمير أيتمش [البجاسي] إلى داره فأرسل إليـه السلطان بأشياء عظيمة من الخيول والقماش وغير ذلك ، وجهز له الأمراء أيضاً ، كل إنسان بحسب مقامه ؛

[وفي] ثاني عشره خلع على جمال الدين محمود بن محمد بن إبراهيم ، المعروف بابن الحافظ واسـتقر في قضاء القضاة الحنفية بحلب عوضاً عن محب الدين محمد بن الشحنة ، واستقر كمال الدين عمر بن العديم في قضـاء العسكر بحلب عوضا عن ولد الحافظ :

* * *

شهر جمادى الآخرة

أهل بيوم الأحد ؛

[في] ثانيه قبض على عدة من الأمراء وسلموا للوالى وهم : أسـندمر وإسماعيل التركماني وكزل القرمي وآقبغا البجاسي وصربغا ، وتسلمهم والى القـاهرة .

وفي حادي عاشره قبض أيضاً على أحد عشر أميراً وسلموا لوالي القاهرة وهم : قطلوبغا الطشتمرى الحاجب ، وتقطاى الطشتمرى ، وآلا بغـا

(١) رسمته النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٠ بضم الشين ورسمته « ابن شـكر » ، لكن انظر ابن حجـر : إنباء الغمر ١ / ٤١٦ .

الطشتمرى، وقرابغا السيفى، ويلبغا السيفى، وبيبغا السيفى، ومحمد بن بيدمر نائب الشام، وجبريل الخوارزمى، ومنجك الزينى، وأرغون شاه السيفى.

وفى هـذا اليوم سمر أسندمر الشرفى رأس نوبة، وآقبغا الظريف البجاسى، وإسماعيل التركمانى أمير البطالين فى أيام منطاش، وكزل القرمى، وصربغا وأشهروا بالقاهرة، وتوجهوا بهم إلى الكوم(١) فوسطوا؛ قال الشيخ تقى الدين المقريزى فى آخر ذكره لترجمتهم: «ولم يعهد مثل هذا إلا لقطاع الطـريق».

وفيه رسم السلطان لوالى القاهرة وشاد الدواوين أن يتوجها بالأمير ألطنبغا الحلبى وألطنبغا أستادار جنتمر إلى مجلس قاضى القضاة شمس الدين محمد الركراكى المالكى ويُدعى(٢) عليهما بأمور صدرت منهما تؤول بهما إلى القتل، فادعى عليهما فرسم بسجنهما مقيدين بخزانة شمائل إلى أن يثبت ذلك.

[وفى] ثانى عشره قبض السلطان على الأمير ممجق.

[وفى] خامس عشره وقف شخص(٣) من التجار للسلطان وشكى عـلى القاضى شهاب الدين أحمد بن القرشى قاضى قضاة الشام فأحضر من السجن مرعوباً، فادّعى عليه بين يدى السلطان بدعاوى شنيعة فظيعة، وبأنه أخذ له مالاً كبيراً، فجرد من ثيابه وضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً وسلم لوالى القاهرة ليخلص منه المـال الذى ادّعى عليه به فضربه وعصره مراراً وسجنه بخزانة شمـائل.

---

(١) لم يحدّد المؤلف أى كوم فى القـاهرة يعنى، وكذلك فعل أبو المحـاسن فى النجوم الزاهرة ٢١/١٢.

(٢) الضبط من الأصل.

(٣) وصفه إنباء الغمر ٤١٦/١ بأنه «عجمى».

(٣٧ ب) [وفى] تاسع عشره خلع على الأمير قطاوبغا الصفوى ، واستقر حاجب الحجاب ، وخلع على الأمير بتخاص واستقر حاجب ميسرة ، وخلع على الأمير قديد واستقر حاجباً ثالثاً ، وخلع على الأمير على باشاه واستقر حاجباً رابعاً ، وخلع على الأمير يلبغا الأشقتمرى واستقر فى نيابة غزة ، واستقر ناصر الدين محمد بن شهرى فى نيابة ملطية .

[وفى] ثانى عشريه وقف شخص للسلطان فشكى على أمير ملك ابن أخت جنتمر أنه أخذ له ستمائة ألف درهم وسلط عليه منطاش فضربه بالمقارع ، فطلب أمير ملك طلبا فاحشاً وادعى عليه غريمه فضرب بالمقارع ضرباً مبرحاً ، ورسم للوالى بتسلمه فمات فى ليلة خامس عشريه :

وفيه خلع على الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار واستقر حاجب الحجاب بدمشق عوضا عن ألابغا العثمانى ، وجهز لألابغا العثمانى تشريف باستقراره فى نيابة حماة .

وفيه أنعم السلطان على عدة من الأمراء ، لكل نفر بإمرة طبلخاناه وهم : قاسم بن الأمير كمشبغا الحموى ، ولاجين الناصرى ، وسودون النظامى ، وأرغون شاه الأقبغاوى ، وسودون من باشاه ، وتنكز باى العثمانى ، وقجق القرمشى ؛ وأنعم أيضاً فى هذا اليوم على عدة من الأمراء ، لكل واحد بإمرة عشرة وهم : قطلوبغا الطقتمشى ، وعبد الله أمير زاه بن ملك الكرج ، وكزل الناصرى ، وألان اليحياوى ، وكمشبغا الإسماعيلى ، وقامطاى العثمانى :

وفيه أقبل آقبغا الصغير نائب غزة بطاب :

وفيه رسم بالقبض على مماليك بركة الذين كانوا فى خدمة منطاش فتتبعوا من سائر الأماكن وقبض على عدد كثير منهم وسجنوا إلى ثامن عشريه [حيث] عرضهم السلطان بالحوش فأفرج عن جماعة منهم .

[وفى] خامس عشريه عرض الوالى ابنَ القرشى قاضى الشام فضرب بين يديه بالمقارع نحواً من مائتى شيب حتى كاد يموت :

[وفى] سلخ هذا الشهر طلع كوكب فى السماء طوله ثلاثة أرماح لكنه قليل الضوء ، وصار يرى من أول الليل ويغيب نصفه ، وأقام على هذا ليالى :

[وفى] أول شهر رجب قصد منطاش دخول دمشق فسار إليها من جهة مرعش على العمق (١) إلى أن قرب من حماة ، ففر نائبها إلى نحو طرابلس من غير أن يقاتل منطاش ولا يقف فى وجهه فدخلها منطاش بلا شر ولا خير ولم يحدث فيها أمراً ، وسار منها إلى حمص فهرب نائبها كما فعل نائب حماة ، وتوجه إلى نائب دمشق وصحبته نائب بعلبك لأنهما لا طاقة لهما بمنطاش وجنوده ، فعند ذلك ركب يلبغا الناصرى — فى عَدد — كثير وعُدد على مكان يعرف بالزبدانى (٢) لمقاتلة منطاش ، فرتب أحمد بن تنكز ومعه عدة من جماعة البيدمرية فدخلوا دمشق من باب كيسان (٣) حتى هجموا على الإصطبلات فنهبوا ما فيها (٤) من الخيول والقماش ، ودخل منطاش يوم الاثنين أول شهر رجب إلى الشام من طريق أخرى غير الطريق التى خرج منها يلبغا الناصرى ونزل بالقصر الأبلق (٥) ونزل (٦)

---

(١) العمق بفتح العين وسكون الميم كورة بنواحى حلب كما ضبطه وذكره مراصد الاطلاع ٩٦٢/٢ انظر عنها Dussaud: Topographie Historique de la Syrie, pp, 228-9.

(٢) الزبدانى كورة مشهورة بين دمشق وبعلبك منها مخرج نهر دمشق ، انظر مراصد الاطلاع ٦٥٧/٢ ، وهى واردة فيه بفتح الزاى والباء ولكنها بكسرها فى Dussaud: op. cit. Index.

(٣) باب كيسان ، انظر عنه خطط الشام لمحمد كرد على ١٧٥/٦ ، Le Strange: Palestine under the Moslems p. 231.

(٤) فى الأصل « فيهم » .

(٥) القصر الأبلق بالشام ويقع بمرجة دمشق ، وقد بناه الظاهر بيبرس سنة ٦٦٧ هـ انظر عنه محمد كرد على : خطط الشام ١٢٢/٤ ، ٢٨٥/٥ — ٢٨٦ كما أنه ذكر عنه فى غوطة دمشق ، ص ٢٢٧ أنه مبنى من أسفله إلى أعلاه بالحجر الأسود ، ومن هنا سمى بالأبلق ، كما نقل وصف ابن فضل الله لدهليزه واشتماله على « قاعات ملوكية مفروشة بالرخام الملون البديع ، المؤزر بالرخام ، المفصل بالصدف » وقد أعمل تيمورلنك فى هذا القصر يد الهدم سنة ٨٠٣ هـ :

(٦) فى الأصل « ونزلوا » .

عساكره حول القصر بالميدان ، وحضر إليه أحمد بن شكر بما نهبه من الخيول فكانت عدتها ثمانى مائة رأس ، وهجم لأخذ دمشق ليأخذ من أسواقها مايختاره من المال وإذا بالأمير يلبغا الناصرى وقدامهم بالعساكر والأبطال ، فاقتتل الفريقان(١) قتالا شديداً لم يعهد مثله مدة أيام :

[وفى] ثالث رجب خلع على الأمير فرج واستقر فى ولاية الغربية عوضا عن شاهين الكلفتى :

[وفى] خامسه ورد البريد مخبراً بدخول منطاش إلى الشام وأخذ ابن شكر الخيول من الإصطبلات ومحاربتهم كما قدمنا ذكر ذلك :

[وفى] تاسعه ضرب الشهاب أحمد بن عمر القرشى قاضى دمشق عند الوالى(٢) ضرباً شديداً حتى توفى إلى رحمة الله تعالى بخزانة شمائل ، وأخرج من وقف الطــرحا .

[وفى] خامس عشره اجتمع قضاة القضاة وحاجب الحجاب بالمدرسة الصالحية بين القصرين وجلسوا فى إيوان المالكية وأحضر الأمير ألطنبغا دوادار جنتمر وأوقفوه تحت الشباك على قارعة الطريق وقد اجتمع فى المكان من الخلق مالا يحصيهم إلا الله ، وادعى عليه ثانيا عند القاضى القضاة المالكى بما يوجب إراقة دمه وشهد عليه به فضربت عنقه ؛ وطلب الأمير ألطنبغا الحابى أيضا وادعى عليه بمثله وشهد عليه فضربت عنقه أيضا وجعلت رؤوسهما فى أعلى رمحين ونودى عليهما بالقاهرة(٣) :

وفى رابع عشريه حضر على بن الأمير نعير فقبض عليه وسجن ببرج القلعة .

---

(١) فى « الأصل فاقتتلوا الفريقين » .
(٢) راجع ما سبق ص ٣٢٨ س ١٠ — ٢ .
(٣) انظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٤١٨ .

[وفى] سابع عشريه ورد البريد من دمشق فأخبر بأن الحرب استمرت بين منطاش والناصري ، وأن منطاش آل أمره إلى الخسران وقتل من عسكره معظمه ، وفر منه معظم التركمان الذين حضروا معه وصاروا فى طاعة الناصرى يحاربونه فى الليل والنهار وأنه محصور بالقصر الأبلق :

* * *

أول شهر شعبان برز المرسوم الشريف للوزير ولناظر الخاص بتجهيز الأمراء لسفر الشام فشرعوا فى تعلقهم واحتياجهم إلى خامسه فورد البريد من صفد مخبراً بأن منطاش هرب من القصر الأبلق(١) فى الليل وأن عساكر الشام تبعوه وهم فى إثره :

وفى هذا اليوم قتل حسن بن باكيش الذى كان نائب غزة فى أيام منطاش ، وسبب قتله أن الأخبار وصلت بأن ولده جمع جموعا من العشران ونهب الرملة وقتل جموعا من الناس :

[وفى] سادسه طلب حسين بن الكورانى بين يدى السلطان فضرب بالمقارع والعصى ضربا مبرحا وصار يعاتب على ما صدر منه فى حق حرم أقارب السلطان فى غيبته :

[وفى] عاشره رسم بنصب الجاليش للسفر إلى الشام فنصب :

[وفى] حادى عشره رسم للأمير علاء الدين [ابن الطبلاوى] أن يتسلم عدة من الأمراء ويوقع فيهم قضاء الله وقدره فتسلمهم وقتلهم وهم : صراى تمر دوادار منطاش وتكا الأشرفى ودمرداش اليوسفى ودمرداش القشتمرى ، وتسلم أيضا على الجركتمري فلم يقتله معهم وإنما عصره وقتله بعد (١٣٨) وقطلوبك نائب صفد :

---

(١) فى الأصل « الأبيض » .

[وفى] ثانى عشره رسم السلطان لوالى القاهرة بعرض المسجونين من المنطاشية فعرضوا بين يديه فميز منهم جماعة ورسم للوالى بإنفاذ قضاء الله وقدره فيهم فقتلوا فى ليلة الأحد ثالث عشره وهم : جنتمر أخو طازوولده وألطنبغا الحربغاوى وتقطاى الطواشى الطشتمرى وفتح الدين محمد بن الشهيد فضربت أعناقهم بالصحراء :

[وفى] خامس عشره خلع على جمال الدين محمود العجمى القيصرى وركب فى موكب جليل ، واستقر فى قضاء القضاة الحنفية عوضا عن مجدالدين إسماعيل بحكم صرفه عن الوظيفة المذكورة ، قال الشيخ تقى الدين المقريزى رحمه الله : « وكتب له فى توقيعه الجناب العالى كما كتب للعماد أحمد الكركى ، هاذان أول من كتب لهما ذلك من قضاة الحنفية ولم يكتب هذا لأحد من المتعممين إلا للوزير خاصة ، وكان يكتب للقضاة : « المجلس العالى » .

[وفى] سابع عشريه رسم السلطان بأن يتوجه الأمراء البطالون إلى ثغر الإسكندرية ليسجنوا بها وأفرج منهم عن اثنين (١) وهما : ملكتمر الدوادار ، وصراى تمر دوادار يونس ونزلا إلى بيوتهما .

[وفى]ثامن عشره قبض على جماعة من الأمراء وسجنوا ورسم للوالى بإنفاذ أمر الله فيهم من الغد ، فقتلوا أجمعين :

وفى هذا اليوم ندب السلطان لنيابة الغيبة بالقاهرة المحروسة وبمصر الأمير الكبير كمشبغا الحموى وانتقل إلى الإصطبلات السلطانية ، وتحول الأمير سودون النائب منها إلى قلعة الجبل ومعه الأمير بجاس النوروزى ، ورسم أن يقيم بالقلعة من المماليك السلطانية ستمائة مملوك لحفظها وعليهم الأمير تغرى

(١) فى الأصل « اثنان » .

بردى من يشبغا رأس نوبة والأمير صواب السعدى الطواشى ، وعين للإقامة بالقاهرة الأمير قطلوبغا الصفوى حاجب الحجاب ، والأمير بتخاص السودونى حاجب ميسرة ، وقديد ، وطغاى تمر باشاه ، وقرابغا الحاجب فى عدة من الأمراء العشرات ، وبرز المرسوم الشريف لشيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى والقضاة ومفتى دار العدل وبدر الدين محمد بن أبى البقاء وبدر الدين محمد بن عبد الله العمرى بالسفر صحبة السلطان ، ورسم لهم بمال لتجهيزهم به فتجهزوا ، وخرج (١) السلطان بعد صلاة الظهر وهو راكب من القلعة فتوجه إلى الريدانية فلحقه (٢) أرباب الدولة والأمراء والعساكر .

[وفى] ثالث عشريه طلب السلطان من فى خزانة شمائل من المسجونين فعرضوا عليه فرسم بتغريق محمد بن الحسام — أستادار أرغون — وأحمد التنوعى ومقبل الصفوى فغرقوا ببحر النيل ، ورسم بتسمير سبعة من الأمراء وتوسيطهم ففعل بهم ذلك ، وخلع على ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفك (٣) واستقر فى شد الدواوين ، وأنعم على الأمير زين الدين أبى بكر بن سنقر الجمالى بإمرة طبلخاناه ورسم له أن يكون أمير الحاج .

[وفى] سادس عشريه رحل السلطان بعساكره من الريدانية ونودى فى القاهرة بالحج إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر المصطفى عليه السلام على العادة .

[وفى] ليلة الثلاثاء تاسع عشريه أنفذ الوالى أمر الله تعالى فى إثنى (٤) عشر أميراً وهم : أرغون شاه السيفى ، وألابغا الطشتمرى ، وآقبغا السيفى ، وبزلار الخليلى وغيرهم .

(١) فى الأصل « وركب » . (٢) فى الأصل « فلحقوه » .

(٣) هكذا أيضا فى السلوك ، لكنه « كلبك » فى النجوم الزاهرة ١٢/٢٨ .

(٤) لم يذكر المؤلف منهم سوى هؤلاء الأربعة ، وكان فى هذا ناظرا إلى أبى المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٨ وناقلا عنه .

[وفى] ليلة الأربعاء سلخه قتل من الأمراء: منجق الحسنى [1] ، وقرابغا السيفى ، ومنصور حاجب غزة .

* * *

يوم الأربعاء مستهل شهر رمضان : قدم البريد من قطيا مخبراً بأن السلطان نزل بها هو ومن معه وهم فى غاية الأمن والسلامة .

[وفى] تاسعه وردت الأخبار بهروب منطاش من الشام فى خمسين فارسا .

وفيه قدم الأمير ناصر الدين محمد بن رجب وعليه مثال السلطان إلى نائب الغيبة ومضمونه : القبض على الأمير جمال الدين محمود وأن يقوم بمائة ألف وستين ألف درهم ، فقبض عليه ووزن سبعين ألف درهم فضة .

[وفى] سادس الشهر زينت القاهرة لما بلغ أهلها من هروب منطاش .

وفيه عين الأمير كمشبغا من أجناد الحلقة مائتى فارس تقوية لكاشف الوجه البحرى فإن العربان حشدوا عليه .

وفيه وسط أحمد بن عماد الدين الطشلاقى والى قطيا .

[وفى] ثامنه خلع على بهاء الدين محمد بن البرجى موقع الدست واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن نجم الدين الطنبدى .

[وفى] عاشره [2] نودى على النيل بعد أن توقفت الزيادة أياما ووافق أنه عاشر مسرى ، فحصل منها أن غلت الأسعار ، ومن الله تعالى تتوالى الزيادة ، وأوفى النيل فخلق على العادة وفتح فم الخليج ، وسافر شرف الدين بن أبى الرداد على البريد ليبشر السلطان بالوفاء .

(١) فى النجوم الزاهرة ١٢/٢٩ « سنجق » .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٧ ، أن أول رمضان ٧٩٣ يوافق التاسع من مسرى ١١٠٧ ق (= ٢ أغسطس ١٣٩١ م) ، وعلى هذا يكون عاشر رمضان هو الثامن عشر من مسرى . ويتفق التوفيقات الإلهامية وتقويم النيل ، ج ١ ص ١٩٧ على أن الوفاء كان سابع مسرى .

[وفى] ثانى عشريه كان حلول ركاب السلطان بالشام فزينت له بالحلى والحلل وخرج للقائه الأمير يلبغا المجنون ، واجتمع أهل دمشق لرؤيته فدخلها فى موكب عظيم والنداء بين يديه لأهل الشام : « بالأمان والاطمئنان ، ومامضى لا يعاد ونحن أولاد اليوم »[1] ، وصلى الجمعة فى ثالث عشريه بجامع بنى أمية ، فتضاعفت الأدعية للسلطان بعد أن كان عنـــدهم من الإرجاف والجزع ما يبلغون معه الموت ولو وجدوه لاستعملوه ؛ وسبب هذا مبالغتهم فيما فعلوه معه فى السنة الماضية من السب الصريح القبيح والقتال المنكى الشديد ، ولكن الله سلم .

[وفى] ليلة الأحد خامس عشريه أنفذ قضاء الله وقدره فى الأمـــير على الجركتمرى المهمندار فى أيام منطاش ، فقتل خارج القاهرة :

[وفى] تاسع عشريه أشهر النداء بالقاهرة ومصر بمنع النساء يوم العيـــد [من الذهاب] إلى القرافة وغيرها من الترب ، وأى مكارىّ أركب امرأة وسّط بلا معاودة وأى امرأة وجدت ماشية وسطت ، وأن لا يركب أحد من النساء والرجال فى مركب للفرجة ، وهددوا من فعل ذلك بأهوال فظيعـــة ، فلم يتجاسر أحد على القدوم عليه .

* * *

[وفى] ثانى شهر شـــوال وصل البريد مخبراً بأن خوندكار أبى يزيد ابن عثمان — متملك بلاد الروم — نزل على قيصرية وأخذها :

وفيه سار السلطان من دمشق قاصداً حلب الشهباء :

(٣٨ ب) [وفى] تاسع عشره قدم البريد من الشام مخبراً بأن منطاش ونعيراً مقيمان[2] بالرحبة وجعبر :

---

(١) فى النجوم الزاهرة ، ١٢/٣٠ « ونحن من اليوم تعارفنا » .

(٢) فى الأصل « مقيمين » .

[وفى] ثالث عشريه أشهر النـداء بالقاهرة ومصر : أى امرأة لا تلبس قميصا واسعا ، وأن لا تزيد على تفصيل القميص عن أربعة عشر ذراعاً ، فإنهن كن يبالغن فى سعة التفصيل حتى إن الواحدة منهن تفصل القميص من اثنين وتسعين ذراعا من البندقى الذى عرضه ثلاثة أذرع ونصف ، وتشمر أكمامها فيصير جميع بدنها الداخل مرئيا .

[وفى] ليلة الأحد رابع عشريه وصل الأمير محمد بن بيدمر من ثغـر سكندرية مطلوباً لحتفه ، فقتل ليلة الاثنين خامس عشريه خارج القاهرة .

[وفى] سلخه ورد البريد مخبراً بأن السلطان دخل حلب ثانى عشريه ، وأن القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى خلع عليه واستقر كاتب السر الشريف عوضا عن علاء الدين على بن عيسى الكركى بحكم صرفه عن الوظيفة لضعفه وعجزه .

* * *

شهر ذى القعـدة

أهل بيوم الأحد(١) ، وصل خبر سَارٌّ فدقت البشائر بقلعة الجبل .

[وفى] ثانيه أمر الأمير نائب الغيبة جماعة من أعوانه بأن يتوجهوا إلى أسواق المدينة ، وأى امرأة وجدوا أكمامها واسعة(٢) فليقطعوها ، فقطعوا أكماماً كثيرة ، فامتنع النساء من ثم وعدن(٣) إلى ما كن عليه .

---

(١) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٦٩ أن أوله السبت ٣٠ سبتمبر (= أيلول) ١٣٩٠ م والثانى من بابه ١١٠٧ ق .

(٢) فى الأصل « واسعين فليقطعوهم » وهو لفظ مصرى دارج .

(٣) فى الأصل « وعادوا الى ما كانوا عليه » .

[و] قدم البريد مخبراً بموت ناصر الدين محمد بن على الطوسى موقع الدست ، واستقرار ناصر الدين محمد بن حسن موقع الدرج عوضه في توقيع الدست ، وبموت قاضى القضاة المالكى الركراكى :

[وفى] ثامنه — الموافق له عاشر بابه — انتهت زيادة النيل إلى إصبع من عشرين ذراعا (١) :

[وفى] سادس عشريه قدم البريد من حلب مخبراً بأن سالم الدوكارى (٢) قبض على منطاش وأرسل إلى السلطان يعلمه بذلك ، وأن صاحب ماردين قبض أيضا على جماعة كثيرة من المنطاشية الذين كانوا فى خدمته ، فعند ذلك دقت البشائر بقلعة الجبل وأشهر النداء فى القاهرة ومصر بالأمان والاطمئنان وأن غريم السلطان وقع فى القبضة .

[وفى] سابع عشريه وصل الخبر من حلب على يد البريد أن السلطان ندب قرا دمرداش — نائب حلب — ومعه جمع كثير من العساكر لسالم الذكرى أن يحضر بمنطاش من عنده ، فلما وصل إليه تلقاه بوجه عابس وصار يكلمه بكلام غير الكلام الذى أعلم به السلطان و[صار] يماطله كلما طلب منه غريم السلطان فحصل عنده حنق زائد منه ، فركب بمن معه من العساكر ، ونهب بيوته وقتل جماعة من أصحابه ، فهرب سالم ومنطاش إلى سنجار وامتنعا وتحصنا بها ، فلحق قرا دمرداش يلبغا الناصرى بعسكر عظيم فأخبره بصورة الحال فنقم عليه وأنكر فعلته التى فعلها وأراد قتله وأفحش له فى السب وكادت تكون فتنة بينهما ثم رجعا فوصل الأمير إينال بعسكر مصر — الذى توجه به

(١) بلغت غاية فيضان النيل يومـذاك بمقياس الروضة ١٨ ذراعا وقيراطين كما جاء فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٦ ، أما فى تقويم النيل ١/١٩٧ فقد ذكر أنه بلغ سبعة أذرع وعشرين إصبعا ، أنظر ما سبق أيضا ص ٣٣٣ ، حاشية رقم ٢ .

(٢) « الذكرى » وكلاهما صحيح أنظر س ١٢ أعلاه ، وص ٣٢٧ س ٨ ، ١٢ .

إلى عينتاب وتسلم من صاحب ماردين الذين قبض عليهم من جماعة منطاش ورأسهم قشتمر الأشرفي وأحضرهم ، وعلى يده كتاب صاحب ماردين مضمونه يعتذر ويسأل فضل السلطان في نظره الكريم عليه ويعد أنه يحصل غريم السلطان ويجهزه مقيداً .

* * *

شهر ذي الحجة

أهل بيوم الاثنين ، رجع السلطان من حلب إلى دمشق :

[وفي] سادسه ورد البريد مخبراً أن السلطان لما سمع بما فعله قرا دمرداش مع سالم الذكري وما وقع بينه وبين الناصري من الشر الذي كاد أن يكون فتنة عظيمة وأنهما رجعا بغير نائل قوي[1] في نفسه حقيقة ما نقل إليه عن الناصري أن غرضه الإطالة في تحصيل منطاش تشويشا على خاطر السلطان ، وأن منطاش ما دخل الشام إلا بمكاتبته له ، ولو أراد القبض عليه وهو بدمشق لوصل إلى ذلك وإنما التقصير منه ، وأن الناصري كتب إلى سالم الذكري أن يرحل بمنطاش إلى سنجار ، فلما قدم الناصري إلى حلب قبض عليه وقيده وقبض على عدة معه وهم : شهاب الدين أحمد بن المهمندار نائب حماة وكشكلي أمير آخور الناصري وشيخ حسن رأس نوبة وأنفذ أمر الله فيهم في ليلة قبضهم ، وما زال يلبغا الناصري في أموره معكوس الرأي والحزم حتى إنه إذا كان في قضية عكست أو مع قوم عكسوا برأيه ، وأن الأمير بطا الدوادار خلع عليه واستقر في نيابة الشام ، وخلع على الأمير جلبان واستقر في نيابة حلب ، وخلع على الأمير إياس الجرجاوي واستقر في نيابة طرابلس ، وخلع على الأمير دمرداش المحمدي واستقر في نيابة حماة :

---

(١) تعليق الجوهري على هذا الخبر يكاد يكون نفس تعليق أبي المحاسن في النجوم الزاهرة ١٢/٣٢ .

وأما قرا دمرداش– الذى كان نائب حلب – فأنعم عليه بإقطاع الأمير بطا الدوادار ، وخلع على الأمير أبى يزيد بن مراد الخازن(١) واستقر دوادارا عوضا عن بطا وأنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، وأنعم على الأمير تانى بك اليحياوى بإقطاع جلبان ، ثم رحل من حلب فى أول شهر ذى القعدة فأشهر(٢) النداء بأن تبيض قصبة الشارع ، ففعل الناس ذلك واهتموا به :

[وفى] سادس عشره ورد البريد مخبراً بأن السلطان رجع إلى دمشق فى ثالث عشره وأنه قتل أميرين [بها] وهما ألابغا العثمانى وسودون باق، وكان [السلطان] فى ثالث عشره سمر ثلاثة عشر أميراً منهم : أحمد بن بيدمر ، وأحمد ابن أمير على الماردانى ، وآقبغا العلائى ، وقنق(٣) باى السيفى نائب ملطية وكمشبغا السيفى نائب بعلبك وغريب الخاصكى وقرابغا العمرى :

[وفى] ثالث عشريه رحل السلطان من دمشق متوجها إلى القاهرة .

[وفى] رابع عشريه قدم مبشرو الحجاج :

ومضت هذه السنة والقاهرة ومصر وأعمالها قد دبرها ودبر أحوالها بالسياسة الأمير كمشبغا نائب الغيبة، وصار أحد فى مدة حــ ه ونيابته لا يقدر يتجاهر بشىء من المنكرات والمسكرات (١٣٩) ولا يحمل سلاحا ولا يقرب فاحشة ولا يأخذ رشوة ولا يظلم أحداً من الرعية ، فحسنت سيرته وتضاعفت الأدعية له .

* * *

ومات فى هــذه السنة ممن له ذكر من الأعيان خلاف من قتــل من الأمراء الذين ذكرناهم .

(١) فى الأصل « الحازر » .
(٢) الأرجح أن هذا النداء كان فى القاهرة كما يستفاد من الخبر الوارد فيما بعد ص ٣٤١ س ٧
(٣) فى الأصل « نماجق » والتصويب من النجوم الزاهرة ٣٤/١٢ .

١٥٢ — قاضى القضاة شهاب الدين أحمد أبو العباس قاضى دمشق بخزانة شمائل بعد عقاب شديد وعذاب أليم والله بكل شىء عليم، [مات](١) فى ليلة الأربعاء تاسع شهر رجب :

١٥٣ — والأمير شهاب الدين أحمد بن الأمير الكبير آل ملك(٢) الجوكندار فى يوم الأحد ثانى عشرى جمادى الآخرة :

١٥٤ — و [مات] الأمير حسين بن على الكورانى مخنوقا فى عاشر شعبان واستراح وأراح :

١٥٥ — و [مات] الشيخ جلال الدين بن رسول(٣) بن أحمد بن يوسف العجمى التبانى الحنفى وكان رجلا من أهل العلم والدين ، أفتى ودرس من عدة سنين ، وسئل مرات لقضاء القضاة الحنبلية فلم يوافق لذلك ، وترفع عن دخوله فى منصب القضاء . وشرح كتبا كثيرة جداً منها كتاب « المنار فى أصول الفقه » و « مختصر ابن الحاجب » إلى غير ذلك ، وتوفى يوم الجمعة ثالث(٤) عشر رجب خارج القاهرة :

---

(١) الوارد فى قضاة دمشق لابن طولون الصالحى ص ١١٧ أنه مات ليلة « الثلاثاء » ، أما الدرر الكامنة ١/٨٧ ه فجعلت موته خنقا ليلة التاسع من رجب دون ذكر اليوم ، على حين أن النجوم الزاهرة ١٢/١٢٣ حددته بليلة الأحد ؛ هذا ويلاحظ أن أول رجب كان يوم الأحد كما جاء فى جدول السنين فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٧ .

(٢) راجع الدرر الكامنة ١/٢٩٨ .

(٣) « ابن رسلان » فى إنباء الغمر ١/٤٢٤ ، وشذرات الذهب ٦/٣٢٧ ، وإن قالت فيه إن اسمه « رسول » أو « رسولا » .

(٤) « ثالث رجب » فى كل من الدرر الكامنة ٢/١٤٧٤ والنجوم الزاهرة ١٢/١٢٣ ، ولكنه « ١٣ رجب » كما بالمتن فى كل من إنباء الغمر ١/٤٢٤ والسلوك ، وشذرات الذهب ٦/٣٢٨ ، انظر عنه السيوطى : حسن المحاضرة (طبعة القاهرة) ١/٢١٧ .

١٥٦ – وتوفى الشيخ الصالح المعتقد الربانى المسلك شيخ الطريقة : على الرومى فى رابع عشرى ذى الحجة .

١٥٧ – وتوفى قاضى القضاة شمس الدين محمد بن يوسف الركراكى المالكى بمدينة حمص فى رابع عشر شوال (١) ، وكان (٢) عارفا بمذهبه متواضعا لين الجانب ، وأسف عليه السلطان أسفا عظيما ، والله الباقى .

(١) جعلت إنباء الغمر ١ / ٤٣٠ وفاته يوم الرابع من شوال .

(٢) أشار الشاعر عيسى بن حجاج إلى أسف السلطان والمماليك عليه فى بيتيه اللذين رثاهما به فى قوله :

لهفى على قاضى القضاة محمد * إلف العلوم الفارس الركراكى
قد كان رأسا فى القضا فلأجل ذا * حزنت عليه عصابة الأتراك

سنة أربع وتسعين وسبعمائة
من الهجـــرة

* * *

يوم الأربعاء أول[1] المحرم ، فيه ورد البريد مخبرا بأن السلطان يدخل غزة في ثالثه :

[وفي] حادى عشره ورد البريد مخبرا بأن السلطان حل ركابه بقطيا .

وفيه قدم بهادر الزمام وصحبته الحـــريم السلطانى ، فدقت البشائر وأشهر النداء بالزينـــة فهرع الناس لذلك و بيضوا[2] ظاهر البيوت وقصبة الشوارع بالقاهرة ونصبوا القلاع :

[وفي] ثالث عشره وصل السلطان إلى بلبيس فخرج للقـــائه الأمراء وهـــم : الأمير كمشبغا والأمير سه دون النائب وبقية الأمراء .

[وفي] يوم الأربعـــاء خامس عشره حل ركاب الســـلطان بالعكرشا[3] وأقام بها إلى ليـــلة الجمعة ثم ركب منهـــا فخرج أهل مصر للقـــائه ودخل موكب جسيم قل أن يوجد ، والعـــوام والخواص يبتهلون إلى الله بدوامه فكان من الأيام المشهودة ، فصعد إلى القلعة وأخلع على الأمراء وأصحاب الوظائف :

---

(١) يتفق هذا التاريخ وما ورد فى التوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٧ ، ويعادله الثانى من كيهك ١١٠٨ ق ، و ٢٩ نوفبر ١٣٩١م .   (٢) راجع ما سبق ص ٣٣٨ س ٥ .

(٣) وردت برسم « العكريشة » فى القاموس الجغـرافى ، ق ١ ص ٨٦ ، وذكر أنها من البلاد المندرسة .

[وفى] خامس عشريه خلع للأمير سودون الطرنطاى بنيابة دمشق :

وفى هذا اليوم مات الأمير الوزير ، بل وزير الوزراء محمد بن الحسام لاجين الصقرى بعد أن مرض وطالت علته :

* * *

شهر صفر

أهل بيوم السبت :

[وفى] ثانيه قبض على الأمير قرا دمرداش الذى كان نائب حلب ، وعلى الأمير ألطنبغا المعلم نائب الثغر السكندرى ، وسجنا بالبرج بقلعة الجبل ، وتوجه البريد باستدعاء الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن الصاحب فخر الدين ابن الصاحب تاج الدين موسى بن أبى شاكر من الوجه القبلى ليستقر فى وظيفة الوزارة فما تم له ذلك ، وخلع على الأمير ركن الدين عمر بن ناصر الدين محمد ابن قايماز — أستادار الأمير بيبرس ابن أخت السلطان — واستقر فى وظيفة الوزارة فى يوم الأربعاء رابع عشره :

[وفى] خامس عشره قبض على الأمير قردم الحسنى :

وفى هذا اليوم خلع على السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم بن صدر الدين حمزة الحسينى واستقر فى نظر القدس والخليل عليه الصلاة والسلام بعد وفاة قطلوبغا الطشتمرى :

[وفى] ثانى عشره خلع على الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستادار واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضا عن ألطنبغا المعلم بحكم إفصاله وسجنه بالبرج :

[وفى] ثانى عشره أيضا قدم البريد من الشام مخبرا أن عدة من المماليك نحو الخمسة عشر[(١)] مماوكا أشهروا سيوفهم وتوجهوا إلى باب القلعة وهم مشاة فهجموها وأغلقوا أبوابها وأطلقوا المنطاشية والناصرية من السجن وهم عدد مائة رجل وقتلوا نائب القلعة ومن فى خدمته ، وأن حاجب الحجاب لما بلغه ذلك ركب بعسكر الشام وقاتلهم ثلاثة أيام وهجم عليهم القلعة وقبض عليهم ما خلا خمسة أنفس فإنهم هربوا ، ووسط الجميع ، فشكر السلطان صنيعه على ذلك .

* * *

شهر ربيع الأول

أهل بيوم السبت :

يوم الاثنين ثالثه خرج الأمير سودون الطرنطاى نائب الشام إلى الريدانية ، وفى هذا اليوم توجه الأمير حسن الكجكلى إلى بلاد الروم بهدية سنية لخوندكار أبى يزيد بن عثمان .

[وفى] سادسه خلع على القاضى جمال الدين محمود العجمى ، واستقر بمشيخة الخانقاه الشيخونية ونظرها عوضا عن الشيخ عز الدين يوسف الرازى بحكم وفاته .

وفى ثامنه قبض على الأمير ناصر الدين محمد بن عبدالله بن بكتمر الحاجب صهر الأمير بطا وقرر عليه مال يحمله إلى الخزانة الشريفة .

وفى هذا اليوم وصل الأمير سودون نائب دمشق إليها وصحبته الأمير بكتمر شاد الشراب خاناه لتقليده دمشق .

[وفى] رابع عشره تزوج السلطان بنت معلم المعلمين فى العمائر شهاب الدين أحمد الطولونى .

(١) الوارد فى النجوم الزاهرة ١٢/٣٦ أنهم كانوا خمسة فقط .

وفيه رسم للكركى[(١)] القاضى بعـــدد نوابه فاقتصر منهم على خمسة لاغير بعد أن كانوا زادوا على العشرين :

[وفى] رابع عشريه خلع على فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس واستقر فى وزارة الشام :

وفى هذا اليوم قتل الأمير علاء الدين القيسرى ودفن خارج باب النصر :

[وفى] خامس عشريه أخرج محمد بن بكتمر الحاجب على أن يقـــوم بمائتى ألف درهم فضة :

وفيه أنعم على الأمير قديد بتقدمة ألف عوضا عن (٣٩ ب) قطاوبغا الصفوى بحكم وفاته ، وأنعم على بلاط المنجكى بإمرة عشرة :

[وفى] ثالث عشريه رسم السلطان لصاحب الشرطة بقتل جماعة من الأمراء فقتلوا وهم : الأمير أيدكار العمرى وقراكسك وأرسلان اللفاف وأرغون شـــاه :

[وفى] خامس عشريه خلع على نجم الدين محمد الطنبدى وأعيد إلى حسبة القاهرة بحكم صرف بهاء الدين محمد بن البرجى عنها :

وفيه برز المرسوم الشريف للأمير أبى يزيد الدوادار وللقاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى كاتب السر أن يتحدثا فى أوقاف الحرمين عوضا عن قاضى القضاة الشافعى :

* * *

أول شهر جمادى الأول : حضر من ثغر سكندرية عدة رءوس من الأمراء المسجونين بها :

---

(١) لم يقتصر الأمر فى تقليـــل عدد النواب على الكركى وحده ، وإنما اختصه المؤلف بالإشارة دون غيره لسبب واحد هو أنه « كان استكثر منهم جدا حتى استناب من لم تجر له عادة بالنيابة » كما يقول ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٤٣٣ ؛ انظر أيضا رفع الإصر ، ورقة ٤٠ أ .

[وفى] تاسع عشره خلع على الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر بحكم وفاة الأمير إينال اليوسفى، وخلع على الأمير أيتمش البجاسى واستقر رأس نوبة النوب.

* * *

[وفى] ثالث شهر رجب قدم البريد مخبرا بقتل منطاش فلم يصح ذلك.

[وفى] حادى عشره اجتمع عدد من المماليك السلطانية ووقفوا تحت القلعة ينتظرون الأمير محمود الأستادار فلما مر عليهم سبوه ولعنوه وهموا بقتاله ورماه بعضهم بالأحجار من أعلى القلعة، فلما قرب من بيت الأمير أيتمش وسمع [أيتمش] بالقصة ركب لخلاصه من المماليك ففر غالبهم لما رآه وثبت البعض، فما زال بهم وألان لهم الخطاب حتى انصرفوا عنه وتوجه به إلى بيته فخمدت الفتنة (١).

[وفى] يوم الخميس رابع عشره خلع على تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر واستقر فى الوزارة عوضا عن الأمير محمود الأستادار بعد أن كفى الأمير محمود ديوان الوزارة وصرف فيه من ماله ستمائة ألف درهم فضة فراحت عليه ولم يعوض منها درهما واحدا، واستقر الأمير محمود على إمرته.

[وفى] تاسع عشريه كانت البشارة بزيادة النيل وأخذ قاع النيل، فكان سبعة أذرع وعشرين إصبعا.

* * *

[وفى] ثامن عشر شهر جمادى الآخرة مسك الصاحب كريم الدين عبد الكريم بن مكانس وسلم لوالى القاهرة.

* * *

(١) علق ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٣٥ على ذلك بقوله «إن هذا الحادث كان أول وهن دخل على الأستادار».

شهر رمضان

أهل بيوم الاثنين : خلع على الأمير كمشبغا الخاسكى الأشرفى واستقر فى نيابة الشام بحكم وفاة سودون الطرنطاى.

[وفى] سادسه — ثالث مسرى — أوفى النيل فركب السلطان وخلق المقياس وفتح فم الخليج ، وخلع على أصحاب العادات .

وفى عاشره ورد البريد مخبرا بأن أهل حلب تقاتلوا مع منطاش قتالا عظيما وأنهم كسروه وفر منهزما حتى عدى الفرات :

وفيه خلع على كمشبغا نائب الشام خلعة السفر وخرج بطالب عظيم وتجمل زائد .

[وفى] خامس عشره ركب السلطان من قلعة الجبل وتوجه إلى مدرسته التى أنشأها بين القصرين فزار أباه ورجع إلى القاعة .

وفيه أنعم على الأمير تغرى بردى من يشبغا بتقدمة ألف ، وأنعم بطبلخاناته على الأمير قلمطاى العثمانى وأنعم على شادى خجا بإمرة عشرين :

وفيه خلع على الأمير جمال الدين محمود واستقر أستادار العالية عوضا عن ركن الدين عمر بن قايماز بحكم إفصاله واستقراره فى إمرة طبلخاناه .

[وفى] سادس عشره خلع على بدر الدين محمود بن الطوخى واستقر فى وزارة دمشق عوضا عن الفخر عبد الرحمن بن مكانس ، وتوجه البريد لدمشق بإحضاره محتفظا عليه وعلى ولده مجد الدين فضل الله وعلى أخيه نصر الله

[وفى] ثانى عشريه ورد البريد مخبرا بأن الشام وقع فيها حريق عظيم فى يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان بجوار جامع بنى أمية ، وأن أهل الشام تلف لهم مال (١) كبير فيه .

وفى هذا الشهر تزايد الوباء فى البقر فأبيعت البقرة بعشرين بعد ماأبيعت بخمسمائة درهم ، ثم أفحش الموت فيـــه حتى أبيعت البـــقرة بخمسة دراهم ، ولم (٢) يبق أحد يأكل لحم البقر أصلا ؛

* * *

وفى سابع شوال رسم للسيد الشريف على بن عجلان - أمـــير مكة - بأشياء كثيرة جداً وهى : من الخيول أربعون فرسا خاصا ، ومن المماليك الأتراك عشرة مماليك ، ومن القمح ثلاثة آلاف إردب ، ومن الشعير بألف إردب ، ومن الفول كذلك ، وفرسان وجمل بقماش ذهب ، ورسم له باستخدام مائة فارس من الأتراك ويتوجه بهم صحبته إلى مكة ؛

وفى هذا اليوم قبض على تاج الدين بن سمحل وسلم إلى شاد الدواوين ليحمل مالا قرر عليه ؛

[وفى] خامس عشره صرف شيخ الشيوخ المشهور شيخ الإسلام أصلم ابن الشيخ نظام الدين الأصبهانى عن مشيخة (٣) سرياقوس ، ورسم لشاد الدواوين بتسلمه وأن يخلص منه مائتى ألف درهم ، وسبب هـــذا أن السلطان الملك

---

(١) فى الأصل « مالا كبيرا » .

(٢) فى الأصل « ولم بق » .

(٣) الوارد عنه فى النجوم الزاهرة ١٢/٣٨ أنه «صاحب الزاوية على الجبال تجاه باب الوزير» ، وعلق المرحوم محمد رمزى عليها ، حاشية رقم ١ ، بأنه بعـد إطالته البحث عن معرفة موقع هـذه الزاوية فى المصادر التى تحت يده « لم يعثر لهـا على ما يعـرفه حقيقتها » . وانظر أيضا إنباء الغمر ١/٤٣٧ - ٤٣٨ .

الظاهر لما حاربه يلبغا الناصرى وصعب أمره وعزم على الفرار منه استدعى شيخ الشيوخ هذا المذكور وأعطاه خمسة آلاف دينار واتفق معه أنه يختفى عنده، فاختفى هو من السلطان وضيّع المال، فلزم من هذا أن السلطان اختفى عند أبى يزيد، فلما قدر الله سبحانه وتعالى بعوده إلى المماكة أرسل إليه الأمير الدوادار يطلب منه الخمسة آلاف دينار فقال: «تصدقتُ بها على الفقراء والمساكين»، فلم يقبل السلطان منه ذلك ورسم للدوادار بإحضار المال منه، فألح عليه فى الطلب فقال له: «أخبر السلطان بأنه يعود فى صدقته وأنى لم آخذ منه المال وديعة»، فلما أعاد الجوابَ الدوادارُ على السلطان حنق حنقا شديدا وأسرها فى نفسه كما هى عادته، وصار منتظرا متوقعا لما يصدر منه، فقدر الله أن شخصا من التجار وقف لاسلطان يشكو على شيخ الشيوخ المذكور وادعى أنه أودع عنده أحمال قماش عدتها كذا وكذا خوفا من وزن مكسها وصار يطلبها منه فلم يدفعها إليه، فرسم بحضوره من خانقاه سرياقوس فتمثل بين يدى السلطان وغريمه إلى جانبه وسمع دعواه فاعتذر بأعذار باردة، فوثب عليه بعض الحاضرين وتكلموا فيه حتى إن بعضهم قال والسلطان يسمع: «هذا معه سحر فى يده يسحر به السلطان»، فكان ما كان من عزله وتسليمه إلى شاد الدواوين.

[وفى] سادس عشره أخلع على ناصر الدين بن ليلى واستقر فى نقابة الجيش عوضا عن أسندمر.

[وفى] ثامن عشره خلع على السيد الشريف فخر الدين ناظر البيمارستان واستقر فى مشيخة الشيوخ بخانقاه سرياقوس.

[وفى] (١٤٠) عشريه خلع على قاضى القضاة جمال الدين محمود العجمى واستقر ناظر الجيوش المنصورة عوضا عن كريم الدين عبد الكريم

ابن عبد العزيز مضافا لمـــا بيده من قضاة القضاة الحنفية ومشيخة المدرســة الشيخونية ، ولم يعهد مثل هذا فى دولة من دولة الملوك الأتراك بمصر .

[وفى] سادس عشريه نودى بزيادة النيل ثلاثة أصابع من عشرين ذراعا .

[وفى] سابع عشريه خلع على الأمير تانى بك اليحياوى واستقر أمــير آخور عوضا عن بكلمش العلائى ، واستقر بكلمش العلائى أمير سلاح.

[وفى] سلخه أشهر النداء بالقاهرة ومصر حسب المرسوم الشريف بأن ذوى العاهات : الجــذم والبرص والمجروحين الذين قطعت أيديهم بسبب السرقات يخرجون من القاهرة ومن تأخر منهم لحظة ووجد شنق بلا معاودة .

* * *

شهر ذى القعدة

أهل بيوم الجمعة .

[فى] ثالث عشرى توت عظمت زيادة النيل فوصل إلى إثنى عشر إصبعا من عشرين .

[وفى] سابعه أعيد بهاء الدين البرجى إلى حسبة القاهرة عوضا عن النجم الطنبدي وخلع عليه ، وأذن للنجم فى الحكم عن قاضى القضاة الشافعى .

[وفى] تاسعه توجه السلطان إلى سرياقوس للصيد والقنص على العادة .

[وفى] عاشره أعفوا القطعان (١) من خروجهم من القاهرة .

[وفى] ثالث عشره حضر ناصر الدين أحمد التنسى من ثغر الإسكندرية بطلب فخلع عليه ، واستقر فى قضاة القضاة المالكية ودخل القــاهرة من سرياقوس وهو لابس الخلعة .

(١) راجع أعلاه ، س ٦ — ٨ .

[فى] سادس عشره قبض السلطان على ستة مماليك وهو فى سرياقوس وأودعهم الحديد صحبة والى القاهرة بسبب أنهم مسكوا صبيا فعلوا فيه الفاحشة حتى مات :

[وفى] ثامن(١) عشره أنفذ أمر الله وقضاؤه فى عدة من الأمراء فقتلوا ، ومنهم : الأمير قرا دمرداش والأمير تغاى تمر نائب سيس :

[وفى] خامس عشرى ذى الحجة قدم مبشرو الحاج وأخبروا بسلامة الحاج وأمنه ، وأن سلطان مكة على بن عجلان تسلمها ، وأن عدة مراكب غرقت بجدة فيهـا أموال لا تحصى ولا تحصر من هبوب ريح عاصف ثار عليهم :

[وفى] سابع عشريه برز المرسوم الشريف لقاضى القضاة عماد الدين أحمد الكركى الشافعى بلزوم داره(٢) :

وفى هذه السنة ضرب الأمير محمود الأستادار فلوسا خفيفة بالإسكندرية ، فصار الناس فى نكد بمعاملتها :

* * *

ذكر من توفى فى هذه السنة من الأعيان ، خلا من قتل من الأمرا

١٥٨ — شهاب الدين أحمد بن محمد بن على الدنيسيرى المعروف بابن العطار الأديب الشاعر الفصيح البليغ [مات] فى سادس عشر ربيع الآخر :

١٥٩ — و[مات] الشيخ شهاب الدين الدفرى أحد نواب المالكية فى الثامن عشر من شهر ذى القعدة :

(١) فى النجوم الزاهرة ١٢/٣٨ «ثانى عشره» .

(٢) راجع إنباء الغمر ١/٤٥٠ .

١٦٠ ـ وتوفى الأمير الكبير الأتابكى إينال [بن عبد الله] اليوسفى وهو من المماليك اليلبغاوية فى رابع عشر[(١)] جمادى الآخرة ، وكان شجاعا مهابا .

١٦١ ـ وتوفى[(٢)] الأمير بطا [بن عبد الله] الطولوتمرى ، وأصله من المماليك الظاهرية برقوق فى نيابة الشام حادى عشرى المحرم بها ، وهو الذى خرج من سجن القلعة ومعه عدة من المماليك فقاتل بقيده حتى خلص ، وترقى إلى أن صار نائب الشام .

١٦٢ ـ ومات الأمير ماكتمر[(٣)] [بن عبد الله الناصرى] بطالا فى داره فى الحادى والعشرين من ربيع الأول ، وتولى عدة وظائف وصرف عنها[(٤)] ، وقاسى محنا وهو أنه تنقل فى الخدم فى أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين فأنعم عليه بتقدمة ألف بعد واقعة الأمير أسندمر إلى تاسع عشر صفر سنة تسع وستين وسبع مائة استقر رأس نوبة كبيرا ثم انتقل منها إلى أن صار أمير مجلس فى خامس عشر رمضان منها ، ثم نقل منها واستقر أستادارا فى حادى عشر المحرم سنة إحدى وسبعين عوضا عن عامدار المحمدى ثم نفى إلى صفد فى ثالث شهر ربيع الآخر منها واستقر نائبها ثم أحضر إلى القاهرة بعد قليل ورسم له بإمرة مائة واستمر إلى أن دخل صفر سنة خمس وسبعين فاستقر حاجب الحجاب بالقاهرة ، ثم تخلفن[(٥)] وتعطل ولازم بيته حتى توفى :

---

(١) فى النجوم الزاهرة ١٢ /١٢٨ « رابع عشرين » ، راجع الطباخ : إعلام النبلاء ، ٢ /٤٥٦ ، ٤٦٥ .

(٢) قيل إنه مات مسموما على يد الظاهر برقوق .

(٣) فى إنباء الغمر ١ /٤٤٢ « تلكتمر » ، وفى النجوم الزاهرة ١٢ /١٢٩ « ملكتمر » .

(٤) فى الأصل « عنهم » .

(٥) لعله يقصد بها أنه تخلف بها عن الترقى .

١٦٣ - ومات الأمير سودون الطرنطاى[١] نائب الشام فيها فى شهر شعبان وخلف أموالا إلى الغاية :

١٦٤ - وتوفى الشيخ الصالح المجذوب المعتقد [طاحة[٢] المغربى] فى المدينة بالقاهرة وكانت له جنازة حافلة اجتمع فيها عدد كبير من الأعيان والصلحاء ودفن خارج باب النصر ، وكان الملك الظاهر يعتقده اعتقادا زائدا ، حتى إنه أوصى عند موته أن يدفن تحت رجليه :

١٦٥ - وتوفى الشيخ الإمام الصالح العالم الفاضل عز الدين يوسف بن محمود ابن محمد الرازى العجمى الحنفى شيخ الخانقاه الركنية بيبرس وشيخ الشيخونية فى ثالث عشرى المحرم ، وقد أناف على السبعين سنة :

١٦٦ - وتوفى الشيخ الصالح الربانى السيد الشريف عبد الرحمن بن عبيد الحافى الطباطبى نديم السلطان وجليسه ، وأصل حرفته الأذان ، وتقرب عند السلطان وتمكن منه وصار الناس يعظمونه لأمرين ، الأمر الأول : لصلاحه وشرفه ، والأمر الثانى لقربه من السلطان ؛ حدث شمس الدين محمد بن عبد الله العمرى موقع الدست قال : « كنت فى خدمة جمال الدين محمود العجمى قاضى القضاة وناظر الجيش نركب يوما وأنا معه إلى دار الشريف عبدالرحمن المذكور فتلقاه وأدخله إلى داره واستعظم مجيئه إليه فبالغ محمود فى التأدب معه وقال له : يا سيدى أنا أستغفر الله تعالى مما وقع منى ، فقال : وما الخبر ياسيدى ؟ . قال : لما دخلت البارحة إلى السلطان وجئت أنت وجلست فوق أنفت نفسى من هذا فى سرى فقلت : كيف يجلس هذا فوقى ،

(١) أورد القلقشندى : صبح الأعشى ١٢/ ٣٩٠ ، ٣٩١ نص نسخة توقيع له بنظر الأمرى ونظر الأسوار .

(٢) لم يذكر المؤلف اسمه سهوا منه .

ومحلى فى الدولة كما قد عرفت ؟ وشق ذلك على ولم يشعر أحد من خلق الله بشىء من ذلك ، بل كان مما أحدث به نفسى ، فلما نمت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وهو يقول لى : يا محمود تستقل ابنى أن تجلس تحته ؟ فاستغفرت مما وقع منى وقد جئتك تائبا وأسألك الدعاء » ، قال : فبكى الجميع وكانت ساعة عظيمة إلى الغاية » .

١٦٧ـ وتوفى الصاحب الوزير الأديب فخر الدين عبد الوهاب بن شمس الدين محمد بن علم الدين إبراهيم بن مكانس القبطى ناظر الدولة بمصر ووزير الشام فى خامس عشر ذى الحجة (١) ، وكان مترفها رقيق الطبع كثير الذوق حسن الصوت ظريف الشكل مقبول الخلق .

١٦٨ـ وتوفى الشيخ القاضى علاء الدين على بن عيسى بن موسى بن عيسى ابن سليم بن حميد الأزرق المقيرى الكركى كاتب السر فى أول (٢) شهر ربيع الآخرة ، ودفن خارج باب النصر .

١٦٩ـ (٤٠ ب) ومات الشيخ علاء الدين على بن عبد الله بن يوسف ألبيري الحلبى الفاضل الكامل الأديب ، الكاتب المنشئ الناثر ، فى سابع عشر ربيع الأول مخنوقا ، رحمه الله تعالى .

(١) ورد هـذا التاريخ أيضا فى إنباء الغمر ١/٤٤٤ ، وفى شذرات الذهب ٦/٣٣٤ ، ولكن النجوم الزاهرة ١٣/١٣١ جعلته « خامس ذى الحجة » ، أنظر أيضا Wiet: Les Biographies du Manhal Safi. No. 1370. حيث سماه بعبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطى ، وأشارت النجوم ، نفس الجزء والصفحة ، إلى أنه يسمى باسمى عبد الرحمن وعبد الوهاب .

(٢) فى إنباء الغمر ١/٤٤٥ ، والنجوم الزاهرة ١١/١٣٢ « ربيع الأول » .

١٧٠ـ وتوفى الأمير الأجل عنقاء بن شطى أمير آل مرا [١] ، قتله الفداوية فى رابع شهر الله الحرام .

١٧١ـ وتوفى الأمير قطلوبغا الصفوى حاجب الحجاب فى أول ربيع الآخرة .

١٧٢ـ و [توفى] الأمير قطلوبغا الطقتمشى أحد الأمراء العشرات فى عاشر صفر .

١٧٣ـ وتوفى الشيخ بدر الدين محمد [٢] بن عبد الله المنهاجى الفقيه المفنن المشهور بالزركشى الشافعى صاحب التصانيف الفائقة المفيدة والفنون الرائعة البديعة فى ثالث شهر رجب .

١٧٤ـ وتوفى قاضى القضاة أبو عبد الله محمد الركراكى المغربى المالكى صاحب الواقعة مع منطاش فى ثالث عشر جمادى الأول ، وقد ناهز المائة عام ، وله قوة وشهوة إلى النساء .

١٧٥ـ وتوفى الشيخ شمس الدين محمد بن إسماعيل أمين الملك الحلبى الحنفى الأعور أحد النواب الحنفية فى رابع شوال .

١٧٦ـ وتوفى الشيخ المحدث الحافظ بدر الدين محمد بن محمد بن مجير المعروف بابن الصائغ وابن الشارف [٣] فى ثالث شهر ربيع الآخر .

---

(١) آل مرا بطن من بطون كهلان ، وأبوهم ربيعة الذى نشأ فى أيام عماد الدين زنكى وولده نور الدين ، وهم إخوة : فضل وثابت ودغفل ، وقد آلت الرياسة على طى آخر أيام الفاطميين لمرا بن ربيعة ، انظر القلقشندى : قلائد الجمان ، ص ٧٤ ، ٨٩ .

(٢) سماه إنباء الغمر ١/٤٤٦ ، وشذرات الذهب ٦/٣٣٥ بمحمد بن بهادر بن عبد الله المصرى الزركشى .

(٣) لم يرد هذا اللقب فى ترجمته بإنباء الغمر ١/٤٤٨ .

١٧٧ — وتوفى الأمير الوزير الناصرى محمد بن الأمير حسام الدين لاجين الصقرى المنجكى فى ثانى عشر صفر، وكان قد نهكه المرض وطالت علته وعزت أدويته :

١٧٨ — وتوفى قاضى قضاة الحنفية بحلب محمد بن تاج الدين إبراهيم ابن شنيكى بن أيوب بن قراجا بن يوسف القيصرى :

* * *

سنة خمس وتسعين وسبعماية من الهجـرة

* *

أهلت هذه السنة بيوم الأحد وهو أول المحرم :

[فى] ثانيه خلع على صدر الدين محمد بن إبراهيم المناوى وأعيد إلى قضاة القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن العماد أحمد الكركى بحكم صرفه[1] عنها، وكان له موكب عظيم وركب معه رفقته القضاة والدوادار وعدة من الأمراء إلى الصالحية[2] ثم إلى داره .

[وفى] تاسعه قبض على الوزير الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر وقرر عليه أموال جزيلة يحملها .

[وفى] حادى عشره خلع على الوزير الصاحب موفق الدين أبى الفرج واستقر فى وظيفة الوزارة وكان له يوم مشهود :

[وفى] ثالث[3] عشره قدم البريد من الشام مخبرا بوفاة نائبها الأمير كمشبغا الخاصكى الأشرفى فرسم السلطان بنيابة الشام للأمير تانى بك الحسنى المعروف

---

(١) كان صرفه عن القضاء فى السادس والعشرين من ذى الحجة من السنة الماضية، راجع فى ذلك إنباء الغمر ١/٤٥٠ .

(٢) يقصد بذلك المدرسة الصالحية النجمية .

(٣) فى النجوم الزاهرة ١٢/٣٨ « ثالث المحرم » .

بتنم أتابك العساكر بدمشق ، وجهـز له تشريفه وتقليـده ، ورسم بإمرته لفخر الدين إياس الجرجاوي نائب طرابلس ، ورسم لدمرداش المحمدي نائب حماة أن يستقر نائب طرابلس ورسم لآقبغا الصغير بنيابة حماة .

وفيه وصل الخبر من الحجاز بأن أمير ركب الشام المسمى جنتمر التركماني هجم المدينة الشريفة على السادة الأشراف ليأخذ منهم صقراً يصاد به وفهداً ، فدافعوه مرارا فلم يقبل ذلك وقتل منهم اثنين من الشرفاء ، وكادت الفتنـة تشتعل لولا أن الأمير ثابت بن نعير أمير المدينة ركب في جمع كثير حتى كفوا عن القتال ، وأما الشريف علي بن عجلان فإنه قبض على سبعين من بني حسن بمـكة .

وفيـه حضر محمد بن قارا [التركماني] ومملوك نائب الشام على البريد وأخبرا بأن منطاش ونعيراً أمير العرب وابن بردغان(١) التركماني وابن إينـال التركماني قدموا بعساكرهم وهم(٢) في غاية ما يكونون من الكثرة إلى سلمية ، وأن محمد بن قارا هذا المذكور لقيهم على شيزر بالتركمان فتقاتلوا قتالا عظيما فقتل ابن بردغان وابن إينال ، وأما منطاش فإنه حلق ذقنـه وشواربه حتى لا يعـرف ومع ذلك عرف وجرح جرحا منكرا حتى سقط عن ظهر فرسه إلى الأرض فأدركه ابن نعير وأردفه خلف ظهره وانهزما بعد أن قتل بينهما خلائق كثيرون ، وتوجهوا برأس ابن بردغان ورأس ابن إينال إلى دمشق على رمحين فشهرا بها ثم علقا على القلعة .

[وفي] سلخ هذا الشهر أسفر الحاج محمد مهتار الركبخاناه عوضا عن الحاج خليل المهتار وخلع عليه .

---

(١) في النجوم الزاهرة ١٢/٣٩ « بزدغان » بالزين .

(٢) في الأصل « وهي في غاية ما يكون » .

[وفى] ثامن شهر صفر حضر البريد مخبرا بأن منطاش ونعير بن حيـار وما معهما من العساكر كبسوا حماة فقاتلهم نائب حماة ونائب طرابلس قتـال الموت فانكسروا لكنهم نهبوا البلد ، فلما بلغ جلبان نائب حماة هذا الأمر ركب بعساكر حلب وتوجه إلى بيوت نعير فنهب ما وصل إليه من مال وخيـل وقماش وجمال وخدم ونساء وأطفال وأشعل النار فى بقيـة بيوته ، وأكمن له كمينا لاحتمال أن يبلغه الخبر فيدهمه بخيله ورجله ، فما هو إلا أن سمع بأنه نزل بيوته فجمع الجموع وقصد كبس جلبان فخرج عليه الكمين ، فقتل من العرب خلق لا يعد ولا يحصى ، وقتل من عساكر حلب نحو المائة فارس وعدة من أمرائهـا .

[وفى] عاشره رسم بالإفراج عن الأمير ألطنبغا المعلم ونفيه إلى دمياط وأفرج أيضا عن قطلوبغا السيفى الذى كان حاجبا فى أيام منطاش .

[وفى] رابع عشره ورد البريد من غزة مخبرا بوفاة نائبها يلبغا الأشقر الأشـقتمرى .

[وفى] تاسع عشريه خلع على الأمير قلمطاى واستقر دوادارا عوضا عن أبى يزيد بحكم وفاته .

[وفى] رابع عشر شهر ربيع الأول خلع على ألطنبغا العثمانى ، واستقر فى نيابة غزة وسار إليها من يومه ، وأنعم على تمراز الناصرى رأس نـوبة بطبلخاناة ألطنبغا العثمانى ، وأنعم على شرف الدين موسى بن قمارى أمـير شكار بإمرة عشرة عوضا عن تمراز زيادة على إمرة عشرين بيده .

وفى هذا اليوم حصل للسلطان ضعف فى جسده وصار يتزايد فانحطت قواه ، فعالجه[1] الأطباء ، وكثر الإرجاف بموته وتصدق [السلطان] بمـال

(١) فى الأصل « فعالجوه » .

على الفقراء والمستحقين ، وفى سادس عشريه برئ من علته فاستبشر الناس بعافيته ونودي فى القاهرة ومصر بالزينة وجلس السلطان للحكم بين الناس فى يوم الأحد المبارك سابع عشريه على عادته فسر الناس بذلك سرورا عظيما ، وأصبح من الغد فركب وشق القاهرة من باب النصر لأنه كان فى نزوله مر على الصحراء وخرج من باب زويلة فدخل إلى بيت الأمـير الكبير أيتمش لعيادته بسبب ضعف بدنه ، ثم صعد إلى القلعة فقبض على الأمير ناصر الدين محمد بن آقبغا آص — كاشف الجيزة — بعد أن ضرب بين يديه بالمقارع ، وسبب هذا (١٤١ ا) أنه ظلم العباد والفلاحين فشكوه إلى السلطان ففعـل به ما ذكرناه ، وآخر أمره سلم إلى ابن الطبلاوى ؛ وخلع على الأمير يلبغا المجنون الأحمدي الظاهرى واستقر فى كشف الوجه البحرى عوضا عن قطلوبغا الطشتمري بحكم عزله ، وخلع على قطلوبغا المذكور واستقر فى كشف الجيزة عوضا عن ابن آقبغا آص .

[وفى] رابع شهر شعبان نقل ابن آقبغا آص من بيت الوالى إلى بيت الأمير جمال الدين محمود الأستادار ليأخذ منه مائة ألف درهم. ثم إن جماعة من الفلاحين وأهل البلاد وقفوا للسلطان فى يوم الأحد سابعه وشكوا منـه أفعالا قبيحة أوقعها فيهم من أخذ نسائهم وأولادهم وخدمهم فطلب وحاققوه على ذلك وعلى أموال اقتطعها منهم بغير حق ، فضرب عند ذلك بالمقـارع ضربا مبرحا وسلم إلى والى القاهرة لتخلص منه أموال المسلمين ، فضربه الوالى مرارا بحضرة أخصامه .

[وفى] ثانيه أخذ قاع النيل فكان ستة أذرع وثانى عشر إصبعا .

وفى هذا اليوم أخلع على أسندمر العمري واستقر نقيب الجيوش المنصورة ، وكان والى بلبيس .

[وفى] ثانى عشريه خلع على برهان الدين إبراهيم بن نصر الله واستقر فى قضاء القضاة الحنابلة بالديار المصرية عوضا عن والده بحكم وفاته .

[وفى] سابع عشريه حضر عامر بن ظالم [بن حيار] بن مهنا ولد أخى الأمير نعير ، فقد حصل بينه وبين عمه تشاجر وغضب وصار من جملة أعدائه ، فقربه السلطان وأدناه وأجلسه وخلع عليه .

وفيه ورد البريد من دمشق مخبرا بأن ولدى(1) نعير فارقاه مغضبين منه لقيامه بنصرة منطاش ، وحضر فى خدمتهما عدة من العربان الأكابر ، واسم أحدهما أبو بكر والآخر عمر .

[وفى] تاسع عشريه قدمت رسل ألقان طشتمر ملك الدست وتمثلوا بين يدى المقام الشريف وعلى يدهم كتاب يتضمن الشكر والدعاء والثناء بدوام السلطان ، فأكرمهم السلطان وأنزلهم وأحسن(2) إليهم .

* * *

شهر رمضان

أهل بيوم السبت .

ثالثه يوم الاثنين وصل البريد من حلب مخبرا بأن الأمير جلبان نائب حلب مازال يبذل وسعه وطاقته حتى وقع بينه وبين نعير الألفة والصحبة المتزايدة وأنه وعده بالقبض على منطاش وتجهيزه إليه ، وأن جلبان حلف له

(1) واسمهما أبو بكر وعمر ، ويعلل ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٤٥٢ جنوحهما إلى طاعة السلطان بأنهما ملا الحرب وكرها ما كان عليه منطاش من هوج ، وكان هذا الموقف منهما حاملا أباهما على الإذعان هو الآخر للطاعة مما دعى السلطان لإرسال خلعة الرضى عليه مع يلبغا السالمى .

(2) الوارد فى إنباء الغمر ١/٤٥٢ أن تمرلنك أرسل للظاهر الرسل « يظهر له الوداد ويبعث الكتب على لسان طقتمش خان سلطان الدست » .

ووعده بإعادة إمرة العرب إليه، فلما وثق جلبان نائب حلب من نعير بقبض منطاش جهز إليه كمشبغا شـاد شراب خاناته فى خمسة عشر فارسا ، فنزل فى بيوت نعير وعلم ماذا يروم ، فأمر عبدا من عبيده كالأسد الضرغام أن يستدعى منطاش فذاق الكأس وعرف أنه مقبوض عليه وأراد الفرار فوثب العبد فقبض عليه وأخذ بعنان فرسه وإذا بالعبيد تكاثروا عليه فأنزلوه من ظهر الفرس وقبضوا على سيفه فأخذوه ، فخطف سكينا فضرب نفسه بها أربع ضراب فأغمى عليه حتى كاد يموت ، وحمل إلى كمشبغا وصحبته فرسه وأربعة جمال ، فسار به من فوره ومعه أربعمائة فارس من عرب نعير حتى دخلوا به إلى حلب فكان يوما مشهودا وحبس بقلعتها ، ففرح السلطان وأظهر السرور وأنعم على كمشبغا المذكور المبشر بخمسة آلاف درهم فضة وقباء مطرز ذهب ، وتوجه إلى سائر الأمراء وأعيان الدولة وبشرهم بذلك فأخلعوا عليه ، ورسم بدق البشائر بقلعة الجبـل فدقت ثلاثة أيام وأشهر النداء فى القاهرة ومصر بزينتهما ، ونودى من الغد بأن منطاش قبض عليه .

[وفى] خامس شوال ندب الأمير طولو من على باشاه — أحـد الأمراء العشرات — للسفر على البريد لإحضار منطاش ، فتوجه إلى حلب فعاقبـه وقرره وعصره وأهلكه بالعقوبة ليقر على مال له فلم يقر بشىء فذبحه وحمل رأسه على رمح وأشهرت فى حلب وسائر بلاد الشام إلى أن وصلت صحبـة المذكور إلى قلعة الجبـل ، وفى يوم الجمعة حادى عشريه علقت على باب القلعة ثم أخذت فوضعت على رمح وأشهر عليها النداء بمصر والقـاهرة ثم علقت على باب زويلة بالقاهرة، ثم وضعت وسلمت إلى أم ولده وزوجتـه فدفنوها فى سادس عشريه ، ويوم وضعها من باب زويلة فكوا الزينة وتوجه يلبغا السالمى على البريد إلى ابن نعير .

وفى هذا الشهر هجم الفرنج بمراكبهم على ناحية نستراوة وهم [فى] أربعة غربان فسبوا ونهبوا واستمروا[1] ثلاثة أيام .

[وفى] تاسع عشريه أوفى[2] النيل ستة عشر ذراعا ويوافقه من القبطى سادس عشر مسرى ، وركب السلطان إلى المقياس وفتح الخليج على العادة ، وكان له يوم مشهود .

ووصل رسل متملك دهلك وعلى يدهم هدية سنية فقبلت وهى : فيل وزرافة وعدة من الجوارى والخدام والقماش وغير ذلك من الأصناف ، فأكرموا وأنزلوا فى دار أعدت لهم وقرر لهم ما يكفيهم .

[وفى] يوم الاثنين سادس‌عشر شوال برز المحمل إلى الحجاز وأميره فارس من قطاو شاه أحد الأمراء الطبلخانات ، وابتدأ الناس يشرعون فى عمائر كثيرة على الكبش .

[وفى] تاسع عشره وصل رسول صاحب ماردين الملك الظاهر مجدالدين عيسى وعلى يده كتاب مضمونه أن تيمور كوركان ملك تبريز واستولى عليها وأنه أرسل إليه يستدعيه إلى بين يديه فاعتذر له أن حضوره ما يمكن لأجل مشاورة سلطان مصر فلم يلتفت إلى هذا القول وقال : « ليس سلطان مصر أنتم داخلون فى حكمه حتى تشاوروه » ، وأنه جهز إليه بخلعة يلبسها نائبا عنه وبسكة عليها اسمه تنقش بها الدراهم والدنانير ، وأمره أن يدعى له على المنابر « فماذا يكون الأمر وقد التجأت إليك وعولت أمرى على الله ثم عليك ؟ » .

(١) راجع إنباء الغمر ١ / ٤٥٤ .

(٢) الوارد فى التوفيقات الإلهامية ص٣٩٨ وتقويم النيل ١ /١٩٦ أن غاية الفيضان بلغت ١٧ ذراعا وعشرين قيراطا ، ويستفاد أيضا أن أول شوال من هذه السنة يوافقه ١٧ مسرى مما لا يتفق وما هو وارد بالمتن .

وفيه وصل رسول متملك بسطام مخبرا بأن تيمورلنك قتل شاه منصور متملك شيراز وأرسل برأسه إلى بغداد وأرسل صحبتها السكة والخلعة للسلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد فما ساعه إلا أن لبس الخلعة وضرب السكة والخطبة باسمه « وما لى حياة أفعلها ولا لى أحد إلا الله تعالى ثم (٤١ ب) السلطان » .

ثم إن تيمورلنك تملك بغداد فى يوم السبت حادى عشريه ، وسببه أن سلطان أحمد بن أويس كان بالغ فى إتلاف مهج أمرائه وكذا فى ظلم الرعية ، وغرق فى بحر المعاصى وارتكاب المحظور ، فكاتب أهل بغداد تيمور بعد أن استولى على تبريز يحسنون له بغداد ويحببون له أخذها بل ويحثونه على ذلك ، ويصفون له ما يقاسونه من سلطانهم ، فقدم عليهم [تيمور] بعساكر كالظلام الأسود وعَدد وعُدد لا تحصى ولا تحصر ، حتى وصل إلى الدربند ، وبينها وبين بغداد مسيرة يومين ، فبلغ ذلك ابن أويس فأرسل إليه(١) الشيخ نور الدين الخراسانى يسأله فى الكف عنهم ، وأن ابن أويس نائبه ويجهز له ما اختار من الأموال ، فتلقاه بالإكرام والاحترام وقال له : « لأجلك ما بقيت أنزل ببغداد » ورجع ، فأرسل نور الدين إلى ابن أويس كتبه بالبشارة وأخبره بما وقع مفصلا فسر بذلك ؛ وقد أظهر تيمور خلاف ما أبطن وذلك أنه سار إلى بغداد من طريق أخرى غير الطريق التى حضر إليه منها الشيخ نور الدين الخراسانى ، فلم يستيقظ سلطان أحمد بن أويس إلا وتيمورلنك قد وصل بخيله ورجله ، فنزل غربى بغداد قبل وصول الشيخ نور الدين ، فتحير عند ذلك ابن أويس ورسم بقطع الجسر ورحل ليلة السبت بأمواله وأولاده وقت السحر وترك بغداد فدخلها تيمور واستولى عليها وعلى أموالها ، وجهز ولده

(١) يعنى إلى تيمور .

فى إثر ابن أويس فى جموع عظيمة فاحقه بالحلة فأخذ ماله وهتك حرمه وقتل غالب من معه وأسر ، ولم ينج إلا ابن أويس فى عدد قايل وهم حفاة عراة ، فتوجهوا إلى حلب وتلاحق بهم من بقى من أتباعهم .

[وفى] ليلة الجمعة عشاء الآخرة عشريه أول(١) توت القبطى أمطرت السماء بالقاهرة مطرا غزيرا كثيرا زائدا حتى صار الناس يخوضون فى الميـــاه إلى ركبهم وهدمت منه دور كثيرة ولم يعهد مثل هذا المطر بمصر .

[وفى] يوم الخميس ثالث شهر ذى القعدة قدم البريد من البلاد الشامية مخبرا بأن تيمور لنك تملك بغداد .

[وفى] رابعه قدم البريد مخبرا بأن سلطان أحمد بن أويس مقيم على الرحبة(٢) فى نحو ثلاثمائة فارس ، وحضر [الـــبريد] من ابن أويس بكتاب للسلطان مضمونه : « إنه من جملة مماليك السلطان ومن المحسوبين عايه ويسأل الصدقات الشريفة فى شمول نظره والوصية عايه إلى أن يتمثل بين يدى المواقف الشريفة » ، فأعيد جوابه بما يرومه ، وكتب للأمير نعير بإكرامه واحترامه والقيام بمـــا يليق به من الخدمة والعايق والضيافة ، فعندما وصل كتاب السلطان إلى الأمير نعير توجه إليه ، وعندما وقع نظر سلطان أحمد بن أويس على نعير نزل عن فرسه هو ومن فى خدمته ، وقبـــل الأرض بين يديه وحمله إلى بيوته فأضافه وأكرمه غاية الإكرام وبالغ فى خدمته ، ثم سيره إلى حلب وفى خدمته أحمد ابن شكر فى نحو من ألفى فارس ، فلمـــا دخل إلى حلب خرج للقائه نائبها الذي هو الأمير جلبان وأنزله بالميـــدان ورتب له ما يليق به ويكفيه وزيادة

(١) يتفق هذا التاريخ مع ما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٨ .

(٢) حين نزل أحمد بن أويس على الرحبة أكرمه نعير وأنزله فى بيوته ، راجع إنباء الغمر ١/٤٥٣ .

من الضيافات والعليق وأمثـــال ذلك ، وكتب مطالعته للمواقف الشريفـــة بمضمون ذلك ومن جملتها أنه تشفع فى الأمير نعـــير – فإنه ضمن له إعادة الإمرة وفى أحمد بن شكر .

وأما ســـلطان أحمد بن أويس فكتب بتقبيل الأرض بين يدى السلطان ويسأل فى الحضور بين يدى المواقف الشريفة ، فجمع السلطان الأمراء وأعيان الدولة وشاورهم فى حضور سلطان أحمد بن أويس فوافقوا على حضوره ، فندب السلطان الأمير أزدمر أن يخرج للحضور به ، وجهز معه من الدراهم الفضة ثلاثمائة ألف ، ومن الذهب ألف دينار برسم النفقة عليه خارجا عن ما كتب للنواب بخدمته من جميع ما يحتاج إليه .

[وفى] رابع عشريه ركب السلطان من قلعة الجبل فتوجه إلى مطعـــم الطيور وأقام يسيرا ثم شق القاهرة وصعد إلى القلعة .

[وفى] سادس عشريه سار الأمير أزدمر على البريد ليحضر بابن أويس :

وفى هذا اليوم سُلم الصاحب تاج الدين إلى الوالى فبالغ فى ضربه بالمقارع حتى صار دمه كالميـــاه فى ثوبه متلطخا به وأهانه إهانة زائدة حتى إنه صار راكبا حمارا وفى رقبته الحديد وأثوابه ملطخة بدم نفسه وهو مرمى على قوارع الطريق وعلى دور الأكابر ليقترض منهـــم مايسد به ما طلب منه فى هـــذه المصادرة ، وكل ذلك فى وسط النهار ، فسبحان الحليم الستار .

* * *

وفيه وصل رسل أبى يزيد بن عثمان ملك الروم صحبة الأمير حسام الدين حسن الكجكلى ، وعلى يد الرسول كتاب يتضمن الدعاء والشكر والثناء على السلطان وأنه ضعيف ، ويسأل الصدقات الشريفة أن يجهز إليه طبيب حاذق علّ أن يكون على يده الشفاء ، وصحبتهم هـــدية سنية من جملتها بازَ أبيض

غريب الشكل ، فندب السلطان الطبيب شمس الدين محمد بن صغير إلى سفرة لابن عثمان وأنعم عليه بما يكفيه ، وجهز معه من الأدوية والعقاقير أشياء كثـــيرة .

ووردت الأخبار عن تيموركوركان أنه لــما تملك بغداد ظلم أهلهــا وأفحش فى ظلمهم ، وأنه صادرهم ثلاث مرات وفى كل مرة يأخذ منهـــم ألف تومان وخمس مائة تومان ؛ والتومان عبارة عن ثلاثين ألف دينار مراقبة وجملة ذلك مائة ألف ألف وخمسمائة ألف وثلاثون ألف ألف دينار ، ولــما صفاهم وأيس من أخذ مالهم صار يعاقبهم بأنواع العقاب الأليم الشديد لعنـــه الله وأخزاه ؛ فمن جملة عقوبته لهم أن صار يشويهم على النار كما يشوى الطائر الأوز أو الطائر الدجاج ، وسلبهم أموالهم حتى صاروا يخرجون فيلتقطون من الطريق الخرق ليستروا بها عوراتهم ؛ ثم أرسل ولده إلى الحلة فأوقع فيهم السيف يوما وليلة ، وأشعل النار فيها حتى صارت كوما ، وعُد من قتـــل فى عقوبته من أهل بغداد فكانوا ثلاثة آلاف نفس ، ثم إن تيمور — لعنــه الله — أرسل من بغــداد العساكر إلى جهة البصرة فالتقوا بالأمير صالح بن خولان فتحاربوا معه فكسرهم وقتل منهم خلقا كثيرا ، وأسر ابن تيمور ، فجهز إليه عسكرا كثيفا إلى الرحبة فظفر بهم صالح أيضا وكسرهم ، ولله الحمد والشكر على ذلك .

وفيه وصل الخبر من مكة المشرفة أن جماز بن هبة حضر إلى المدينة الشريفة فقاتله ابن عمه الشريف — ثابت بن نعير — فقتل بينهما جمع كثير ، وإلى الله المصـــير .

شهر ذى القعـــدة

[فى] مستهله : أفرج عن الصاحب ابن أبى شاكر (٤٢ ا) وتوجه إلى داره فخدمه (١) المباشرون والأعيان ، وقرر له من اللحم والخبز والمعلوم مايكفيه على جهات الدولة كما هى العادة عندهم .

[وفى] سادس عشره ركب السلطان بعسكره وتوجه إلى سرياقوس لصيد الكراكى والغزلان وما أشبه ذلك من الحيوانات ، فوصل البريد مخبرا أن الأمير يونس نائب الكرك ركب فى عشرة مماليك وخرج ليأخذ أغناما من العشير ، فلما أراد أخذها واحتاط على عشرة منها وثب عليه العشران فإنه كان قد خرج إليهم بغير عسكر فقتلوه وأخذوا خيوله وخيول مماليكه بعـــد أن أطلقوهم عراة .

[وفى] ثامن عشره برز المرسوم الشريف لتنكز باى العثمانى بإمرة حلب ورسم له أن يقيم بها فخرج من فوره .

[وفى] خامس عشريه قدم مبشرو الحاج وأخبروا بالسلامة والأمن ، وأن السنة لم يحج أحد من أهل العراق .

[وفى] تاسع عشريه أشهر النداء بالقاهرة ومصر وضواحيهما بتجهيز الناس للسفر لأجل قتال الخارجى الذى هو تيمورلنك فإنه قاصد أخذ البـــلاد وقتل العباد وسبى الحريم وقتل الأطفال وإحراق الديار ، فصرخ الناس واشتد بكاؤهم وكثر إرجافهم وكان يوما شنيعا فظيعا .

وفى هذا اليوم وصل خبر من القدس الشريف هو أن أربعة من الرهبان النصارى برزوا بمدينة القدس وصاروا يجهرون بطلب العلماء والفقهاء للمناظرة

(١) فى الأصل « نخدموه » .

فاجتمع الناس لهم فصاروا يصرحون جهرا بسوء المقال من ذم المسلمين والملّة الإسلامية ويزدرون القائم بها ، ويزعمون - لعنهم الله - أنه كذاب وساحر ومجنون ثم يقولون : « الحق دين عيسى » ، فعند ذلك أمروا بالإسلام فامتنعوا وأصروا على ما قالوا به ، فقتلوا شر قتلة ثم حرقوا بالنار وكان لهم يوم مشهود.

* * *

ذكر من توفى هذا العام من الأعيان

١٧٩ - الصارم إبراهيم بن الأمير طشتمر الدوادار ، توفى فى خامس شهر رمضان بثغر الإسكندرية .

١٨٠ - والقاضى شهاب الدين أحمد بن الضياء محمد بن إبراهيم المناوى الشافعى ، أحد نواب الشافعى[(١)] وشيخ الجاولية[(٢)] ، كانت وفاته فى ثامن عشرى ربيع الآخرة[(٣)] .

١٨١ - شهاب الدين أحمد بن محمد بن مخلوف الحنفى نقيب قضاة القضاة الشافعية ، توفى فى العشرين من شهر رجب .

١٨٢ - زين الدين أبو بكر بن عثمان بن العجمى الأديب الشاعر المجيد[(٤)] ، المنشئ الكاتب الذكى ، [كانت] وفاته سادس عشر ذى الحجة .

(١) القاضى الشافعى المقصود هو ابن عمه صدر الدين .

(٢) الخانقاه الجاولية من إنشاء الأمير سنجر الجاولى سنة ٧٢٣ وتقع على جبل يشكر بجوار مناظر الكبش فيما بين مصر والقاهرة وعمل بها درسا وصوفية ، كما أقام بجوارها دارا لنفسه ، وكان سنجر ولوعا بإقامة المبانى الرائعة فله بغزة جامع وحمام ومارستان ، وله بالخليل جامع ، وبقاقون خان ومثله فى رسلان وفى بيسان ، انظر الخطط للقريزى ٢/٣٧٩ ، ٤١٢ .

(٣) ورد ربيع الآخر فى الدرر الكامنة ١/٢١٤ ، ولكنه « ربيع الأول » فى شذرات الذهب ٦/٣٣٨ ؛ هذا وقد اختلفت نسخ إنباء الغمر فى تحديد أى الربيعين ، انظر إنباء الغمر ١/٤٥٩ وحاشية رقم ١ .

(٤) أوردت الدرر الكامنة ١/١١٩٨ والنجوم الزاهرة ١٢/١٣٥ بعض شعره الذى وصفه ابن حجر فى إنباء الغمر ١/٤٦٧ بأنه كان وسطا .

١٨٣ ــ الأمير الأجل زين الدين أبو يزيد[(١)] بن مراد الخازن دوادار السلطان ، كان له خير للفقراء وإحسان ، توفى فى سابع[(٢)] جمادى الآخرة وكان بينه وبين السلطان محبة ومودة لاسيما فى غيبته فى قضية الناصرى فحضر السلطان جنازته وصلى عليه .

١٨٤ ــ وتوفى الحاج صبيح الغواص مهتار الطشطخاناه ، وكان مقربا عند السلطان فى ثامن عشرى ربيع الآخرة .

١٨٥ ــ وتوفى الوزير الصاحب شمس الدين أبو الفرج عبد الله المقسى فى رابع شهر شعبان ، وله من المحاسن ــ وإن كان قبطيا ــ الجامع[(٣)] الذى أنشأه على الخليج وقرر فيه الخطبة والإمام والأيتام وغير ذلك من أنواع القــرب ، ودفن فيه[(٤)] ويكفيه .

١٨٦ ــ ومات علم الدين عبــد الله بن الصاحب كريم الدين أبى شاكر ابن الغنام ناظر البيوتات فى ثامن شهر ربيع الأول .

١٨٧ ــ وتوفى الأمير قطلوبغا الأسنقجاوى المشهور أبو درقة كاشف الوجه البحرى ، وكان له شجاعة ومخاطرات .

---

(١) انظر النجوم الزاهرة ١٢/١٣٥ .

(٢) فى النجوم الزاهرة ١٢/١٣٥ « رابع » الشهر ، أما إنباء الغمر ١/٤٦٨ فقــد جعلت وفاته فى رجب من هذه السنة .

(٣) أنشىء جامع المقس أيام الدولة الفاطميــة فى مصر زمن الحـاكم بأمر الله وهو على شاطىء النيل ، وقد أقام صلاح الدين الأيوبى إلى جواره برجا كبيرا عرف بقلعــة المقس وذلك بعناية بهاء الدين قراقوش الأسدى ، لكن حدث فى ســنة ٧٧٠ هـ أن قام الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى بهدم القلعة وجعل مكانها جنينة فأشاعت العامة أنه وجد مالا كثيرا مخبوءا عمر المسجد منه ، ومن ثم أطلقوا عليه جامع المقس ، أنظر الخطط ٢/٢٨٢ – ٢٨٣ .

(٤) أى فى الجامع .

١٨٨ — وتوفى الشيخ صلاح الدين محمد [بن الأعمى](1) الحنبلى الضرير فى ليلة الأربعاء سادس ربيع الآخرة وكان مستحضرا أصول مذهبه وفروعه .

١٨٩ — ومات الأمير محمد(2) بن آقبغا آص شاد الدواوين وهو من بيت كبير من الإمارة ، توفى فى أيام الملك الأشرف شعبان فى حياة أبيه إلى أن أنعم عليه بإمرة طبلخاناه ، ثم إنه تجاهر بالمعاصى والمنكرات فسخط عليه أبوه فخرجت عنه الإمرة وصار معطلا فعق أباه ونقل عنه أمور فظيعة شنيعة فى عقوقه(3) لأبيه نعوذ بالله منها ، ثم إنه سافر إلى اليمن ورجع إلى القاهرة فولى شاد الدواوين ، وأضيف له إمرة عشرة ، ثم عوقب عقوبة عظيمة ، وكان من شرار خلق الله ومن مساوئ الدهر [مات] فى يوم الأربعاء ثامن عشرى شوال.

١٩٠ — وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن أشقتمر الخوارزمى والى قطيا ووالده(4) ، ومستراح منهما .

١٩١ — وتوفى شيخ الخدام بالحرم الشريف النبوى — على ساكنه أفضل الصلاة والسلام — المسمى بمقبل الطواشى الرومى وهو من خدام الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن محمد بن قلاوون ، وكان جمداره وترقى فى الخدم وصار من أخصاء الأمير شيخون العمرى حتى توفى ، وخدم السلطان الملك الناصر حسن وجاور بالمدينة الشريفة وأقام بها وصار نائبا عن افتخار

---

(١) الإضافة من النجوم الزاهرة ١٢ / ١٣٨ وشذرات الذهب ٦ / ٣٤١ وإن حذف المرجع الأخير كلمة «ابن» منه وجعل وفاته فى ربيع الأول .

(٢) سمته النجوم الزاهرة ١٢ / ١٣٦ بمحمد بن الأمير علاء الدين آقبغا آص ، أما الإنباء ١ / ٤٦٤ فسمته « بمحمد بن محمد بن آقبغا آص » .

(٣) فى الأصل « عقوه » .

(٤) أى أن والده توفى فى هذه السنة أيضا .

الدين الطواشي ياقوت[(١)] الرسولي الخازندار المالكي الناصري شيخ الخدام إلى أن توفي فاستقر في وظيفته ، وكان رجلا صالحا ساكنا .

١٩٢ — وتوفي قاضي القضـــاة ناصر الدين أبو الفتح نصر الله بن أحمـــد ابن محمد بن أبي الفتح بن هاشم بن إسماعيـــل بن إبراهيم الكناني العسقلاني الحنبلي في ليلة الأربعاء حادي[(٢)] عشرى شهر شعبان ، وكان من خيار عصره وفضلائهم مع الدين المتين والطريق المبين والعلم واليقين ، رحمه الله .

١٩٣ — و[توفي] الشيخ نجم الدين محمد بن جماعة خطيب القدس في يوم الأربعاء تاسع ذى القعدة وكانت له جنازة[(٣)] حافلة .

١٩٤ — ومات سعد الدين إبراهيم بن عبد الوهاب بن النجيب أبي الفضائل القبطي الميموني كاتب العرب ومباشر ديوان الجيوش وكان عاقلا يظهر محبة أهل العلم وإكرامهم .

* * *

(١) ذكرت الدرر الكامنة ٥/٤٩٧٩ أنه كان مواظبا على سماع الحديث وملازمة الصـلاة ولم يتناول أجر خدمته في قلعة الجبل إلا من الجزية تورعا .

(٢) خلت إنباء الغمـر ١/٤٦٥ والدرر الكامنة ٥/٤٩٢٩ وشـذرات الذهب ٦/٦٣٦ من تحديد يوم وفاته ، ولكن الإنباء نقلت عن القاضي تقي الدين الزبيري أنه مات يوم النصف من شعبان .

(٣) يستفاد من إنبـاء الغمر ١/٤٦٣ ، والسلوك ، أن وفاته ودفنـه كانا بالقاهرة لا بالقدس .

سنة ست وتسعين وسبعماية

* * *

(٤٢ ب) أهل شهر الله المحرم بيوم الخميس[1] والسلطان الملك الظـاهر بعساكره فى قصور سرياقوس للصيد والقنص إلى رابعه رجع إلى القلعـة فى موكب جسيم فكانت مدة إقامته بسرياقوس ثمانية عشر يوما .

[وفى] سادسه غضب السلطان على الأمير فرج شاد الدواوين وقبض عليه وألزم أن يحمل مالا للذخيرة .

[وفى] سابعه رسم للأمير شهاب الدين ابن الشيخ على أحـد الأمراء بدمشق أن يستقر نائب الكرك وجهز له التشريف .

[وفى] ثامنه رضى السلطان على الأمير فرج شاد الدواوين وأخلع عليه باستقراره على عادته .

[وفى] تاسعه ركب السلطان من قلعة الجبل إلى بحر النيل فعدى منـه إلى بر الجيزة فتصيد وأكل وشرب وعاد فى يومه .

[وفى] عاشره وصل الحاج محمد وزير متملك ماردين على البريد مخبرا بأن الأكراد انضموا إلى تيمور وصاروا من أتباعه وانقادوا له .

(١) فى الأصل « الاثنين » وقـد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٨ ، ويؤيد هذا ما جاء فى ص ٣٧٤ س ٢ من أن أول صفر كان السبت .

[وفى] حادى عشره برز المرسوم الشريف بإخراج الأمير قنقباى إلى القدس منفيا فخرج من فوره .

[وفى] ثانى عشره ركب السلطان وتوجه إلى النيل فعدا منه إلى الجيزة فتصيد وأكل وشرب وعاد من يومه إلى القلعة .

[وفى] ثانى عشره ركب السلطان فتوجه إلى المطــرية فأكل وشرب وانشرح وعاد إلى قلعته .

[وفى] ثامن عشره ركب بعساكره إلى النيل فعدا إلى الجيزة فتصيد وأقام بها وبات [بعيدا ؟] عن القاعة بها وعاد من الغد .

وفى هذا اليوم خلع على خايل الجشاري واستقر فى ولاية قطيا عوضا [عن] أحمد الأرغونى بحكم عزله .

[وفى] خامس عشريه ركب السلطان إلى المطرية فتصيد وعاد من يومه ثم أصبح فى سادس عشريه فركب وتوجه إلى الجيزة فأقام بها يومين يتصيد وعاد فى ثامن عشريه ، وحضر البريد برسل تيمورلنك فى غيبة السلطان وعلى يدهم هدية ثم أخبروا بأنه أخذ من حدود المملكة بلادا وقتل منهم خلقــا ، فلما كان سلخ الشهر قدمت رسل تيمور الهدية وهى : تسعة مماليك وتســع جوار وغير ذلك من الفرو والصوف والمخمل ، فعرضوا المماليك [التسعة] فإذا فيهم مملوك واحد والثانية : واحد ولد وزير بغــداد ، والآخر ولــد قاضيها ، والآخر ابن محتسبها والآخر ابن أميرها والآخر ابن تاجر فيهــا ، والآخر ابن واليها ، والآخر ابن كاتبها ، والآخر ابن شيخ كبير من مشايخها ، فلما تحقق السلطان ذلك أطلقهم إلى حال سبيلهم وأحسن إليهم ، وربى ولد القاضى وألبسه بزى القضاة وكذا ولد المحتسب .

شهر صفر

أهل بيوم السبت : فيه عرض الأمير سودون النائب أجناد الحلقة ثم تركهم .

[وفى] ثالثه ركب السلطان فتوجه إلى بركة الحاج فتصيد وعاد إلى القلعة .

[وفى] خامسه عرض الأمير قلمطاى الدوادار أجناد الحلقة عوضا عن الأمير سودون النائب ولكن العرض [كان] ببيت الأمير سودون المذكور ورسم لهم بالسفر لمحاربة تيمور كوركان واستمر العرض فى كل أسبوع أربعة أيام : السبت والأحد والثلاثاء والأربعاء .

[وفى] سادسه ركب السلطان وتوجه إلى بركة الحاج فتصيد وعاد فدخل القاهرة من باب القنطرة وشق البلد إلى أن خرج من باب زويلة فصعد إلى القلعة .

[وفى] ثامنه ركب وتوجه إلى الجيزة فتصيد وأقام بها إلى عاشره فعاد إلى القلعة .

[وفى] ثالث عشره ركب وتوجه إلى البركة وعاد من يومه .

[وفى] سابع عشره ركب وتوجه إلى الجيزة فأقام بها يتصيد إلى تاسع عشره عاد إلى القلعة .

[وفى] ثانى عشريه ركب وتوجه إلى البركة فأقام بها يتصيد إلى رابع عشريه عاد إلى القلعة .

[وفى] خامس عشريه خرج أستادار الصحبة والمطبخ والاحتياج والأغنام والأوز والدجاج والسكر والحلوى والفواكه وما أشبه ذلك للقاء سلطان أحمد بن أويس صاحب بغداد .

وفيه خلع على زين الدين حبيب موقع الدست واستقر في نظر الخزانة عوضا عن المايجي بحكم صرفه عنها .

[وفي] تاسع عشريه ركب السلطان وتوجه إلى الجيزة فأقام يتصيد بها إلى ثالث ربيع الأول .

[وفي] خامسه كان المولد النبوي وعمله السلطان على العادة ، واجتمع فيه الأمراء وأعيان المملكة والقراء ومد السماط المعظم ثم المشروب المليح.

[وفي] سابعه ركب السلطان إلى بركة الحاج فتصيد وعاد من يومه .

[وفي] حادي عشره كمل عرض أجناد الحلقة .

[وفي] ثاني عشره أشهر النداء بالقاهرة ومصر لأجناد الحلقة : « من عرض على النائب فليعرض على السلطان يوم الاثنين ويوم الخميس ».

وفي هذا اليوم فتح الأمراء شونهم وأخرجوا القمح ليعمل بقسماطا لأجل السفر .

[وفي] ثالث عشريه قدم البريد مخبراً بأن تيمور ملك قلعة تكريت ، واستولى على ما فيها وقتل من بها .

وفيه أذن السلطان لعدة من الأمراء والعسكر بملاقاة ألقان غياث الدين أحمد بن أويس .

[وفي] سابع عشريه ركب السلطان بعساكره للقاء غياث الدين أحمد ابن أويس فوصل إلى مطعم الطيور فجلس فيه حتى دنا ابن أويس ، فلما رآى السلطانَ نزل عن جواده ومشى خطوات عديدة ، فمشى إليه الأمير بتخاص حاجب الحجاب ومن حضر مع السلطان من الأمراء وسلموا عليه

وصار الأمير بتخاص يعلمه باسم كل أمير ووظيفته ومنزلته وهم يقبلون يده حتى أتاه الأمير أحمد بن يلبغا فقال له الأمير بتخاص : « هذا ابن أستاذ السلطان » فضمه [ابن أويس] إلى صدره ولم يمكنه من تقبيل يده ، ثم أتى بعده الأمير بكلمش — أمير سلاح — فعانقه ، ثم الأمير أيتمش رأس نوبة ففعل به كما فعل ببكلمش ثم الأمير سودون النائب ففعل به مثل أيتمش، ثم الأمير كمشبغا الحموى الأتابك فعانقه ، وفرغ من سلامه مع الأمراء، فنهض السلطان عند ذلك قائما فنزل عن المسطبة — (١٤٣) وصار ماشيا للقائه نحواً من عشرين خطوة — فأسرع ابن أويس فى مشيه حتى التقيا ، فانكب ابن أويس على يد السلطان ليقبلها فما مكنه من ذلك وتعانقا وهو يبكى ساعة طويلة ثم مشيا ويده فى يد السلطان وهو يعده بكل ما يؤمله ويرتجيه من عوده إلى مملكته حتى صعدا إلى المسطبة فجلسا على المقعد من غير أن يجلس السلطان على الكرسى ، فصارا يتحادثان زمنا طويلا ، ثم أتى بقباء حرير بنفسجى بفرو قاقم بطرز زركش عريض ، فأفيض على ابن أويس؛ وقدم له من الخيول الخاص فرسا بسرج ذهب وقماش زركش وسلسلة ذهب ، فركبه من موضع مركب السلطان، ثم إن السلطان ركب بعده وسارا متحاذيين والعساكر والأمراء وأعيان المملكة والمباشرون ميمنة وميسرة إلى أن وصلا قريب القلعة ، والخلق قد خرجوا لرؤيته حتى البنت فى خدرها فكان من الأيام المشهودة ، وترجل العسكر على العادة بين يدى السلطان وابن أويس محاذ له حتى وصلا إلى تحت الطبلخاناة سلم عليه السلطان وأوصى لمن معه من الأمراء أن يتوجهوا فى خدمته إلى الدار التى أعدت له على بركة الفيل بعد أن فرشت له من أحسن الفروش وجددت عمارتها وزخرفت بالفرش والآلات ، وتوجه سائر الأمراء فى خدمته حتى دخلها ومعه الأمراء ، وكان الأمير محمود الأستادار

الذى رتب هـذا جميعه ، فحين جاوسه مد الأمـير محمود المذكور بين يديه سماطا عظيما إلى الغاية والنهاية ، فأكل [ابن أويس] وأكل الأمراء معه ومضوا إلى حال سبيلهم ، فما استقر قراره حتى جهز إليه السلطان مائتى ألف درهم فضة ، ومائتى قطعة قماش سكندرى حرير أطلس وغيره ، وثلاثة أفراس من الخيـول الخاص بقماش ذهب ، وعشرين ممـلوكا من الخاص بقماشهم وخيولهم ، وعشرين جارية كل جارية معها من القماش والملايات ما يبلغ ألفا ، فلما صار الليل وصل حريم ابن أويس وثقله ، فقدمت لـه الموائد والفواكه والحاوى والمشروب والشموع .

[وفى] يوم الخميس كانت الخدمة بالإيوان المسمى بدار العدل ، فصعد ألقان غياث الدين أحمد بن أويس سلطان بغداد ليشاهد الخدمة الشريفة السلطانية المصرية ، ودخل من باب الجسر الذى يقال له باب السر ، فجلس تجاه الأبواب وأجلس رأس الميمنة فوق الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر وأمير كبير ، إلى أن قام القضاة الأربعة ومد السماط وقام الأمراء حرمة للسماط على عادتهم [و] نهض ابن أويس قائما مع الأمراء فأمره السلطان بالجلوس فجلس حتى انقضت خدمة الإيوان ودخل السلطان القصر فدخل معه وحضر خدمته ، ثم خرج والأمراء بين يديه حتى ركب وبين يديه جاويشيته ونقيب جيشه والأمراء فى خدمته حتى وصل إلى منزله .

وفى هذا اليوم نصب الجاليش على الطبلخاناه بسبب السفر فبادر العسكر بالتجهـيز .

[وفى] حادى عشره ركب السلطان وإلى جانبه ابن أويس فتوجها إلى مصر وعديا من النيل إلى بر الجيزة ونزلا بالمخيم السلطانى فأكلا وشربا وتصيدا .

وفى هذا اليوم قبض على الصاحب سعد الدين نصر الله بن البقرى ناظر الدولة وعلى ولده تاج الدين عبد الله وتسلمهما شاد الدواوين ليخلص منهما المـــال .

[وفى] رابع عشريه ورد البريد من حلب ومعه رجل من أعوان تمرلنك تترى يسمى دولات خجا مصفد بالقيود ، قبض عليه سالم الذكرى وجهـــزه لمولانا السلطان ، وكان قدوم السلطان فى هذا اليوم من صيد الجيزة .

[وفى] خامس عشريه عرض التترى على السلطان فسأله عن أحوال تيمور فلم يجب لا بقليل ولا كثير ، فرسم لوالى القاهرة بعقوبته فعاقبه بأنواع العذاب ، فاعترف أن تيمور أرسل إلى مصر عدة جواسيس فى هيئة تجار وأعاجم ، فقبض على سبعة أنفار منهم .

وفى هذا اليوم أفرج عن ابن البقرى ناظر الدولة وولده بعـــد أن قرر عليهما خمسين ألف درهم فضة ، وعلى مباشرى الدولة مائة ألف درهم فضة .

[وفى] سلخه ورد البريد من حلب مخبرا بأن الأمـــير ألطنبغا الأشرفى والأمير دقمـــاق توجها بعساكر حلب وما والاها إلى الرها لملاقاة شاليش تيمورلنك فكسروهم وهزموهم بإذن الله بعـــد أن قتلوا منهم عددا كثيرا وأسروا جماعة عظيمة ودخلوا حلب ومعهم من أسراء تمرلنك زهاء عن مائة رجل ، فسر السلطان وابن أويس والعسكر والمسلمون بذلك سرورا عظيما .

وفيه ألزم مباشرو الدولة والخاص والأمراء بإحضار ما عندهم من البغال ، وقرر على كل واحد بحسب حاله وإن تعـــذر حضور البغال يقوم بالثمن ، وكان ابتداء الشروع فى هذا اليوم .

وفى هذا اليوم رسم السلطان بالإفراج عن جميع المماليك المعتقلين ببرج القلعة فأفرج عنهم ، وكان لهم يوم من الفرح يعجب منه ولم يتأخر بالبرج غير السيد الشريف عنان ومملوك يقال له أسنبغا الجوبانى .

* * *

شهر ربيع الآخرة

أهل بيوم الثلاثاء .

يوم الخميس ثالثه صعد الأمير محمود الأستادار للقلعة وصحبته ثمانمائة حمال يحملون السلاح ، فيهم ثلاثمائة حمال بثلاثمائة لبس كامل للفارس وفرسه ، فشكره السلطان وأخلع عليه .

وفى هذا اليوم كان مبدوء النفقة السلطانية فى مماليكه فأنفق فى كل واحد من مشترواته ألفى درهم فضة وفى المستخدمين ألف درهم وسبعمائة ، وعددهم خمسة آلاف مملوك فوصلت النفقة إلى المماليك خاصة عشرة آلاف ألف درهم فضة ، خارجا عن النفقة التى جهزت للإمراء وخارجا عما حمل من الخزائن وما جهز وصرف للإقامات .

وفى هذا اليوم وصل كتاب تيمورلنك يتضمن الإرجاف والإزعاج .

(٤٣ ب) وهذه نسخة كتاب تيمور كوركان ، لعنه الله من كل زمان ، ومبدوءه : «قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيـــه يختلفون ، إعلموا أنا جنـــد الله مخلوقون من سخطه ، ومسلطون على من حل عليه غضبه ، لا نرق لشاكى ، ولا نرحم عبرة باكى ، قد نزع الله الرحمة من قلوبنا ، فالويل كل الويل لمن لم يمتثل لأمرنا ولم يكن من حزبنا وجهتنا ، قد خربنا البلاد ، وأيتمنا الأولاد ، وأظهرنا فى الأرض الفساد ، وأذلت لنا أعزتها ، وملكنا بالشوكة أزمتها ، فإن خيل ذلك على

السامع واستشكل ، وقال إن عليه فيه مشكل ، فقل له إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وذلك لكثرة عددنا وشدة بأسنا ، فخيولنا سوابق ، ورماحنا خوارق ، وأسنتنا بوارق ، وسيوفنا صواعق ، وقلوبنا كالجبال ، وجيوشنا كعدد الرمال ، ونحن أبطال وأقيال ، وملكنا لا يرام ، وجارنا لا يضام ، وعدتنا ببذل السؤدد مقام ، فمن سالمنا سلم ، ومن حاربنا ندم ، ومن تكلم فينا بما لا يعلم جهل ، وأنتم فإن أطعتم أمرنا وقبلتم شرطنا فلكم ما لنا وعليكم ما علينا ، وإن أنتم خالفتم ، وعلى بغيكم تماديتم ، فلا تلوموا إلا أنفسكم ؛ الحصون منا مع تشييدها لا تمنع ، والمدائن بشدتها لقتالنا لا ترد ولا تنفع ، ودعاؤكم علينا لا يستجاب ولا يسمع ، وكيف يسمع الله دعاءكم وقد أكلتم الحرام ، ورضعتم جميع الآثام ، وأخذتم أموال الأيتام ، وقبلتم الرشوة من الحكام ، وأعددتم لدخول النار وبئس المصير : ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ [1] ، ولما فعلتم ذلك أوردتم أنفسكم موارد المهالك ، وقد قتلتم العلماء ، وأغضبتم رب الأرض والسماء ، وأرقتم دم الأشراف ، وهذا والله هو البغى والإسراف ، فأنتم بذلك فى النار خالدون ، وفى غد ينادى عليكم : ﴿ فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تفسقون ﴾ [2] فأبشروا بالمذلة والهوان ، يا أهل البغى والعدوان ، وقد غلب عندكم أنا كفرة ، وثبت عندنا والله أنكم الكفرة الفجرة ، وقد سلطنا عليكم الإله الذى له الأمور مقدرة ، والأحكام مدبرة ، فعزيزكم عندنا ذليل ، وكثيركم عندنا قليل ، لأنا ملكنا الأرض شرقا وغربا ، وأخذنا منها كل سفينة غصبا ، وقد أوضحنا لكم الخطاب فأسرعوا برد الجواب قبل أن ينكشف الغطاء ، وتضرم الحرب نارها ، وتضع أوزارها ، وتصير كل

(١) سورة النساء ٤ : ١٠ .　(٢) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٠ .

عين عليكم باكية ، وينادى منادى الفراق ﴿ فهل ترى لهم من باقية ﴾ [(١)] ، ويسمعكم صارخ الفناء بعد أن يهزكم هزا ﴿ هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا ﴾ [(٢)] ، وقد أنصفناكم إذ راسلناكم فلا تقتلوا المرسلين كما فعلتم بالأولين ، فتخالفوا — على عادتكم — سنن الماضين ، وتعصوا رب العالمين ، فما على الرسول إلا البلاغ المبين ، وقد أوضحنا لكم الكلام ، فأسرعوا برد الجواب والسلام » .

وجوابه — من تأليف القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى كاتب السر — بعد البسملة :

﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير ﴾ [(٣)] ، وقد حصل الوقوف على ألفاظكم الكفرية ، ونزغاتكم الشيطانية ، وكتابكم مخبرنا عن الحضرة الجنابية ، وسيرة الكفر الملاكية . وقولكم : إنكم مخلوقون من سخطه ومسلطون على من حل عليه غضب الله ، وأنكم لا ترقون لشاكى ، ولا ترحمون عبرة باكى ، وقد نزع الله الرحمة من قلوبكم ، فذاك من أكبر عيوبكم ، وهذه من صفات الشياطين لا من صفات السلاطين ، ويكفيكم بهذه الشهادة الكافية وبما وصفتم به أنفسكم ناهية » .

وفي نسخة أخرى :

« ويكفيكم بهذه الشهادة واعظا لكم إذا اتعظتم » :

﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون ما أعبد ، لكم دينكم ولى دين ﴾ [(٤)] ، ففي كل كتاب لعنتم ، وعلى لسان كل مرسل نعتم ، وبكل قبيح وصفتم ، وعند

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ٨ . (٢) سورة مريم ١٩ : ٩٨ .
(٣) سورة آل عمران ٣ : ٢٦ . (٤) سورة الكافرون .

تأخيركم من حين خرجتم وزعمتم إنكم كافرون ، ألا لعنة الله على الكافرين ، من تمسك بالأصول لا يبالى بالفروع ، نحن المؤمنون حقا لا يداخلنا عيب ، وليس فينا ريب ، والقرآن علينا نزل ، وهو سبحانه رحيم لم يزل ، فتحققنا نزوله ، وعملنا ببركة تأويله ، فالنار لكم خلقت ، ولجلودكم أضرمت ، ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾(١)، ومن العجب العجاب تهديد الرتوت بالتوت والسباع بالضباع والكماة بالكراع ، نحن خيولنا برقية ، وسهامنا غربية ، وسيوفنا يمانية ولبوسنا مصرية ، وأكفنا شديدة المضارب ، وصفتنا مذكورة فى المشارق والمغارب ، إن قتلناكم فنعم البضاعة ، وإن قتلتمونا فبيننا وبين الجنة ساعة ، ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون ، فرحين بما أتاهم الله من فضله ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، يستبشرون بنعمة من الله وفضل وإن الله لا يضيع أجر المؤمنين ﴾(٢) وأما قولكم : قلوبنا كالجبال وعددنا كالرمال ، فالقصاب لا يبالى بكثرة الغنم ، وكثير الحطب يكفيه قليل من الضرم ، ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾(٣) .

الفرار الفرار من الرزايا وطول البلايا ، واعلموا أن هجوم المنية عندنا غاية الأمنية ، إن عشنا عشنا سعداء ، وإن قتلنا متنا شهداء ، ﴿ ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾(٤) أبعد أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين تطلبون منا طاعة؟ لا سمع لكم ولا طاعة ، وطلبتم أن نوضح لكم أمرنا قبل أن ينكشف الغطاء ففى نظمه تركيك ، وفى سلكه يكفيك ، لو كشف الغطاء لبان القصد بعد بيان : أكفر بعد إيمان (١٤٤) أم اتخذتم ربا ثانيا وطلبتم أن نكون من حزبكم ﴿ لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا ﴾(٥) ، قل لكاتبك الذى رصع رسالته ووصف مقالته :

(١) سورة الانفطار ٨٢ : ١ .
(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٦٩ .
(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٤٩ .
(٤) سورة المجادلة : ٥٨ : ٢٢ .
(٥) سورة مريم ١٩ : ٢٠ .

وصل الكتاب كصرير باب، أو كطنين ذباب ؛ وسنكتب ما يقول : ﴿ ونمد(١) له من العذاب مدا ﴾ ، ونريه ما نقول إن شاء الله مانقول لقد لبكتم في الذى أرسلتم والسلام » .

* * *

[وفى] سادسه عرضوا أجناد الحلقة المنصورة الذين ندبوا للسفر فوقع الاختيار منهم على أربع مائة فارس ، وعرض أيضا رأس نوبة : الأجنادَ البحرية فعين منهم مائتى فارس :

[وفى] سابعه خرجت المدورة السلطانية فنصبت بالريدانية خارج القاهرة.

هذا وفى يوم الأربعاء تاسعه عقد السلطان الملك على الخاتون تندى بنت حسين بن أويس ، وجملة الصداق ثلاثة آلاف دينار ، وصرف كل دينار يومئذ ستة وعشرون درهما ونصف درهم ، ودخل عليها ليلة الخميس عاشره ، وعمل لها كل ماهو مليح ويطول شرحه .

[وفى] يوم الخميس عاشره ركب السلطان من القلعة ونزل من الإصطبل إلى باب السلسلة ، وقد امتلأت الرميلة بالعساكر والأمراء والمماليك السلطانية والكل ملبسين آلات الحرب الكاملة ، والسلطان لابس قرقلا(٢) قصير الكم ؛ والقاضى غياث الدين لابس واقف ، فمر السلطان إلى باب القرافة يرمق أطلاب الأمراء ورتبهم فى صفوفهم كل عود على حده حتى أتقن الأمور وقصد زيارة قبر الإمام الجليل الشافعي محمد بن إدريس رضى الله عنه وأرضاه فزاره وصلى عنده ودعى وتصدق فى الفقراء والمساكين وتوجه من عنده إلى زيارة قبر السيدة نفيسة نفع الله ببركتها وبركة جدها فزاره وتصدق وفعل كما فعل

(١) سورة مريم ١٩ : ٧٩

(٢) القرقل ضرب من الثياب وقيل هو ثوب بغير كمين ، راجع لسان العرب .

عند الشافعي ورجع إلى الرميلة ، ورسم للطلب السلطاني بالمسير من إلى الريدانية فسار في أجمل ما يكون من المهابة وأعظم ما يكون من القوة والشهامة ، وأبهج ما يكون من الزهارة والنظافة والنضارة ، حتى إن الجنـائب التي جرت في الطلب عدتها مائتـا جنيب من الخيول الخواص ، وعلى كل فرس من الأساحة والذهب وأمثال ذلك مالا نهاية لوصفه ، ومشى السلطان في موكب ارتجت له الأرض في طولهـا والعرض ، وبإزائه السلطان أحمد بن أويس يتحدث معه راكبا على فرس بسرج ذهب وكنبوش زركش وسلسلة ذهب ، والسلطان راكب على فرس بسرج أبيض ساذج بعرقية (١) صوف سمياك ، وبإزاء السلطان من الجانب الآخر كمشبغا ، وأطلاب الأمراء بعد هذا الطلب بحسب المقام ، فأولهم طلب الأمير كمشبغا ، والثاني قلمطاي الدوادار ثم أطلاب بقية الأمراء بحسب تقدم الإمرة على الإمرة ، فكان هذا اليوم من الأيام المشهودة المعدودة الذي عز أن يوجد نظيره وقد اجتمع الناس من كل مكان .

وأما السلطان [برقوق] وسلطان أحمد بن أويس فنزلا بالخيم بالريدانية .

[وفي] رابع عشره خلع على بدر الدين محمد بن أبي البقاء واستقر قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية على عادته عوضا عن قاضي القضاة صدر الدين محمد المناوي بحكم صرفه عنها ، وتعصب لابن أبي البقاء جماعة من الأمراء حتى أعيد وركبوا معه من الريدانية إلى أن دخل القاهرة بالتشريف ودخـل الصالحية ومعه الأمير تغري بردي من كشـبغا رأس نوبة وقلمطاي الدوادار وآقبغا اللكاش رأس نوبة وغيرهم ، والتزم للسلطان أن يقرضه مال الأيتام فإن المناوي امتنع عن هذا الأمر وكان في أيام منطاش اتفق مثل هذا .

(١) العرقية غطاء للرأس ، هذا وقد أورد لها Dozy : op. cit. أكثر من استعمال .

وفيه خلع على ناصر الدين محمد بن رجب بن كلفت التركمانى واستقر وزير الديار المصرية عوضا عن الموفق أبى الفــرج بحكم عزله . وخلع على نصر الله بن البقرى واستقر فى نظر الدولة وخلع على الصاحب كريم الدين ابن الغنام واستقر فى نظر البيوت ، وخلع على الصاحب علم الدين سن إبرة واستقر فى استيفاء الدولة شريكا للصاحب تاج الدين عبد الرحمن بن أبى شاكر ، ودخلوا القاهرة بخلعهم :

[وفى] سابع عشره غضب السلطان على ركن الدين عمر بن قايماز بسبب أخيه أحمد :

وفى هذا اليوم أشهر النداء بحضور الأجناد البطالين إلى بيت الأمــير قلمطاى الدوادار :

[وفى] عشريه توجــه الأمير الوزير إلى قاضى القضاة بدر الدين بن أبى البقاء الشافعى وقبض منه مال الأيتام الذى التزم أن يقرضه للسلطان وجملته خمسمائة ألف وستون ألف درهم ، وجزى الله صدر الدين المناوى فى الحالتين خــيرا .

[وفى] حادى عشريه دخل الأمير قلمطاى القــاهرة إلى داره لعرض الأجناد والبطالين بعد أن تكرر النداء مرارا والحط بأنواع الإرجافات على من تأخر منهم عن العرض ، فاجتمع عدتهم نحو الخمسمائة فكتبوا أسماءهم ثم أمروهم بإحضار سيوفهم وتراكيشهم وسهامهم فتوجهوا ليحضروا ذلك طمعا فى قبض النفقة ، فوقعت الحوطة عليهم من والى القاهرة وكان العلم عنده ، وعمل لهم قيودا حديدا ليقيدوا بها فقيد منهم نحو ثلاثمائة وانهزم الباقى

وجرح خلق كثير وقتل ثلاثة أنفس وتسلمهم والى القاهرة فسجنهم بخزانة شمائل ، وكان يوما عبوسا مهولا لعظم هيبة من قبض عليهم وهم فى القيود والأغلال والسلاسل يسحبون بها ، وأولادهم ونساؤهم وأقاربهم يصرخون ويبكون :

وفيه وصل ولد الأمير نعير مخبرا بأن والده تملك بغداد وأقام الخطبة بها باسم السلطان وضرب السكة أيضا باسمه وعلى يده محاضر بذلك، فأخلع السلطان عليه تشريفا خاصا :

وفى هذا اليوم رسم بالإفراج عن الأمير ألطنبغا المعلم وإحضاره من ثغر دمياط . وخلع فى هـــذا اليوم على الأمير سودون النائب ورسم له بالإقامة بمصـــر :

(٤٤ ب) وفى هذا اليوم خلع على عدة من التجار الأكابر الكارمية بسبب أن السلطان اقترض منهم ألف ألف درهم ، وهم : برهان الدين إبراهيم المحلى وشهاب الدين أحمد بن محمد بن مسلم ، ونور الدين على بن الخروبى :

وفيه رسم بالإفراج عن الأمير قنقباي وإحضاره من القدس إلى غزة ، وأمروا مباشريه بتكفية يرقه واحتياجه :

[وفى] ثانى عشريه رسم السلطان للأمير محمود الأستادار بالنظر فى حال البطالين ، فعرضهم ابن الطبلاوى وأحضرهم من خزانة شمائل إلى بيتـــه فأفرج عن مائتين منهم :

[وفى] ثالث عشريه رحل السلطان عن الريدانية وسارت العساكر فضبطت عدة الجمال التى فرقها السلطان فى المماليك فبلغت أربعة آلاف جمل ، وأما الخيول فألف فرس وخمسمائة فرس ، وهذا فى المماليك خاصة خارجا عن

الأمراء وغيرهم . ومن جملة ما حمل مع السلطان خمسة قناطير من العاج لأجل لعب الشطرنج ، وسبب ذلك أن السلطان كلما لعب الشطرنج أخذه أصحاب النوبة فيحتاج إلى تجديد غيره .

[وفى] سابع عشريه قدم البريد بقتلى بنى عيسى[1] فوسطوا على باب خزانة شمائل وعدتهم أحد وعشرون رجلا .

وفيه قتل الشريف العنابى .

[وفى] ثانى عشريه وثب عرب بنى عيسى بقليوب يقصدون الفتك بالوالى فانهزم منهم إلى القاهرة .

وفيه وصل البريد مخبرا بصحة السلطان وعساكره ، وعلى يده مثال شريف بطلب بدر الدين محمد[2] الكلستانى فأرجف غاية الإرجاف وخرج من وقته ، وسبب خوفه أنه كان من أخصاء الأمير ألطنبغا الجوبانى فجاءه من اللطف ما لم يخطر له بخاطر كما سنذكره إن شاء الله .

[وفى] يوم الأحد ثانى عشر جمادى الأول سافر الأمير محمود الأستادار بالخزائن الشريفة إلى الملك الظاهر .

[وفى] ثانى عشريه خلع على الأمير ألطنبغا المعلم واستقر فى نيابة طرابلس ، وخلع على قردم الحسنى واستقر نائب القدس ، وأما قنقباي الأحمدي فاستعفى من الإمرة .

[وفى] ثالث عشريه وصل إلى الشام رسل طقتمش خان متملك كرسى أزبك خان ببلاد القفجق وعلى يدهم كتاب مضمونه أنه من حزب السلطان وأعوانه ، وأنه يكون معه على محاربة تيمورلنك .

---

(١) الوارد فى قلائد العقيان أن بنى عيسى كانوا أكثر القبائل العربية انتشارا فى كل النواحى ، وأن الامرة فى أيام برقوق صارت لنعير بن حيار .

(٢) « محمود » فى النجوم الزاهرة ٧٦/١٢ .

[وفى] ثامن عشريه ورد البريد من الشام مخبرا بأن السلطان دخلها (١) فى العشرين منه ووصل الخبر بأن تيمور رجع لبلاده فسر الناس بذلك، ودقت البشائر بقلعة الجبل :

وفى هذا اليوم دخل القاهرة قصاد ابن عثمان صاحب الروم :

[وفى] سابع عشر شهر رجب توجهت العساكر من الشام إلى حلب وفيهم الأمير كمشبغا الأتابك والأمير بكلمش أمير سلاح وأحمد بن يلبغا وبيبرس ابن أخت السلطان ونائب صفد ونائب غزة :

وفى هذا اليوم حضر الأمير سالم الذكرى وتمثل لدى المواقف الشريفة فأخلع عليه :

[وفى] سلخه قدم الشيخ جلال الدين عبد الرحمن بن شيخ الإسلام سراج الدين عمر البلقينى قاضى العسكر من الشام إلى القاهرة وأخبر بسلامة السلطان وعسكره وأن والده نزل له عن عدة وظائف وهى تدريس الخشابية بالجامع العمروى بمصر ومشيخة التفسير والميعاد بالمدرسة الظاهرية المستجدة، وأن والده مقيم مع السلطان فى غاية الصحة والسلامة :

وفيه كبس موسى بن طى والى البهنسا على سفط (٢) ميدون فقتله العرب بها واستقر عوضه إبراهيم الشهابى وخلع عليه :

* * *

[وفى] يوم الاثنين أول شهر شعبان سار القان غياث الدين أحمد ابن أويس من الشام إلى بغداد بعد أن جهزه السلطان بحيث إنه لم يتأخر عنه جميع ما فى قصده من كل شىء، وعندما وادعه خلع عليه بأطلسين وسيف

(١) يستفاد من إنباء الغمر ١ / ٤٧٠ أن السلطان قدمت عليه — وهو بدمشق — رسل طقمش خان ملك القفجاق وأبى يزيد بن عثمان صاحب الروم لتكوين جبهة لصد تيمورلنك .

(٢) لم أستطع الاستدلال عليها فى المدن المصرية .

ذهب بسقط ذهب وأنعم عليه بتقليد بنيابة السلطنة ببغداد وأراد تقبيل الأرض للسلطان فلم يمكنه من ذلك تعظيما وإجلالا لمقامه ويقال إن الذى أنعم عليه السلطان به من النقد خاصة خمس مائة ألف درهم فضة خارجا عن الخيول والجمال والسلاح وغير ذلك من القماش :

[وفى] ثالث عشره رحل من ظاهر دمشق :

وفيه أنعم على آقبغا الطولوتمرى المعروف باللكاش بإمرة ألف بحكم وفاة بيلبك المحمودى عنها :

[وفى] عشريه أخذ قاع البحر فكان ستة أذرع :

[وفى] ثانى عشريه قدم البريد مخبرا بأن سيدى أبو بكر بن سنقر الجمالى استقر حاجبا ثالثا :

وأما النيل فتوقفت زيادته أياما متوالية تزيد على الثمانية والصحيح أنها تسعة من سلخ بؤونة ورابع عشر شعبان، وإلى ثامن أبيب فلم يزد سوى أصبع واحد فى كل يوم :

[وفى] ليلة الثلاثاء الثلاثين من شعبان اجتمع الناس لرؤية هلال رمضان وكثر الخلق فلم يره أحد منهم مع عددهم الزائد ، وأصبح الناس على أنه آخر يوم من شعبان وأكلوا وشربوا إلى الظهر قدم الخبر بأن الهلال نظره فى بلبيس عدد كثير فنودى بالإمساك من بعد الظهر :

[وفى] ثالثه زاد النيل بعد توقفه فلله الحمد :

وفى هذا اليوم أبيع البطيخ العبدلى كل مائة رطل بدرهم :

* * *

[وفى] يوم الجمعة تاسع شوال الموافق تاسع مسرى توقف النيل عن الزيادة إلى ثانى عشره فزاد على العادة واستمر :

[وفى] ثانى عشريه وصل الخبر باستقرار القاضى بدر الدين محمود السيرامى الكلستانى فى وظيفة كتابة السر عوضا عن القاضى بدر الدين محمد بن فضل الله العمرى بحكم وفاته وخلع عليه بالشام .

[وفى] ثامن عشريه — الموافق ثامن عشر مسرى — أوفى النيل ستة عشر ذراعا ، فخلق المقياس وفتح فم الخليج على العادة . وفيه وصل الخبر للسلطان بأن القان أحمد بن أويس لما وصل إلى بغداد برز إليه نائبها من جهة تيمورلنك فتقاتلا قتالا عظيما فكسره ابن أويس ودخل بغداد فأطلق نائب تيمور عليه المياه ليغرقه فأعانه الله وهزمت التمرلنكية فيها ، (٤٥ أ) واستولى [ابن أويس] على مملكة بغداد ، وطلب العساكر والتركمان فاستخدمهم فقويت شوكته وأقبلت دولته و[لما] بلغ تيمور ذلك أرسل زوجته وصحبتها الأموال إلى سمرقند العجم :

وفى هذا اليوم وصل رسل ابن عثمان ملك الروم وعلى يدهم كتاب مضمونه أنه جهز وعبأ وأكمن لنصرة السلطان مائتى ألف فارس وأنه منتظر ما يرد عليه من المراسم الشريفة ليتشرف بخدمته ، فشكر السلطان أفعاله وأكرم قصاده ورتب لهم ما يليق بهم .

وفيه أيضا ورد قاصد القاضى برهان الدين أحمد صاحب سيواس وعلى يدهم كتابه يتضمن أنه فى طاعة السلطان وتحت أوامره ومنتظر ما يرد عليه فيتمثله ويعتمده .

* * *

[وفى] مستهل ذى القعدة توجه السلطان بعساكره إلى حلب [و] وقع من الأمور العظيمة أن امرأة بها رمد فى عينيها عجز الأطباء فى دواها وأيسوا منها وصارت مكسورة الخاطر لما حقق عندها من قول الأطباء ، فرأت النبى صلى الله عليه وسلم فى منامها وهى فى حالة المتخضعة لشرفه وكأنها

تشكو إليه ما بها من الرمد وأنه أمرها أن تمضى إلى سفح جبل المقطم وتأخذ من حصى هناك وتكتحل به بعد سحقه فعملت ذلك فزال ما فى عينيها من الرمد، فاجتمع أهل مصر والقاهرة إلى أخذ ذلك الحصى حتى أفنوا منه شيئا كثيرا واستمروا على هذا زمنا مديدا، وذكروا أن خلقا كثيرا حصل لهم الشفاء به وصاروا يضيفون منه إلى الأثمد :

[وفى] يوم الأحد سادسه — الموافق له سادس عشر توت[1] — بلغت زيادة النيل إلى أحد عشر إصـبعا من ثمانى عشرة ذراع ثم انحط فغلت الأسعار وانتهى الإردب القمح إلى أربعين درهما والشعير والفول إلى عشرين درهما ، ووقف أهل القاهرة يصرخون بالمحتسب الذى هو البهاء البرجى فبرز مرسوم الأمير سودون النائب لابن الطبلاوى بالتحدث فى الأسعار وعمل المعـدل، فأشهر النداء بالقاهرة ومصر بفتح الشون والسعر بيد الله تعالى ومن لم يفتح نهبت شـونه وهدد بأنواع من الإرجاف ، فبادر مباشرو الأمراء وفتحوا الشون فهرع الناس إلى ابتياعها وصار الذى يريد إردبا يشترى له خمسة وبخلت أصحاب الغلال وطمعوا فى غلو السعر فإن الأراضى أكثرها شرقت :

[وفى] يوم الخميس رابع شهر ذى الحجة ورد البريد من السلطان وعلى يده مثال شريف يتضمن عزل قطاوبغا الحاجب من كشف الفيوم وأن يستقر عوضه طيبغا الزينى ، ويستقر قطاوبغا كاشف الجـيزة على عادته ، وكان [قطاوبغا] عايلا منقطعا بداره فاستمر :

[وفى] ثالث عشره ورد البريد مخبرا بأن السلطان أنعم بنيابة حلب على الأمير تغرى بردى من يشبغا ، وأن جلبان الذى كان بها استقر فى إقطاع الأمير

(١) يستفاد من جدول سـنة ٧٩٦ فى التوفيقات الإلهـامية ص ٣٩٨ أن أول توت كان السبت ثانى ذى القعدة (وهو ٢٩ أغسطس ١٣٩٤) وعلى هذا يكون ١٦ توت يوافق ١٧ ذى القعدة .

تغرى بردى من يشبغا ، وأن السلطان عاد من حلب إلى الشام فدخلها فى خامس عشره ، وأنه أنعم على أرغون شاه الإبراهيمى نائب صفد بنيابة طرابلس وأنعم بإمرته على دمرداش المحمدى ، وأنعم على آقبغا الجمالى — أحد الأمراء بحلب — بنيابة صفد ، وأنعم بإمرته على دمرداش .

[وفى] تاسع عشريه قدم المبشرون مخبرين بما صنع الأمير قديد أمير الحاج معهم من المعروف والخير والأمن والرخاء .

* * *

ومات فى هذه السنة من الأعيان سوى من قتل من الأمراء :

١٩٥ — المقام الصارمى إبراهيم ولد السلطان الملك الظاهر فى العشرين من جمادى الأول ودفن بالمدرسة الظاهرية ، وكانت له جنازة قل أن يكون لها نظير من عظم الخلق .

١٩٦ — وتوفى الصارم إبراهيم بن الباشقردى والى قطيا فجأة بها فى الثامن من شهر صفر .

١٩٧ — ومات الأمير الأجل آبرك [بن عبد الله] المحمودى شاد الشراب خاناه بالشام .

١٩٨ — وتوفى الشيخ شهاب الدين أحمد بن الهادى بن أحمد بن أبى العباس المشهور بالأدب حسا ومعنى ، والمعروف بالشطارة طبعا وجبلة فى خامس عشرى جمادى الأول .

١٩٩ — وتوفى الوزير الصاحب موفق الدين أبو الفرج تحت العقوبة وهو مستحق لذلك فإنه كان من المحاضر السوء بل ولا طرق الإسلام له قابا وإنما يتستر بين المسلمين بلبسهم من لبس العمامة البيضاء . وترجمه الشيخ تقى الدين

المقريزى فقال[1] : « الصاحب موفق الدين أبو الفرج الأسلمى [مات] تحت العقوبة وكان أسوأ الوزراء سيرة » فإنه لم يؤمن بالله قط ، بل أكره حتى قال كلمة الشهادة ولبس العمامة البيضاء فتسلط على الناس بذنوبهم ، ومن العجب أنه لما كان يتظاهر بالنصرانية ويباشر الحوائج خاناه كان مشكورا ، حتى أسلم » انتهى كلامه.

٢٠٠ — وتوفى رئيس المؤذنين بدر الدين حسن بن العيذابى فى سلخ جمادى الأول ، وكان إذا أكل يأكل بقدر خمسين رجلا .

٢٠١ — ومات الشيخ الصالح المعتقد الربانى رشيد — [التكرورى[2]] والإسم عين المسمى — الأسود فى المارستان[3] المنصورى فى يوم السبت ثالث عشرى جمادى الآخرة وكانت إقامته بجامع راشدة[4] خارج مصر ولم يسكن فى الجامع أحد بعده .

---

(١) راجع فى ذلك السلوك ، ورقة ٢٤١ ب — ٢٤٢ أ .

(٢) الإضافة من النجوم الزاهرة ١٢/١٣٩ ، وقد ورد اسمه فى إنباء الغمر ١/٤٨٠ « راشد ابن عبد الملك التكرورى » .

(٣) يقع المارستان المنصورى بخط بين القصرين من القاهرة وكان فى الأصل قاعة ست الملك ، فلما زالت الدولة الفاطمية عرف المكان بدار الأمير فخر الدين جهاركس ثم عرف بعد ئذ بالدار القطبية نسبة إلى مؤنسة خاتون ابنة الملك العادل التى كانت تعرف بالقطبية ، فاشتراه منها الملك المنصور قلاون الألفى الصالحى سنة ٦٨٢ هـ ، وأمر بعمارة الدار مارستانا ضخما وفاء لنذر نذره أثناء علاجه فى مارستان نور الدين زنكى بحلب ، ثم وفى بنذره إذ شفاه الله وبنى هذا البيمارستان وأوقفه على « الملك والمملوك والجندى والأمير والكبير والصغير والحر والعبيد : الذكور والإناث » ، انظر خطط المقريزى : ٢/٤٠٥ — ٤٠٧ .

(٤) جامع راشدة من إنشاء الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥ هـ ، ولم ينسب الجامع لبانيه وإنما نسب إلى بنى راشدة بن جذيلة من بنى لخم حيث كانوا ينزلون هذه الخطة ، أنظر المقريزى : الخطط ٢/٢٨١ — ٢٨٢ ، وأنظر عن بنى لخم القلقشندى : نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ، ص ٤١١ ، هذا وقد عاد القلقشندى فى قلائد الجمان ، ص ٧٠ فذكرهم باسم « بنى راشد » وقال « بالضبط المعروف » وذكر أن منهم بنى مرا . والمعروف أن بنى لخم حضروا فتح مصر وانتشروا فى صعيد مصر .

٢٠٢ — وتوفى الأمير سلام — بتشديد اللام — بن محمد بن سليمان بن فايد المعروف بابن تركية[(١)] أمير [خفاجة[(٢)] من] عربان الصعيد فى سابع ربيع الآخر .

٢٠٣ — ومات الأمير زين الدين عبد الرحمن بن منكلى بغا الشمسى ابن أخت السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين فى عاشر شعبان ، وكان شجاعا باسلا كريم النفس .

٢٠٤ — وتوفى الرئيس علاء الدين على بن عبد الواحد [بن شرف الدين محمد] بن صُغَيّر رئيس الأطباء ، وكان فاضلا غاية فى فنه ، وأجمع الناس على فهمه ومداراته للعليل وترتيبه وتشخيصه للمرض مع الاطلاع على كلام المتأخرين ، وصنف الكتب فى فنه ، وشرح كلام المتقدمين . قال[(٣)] الشيخ تقى الدين المقريزى فى حقه : « وكان من محاسن الدنيا » [مات] فى أحد العشر من شهر ذى الحجة ودفن بحلب ثم نقل إلى القاهرة .

٢٠٥ — وتوفى القاضى بدر الدين محمد بن على بن يحيى بن فضل الله [بن مجلى العدوى[(٤)]] العمرى كاتب السر فى يوم الثلاثاء العشرين من شوال بمدينة دمشق ، وكان له النظم الرائق واللفظ الفائق والإنشاء البديع والسيرة الحسنة مع القريب والبعيد ، والتصانيف الجليلة المفيدة لاسيما فى الإنشاء ، وانفرد بالكلمة المقبولة ، وتعصب (٤٥ ب) لجماعة فأفلحوا ، وحط على

(١) أنظر ابن الفرات : تاريخ ٩/٣٩١ .

(٢) يرجع عرب خفاجة أصلا إلى بنى عقيل بن كعب بن عامر بن صعصعة وبذلك يرقى نسبهم إلى العدنانية ، ثم انتقلوا إلى العراق والجزيرة ، كما جاء بعضهم — على حد قول الحمدانى — إلى الديار المصرية فأقاموا بالبحيرة ، أنظر القلقشندى : صبح الأعشى ١/٣٤٣ ، وقلائد العقيان ص ٢٤٦ — ٢٤٧ .

(٣) السلوك ، ورقة ٢٤٢ أ .

(٤) الإضافة من ابن حجر : إنباء الغمر ١/٤٨٢ .

جماعة فما نتجوا ، وكان دينا خيرا حسن الشكل ، طيب القلب ، باسم الثغر ، رحمه الله تعالى :

٢٠٦ – وتوفى القاضى الفاضل تاج الدين محمد بن محمد بن محمد المايجى(١) المعروف بصائم الدهر وناظر الأحباس ومحتسب الديار المصرية والخطيب بمدرسة السلطان حسن فى التاسع عشر شهر صفر عن سبعين سنة ، وكان من أهل الخير والصلاح والدين والعفة الزائدة ، كثير السكون مع الوقار والهيبة الزائدة ، عديم الكلام إلا جوابا ، دأبه سرد الصوم ديدنا .

٢٠٧ – ومات ناصر الدين محمد بن مقبل الجندى(٢) الظاهرى فى يوم الأربعاء ثالث عشر جمادى الآخرة ، وكان ظاهرى المذهب ، يحفى شاربه ويرفع يديه فى كل خفض ورفع فى الصلاة ، ويظهر الاقتداء بالمذاهب الظاهرية ، وكتب كثيرا بخطه ، واشتغل بالحديث :

٢٠٨ – وتوفى الأمير ناصر الدين [محمد] بن شرف الدين موسى ابن جمال الدين يوسف ، وكان أبوه وجده من الأمراء المقدمين [الألوف]، وهو من أمراء العشرات ، وكان محبا للحديث وأهله ، محافظا لسماعه وأخذ أسانيده :

٢٠٩ – وتوفى منكلى [بغا] الطرخانى الشمسى أحد الأمراء ونائب مدينة الكرك فى ليلة العاشر من المحرم :

(١) ورد اسمه بالجيم فى كل من إنباء الغمر ١/٤٨٤ ، والنجوم الزاهرة ١٢/١٤١ ، وبالحاء فى شذرات الذهب ٦/٣٤٧ .

(٢) «التركى» فى إنباء الغمر ١/٤٨٤ ، أما نعته بالظاهرى فذلك يعنى أنه كان ظاهرى المذهب وليس نسبة للسلطان الظاهر .

٢١٠ — ومات القاضى علاء الدين عبد الله بن محمد بن العمرى المعروف بكاتب أيتمش فى يوم الثلاثاء تاسع عشرى ربيع الآخر .

٢١١ — وتوفى القاضى أمين الدين يحيى ابن الحنبلى العسقلانى ليلة الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول . والله الباقى على الدوام :

* * *

سنة سبع وتسعين وسبع مائة

* * *

يوم الثلاثاء أول شهر الله الحرام :

[فى] ثالثه وصل ثقل الأمير محمود الأستادار من دمشق ، وورد البريد مخبرا بأن السلطان أنعم على دقماق بنيابة ملطية بعد أن كان نائب طرسوس ، واستقر طغنجى[1] فى نيابة الرها وأن السلطان قبض على أمراء حلب منهم : ألطنبغا الأشرفى وتمر باى الأشرفى وقطلوشاه الماردانى ؛ وأما عربان آل مهنا فخرجوا عن طاعة السلطان بأجمعهم :

[و] فى رابعه وصل جماعة ابن أويس بحريمه :

[وفى] سابعه خرج السلطان بعساكره من حلب إلى دمشق[2] :

وفى سابع عشره سار السلطان من دمشق إلى مصر :

وفيه خلع على الأمير بدخاص [السودونى] حاجب الحجاب ، واستقر نائب الكرك عوضا عن الشهاب أحمد بن الشيخ على ، ورسم للشهاب باستقراره حاجب الحجاب بدمشق عوضا عن تمربغا المنجكى بحكم استقرار تمربغا المذكور

(١) الوارد فى السلوك ، ورقة ٢٤٢ ب ، أن طغنجى استقر فى نيابة قلعة الروم ، وأما الذى استقر فى نيابة الرها فهو منكلى بغا الأسنبغاوى .

(٢) قضى السلطان فى هذه السفرة إلى حلب على عدة من الأمراء كما خافه عرب آل مهنا فهربوا فى البرية ، أنظر ابن حجر : إنباء الغمر ١/٤٨٦ .

فى خدمة السلطان ودخل معه إلى القاهرة ، واستقر قنقباى الدوادار أميرا بصفد ، وأما ألجيبغا الجمالى الحاجب فاستقر من الأمراء فى الطبلخاناه بدمشق :

[وفى] ثالث عشريه أشهر النداء بزينة القاهرة .

وفى هذا اليوم دخل المحمل صحبة أميره قديد ، وهم ركب واحد :

وورد البريد مخبرا بأن السلطان لما وصل إلى الرملة توجه لزيارة القدس الشريف فزاره وتصدق فيه وصنع خيرا كثيرا :

* * *

شهـــر صفر

أهل بيوم الخميس . قدم شيخ الإسلام البلقينى من الشام :

[وفى] خامسه قدم الطواشى بهادر المقدم وصحبته حريم السلطان وفيهن عدة من حرائر الشام وأبكارهن البنات الحسان .

[وفى] سابعه قدم الأمير محمـــود الأستادار فكان لقـــدمه يوم عظيم وموكب جسيم يكاد يشبه المواكب السلطانية ، فدخل من باب النصر وشق القاهرة إلى خارج باب زويلة وقـــد فرشت له الشقق الكمخا والحرير على الأرض ليطأها بفرسه واجتمع لرؤيته أهل القاهرة وركب معه خلق لا يحصيهم إلا الله تعالى .

[وفى] تاسعه ورد البريد مخبرا بأن السلطان غضب على جلبان الكمشبغاوى نائب حلب لما دخل قطيا ، ورسم له أن يتوجه إلى دمياط من ألطينة فتوجه من غده .

[وفى] ثانى عشره قدم ركاب السلطان القاهرة وشق البلد وقد زينت له بأحسن ما تكون وأوقدت له الشموع والملاهى ، وأصحاب الفنون قد انتشرت بالقاهرة وتخلق أهلها بالزعفران ، وصعد إلى القلعة وكان له موكب عظيم ،

وكان إبليس أجرى على ألسنة العوام : « لو دخل (١) السلطان مصر لارتفع الغلاء ووقع الرخاء » ، واستمروا يلهجون بذلك فكذبهم الله وغلت الأسعار من يوم مقدمه مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم : « من تعلق بشيء وكل إليه » ، فأبيع القمح بسبعين الإردب بعد أربعين ، والفول والشعير بأربعين بعد عشرين ، والحمل التبن بعشرة دراهم بعد خمسة ، والخبز كل ثلاثة أرطال بدرهم ، والأرز كل قدح بدرهمين ، والسكر كل رطل بستة دراهم بعد ثلاثة ، والجبن المقلى بدرهمين بعد ثلثى درهم ، والرطل اللحم البقرى بدرهم بعد نصف ، واللحم الضانى بدرهم ونصف بعد نصف وربع درهم ، ووقعت مع هذا الغلاء حوادث فظيعة منها : اشتهار الظلم وتزايده وحاول الفناء ووقوف أحوال الناس من قلة المكاسب .

[وفى] خامس عشره ركب السلطان وتوجه إلى القاهرة فدخلها من باب زويلة حتى وصل إلى مدرسته فدخلها وزار [قبر] والده وركب وخرج من باب القصر فصعد إلى القلعة .

(٤٦ أ) [وفى] سادس (٢) عشره عدى السلطان [إلى بر الجيزة] وصنع الأمير تمربغا شرابا من الزبيب ، وهو أنه يعمل لكل عشرة أرطال من الزبيب أربعون رطلا من الماء ويستمر أياما ثم يشرب فيسكر أعظم من الخمر ، وسمى « تمربغاوى » وأعجب السلطان فأقبل على التعاطى منه مع الأمراء ولم يشتهر عنه قبل هذا أنه يتعاطى المسكرات .

[وفى] ثامن عشره رجع السلطان من الجيزة إلى القلعة .

(١) فى السلوك، ٣ ٢٤٣ أ « لوجا السلطان لوقع الرخا » .

(٢) فى السلوك « سادسه » وهو خطأ .

[وفى] تاسع عشره أنعم على الأمير فارس من قطلو[1] خجا [الظاهرى الأعرج] بإمرة مائة وتقدمة ألف وأخلع عليه واستقر حاجب الحجاب عوضا عن الأمير بتخاص المستقر فى نيابة الكرك .

وفى هذا اليوم سأل الأمير سودون النائب أن يعفى من نيابة السلطنة والإمرة لعجزه وكبر سنه وألح فى ذلك فأعفى ولزم بيته بعد أن قرر له ما يكفيه ؛

[وفى] رابع عشره أنعم السلطان على عدة من الأمراء بإمرة مائة وطبلخانات منهم : الأمير أرغون شاه البيدمرى الأقبغاوى بتقدمة ألف والأمير نوروز الحافظى بتقدمة ألف ، وقرابغا المنجكى بإمرة طبلخاناه ، وعلى صلاح الدين محمد بن محمد بطبلخاناه . وعلى صرغتمش المحمدى بطبلخاناه ، وعلى سودون الطيار الناصرى بطبلخاناه ، وأنعم على الأمير مقبل الرومى وآقباى من حسين شاه ، وآقبلاط الأحمدى ، ومنكلى بغا الناصرى : كل واحد بإمرة عشرة .

[وفى] تاسع عشريه خلع على علاء الدين بن الطبلاوى واستقر حاجبا عوضا عن ألجيبغا الجمالى مع النظر فى الولاية على أخيه ؛

[وفى] يوم الأحد ثالث شهر ربيع الأول ركب السلطان وعدى إلى الجيزة للصيد والتنزه وعاد يوم الأربعاء سادسه ؛

[وفى] سابعه خلع على جماعة الأكابر من الأمراء وناظر الجيش وناظر الخاص أقبية بفرو سمور ؛

وفيه عمل السلطان المولد النبوى على العادة ؛

(١) « قطلوجا » فى النجوم الزاهرة ١٢/٦٢ ؛

[وفى] تاسعه كان عقد[1] مجلس بحضور السلطان والأمراء اجتمع فيه قضاة القضاة الأربعة وشيخ الإسلام سراج الدين البلقيني والفقهاء والعلماء بسبب شخص أعجمي حضر من العجم يقال له مصطفى القرماني ادعى أنه فقيه في مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه، وأنه كتب شيئا في فقهه وقال فيه: « ولا يبول أحد إلى الشمس والقمر لأنهما عبدا من دون الله تعالى »، ونسب سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام إلى ما نزهه الله من عبادتهما؛ فانتدب له قاضي القضاة ناصر الدين أحمد بن التنسي المالكي ليحكم بقتله. فتعصب له جماعة من الأمراء واعتنوا بأمره وسألوا السلطان أن يفوض الحكم فيه لقاضي القضاة جمال الدين محمود [العجمي] الحنفي ففوض ذلك له، فعزره بأن أقامه من المجلس ثم أرسله إلى السجن فأقام به ثلاثة أيام ثم طلبه فضربه وأطلقه إلى حال سبيله.

[وفى] رابع عشره أنعم السلطان على الناصري محمد بن جلبان العلائي بإمرة عشرين عوضا عن قرابغا بحكم وفاته.

[وفى] ثامن عشره ورد البريد مخبرا من حلب بأن تيمورلنك — لعنه الله — توجه من قراباغ وعدا السلطانية[2] وكذلك ابنه توجه إلى كيلان[3]، وأن طقتمش أخذ[4] أكثر بلاده.

(١) راجع هذه القصة في ابن حجر: إنباء الغمر، ١/

(٢) في السلوك، ٤٤٢ أ «وعدا لا السلطان»، ويلاحظ أن السلطانية هذه أنشئت بعد سقوط الخلافة العباسية وعدت عاصمة للدولة الإيلخانية المغولية، أنظر لسترانج: بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٦٢ — ٢٦٣.

(٣) إقليم كيلان ويسميه العرب « الجيل » أو « جيلان » ويقع قرب قزوين، راجع الفصل الثاني عشر من كتاب بلدان الخلافة الشرقية، ص ٢٠٦ — ٢١٩.

(٤) يستفاد مما ورد في إنباء الغمر ١/ ٤٨٩ أن اللنك استولى على معظم بلاد طقتمش خان مما حمله على الفرار إلى بلاد الروس.

[وفى] ثالث عشريه قدم الأمير مبارك شاه ملك الأمراء بالوجه القبلى وصحبته أمراء العربان وهم أبو بكر بن الأحدب ، وعمر بن عبد العزيز أمير هوارة وعلى بن غريب أمير هوارة أيضا وصحبتهم التقادم التى عليها للسلطان على العادة :

وفيه تغير[1] خاطر السلطان على الأمير محمود الأستادار وكاد يبطش به بحضور العسكر فسلمه الله ونزل إلى داره ، فأعقبه الأمير علاء الدين ابن الطبلاوى يطلب منه للسلطان خمسمائة ألف دينار وإن تأخر عنها فيحتاط عليه وعلى موجوده ويوقع به ضرب المقارع ، فصار على بن الطبلاوى يضيق الحرج بينه وبين السلطان حتى قرر عليه أن يحمل للسلطان مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار وركب وصعد إلى القلعة فى يوم الاثنين خامس عشريه فرجمه المماليك من الأطباق وهم يصيحون عليه وسبوه فازداد غما إلى غمه :

[وفى] سابع عشريه شكى يلبغا الزينى والى الأشمونين فقبض عليه وضرب بالمقارع بين يدى السلطان .

وفيه صعدت تقدمة الأمير مبارك شاه نائب الوجه القبلى وهى خيول خاص : مائة وستون فرسا ، وجمال : مائة وستون جملا[2] ، ونعامات سبع ، وأبقار : عدة كثيرة ، وآخر ذلك حلوى من سائر الأنواع فقبلت. وقدم ابن الأحدب المسمى أبو بكر مائة فرس ، وقدم كل من [عمر بن] عبد العزيز وعلى بن غريب خمسين فرسا :

---

(١) عزى ابن حجر : إنباء الغمر ١/٤٨٩ هذا التغير إلى أن جمال الدين الأستادار شكى السلطان قلة المتحصل وكثرة المصروف ولم يشر أبو المحاسن إلى سر هذا التغير .

(٢) فى السلوك ، ٢٤٤ أ ، س ٢٥ « مائة وخمسون جملا وسبع عشر نعامات » .

وفى هذا اليوم وقعت حادثة شنيعة وهى أن نصرانيا شكى للسلطان على القاضى شمس الدين محمد بن الشهاب أحمد بن الدفرى [1] — أحد نواب القضاة المالكية — فطلب [شمس الدين] وادعى عليه وآل أمره واقتضى الحال أن السلطان أمر بضربه فبطح بين يديه وضرب ضربا مبرحا ورسم عليـه حتى يرضى النصرانى :

(٤٦ ب) [وفى] ثامن عشريه [2] تأخرت كسوة المماليك السلطانية فصرخوا على محمود الأستادار فازداد غضب السلطان عليه وضربه بين يديه كونه أخر الكسوة عن مجالها :

رابعه : خلع على على بن أبى بكر القرمانى واستقر فى ولاية الجيزة :

[وفى] سادسه أنعم السلطان على أحمد بن الوزير ناصر الدين بن رجب بإمرة عشرة عوضا عن تمان تمر الأشرفى الموسوى . وفى هذا اليوم وصـل الإردب من القمح إلى ستة وستين درهما والشعير والفول إلى ثلاثة وثلاثين درهمـا .

[وفى] رابع عشر ربيع الآخر ركب السلطان بعساكره وعدا من النيل إلى بر الجيزة ونزل على صقيل [3] فأقبل على اللذات واللهو والملاهى :

---

(١) هو الشمس محمد بن أحمد بن عبد الله كان من أصحاب ابن حجر العسقلانى وسمع معه على الكثيرين من شـيوخه ، وعرف قدره جلة من علماء عصره كالولى العراقى ، وكان شـديد الحط على عقيدة ابن تيمية ومات سنة ٨٢٨ هـ ، أنظر وفيات سنة ٨٢٨ فى إنباء الغمر .

(٢) يستفاد من السـلوك ، ورقة ٢٤٤ ب ، أن الذى جرى يوم ٢٨ ربيع الأول هـو استقرار منجك السيفى فى ولاية إطفيح ، أما خبر كائنة جمال الدين الأستادار فأورده السلوك بتاريخ يوم الاثنين الثالث من ربيع الآخر .

(٣) هى من أعمال امبابة ، وقد ورد ذكرها فى القاموس الجغـرافى ج ٣ ق ٢ ص ٦١ .

[وفى] حادى عشريه توجه مبارك شاه إلى الأمير تانى بك اليحياوى أمير آخور وارتمى عليه ودخل تحت ذيله بسبب أن السلطان تغير خاطره عليه فشفع فيه عند السلطان .

[وفى] رابع عشريه عاد السلطان إلى قلعته فكانت مدة غيبته عشرة أيام ؛

[وفى] خامس عشريه قدم السلطان بن جلال الدين شيخ حسن بن ابن السلطان أويس — وكان قد حضر صحبة عمه ألقان غياث (١) الدين أحمد ابن أويس — وأقام حتى رحل صحبة حريم عمه فلما وصل إلى الرملة التحق بالقدس الشريف لأنه خائف على نفسه من عمه المذكور فلما سار عمه استأذن السلطان فى دخوله القاهرة فأذن له فدخلها بعياله فأكرمه وتلقاه وأنزله بدار من دور الأمراء وأجرى عليه ما يكفيه ووعده بإمرة ؛

وفى هذا اليوم وصل مسعود (٢) بن الشيخ محمد الكججمانى من مدينة تبريز هاربا من تيمورلنك لعنه الله ؛

[وفى] سادس عشريه قدم الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود الأستادار نائب الثغر السكندرى وصحبته تقدمة عظيمة مضمونها من الذهب عشرة آلاف دينار ومن الخيول مائة فرس ، ومن الثياب الحرير الخاص ثلاثمائة قطعة سكندرى فقبلت وشكرت ؛

وفيه أفرج عن اثنين من الأمراء المقيمين بدمياط ووصلا إلى القاهرة وهما : قطلو بك السيفى وكشبغا اليوسفى ؛

(١) « مغيث » فى السلوك ؛

(٢) كانت وفاته سنة ٨٢٢ هـ ، وقد وصفه ابن حجر فى الجزء الثانى من انباء الغمر (ترجمة ٢٦ لسنة ٨٢٢) بسوء السيرة ، وتابعه فى ذلك السخاوى فى الضوء اللامع ١٠/٦٣٣ ، والمتفق عليه عند هذين المؤرخين أنه كان رسول تيمور لنك إلى المصريين ؛

وفى هذا اليوم تزوج سلطان[1] بن أويس بابنة عمه تندى التى كان السلطان تزوجها ثم طلقها وانقضت عدتها منه، وأنعم عليه بإمرة عشرة، وقلع ما كان يلبسه من أثراب البغاددة وهيئتهم ولبس القباء والكلفتة: زى أمراء القاهرة.

* * *

شهر جمادى الأول

أهل بيوم الاثنين. فيه برز المرسوم الشريف لجماعة من الأمراء والخاصكية أن يسيروا فى الموكب بالرميلة تحت القلعة مع الأمراء وهم: صرغتمش المحمدى القزوينى وصلاح الدين محمد بن تنكز — وهما من الطبلخاناه —، وقرمان المنجكى وتمر الشهابى — وهما من العشروات —، ودمرداش السيفى وجرجى الصرغتمشى وأسنبغا التاجى وقوصون المحمدى وألجيبغا السلطانى وتغرى بردى القردمى وقجماس البشيرى ويلبغا المحمودى ومنخجا الحسنى فركبوا فى الموكب وصعدوا إلى القلعة ووقفوا مع الخاصكية وصار هذا فعلهم.

وفيه وقع الطلب من سائر الأمراء بالخيول لأجل عمارة مراكز البريد، فألزم كل من الأمراء المقدمين بعشرة أكاديش، وكل من الوزير والأستادار

(١) فى السلوك «تزوج سلطان ولده بابنة عمه»، ويلاحظ أنه لم يرد ذكر لزواج بهذا الاسم فى ترجمة تندو (أو تندى) التى ذكرها السخاوى فى الضوء اللامع، ج ١٢ ص ١٦ رقم ٨٧ — نقلا عن إنباء الغمر لابن حجر — حيث قال «تندو بنت حسين بن أويس ... قدمت مع عمها أحمد بن أويس إلى مصر فتزوجها برقوق ثم فارقها فتزوجها ابن عمها شاه ولد بن شاه زاده بن أويس، فلما رجعوا إلى بغداد ومات أقيم شاه ولد فى السلطنة فدبرت عليه زوجته هذه حتى قتل»، أنظر هذا النص أيضا فى شذرات الذهب ٧/١٥٥، والعزاوى: تاريخ العراق بين احتلالين ٢/٢١٣، وقد تنبه المؤلف الأخير فنقل هذا النص بالصورة التالية «فتزوجها ابن عمها شاه ولد ابن شاه زاده (الشيخ على) ابن أويس»، أنظر أيضا العزاوى: العراق بين احتلالين ٣/٥٥.

وأرباب الوظائف وأمراء الطبلخاناه بإكديشين ،وكل من الأمراء العشرينات والعشرات بإكديش واحد ، وأخذوا ذلك فأرساوه إلى المراكز .

[وفى] حادى عشريه قبض على منكلى بغا الزينى والى قوص :

[وفى] رابع عشريه خلع على الأمير جمال الدين محمود الأستادار خلعة الرضا وركب مع أعيان المملكة من الأمراء وغير ذلك وكان له يوم مشهود :

* * *

أول شهر جمادى الآخرة ورد البريد مخبرا بأن تركمان الطاعة حاربوا نعيرا وقتلوا من عربانه ألف رجل ، وأنه فر منهم وأخذوا من جماله ثلاثة آلاف بعـــير :

وفى هذا اليوم قدم رسول صاحب ماردين فجهز على يده تقليد مرسله بنيابة السلطنة بماردين ، وتشريف وهو : أطلسان وسيف بسقط مذهب وعنبر ومنديل مزركش ، وورد أيضا البريد مخبرا أن سولى بن ذلغادر وقع بينـــه وبين خصومه حرب شديدة وأنه كسر منهم كسرة قبيحة فظيعة .

[وفى] رابع عشره وصل نعير (١) بن حيار بن مهنا وتمثل بين يدى السلطان وقبل الأرض مرارا ، وسأل فى العفو فأعفى عنه .

وترافع رجلان للسلطان من أهل اسكندرية وكلاهما يد ولب دار الضرب أحدهما يقال له زكى الدين أبو بكر الموازينى والآخر أحمـــد المالقى ، فقبل السلطان قـــول كل منهما فى خصمه وسلمهما لابن الطبلاوى فخلص منهما ألف ألف درهم :

[وفى] ثامن عشره أخلع على الأمير يلبغا السالمى الخاصكى واســـتقر فى نظر الخانقاه الصلاحية سعيد السعداء ومشى فيها على قانون شرط الواقف ،

(١) أخطأ المقريزى فى السلوك، ٥ ٢٤ ب، إذ جعله « عمر بن نعير » .

فأخرج منها أصحاب الأموال، وزاد فى الفقراء المجردين رغيفا زائدا على الثلاثة أرغفة ، ورتب بها وظيفتى ذكر بعد صلاة العشاء والصبح .

[وفى] يوم الاثنين خلع على عدة من الأمراء واستقروا فى الوظائف وهم : صرغتمش المحمدى وقجماس البشيرى أمير خازندار ، ونوروز الحافظى رأس نوبة صغيرا عوضا عن تغرى بردى من يشبغا .

وفيه عقد مجلس بين يدى السلطان اجتمع فيه شيخ الإسلام البلقينى وقضاة القضاة بسبب ما وقع (١٤٧) بين يلبغا السالمى وشهاب الدين أحمد العبادى أحد نواب الحنفية فى أمر سعيد السعداء، وذلك أن عدتهم — أعنى الصوفية فى[أيام] نظر سودون النائب ابتداء دولة الظاهر — [كانت] دون الثلاثمائة نفر فتزايدوا حتى بلغوا خمسمائة إنسان ، فلم يف ريع الوقف بما عليه من المصرف فاحتاجوا أن قطعوا ما كان لهم من الحاوى والصابون فى كل شهر وكذلك الكسوة السنوية، فلما حصل فى أراضى مصر ما حصل من الشراقى شرق ناحية دهمرو[1] الموقوفة على الخانقاه المذكورة لقصور النيل فى هذه السنة فأجمع مباشروها على غلق المطبخ والمخبز من أول شهر رجب ، وقطعوا ما كان يصرف للصوفية من الطعام والخبز فى كل يوم فلم يصبروا على ذلك وصاروا يقفون للسلطان بسببه ، وتكرر وقوفهم مرارا وشكواهم إلى أن ولى يلبغا السالمى نظرها بشرط أن لا يعمل فيها إلا بما هو شرط[2] الواقف ، فنظروا شرط

---

(١) فى الأصل والسلوك « دمهروا » ، وفى الخطط ٢/ ٤١٥ « دهمرو » وقد أثبتنا ما بالمتن بعد مراجعة القاموس الجغرافى ، ق ١ ص ٢٥٦ .

(٢) جاء فى خطط المقريزى ٢/ ٤١٥ أن السالمى أوقف السراج ابن رسلان على شرط الواقف وهو أن تكون الخانقاه «وقفا على الطائفة الصوفية الواردين من البلاد الشاسعة والقاطنين بالقاهرة ومصر فإن لم يوجدوا كانت على الفقراء من الفقهاء الشافعية والمالكية الأشعرية الاعتقاد» .

الواقف فاذا فيه ألا يكون الصوفى فيها إلا من أهل السلوك المجردين ، وإن تعذر وجودهم فيكون وقفا على الفقراء والمساكين . وأفتاه شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى بوجوب اتباع شرط الواقف ، فبرز جماعة من الصوفية لعناده منهم : زين الدين أبو بكر القمنى من فقهاء السادة الشافعية ، وشهاب الدين أحمد العبادى من فقهاء الحنفية ، وصارا ينازعانه ويخاصمانه وطالت خصومتهما وتنازعهما ، فلم يلتفت القضاة والعلماء إلى قول القمنى ولا إلى قول العبادى بل رجعوا كلهم إلى ما أفتى به شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى وانفض المجلس على ذلك ، فكان من يلبغا السالمى أن قطع من لياته نحو الخمسين صوفيا ممن يركبون البغال المشهورين بالغنى والسعة فى الرزق والمال ، ومن جملتهم القمنى (١) والعبادى ، فمدوا ألسنتهما فيه ، وأفحش العبادى فى المقال وصرح بأن السالمى ليس أهلا لهذا الأمر واستنبط قوله تعالى (٢) : « أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات » وكتب على ذلك عدة كراريس ، حتى إنه قال عن يلبغا : « هذا الكافر يريد أن يكون مثل الفقراء الصالحين ؟ » ، وبلغ ذلك له فما قدر ولا صبر ، ولا حمل ما سمعه وصعد إلى السلطان فشكى له ما قال العبادي وما فعله به ونزل من القلعة إلى داره ، فوقع أنه رآى العبادى فى طريقه وهو ماش فى شوارع الطريق فازداد غضبه وحنقه ، وترجل عن فرسه ومسكه من كمه ودعاه إلى

(١) هو أبو بكر بن عمر بن عرفات الأنصارى الخزرجى من قمن العروس وإن كانت الشذرات ٧/٢٠١ ذكرت أنه من قمن بريف مصر ، وكان قدولى تدريس الصلاحية القدسية سنة ٧٩٧ بدلا من الجزرى لسفره إلى بلاد الروم ، ويلاحظ أن السخاوى أهمل فى ترجمته التى ساقها له فى الضوء اللامع ح ١١ ص ٦٣ — ٦٤ الإشارة إلى منازعته هذه مع السالمى ، أنظر أيضا ترجمته فى وفيات سنة ٨٣٣ فى إنباء الغمر ، إما قمن العروس هذه فراجع عنها ما جاء فى القاموس الجغرافى ج ٣ ق ٢ ص ١٣٢ .

(٢) سورة الجاثية ٤٥ : ٢١ .

الشرع ، فبالغ العبادى فى الحمق والخفة والطيش وصار يقول ليلبغا : «تمسك كمى » و[بينما] هما فى هذا الحال .[إذ]مرسعد الدين نصر الله بن البقرى فترجل عن فرسه ولاطفهما وترفق لهما حتى دخل بهما الى المدرسة الحجازية (١) التى برحبة باب العيد فجلسوا بهـا وطال تنازعهما ، فحضر إليهم على بن الطبلاوى ومشى فى الصلح بينهما فتزايد جنون العبادي حتى قال بكفر السالمى وصاريقول : «بمسك كمى ومذهبى أن من خاطب الفقيه « يا فقيه » بصيغة التصغير فقد كفر ، وأنت مسكك كمى فيه تنقيصى وهو كفر » ،وانفض المجلس على غير صلح والخواطر متغيرة سيما شيخ الإسـلام البلقينى لمـا يبلغه عن العبادى وما يعمله فى حقه ، فرجع السالمى مهرولا إلى السلطان وأخبره بمـا وقع له مع العبادى ، فأخذ السلطان يمزح مع السالمى ويقول له «كفرك الفقهاء ! »

ثم إن يلبغا سأل فى أن يعقد [السلطان] له مجلسا ولغريمه ، فرسم السلطان لنقيب الجيش أن يحضر غريمه ويطلب القضاة وشيخ الإسلام إلى بين يديه ، فلما كان يوم الخميس ثامن شهر رجب حضر العبادى والسالمى وشيخ الإسلام وقضاة القضاة ، وادعى على العبادى بأمور وأقيمت البينة عليه عند قاضى القضاة ناصر الدين أحمد بن التنسى ، فحكم بتعزيره (٢) ، والتعزير عنـد السادة المالكية لا نهاية له حتى لو قتل فى التعزير بحسب ما يراه الحاكم حتى إنه بلغنى

(١) كانت هـذه المدرسة برحبة باب العيد بالقاهرة ، وهى من إنشاء ابنة الناصر محمد بن قلاون : الست خوند تتر الحجازية نسبة إلى زوجها الأمير بكتمر الحجازى ، وكان بناؤها سنة ٧٦١ ، وقد أوقفتها صاحبتها على الشافعية والمالكية وجعلت بها خزانة كتب وبجوارها مكتبا لأيتام المسلمين وأجرت على هؤلاء الأيتـام ومؤدبهم كل يوم خمسة أرغفة وكسوتى الشتـاء والصيف وكان لا يليها إلا الأمراء الأكابر ، فلمـا كان عهد الناصر فرج وكل أمرها إلى الأمير يوسف البجاسى فأهمل شأنها وجعلها سجنا للناس المرسم عليهم ، انظر المقريزى : الخطط ٢ / ٣٨١ — ٣٨٢ .

(٢) فى السلوك « بتقريره » .

من بعض الفضلاء أن بعضهم أحضروه مع جماعة يشربون الخمر ولم يشربه ، فما ساعه إلا أن اعترف بشربه ليحد ولا يعزر ، فنهض السلطان وبادر بالكلام وقال : « التعزير لى أنا أعرف كيف أعزره »، وأراد ضربه بالمقارع ، فشفع الأمير قلمطاى الدوادار فيه حتى فوض تعزيره إلى قاضى القضاة جمال الدين محمود الحنفى بعد ألف جهد فأمر بكشف رأسه واستمر ماشيا بين يدى البغال التى ركبها القضاة والنواب ثم أمر بسجنه فى [حبس] الديلم ثم أفرج عنه ، ورسم بسجنه فى [سجن] الرحبة إلى يوم السبت حادى عشره طلب إلى بيت قاضى القضاة جمال الدين محمود الحنفى العجمى وحضر العلائى ابن الطبلاوى فضرب على قدميه نحوا من أربعين ضربة ورسم بعوده إلى السجن فأقام به إلى ثامن عشره ، ثم طلب إلى بيت السالمى وقد حضر فيه شيخ الإسلام البلقينى وصار يتدخل على السالمى حتى أفرج عنه وبلغ القضاة ذلك فأقبلوا إلى بيت السالمى حتى حضروا الصلح بينهما :

[وفى] يوم الاثنين (١) رابع شعبان جلس السلطان بدار العدل — وهو الإيوان — فعملت الخدمة فيه على العادة ، وكان له مدة لم تعمل فيه الخدمة نحوا من سنة ونصف .

وفيه خلع على صدر الدين محمد بن المناوى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا [عن] قاضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى البقاء وأعاد السلطان للأيتام المال الذى اقترضه من المودع الحكمى وعلم أن تولية محمد بن أبى البقاء ما كانت إلا لغرض ، وقد فرغ الغرض منه .

(١) إذا أخذنا بما جاء فى جدول السنين الهجرية الوارد بالتوفيقات الإلهامية ، ص ٣٩٩ كان الاثنين ثالثه لأنه اعتبر السبت أول شعبان .

[وفى] رابع عشره قبض على عمر بن نعير وعلى حجابه الثلاثة فصفدوا وحملوا إلى سجن الإسكندرية .

[وفى] سادس عشره ركب السلطان وتوجه لعيادة الأمير بكامش فأقام عنده ساعة ورجع إلى القلعة :

[وفى] سابع عشره ركب الصدر المناوى وهو لابس خلعة القضاء فتوجه إلى مصر ودخل الجامع العمروى وحكم بين الناس على العادة ومعه بقيـة القضاة (٤٧ ب) وعاد إلى منزله فى غاية السرور والهنا وبلوغ الآمال والمنى :

[وفى] ثامن عشره ركب السلطان ونزل من الصحراء ودخل القاهرة من باب النصر وصعد إلى مدرسته فزار قبر والده وأولاده وصعد إلى القلعة .

[وفى] ليلة الثلاثاء سادس عشريه رسم للأمراء أن يتوجهوا للكبس على العربان ببلاد الصعيد فخرجوا فى عدد كبير وهم : الأمير بكلمش أمير سلاح وقلمطاى الدوادار ونوروز رأس نوبة وأرغون شاه البيدمرى ، وفارس حاجب الحجاب ، وقديد الحاجب ، وأحمد بن يلبغا ، وأمراء طبلخانات ، وعشرات عدد كثير :

[وفى] ثامن عشريه أخذ قاع النيل فكان أربعة أذرع واثنى عشر إصبعا

[وفى] سلخه خلع على الصاحب تاج الدين عبد الرحيم بن أبى شاكر واستقر فى وزارة الشام عوضا عن بدر الدين محمد الطوخى بحكم عزله .

[وفى] يوم الاثنين ثانى شهر رمضان رجع الأمراء الذين توجهوا للكبس على عربان الصعيد وأحضر صحبتهم خمسمائة رجل مقبوض عليهم وثمانون فرسا فسجنوا من الرجال ــ بخزانة شمائل ــ نحوا من ستين رجلا مشهورين بالفساد وأفرجوا عن باقيهم :

[وفى] سادس عشره خلع على شرف الدين محمد بن الدماميني الاسكندراني واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن محمد البرجى .

وفيه رسم لابن الطبلاوى أن يتكلم فى دار الضرب بالإسكندرية وفى متجر السلطان عوضا عن محمود فلم يستمر هذا إلا أياما قليلة ، وتنافسا فرافع ابن الطبلاوى محمودا للسلطان وأخبره أن فى جهته من دار الضرب مائتى[1] ألف درهم فضة ، فصالح السلطان عليها بمائة ألف وخمسين ألف وحملها للسلطان فخلع عليه وعلى ولده محمد وعلى ابن الطبلاوى وعلى ناظر الخاص وعلى كاتب محمود الذى هو ابن غراب ، وكان محمود متغير الخاطر على ابن غراب بسبب أنه يخبر ابن الطبلاوى بأحواله وصار يبارزه بالعداوة حتى إن ابن الطبلاوى جعله أكبر أخصائه وأعوانه سعيا لإزالة دولة محمود ، وكان كذلك ؛ ولُبْس ابن غراب هذه الخلعة بحضور السلطان كان أشد ما يكون على محمود وهى ابتداء ظهوره واشتهاره بين الدولة وهو ابن عشرين سنة ، وما كذب المثل : « اتق شر من تحسن إليه » فإن محمودا أخذ ابن غراب فقرره كاتبا فى خواص أمواله وهو صغير ورباه عنده بمنزلة الولد وعلّمه الكتابة ، فلما كبر وبلغ حداثته نفسه بالرياسة ورأى أنه لا يصل إلى ذلك إلا بإزالة محمود ، وكان ابن الطبلاوى قد صار من أخصاء السلطان فانتمى إليه وصار يحط على محمود مع بغض ابن الطبلاوى له ، ونسى ما فعله معه من الخير والإحسان حتى كأنه لا يعرفه ، ومن عظم محبة محمود له دلّه على عوراته فصار معه أسيرا لأنه صار يعلم بحواصله وأمواله ، فسعى ابن الطبلاوى حتى جمع بين ابن غراب وبين السلطان فى خلوة ، وعرّفه بأحوال محمد وأمواله على التفصيل ونتج عن هذا الأمر ما يأتى سياقه مفصلا إن شاء الله تعالى .

(١) فى السلوك ٢٤٧ أ « ستة آلاف درهم فضة » .

[وفى] يوم السبت جلس السلطان بالميدان تحت القلعة لخلاص المظلومين والحكم بينهم ،وكانت عادته الجلوس فى هذا المكان يوم الأحد والأربعاء ، فقرر عوضهما السبت والثلاثاء وجعل الأحد والأربعاء لبسطه وانشراحه ومعاطاته الشراب (١) ، واستمر هكذا ، وطلب مباشرى الأمراء وقال لهم : « بلغنى أنكم تحمون البلاد ! » فحلفوا عن ذلك فأجابهم : « متى سمعت أن أحدا حمى بلدا نقبت جنبيه بالمقارع وأشهرُهُ بالقاهرة مسمرا بالحديد وأوسطه ، بل يكون الأمراء والأجناد متساويين فى المغارم » وكتب بذلك إلى الكشاف والولاة وأن لا يحمى [أحد]أحدا من المغارم ولا يحمى أحدا من الفلاحين .

وحدث فى هذه السنة فى زيادة النيل أمر غريب . وهو أن البحر من يوم أخذ قاعه استمرت الزيادة حتى بلغت ثمانية أذرع ثم زاد فى ستة أيام ثمانية أذرع وإصبعين وهى من انتقال يوم الخميس رابع شوال إلى يوم الثلثاء تاسعه (٢) الذى هو ثالث مسرى فكان وفاء النيل ستة عشر ذراعا ، وركب السلطان حتى عدّى النيل إلى المقياس فخلّقه بالزعفران ثم فتح فم الخليج على العادة ، وخلع على أصحاب الوظائف على العادة .

[وفى] ثامن عشره توجه الأمير ناصر الدين محمد بن جمق بن الأمير الكبير أيتمش إلى الحجاز وهو أمير الركب وخلع عليه فكان له يوم مشهود .

ثانى عشره — وهو آخر أيام النسىء — بلغت زيادة النيل إلى ثمانية عشر ذرعا ونصف ، ثم هبط من يومه .

---

(١) انظر إنباء الغمر ١/٤٨٩ .

(٢) أمامها فى هامش المخطوطة « زاد النيل فى ستة أيام ثمانية أذرع وأوفى ثالث مسرى » .

[وفى] ثالث عشره ركب السلطان وتوجه إلى دار محمود الأستادار ليعوده بسبب مرض اعتراه فجلس عنده ساعة فقدم له خيولا وقماشا وغير ذلك .

[وفى] خامس عشره — الموافق ثالث توت — انتهت زيادة النيل إلى ثمانية أصابع من عشرين ذراعا واستمر ثابتا إلى رابع بابه فكان طوفانا عظيما والأسعار تعلو وتغلو ، فبلغ الإردب القمح ثمانين درهما ، والإردب الشعير والفول أربعة وخمسين درهما ، والبطة الدقيق ثمانين درهما وعشرين ، والخبز كل رطلين ونصف بدرهم ، [وفى] آخر هذا اليوم خلع على الماردينى ، واستقر فى ولاية قوص .

[وفى] يوم السبت ثانى ذى الحجة وصل الأمير طولومن على شاه الذى كان توجه إلى طقتمش خان (١) ليغريه على محاربة تيمور وأخبر أنه سار إليه وقاتله ثلاثة أيام فانكسر من تيمور وانهزم إلى بلاد الروس ، فخرج طولومن على شاه من سراى إلى قرم (٢) وقصد الكفا (٣) فقبض عليه متملكها وعوّقه عنده ليتقرّب به إلى تيمور حتى أخذ منه خمسين ألف درهم ، وملك تيمور كفا والقرم فأخربهما دكا وسبا حريمهما واستأصل رجالها كما هى العادة القبيحة لعنه الله وأخزاه ؛ ووصله الخبر بأن الأمير قرا يوسف بن قرا محمد بن بيرم خجا متملك الموصل وصل إليه عسكر تيمور فقاتلهم وكسرهم وهزمهم ، قبحهم الله .

(١) كانت مملكته إذ ذلك هى القفجاق ، وكان يضاف إليها الدشت ، راجع القلقشندى : صبح الأعشى ٤ / ٤٥٦ — ٤٥٨ .

(٢) وقد تكتب بالصاد ، وهى قاعدة مملكة الدشت .

(٣) فى السلوك ٢٤٨ أ « الكفار » وهو خطأ ، أما « الكفا » فهى فرضة القرم ، وعليها سور من لبن ، ومن شمالها وشرقيها صحراء القبجاق ، انظر صبح الأعشى ٤ / ٤٦٠ — ٤٦١ .

وفى آخر هذا اليوم وصل مبشروا الحاج وأخبروا بأن [حسن] بن عجلان استولى على مكة .

وولى قضاء الشافعية بحلب فى هذه السنة القاضى شمس الدين محمد الإخنائى عوضا عن ناصر الدين محمد بن خطيب نقرين (١) وأعيد برهان الدين [أبو] سالم بن محمد بن على الصنهاجى إلى قضاء الشافعية بدمشق عوضا عن علم الدين محمد القصعى ، واستقر شمس الدين محمد بن أحمد بن محمود النابلسى فى قضاء الحنابلة (٢) بالشام عوضا عن علاء الدين على بن محمد بن محمد ابن عثمان بن المنجا (٣) .

(١٤٨ ا) ومات فى هذه السنة ممن له ذكر من الأعيان :

٢١٢ ـ الشيخ الصالح المعتقد أبوبكر البجائى (٤) المغربى (٥) المجذوب ، وكان السلطان (٦) الملك الظاهر يعتقده اعتقادا عظيما ، وأوصى أن يدفن إذا مات عند

(١) الوارد فى ابن طولون : قضاة دمشق ص ١٢٩ أن ابن خطيب نقرين ولى قضاء الشام فى ذى القعدة سنة ٨٠٥ ، ولم يشر ابن حجر فى ترجمة له بإنباء الغمر (ترجمة رقم ١٦ وفيات سنة ٨١٨) إلى توليه قضاءها ، لكن االوارد فى ذيل رفع الإصر ص ٣٥٦ أن الإخنائى تولى عوضه قضاء حلب وكان قدومه إليها من دمشق .

(٢) الوارد فى الثغر البسام ، ص ٢٨٧ أن الشمس النابلسى تولى قضاء دمشق فى ربيع الآخر سنة ٧٩٦ وليس فى سنة ٧٧٩ كما هو بالمتن وكان ذلك بسعى منه ضد العلاء ابن المنجا ، على أن نفس المؤلف يشير ص ٢٨٦ فى ترجمته نقلا عن البرهان بن مفلح أن العلاء لم يل القضاء مستقلا .

(٣) فى الأصل « المنجام » ، وفى السلوك « النجا » .

(٤) فى الأصل « النجارى » وقد أثبت الرسم أعلاه بعد مراجعة ترجمته فى ابن حجر : الدرر الكامنة ١ / ١١٨٥ ، يؤيد هذا نعته بالمغربى ثم قراءته المدونة وهى مشهورة ببلاد المغرب .

(٥) فى الأصل « المصرى » وفى إنباء الغمر ١ /٤٩٧ « المصرى » حيث جعل وفاته يوم السادس من جمادى الآخرة ، أنظر أيضا عقد الجمان ، لوحة ٤٦٩ .

(٦) فى الأصل « أرجلهم »

رجليه فكانت له جنازة مشهودة حضرها القضاة والعلماء والفقهاء والأمراء وأعيان الدولة في يوم السبت خامس جمادى الآخرة ودفن بتربة السلطان[1] الملك الظاهر بالصحراء ، ورسم السلطان للسالمي بتجهيزه .

٢١٣ ــ و[مات] الشيخ الإمام برهان الدين إبراهيم الآمدي الفقيه الحافظ أحد خواص ابن تيمية وأصحابه ، في رابع عشرى ذى القعدة .

٢١٤ ــ و[مات] البرهان إبراهيم القلقشندى موقع الحكم في ثالث عشرى شـــعبان :

٢١٥ ــ والأمير ألطنبغا [بن عبد الله[2]] الحلبي الأشرفي وهو في سجن قلعة حلب وكان من أكابر الشجعان وممن اشتهر منهم في المواقع والحروب :

٢١٦ ــ وتوفى الأمير زين الدين أبو بكر بن الأحمدي في سابع عشر رجب ، وكان رئيسا .

٢١٧ ــ وتوفى الرئيس صدر الدين بديع ابن نفيس رئيس الأطباء وفاضلهم ومصنفهم وحاذقهم في سابع[3] عشر رجب .

---

(١) يقصد بذلك التربة الظاهرية أو المدرســة الناصرية أو الخانقاة البرقوقية ، وهى في الواقع من إنشاء الملك الناصر فرج بن برقوق ، وتفسير نسبتها إلى برقوق يوضحه قول المقريزى في الخطط ٢ /٤٦٣ من أنه « لما مرض الملك الظاهر برقوق أوصى أن يدفن تحت أرجل الفــقراء (المدفونين في التربة) وأن يبنى على قبره تربة فدفن حيث أوصى »

(٢) راجع ابن الفرات : تاريخ ، ٤١٨/٩ .

(٣) اتفقت النجوم الزاهرة ١٢ / ١٤٤ ، والسلوك ، والدرر الكامنة ٢ / ١٢٧٥ ، على جعـل وفاته في ربيع الأول ، واتفق الأولان على أن ذلك كانـــ يوم ١٦ منه ، اما الدرر الكامنة فقد أهملت ذكر اليوم .

٢١٨ — ومات الأمير بلاط المنجكى أحد العشرات وكان له خـبرة ومعرفة بفنون المحاربات .

٢١٩ — وتوفى عز الدين أبو البقاء حمزة بن على بن يحيى بن فضل الله العمرى نائب أخيه[١] فى كتابة السر وأحد موقعى الدست ، مات فى الشام يوم تاسوعاء ، وهو آخر[٢] من فضل من ذرية ابن فضل الله :

٢٢٠ — وتوفى الخواجا الكبير [رشيد المحبى[٣]] أحد أعيان تجار الكارم ليلة السبت العشرين من جمادى الأولى وكان محافظا على الصّلاة والصّلات .

٢٢١ — وتوفى الأمير طوغان الإبراهيمى أمير خازندار ، وأصله من المماليك الظاهرية فى سادس شهر صفر :

٢٢٢ — ومات السيد الشريف على بن عجلان أمير مكة قتيلا بها فى سادس[٤] عشر شهر شوال .

٢٢٣ — و[مات] الشيخ نور الدين على الهوريني شيخ القوصونية[٥] — وكان من الأذكياء الأتقياء — فى ثالث[٦] عشر رجب .

(١) يقصد بذلك أخاه بدر الدين محمد .

(٢) راجع ابن الفرات ، تاريخ ٩/٤١٩ .

(٣) فراغ فى الأصل والإضافة من السلوك ، ٢٤٨ ب .

(٤) فى النجوم الزاهرة « الأربعاء السابع من شـوال » ولكن السلوك يتفق مع التاريخ الوارد بالمتن ، أما إنباء الغمر ١/٥٠١ ، والشذرات ٦/٣٥٠ فقد اكتفيا بذكر الشهر دون النص على اليوم .

(٥) فى الأصل « القوصية » والمقصود بذلك مشيخة خانقاه قوصون التى سـبق التعريف بها ؛ انظر أيضا ابن حجر : إنباء الغمر ١/٥٠٠ ، ٥٠١ .

(٦) فى السلوك ، « ٢٣ رجب » .

٢٢٤ ــ و [مات] نور الدين على بن أبى البركات[1] ، أحد نواب الحنفية فى سابع عشر رجب .

٢٢٥ ــ و [مات] الشيخ نور الدين على بن الشربدار أحد أعيان الفقهاء الشافعية وفضلائهم فى تاسع عشر رجب .

٢٢٦ ــ وتوفى جمال الدين عبد الله بن [فرج[2] بن كمال الدين] النويرى أحد أعيان الفقهاء المالكية وأحد أعيان نوابهم ، وكان مستحضراً لأصول مذهبه وفروعه .

٢٢٧ ــ و [مات] الأمير زين الدين قاسم بن السلطان وكانت له جنازة : وناهيك بابن السلطان أو القاضى إذا ماتا لا إذا مات أبواهما .

٢٢٨ ــ وتوفى الأمير قرابغا والد الأمير جركتمر الخاصكى الأشرفى وهو من الأمراء العشرينات فى ثانى شهر ربيع الأول .

٢٢٩ ــ وتوفى المقام الناصرى محمد ولد السلطان فى يوم السبت ثالث عشرى ذى الحجة وكان السلطان يحبه لأنه أكبر أولاده ، وعجز الأطباء فى برء علته وكان يشكو من رجليه ، وكان إقطاعه الديوان المفرد ، ودفن فى مدرسة والده الظاهرية بين القصرين ، وولد فى مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة وعمل له كفارة عظيمة ، وقرر عند قبره القراء سبعة أيام ، وعملت عنده المآتم وذبحت الذبائح وفرقت فى الصوفية والمترددين .

---

(١) فى السلوك « الركاب » .

(٢) فراغ فى الأصل وقد أضيف مابين الحاصرتين من إنباء الغمر ١ / ٤٩٩ ، والسلوك ٢٤٨ ب .

٢٣٠ — وتوفى ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (١) بن عبد الدائم المشهور بابن بنت ميلق الشاذلى قاضى القضاة بديار مصر ، وكان فى بدء أمره يعظ الناس ولهم فيــه اعتقاد ومحبة ، ثم سئل بالقضاء فوليه وامتحن به فلم تشكر ولايته ولا سيرته وعزل ووزن مالا كثيرا أخذ منــه ظلما ، وحصل له أن غارت عينه فى ليلة الاثنين تاسع عشرى ربيع الأول .

٢٣١ — ومات غياث الدين محمد (٢) بن عبد الله بن محمد بن على بن حادث ابن ثابت الواسطى الأصل البغدادى ، ابن العاقولى ، وكان قدومه إلى القاهرة فى جفلة الناس من تيمور ، وكان رجلا من عظماء علماء فقهاء الشافعية ، كثير الأبحاث والاستحضارات عارفا بما يقول ، كثير المعقول والمنقول (٣) .

٢٣٢ — ومات [الشيخ] شمس الدين محمد [بن على] بن صلاح الحريرى أحد نواب قضاة الحنفية وهو من أعيان مشايخ القراء فى يوم الجمعة (٤) رابــع عشرى رجب .

(١) أسمته النجوم الزاهرة ١٢ / ١٦ ٤ بعبد الرحمن ، وقد أسـقطت الدرر الكامنـة ٨/٥٣٠ وشذرات ٦/٣٥١ كلا من « عبد الرحيم » و « عبد الرحمن » وسمته إنباء الغمر ١/٣٧ بمحمد بن عبدالدايم ابن محمد بن سلامة الشاذلى ؛ وهو فى السلوك ٢٥١ ب « محمد بن عبـد الله الكريم بن محمد المعـروف بابن بنت مليق » ؛ هذا وقد جعلت الدرر وفاته فى جمادى الآخر ، على حين اكتفت الشذرات بالإشارة إلى أنه « مات فى أحد الجمادين » واختلفت نسخ إنباء الغمر الخطية بين الجمادين (انظر فى ذلك الإنبـاء ١/٣٥ حاشية رقم ٢) ، أما التاريخ الوارد بالمتن فمنقول من النجوم الزاهرة .

(٢) ورد اسمه فى إنباء الغمر ١/٥٠٤ ، الشذرات ٦/٣٥١ هكذا : « محمـد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن على بن حماد بن ثابت » وهو فى السلوك « حماد » بدلا من « ثابت » .

(٣) يلاحظ أنه لم يمت بالقاهرة بل ببغداد حيث رجع إليها مع أحمد بن أويس ، كما دفن قرب قبر معروف الكرخى بها .

(٤) أشارت النجوم الزاهرة ١٢/١٤٨ إلى أن موته كان يوم الجمعة ٢٧ رجب وهـذا خطأ لأن أول رجب سنة ٧٩٧ كان الخميس كما ورد فى التوفيقات الإلهامية ص ٣٩٩ ، وأما الشذرات ٦/٣٥١ فقد اكتفت بذكر الشهر فقط .

٢٣٣ ـ وتوفى شمس الدين محمد بن عمر بن القليجى الحنفى أحد نواب القضاة الحنفية ومفتى دار العدل، وكان رئيسا مهابا له حشمة وافرة ومكارم أخلاق، ترجمه الشيخ تقى الدين المقريزى فقال(١) : « بلغ من الرياسة مبلغا » .

٢٣٤ ـ وتوفى الشيخ الإمام شمس الدين محمد الأقصر ائى الحنفى شيخ المدرسة الأيتمشية، وكان له باع طويل فى فنون العلم رحمه الله، فى سابع عشر جمادى الأولى .

٢٣٥ ـ وتوفى الشيخ الصالح المعتقد المقدسى الشافعى] شمس الدين محمد وكان يسكن بجامع المقسى على الخليج] فى يوم الأحد أول شهر رمضان .

٢٣٦ ـ و [توفى] الشيخ المعتقد محمود(٢) السملوطى المالكى فى ثانى عشر رمضـــان .

٢٣٧ ـ ومات شمس الدين محمد بن [أحمد بن] على بن عبد العزيز المعروف بابن [المطرز] المصرى فى يوم الأحد سادس جمادى الآخرة .

٢٣٨ ـ وتوفى الأمير موسى بن [أبى بكير] بن سلار أحد العشرات، وكان أمير طبر بعد دمرخان بن قرمان سنة ثمانين(٣) وسبعمائة فى ثالث شـــهر ذي الحجة، وكان ذا عقل وأدب :

(١) انظر السلوك ، ٢٤٩ أ ، س ١٧ .

(٢) فى السلوك « محمد » .

(٣) أخطأ السلوك إذ جعل ذلك سنة ٧٠٨ هـ .

سنة ثمان وتسعين وسبعمائة
من الهجرة النبوية

* * *

أهلت هذه السنة بيوم الأحد[1] .

فى ثانيه تناقص سعر الغلال وبيع الإردب بستين درهما .

وفى هذا اليوم رجع السلطان عن أشياء كان شرطها فى مدرسته ، منهـا أنّه كان عيّن أن يكون النظرُ عليها للقضاة ، فجعله لمن يكون سلطانا بعده ، إلى خامسه قرّر الأمير قلمطاى وخلع عليه ونزل إليها فصلّى بها ركعتين على العـادة .

وفى تاسعه ركب السلطان وتوجه إلى سرياقوس لأجل الصيد والقنص ، فأقام بها يلتذ بالمآكل والمشارب وغير ذلك .

وفى عاشره سبق الأمير يابغا السالمى الحجاج وكان مُقدّمهم .

وفى ثامن عشره الموافق [سادس[2]] هاتور ثبت النيل على ثمانيـة عشر إصبعا من تسعة عشر ذراعا وهذا من عجائب النيل .

---

(١) فى التوفيقات الإلهامية أن أولها كان السبت .

(٢) لم يرد فى الأصل تحديد اليوم ولكن ما أثبتناه مبنى على ما أورده المؤلف أعلاه من أن الأحد كان أول المحرم و يوافقه ١٨ بابه .

وفى سادس عشره رجع السلطان من سرياقوس فكانت مدة إقامته بها سبعة أيام .

[وفى] رابع صفر الذى هو الخميس نُقل الأمير يلبغا الأحمدى من كشف الوجه البحرى (٤٨ ب) إلى نيابة الوجه القبلى وأُعْطى تقدمة ألف زيادة ، وهو أول من عُمل له ذلك ، والله ولىّ الممالك .

وفيه خلُع علَى نور الدين على القور واستقرّ فى حسبة القاهرة عوضا عن شرف الدين محمد بن الدمامينى السكندرى .

وفى سادسه أَمر السلطانُ شاهينَ الحسنى الجمدار أن يتوجّه إلى بيت الأمير محمود وهو عليل ويأخذَ منه مالاً دَلَّهُ عليه ابنُ غراب — وهو مائة ألف دينار — فى عقد سلالم[1] غمز عليها فوُجدت ، وحَمل معها من داره قماشا : عدّة أحمال ، وقبض على زوجته وكاتبه إبراهيم بن غراب صنعةً لا على حقيقة ، فصعد بهم إلى القلعة ورجع فأخذ ولده ناصر الدين محمد إلى يوم السابع منه تسلم الأمير آل باى الخازندار سعد الدين بن غراب ونزل به إلى دار محمود ليدلّه على ذخيرة كانت فيه ، جملتها خمسون ألف دينار .

[وفى] حادى عشره خلع على الأمير قطلوبك العلائى أستادار الأمير أيتمش واستقر أستادار العالية عوضا عن الأمير محمود ، وأُنْعم عليه بإمرة عشرين واستقر هو فى إمرته وهو عليل ، وخلع على سعد الدين إبراهيم ابن غراب واستقرّ ناظر الديوان المفرد ، وخُلع على الأمير قديد القلمطاوى واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضا عن مبارك شاه ، وخُلع على علاء الدين الطبلاوى أستادار خاص الخاص وناظر الكسوة[2] عوضا عن نجم الدين محمد

(١) فى الأصل " سلالم عقد " .

(٢) أى كسوة الكعبة الشريفة .

الطنبدى وكيل بيت المال ومحتسب القاهرة مضافا لما بيده من الحجوبية والتحدث فى ولاية القاهرة ودار الضرب ، وركب فدخل القاهرة فى موكب جسيم ومحفل عظيم .

[وفى] ثامن عشره وصلت رسل الأمير قرا يوسف بن قرا محمد صاحب تبريز ومعهم رجل يقال له أطلمش من نواب تيمورلنك قبض عليه ، فسلمه السلطان لابن الطبلاوى .

[وفى] خامس عشريه استقر الأمير [زين الدين] مبارك شاه فى وظيفة الوزارة وخُلع عليه بعد وفاة ناصر الدين محمد بن [رجب](١) بن كلفت ، وخلع على سعد الدين نصر الله بن البقرى واستقر ناظرَ الدولة ، وخُلع على أمير فرج الحلبى واستقر فى شدّ الدواوين .

[وفى] سابع عشريه خُلع على شرف الدين محمد بن الدمامينى ، وأعيد إلى حسبة القاهرة عوضا عن القور لعجزه عما قُرِّرَ عليه من المال الذى التزم بحمله ، وأضيف للدمامينى نظرُ الكسوة ونُزعت من النجم الطّنْبدى بعد تحدّث ابن الطبلاوى فيها كما قدمنا ذكر ذلك ، والله الولى والمالك ، وما سواه هالك .

[وفى] سلخه أنعم على الأمير الوزير مبارك شاه بإمرة ناصر الدين محمد ابن رجب .

[وفى] حادى عشره ركب السلطان وعدا النيل فنزل صقيل من الأعمال الجيزية ورجع فى سادس عشره .

(١) الإضافة من السلوك وإنباء الغمر .

وفى تاسع عشره سَلم ناصرُ[(١)] الدين محمد بن الأمير محمود لابن الطبلاوى الوزير وناظر الدولة ونزلا به إلى دار الوزير ليخلّص منه مائةَ ألف دينـــار فطلبه وأهانه وأخرق به وبالغ فى تنقيصه وجرّده من ثيابه ليضربه بحضور الخاص والعام ، فقال له : « يا أمير : قد رأيْتَ عزّنا وما كُنّا فيه وقد زال ، وعزّك أيضا ما يدوم » ، فترك ضَرْبه[(٢)] لمّـــا سمع كلامه .

وفيه نُقل محمد بن محمود إلى شاهين الحسنى الطواشى الجمدار فأقام عنده يوما .

[وفى] ليلة الخميس ثالث عشريه نزل الطواشى شاهين الحسنى ومعـــه [الطواشى] صندل وابنُ الطبلاوى إلى مدرسة الأمير محمود فحفروا فيها حفيرة عميقة فوجدوا فيها أزيارا مضمونها ألف ألف درهم فضة ، فحُملت إلى السلطان .

وفى رابع عشريه أعيد محمد بن محمود الأستادار إلى بيت ابن الطبلاوى ووجد فى خزنة لأبيه حضر كبير فيه ستة آلاف دينار وأربعةٌ وعشرون ألف درهم وخمس مائة فضة .

[وفى] ثامن عشريه ظفروا لمحمود بمبلغ ثمانيـــة وثمانين ألف دينـــار فى مخزن خَمّار بثغر الإسكندرية فحُملت إلى الخزائن الشريفة .

وفيه[(٣)] رُسم أن يُعْمل فى كل يوم عشرون إردبا من القمح برسم الفقراء ، وتولى ابن الطبلاوى ذلك ، فوقـــع موقعَه وعَمّ الفقـــراءَ بالقاهرة ومصر

(١) فى السلوك ٢٥٠ ب "سلم ناصر الدين محمود بن محمد الأستادار لابن الطبلاوى على مائة ألف دينار ليخلصها منه" .

(٢) ورد بعد هذا فى السلوك قوله "وهذا أول يوم زال عنى وعن أبى فيه السعادة وأقبل الإدبار" .

(٣) الضمير هنا عائد على شهر ربيع الثانى وليس على يوم ٢٨ ربيع الأول ، انظر السلوك ٢٥٠ ب .

وأصحاب السجون ومن فيها وسكان القرافتين ، فحصل من هذا الخبز نفع عظيم فلم يُعْلَم أنّ أحدا مات فى هذا الغلاء بالجوع بل اغتنى فقراء كثيرون منه ، فإنه بقى لهم عدة مواضع من بيوت الأمراء والأكابر يأخذون منها الخبز ويبيعونه .

[وفى] تاسعه عدّا السلطانُ النّيل وصعد إلى برّ الجيزة ونزل إلى شاطئ النيل بالقرب من القاهرة ، وفى رابع عشره صعد القلعة .

[وفى] خامس عشره خُلع على تاج الدين عبد الرازق بن أبى الفرج الملكى واستقرّ والى قطيا مضافاً لما بيده من نظرها ، والتزم أن يحمل من مكوسها فى كل شهر مائة ألف وخمسين ألف درهم ، و [كان] هو صيرفى قطيا فى مبتدأ أمره ثم ترقى حتى صار صيرفيا وناظرا وواليا بها ، فلم تصلح له ولم يصلح إلا لها .

وفيه وجدوا ذخيرةً لمحمود الأستادار عند لاجين أمير سلاحه فكان ما بها ثلاثون ألف دينار .

[وفى] سابع عشره قَدم الأمير نوروز الحافظى رأسُ نوبة من الصعيد وصحبته على بن غريب أمير هوارة فى الحديد وثلاثة وثلاثون رجلا من أهله وأولاده كذلك ، فسُجن ابن غريب ببرج قلعة الجبل وسُجن جماعته بخزانة شمائل .

وفى هذا اليوم تصدّق السلطان بمالٍ كثير على الفقراء والمساكين نحو الخمسمائة نفر فى الإصطبل ، وحَصّل لكل فقيرٍ منهم خمسون درهما فضة .

[وفى] رابع عشريه جلس [السلطان] للصدقة على الفقراء كما تقدم ، فاجتمع عنده من الخلائق مالا يُحصِى عددّهم إلّا الذى خلقهم ، حتى إنّه من

شدّة الزحام مات منهم بباب الاصطبل سبعة وأربعون نفسا تولّى غسلَهم وتكفينهم وتجهيزَهم الوزير مبارك شاه والأميرُ فارس حاجبُ الحجاب ؛

ووصَل الخبرُ من الحجاز بأن الشّريف حسن بن عجلان اقتتل مع بنى حسن فهزمهم إلى ينبع وصار فى إثرهم إلى خليص(١) وصُحْبَته أمير ينبع فكبسوا عليهم وظفروا بهم ، ثم إن الأتراك الذين استخدمهم عنده كبسوا عليه وأرادوا الفتك به فقاتلهم قتالاً شديدا فقتلوا جماعةً من أصحابه ، ثم إنه ظفر بهم فقتل منهم إثنى عشر نفسا وأخرج الباقين من بلاده .

[وفى] يوم الخميس سابع جمادى الأولى رسم السلطان بإيقاع الحوطة على موجود الأمير محمود وداره ، (١٤٩) فأخذوا مماليكه وخدَمه وسلبوه جميع ما يملكه فى الظاهر ، ولم يخلوا عنده غير ثلاثة مماليك يخدمونه وهو فى غاية ما يكون من المرض .

وفى هذا اليوم هرب شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن الجزرى الشامى من ترسيم على بن الطبلاوى بسبب أنه متحدثٌ للأمير أيتمش فى أوقافه التى بالشام ، فأحضروه منها ليعمل حسابه فحوسِب وظهر فى جهته مالٌ كثير فرُسم عليه فعَجَز عن إحضاره [فهرب] ولم يُعْرف له خبر .

وفيه توجّه السلطان إلى النيل فعدّا منه إلى بر الجيزة وصنع للفقراء طعاما ولحما ففرق عليهم مع الخبز ، فكان لهم غوير وصراخ يُسْمَع من مسافة بعيدة ، وأُحْصِيَ عددُهم فبلغوا خمسة آلاف نفس ، ومن لم يجد طعاما ولا حَصَل له منه شىء يُعطَى درهما ونصف ، وكانت الأسعار قد عات وغات لقلة الغلال

---

(١) حصن وقرية أقرب ما تكون إلى مكة وتقع بينها وبين المدينة ، وكانت بها بركة كبيرة يردها الحجاج ؛ انظر مراصد الاطلاع ٢/٩٧٤ .

وصار الخبز لا يجلس أحد به فى الحوانيت لا بالقاهرة ولا مصر مدة سبعة أيام متوالية مع ازدحام الناس على الأفران ، ووصل ثمن الإردب القمح إلى مائة وخمسة وسبعين الإردب مع غاته ووسخه ، ولو كان مُغَرْبَلاً وَصَل إلى مائتين ، ووصلت البطّة الدقيق إلى أربعة وأربعين درهما ، والخبزُ كلّ رطلٍ وربع بدرهم .

[وفى] عاشره ظفروا لمحمود الأستادار بذخيرة وكميّتها سبعون ألف دينارٍ فطلعوا بها للسلطان .

[وفى] يوم الجمعة خامس عشره توجه شيخ الإسلام سراج الدين البلقينى إلى الجامع الأزهر بعد العصر ومعه طلبته فابتهلوا بالدعاء وسألوا الله تعالى بقلوب منكسرة برفع الغلاء ، واجتمع معهم أهلُ الجامع وخلقٌ كثير فكان جمعاً عظيما ، وأصبح الناس من الغد فأُخْبِرُوا أن وصل إلى ساحل بولاق ومصر مراكب مشحونة بالغلال فانحط السعر عشرة دراهم من كل إردب ، وأَخَذَ فى الانحطاط حتى أبيع بمائة وثلاثين الإردب ، والخبزُ كلُّ رطلٍ بدرهم وانحط عن ذلك .

[وفى] عشريه ظفر [أعداء](١) محمود بذخيرة له فأعلموا بها السلطان ، وحُمِلَتْ إليه وجملتها ثلاثة وستون ألف دينار .

وفى رابع عشريه ظفر أعداء محمود بعدة ذخائر فتقرّبوا بهـا للسلطان وحملوها إليه ..... (٢) تفصيل ذلك دفعةٌ : خمسون ألف دينار ، ودفعةٌ : أربعون ألف دينار ، ودفعة ثلاثون ألف دينار ، ودفعة سبعةٌ وثلاثون ألف دينار ، ودفعة

---

(١) أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم المعنى .

(٢) عبارة من أربع كلمات استحالت قراءتها ولعلها " جملتها مائتان وسبعة وخمسون ألف دينار " .

مائة ألف دينار ، وثلاث برانى إحداها فيها أحجار الباخش[١] والياقوت والزمرد ، وفى اثنين منهما لؤلؤ كبار ، ووُجِد أيضا عند شخص من أتباعه حلى وذهب له قيمة عظيمة .

[وفى] ليلة الثلاثاء سادس عشريه هُدِّدَ محمود وهو عليل وأُرْجِف ، وهَوَّلوا عليه وشددوا فأُلْزِم بإرضاء السلطان .

[وفى] سابع عشريه ظفر أعداء محمود بذخيرة له جملتها مائة ألف دينار وثمانية وثلاثون ألف دينار ذهبا .

وتزايدت صدقات السلطان فى هـذا الشهر على الفقـراء والمساكين والمسجونين من الذهب والفضة والخبز والطعام حتى شملت جميع الناس من الفقراء وصار لهم منها دنيا ، وكذلك تزايدت ذخائر محمود وأمواله حتى ملأت الخزائن .

وفى يوم الثلاثاء ثالث جمادى الآخرة رُسم للبريد أن يُحْضِر الوزير بدر الدين محمد بن الطوخى من الشام .

وفى هذا اليوم رسم السلطانُ لشادّ الدواوين بتسليم محمود ومعاقبته فتسلمه وعصره من ليلته حتى كاد يهلكه .

[وفى] خامسه رُسم للأمير أحمد بن يلبغا العمرى أن يَخْرُج إلى طرابلس فخرج من فوره .

وفيه أنعم السلطانُ على عدة من الأمراء بتقادم وطبلخانات وعشرات منهم : الأمير تمربغا المنجكى أُنْعِم عليه بتقدمة ألف ، وقطاوبك الأستادار بتقدمة ألف ، وطولو من على شاه بطلبخاناه ، ويلبغا الناصرى بطلبخاناه ،

(١) نوع من الأحجار الكريمة أقرب ما يكون إلى الزمرد ، وجاء فى تعريفه فى كتاب مباهج الفكر ومناهج العبر لابن الوطواط الوراق ، ٢/٣٦ إنه ثلاثة أنواع : الأحمر ويسمى المعقرب لقربه من لون العقرب ، والأخضر الزبرجدى ، والأصفر ، والأحمر أجودها .

وسراى تمر الناصرى بطلبخاناه ، وشادي خجا العثمانى بطلبخاناه ، وقنيـار العلائى بطلبخاناه ، وأُنْعم على كلٍّ من طيبغا الحلبى أمير آخور وسودون طاز من على باى ويعقوب شاه الخازندار ويشبك الخازندار وتمان تمر الأشقتمرى رأس نوبة الجمدارية بإمرة عشرة .

[وفى] عاشره ورد البريد من الوجه القبلى وأخبر أن عرب الأحامدة قتلوا قطلوبغا الطشتمرى ، فرُسم للركن عمر بن إلياس والى منفلوط باستقراره عوضه مضافا لما بيده وجُهِّزت له خلعة .

وفى هذا اليوم خُلع على الشيخ زين الدين أبى بكر القمنى واستقر فى مشيخة الصلاحية بالقدس الشريف عوضا عن الشيخ شمس الدين محمد بن الجزرى وأقام له نائبا فيها وجهّزه ، وذلك كله بمساعدة الأمير قلمطاى الدوادار فإنه كان من أعظم أخصائه ومن المقرّبين لديه .

[وفى] رابع عشريه خلع على الشيخ شمس الدين محمد ويعرف بشيخ زاده الحويرانى واستقر فى مشيخة الشيخونية عوضا عن البدر الكلستانى كاتب السر .

[وفى] سادس عشره أُخلع على الأمير فارس حاجب الحجاب واستقر ناظر الشيخونية والصرغتمشية ، وخُلع على تمربغا المنجكى واستقر حاجبا ثانيا عوضا عن قديد .

وفى ثامن عشره وصل على البريد وزير الشام بدر الدين محمد بن الطوخى .

وفى العُشْر الثانى من هذا الشهر انحط سعر الغلال والدقيق والخبز من كثرة ما يجلبون [من] الغلال ، فأبيع الإردب القمح بخمسين درهما ، والفول والشعير بثلاثين درهما ؛ إلى ثانى عشريه أبيع كل أربعة أرطال من الخبز بدرهم ،

فغضب الذين يجلبون الغلال من هذا وأخذوا ما معهم من الغلال وتوجهوا بها إلى البلاد كالإسكندرية ونحوها طالبا لنمو السعر، فآل أمر الناس إلى ما كانوا عليه من الانقضاض على شراء الخبز والدقيق.

[وفى] يوم الثالث والعشرين فُقد الخبز من الأفران والحوانيت فتخاطفه الناس من رءوس الحمالين فكان يوما عظيما إلى الغاية، وأصبح الناس من الغد فوقفوا للسلطان وصرخوا من الجوع، فعيّن (٤٩ ب) السلطانُ علاءَ الدين ابنَ الطبلاوى يتحدث فى الحسبة فإنّ شرف الدين بن الدماميني اختفى فى داره خوفا من العوام أن يبطشوا به، وتمادى الحالُ على هذا الأمر والناسُ فى غاية ما تكونُ من الهلع إلى آخر يوم الخميس، ثم نودى أن يباع الرّغيف بربع درهم لكن الأصل وجوده وإنما الناس فى غاية ما تكون من الانهماك على شرائه وخطفه من الأفران والمحاربة حتى يصلوا إلى شيء منه، وصار القمح يباع القدح منه بدرهم ونصف فضة ولا يوجد، وأما الإردب منه فوصل إلى مائة وعشرين درهما وهو معدوم، والشعير بستين والفول كذلك، وعُدِمَ وجودُ الخبز من الأسواق ليلاً ونهاراً فلم ينظُرْه أحد من الناس، فطلَب السلطانُ شرفَ الدين الدّماميني السكندرى فصرفه عن الحسبة، وخَلع على شمس الدين البجانسى الصعيدى واستقر به عوضا عنه بمساعدة ابن الطبلاوى، وتم الحال على هذا إلى آخر الشهر فقاسى أهل مصر أياما شديدة.

* * *

شهـــر رجب

أُهلّ بيوم الاثنين:

يوم الخميس رابعه خلع على سعد الدين نصر الله البقرى واستقر فى وظيفة الوزارة عوضا عن مبارك شاه وخُلع على بدر الدين الطُّوخى واستقرّ فى وظيفة

نظر الدولة، واستمر مبارك شاه أميراً على ما كان عليه قبل الوزارة، وخلع على شرف الدين الدماميني واستقر في نظر الكسوة.

وفي هذا الشهر اجتمع الأحامدة من عربان الصعيد مع جمع كثير من هوّارة وصاروا أيضا مع ابن غريب وساروا إلى أسوان واتفقوا مع الكنوز، فبلغ المسامعَ الشريفةَ خبرهم، فكُتِب مِثالٌ شريفٌ على يد البريد لنائب الوجه القبلي - الذي هو عُمر بن إلياس - بالتوجّه لمحاربتهم، فسار ومعه الجمع من هوّارةِ عمرِ بن عبد العزيز فلم ينل منهم غرضا ولا ظفر منهم بطائل ولا نائل.

* * *

[في] أول شعبان : رَسم الأمير علاء الدين بن الطبلاوي بنَقْل الأمير محمود إلى داره وعقوبته وتخليص الأموال منه، فعصره وعاقبه وأفحش في عقوبته وقرر عليه أربعمائة ألف درهم فباع جميع ما يملكه من الموجود فلم يكمل ثلاثمائة ألف درهم فضة.

وفيه خُلع على ناصر الدين محمد بن الأمير علاء الدين بن علي بن كلفت التركماني واستقر نقيبَ الجيش عوضا عن علي بن العينتابي.

وفي ثالث عشره أُخذ قاع النيل فكان ستةَ أذرع بغير زيادةٍ ولا نقص، وأوفى النيل تاسع عشري شوال الموافق له ثاني عشر مسرى، فركب السلطان في موكب عظيم وجحفل جسيم وتوجه إلى المقياس فخلقه ثم فتح فم الخليج على العادة، وخلع على العادة على أصحاب الوظائف كالأمير الزردكاش والوالي وأولاد ابن الرداد والرؤساء.(١)

(١) بأحداث شوال تنتهي أحداث هذه السنة عند المقريزي فقد تداخلت أحداث رجب وشعبان مع بقية شهور السنة عنده.

[وفى] تاسع عشر ذى القعـــدة الذى هو الخميس غضب السلطان على سعد الدين أبى الفرج بن تاج الدين موسى - ناظر الخاص - ووقعت الحوطة على داره ، وطَلَبَ [السلطان] ســعدَ الدين إبرّاهيم بن غراب السكندرى - كاتبَ الأمير محمود - فخَلَع عليه واستقرّ فى وظيفة نظر الخاص عوضا عنــه .

* * *

أول شهر ذى الحجة : صُرِف ابنُ السّنجارى عن وزارة الشام وخلع على شهاب الدين أحمد بن الشهيد واستقرّ وزيرَ دمشق عوضا عنه .

وفى هذا الشهر بلغت زيادةُ النيل إلى تسعة عشر ذراعا ، وكان فى رابع عشريه اتّفقت عجيبةٌ من العجائب وهو أن ابنَ الطبلاوى الوالى أخلع عليـــه واستقر فى نظر المارستان عوضا عن الأمير الكبير الأتابك كمشبغا الحموى .

[وفى] سابع عشريه وصل مبشر الحجاج (١) وهو الأمير سودون طاز ، وبشر بالأمن والسلامة والرخاء ، وأن أمير مكة حسن بن عجلان وقع بينـــه وبين بنى حسن محاربةٌ فقَتَل من أعيانهم إثنى عشر شريفا ، وقتل من القـــواد ثلاثين قائدا .

وانتهت هذه السنة على ما تسمع وترى .

* * *

ومات فيها من الأعيان من سيذكر :

٢٣٩ - الشيخ برهان الدين إبراهيم بن الشيخ جمال الدين عبدالله المشهور بالمنوفى ، خطيب جامع (٢) ابن شرف الدين بالحسينية ، وكان رجلا فقيها مالكى

(١) فى الأصل « وصلوا مبشرى » .

(٢) اكتفى ابن حجـــر فى ترجمته الواردة فى الدرر الكامنة ١/٨٤ بقـــوله إنه كان خطيب جامع الحسينية وكذلك فى إنباء الغمر ١/٥١٤ .

المذهب فاضلا بليغا فصيحا ، له اشتغال وأشغال [مات] فى ليلة الثلاثاء تاسع شهر رجب ودفن بتربة والده خارج باب النصر :

٢٤٠—وتوفى[(١)] شهاب الدين أحمد بن محمد بن بيبرس المعروف بابن الركن البيبرسى[(٢)] الحنفى المقرئ ، كان زيّه بزى الأجناد وكان إماما فى فى القراءة وله جماعة يقرءون عليه .

٢٤١—وتُوُفّى ولىّ الدين أحمد بن تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين محمد ناظر الجيش ، وكان تولّى عدة وظائف قبل الجيش منها : كتابةُ توقيع الدست ونظر خزائن السلاح ، وكانت له طنطنة وعز وإقبال ، ثم تغيرت به الأحوال والدهور إلى أن صار لا يملك شيئا من الدنيا ، وستره الله تعالى بموته فى سادس عشرى شهر جمادى الآخرة .

٢٤٢—وتوفى القاضى شهاب الدين أحمد بن محمد بن طريف الشّاوى وكان فى مبدأ أمره كحالًا مشهوراً بين أبناء صنعته ، يقاتلُ (١٥٠) على تحصيل قُوتِه من صناعته وسُتْرة حاله ، فخدم القاضى فخر الدين عبد الرحمن بن أبى شاكر ناظر دار الضرب واستقرّ نائبه فيهـــا فحصّل مالًا له صورة ، وتعلّق بابن الطبلاوى فعظم وصار له صولة وذكر ، فعين لوظيفة ناظر الخواص وأقبلت عليه الدنيا ، لكنّ[(٣)] عاجله الأجل قبل بلوغ الأمل .

(١) وذلك فى صفر من هذه السنة راجع الدرر الكامنة ١/٢٦٥ .

(٢) « البيسرى » فى السلوك ٢٠٢ أ .

(٣) جاء فى السلوك ٢٠٣ أ « عاجلته المنية دون بلوغ الأمنية » وكان موته فى جمادى الأولى ، راجع الدرر الكامنة ١/٢٩١ .

٢٤٣ — وتوفى الشهاب أحمد بن عبد الوهاب موقع الحكم المعروف بابن الشامية فى سابع عشر (١) شهر شعبان .

٢٤٤ — وتوفى الأمير فرج بن أيدمر نائب الوجه القبلى قتيلاً فى سادس صفر وكان فارسا بطلا شجاعا .

٢٤٥ — ومات الأمير الأجل بهادر المعروف بالأعسر (٢) فى يوم عيد الفطر :

٢٤٦ — وتوفى الأمير الأجل الفاضل العالم الفقيه الخير الدين الجيد النادر وجوده فى جنسه تمر (٣) الشهابى الحاجب وكان مسافراً فخرج عليه العربان فقاتلهم وقاتلوه فجرحوه فتعلل أياما منها ومات بالقاهرة رحمه الله ، وهو حنفى المذهب وملازم للاشتغال .

٢٤٧ — وتوفى الأمير تغرى بردى القردمى أحد الأمراء العشرات ، وكان له انتهاء إلى الخيرات .

١٠ — ومات الأمير سودون [بن عبد الله] الشيخونى نائب الديار المصرية وكان قد كبر سنه وهو ملازم تهجده فى الليل ، كثير المعروف والخير ، قليل الشر بل عديمه ، له دين متين وعقل ويقين ، وكان السلطان الملك الظاهر برقوق يعظمه ويهابه ويقبل قوله ولا يرد أمره ، واستعفى قبل موته من النيابة كما ذكرنا ذلك ، ولم يمكن للسلطان تجاهر بشىء من المنكرات وهو موجود إلى أن مات فى يوم الثلاثاء خامس جمادى (٤) الأولى .

---

(١) " سابع عشرين " فى السلوك ٢٥٣ ب .

(٢) فى السلوك " الأعمش " .

(٣) هو تمر بن عبد الله الحاجب ، وكان قتالهم إياه بجرح جرحوه به حيث نزلوا عليه حين كان قافلا بالمركب من الاسكندرية . انظر إنباء الغمر ١/٥١٦ ترجمة رقم ١٤ .

(٤) «الآخرة» فى النجوم الزاهرة ١٢/١٥١ ، راجع أيضا ابن قاضى شهبة ، ورقة ١١٨ أ .

٢٤٨ — وتوفى صفرشاه [بن عبد الله الرومى] الحنفى قاصد صاحب الروم خوندكار أبويزيد بن مراد بك بن عثمان بالقاهرة ، وكان حنفيا فاضلا .

٢٤٩ — وهلك الفتح عبد الله بن فرج المعروف بالمكينى ، أحد الأقباط الكتاب فى العشرين من شعبان .

٢٥٠ — و [مات] زين الدين عبد الرحمن بن الشريشى(١) الموقت ، الذكى الفاضل الحاذق فى صناعته ، فى التاسع عشر من رمضان .

٢٥١ — وتوفى الشيخ نورالدين على بن عبد الله بن عبد العزيز بن عمر ابن عوض الدميرى المالكى شيخ القراء بخانقاه شيخو ، وكان رجلا من أهل العلم والدين .

٢٥٢ — وتوفى أخو القاضى تاج الدين بهرام المسمى [على(٢) بن عبد الله ابن عبد العزيز بن عمر] فى ثانى عشرى شهر رمضان .

٢٥٣ — وتوفى الأمير قطلوبك [بن عبد الله] الطشتمرى أحد أمراء الألوف ولم يعرف بشىء من الخير .

٢٥٤ — ومات الأمير الوزير ناصر الدين محمد بن رجب بن محمد بن كلفت سالما من نكبات الزمان وتغير السلطان ، وهذا نادر الوقوع ، [مات] فى يوم الجمعة سادس عشرى صفر .

٢٥٥ — ومات الأمير الأجل ناصرالدين محمد بن جمق بن أيتمش البجاسى الأتابكى الأمير الكبير أحد أمراء الطبلخاناه ، وكان له جنازة عظيمة بالأتراك من الأمراء والخاصكية والأعيان ؛ [مات] فى يوم الجمعة خامس صفر .

(١) "الشبريشى" فى إنباء الغمر ١ /١٨ ، ترجمة رقم ٢٧ .

(٢) فراغ فى الأصل والإضافة من الإنباء ١ / ٥١٨ ترجمة رقم ٢٩ ، هـذا وقد كان المترجم شيخ القراءات بالشيخونية .

٢٥٦ – وتوفى الأمير ناصر الدين محمد بن جركس الخليلى أحد الأمراء الطبلخانات فى يوم الجمعة خامس صفر (١)، وكان هو ووالده من المقربين المعتبرين عند السلطان.

٢٥٧ – وتوفى ناصر الدين محمد بن الشيخ زين الدين مقبل [بن عبدالله] الصرغتمشى (٢) وكان فاضلاً بارعا يتوقد ذكاء سيما فى علم الفرائض والحساب، وكان ظريفا قصير القامة، له حدبة بين كتفيه خفيف الروح لين الكلام؛ [مات] يوم السبت سادس شهر رجب.

٢٥٨ – (٥٠ ب) ومات القاضى شمس الدين محمد بن محمد بن موسى الشنشى، المعروف بالرخ وكان من نواب الحنفية فى يوم الخميس سادس جمادى الأولى خارج القاهرة، وكانت له دنيا ظاهرة.

٢٥٩ – وتوفى القاضى تقى الدين محمد [بن محمد بن أحمد] القاياتى وكان بيده من الوظائف صاحب ديوان الجيش، وكان يكتب الخط المليح ويجيد فيه.

٢٦٠ – ومات الشيخ الصالحى المعتقد الخير الدين محمد الزرزامى الحجاجى، كان باسمه أمانة مطبخ المارستان الموقوف على الضعفاء والآن موقوف على مباشره لا ناظره، مات فى الرابع عشر من ربيع الآخرة.

(١) " الثلاثاء تاسع صفر" فى النجوم الزاهرة ١٢/ ١٥٤ وفى السلوك، هذا ويلاحظ أنه كان فى العشرين من عمره حين موته. انظر الإنباء ١/٥٢٠.

(٢) الوارد فى الانباء ١/٥٢١، ترجمة رقم ٤٦، أنه كان عارفا بعلم الميقات وليس بشىء مما ذكره المؤلف فى المتن، والواقع أن صاحب هذه الترجمة الواردة أعلاه إنما هو أبوه مقبل، فقد قال عنه ابن حجر فى ترجمته رقم ٤٨ التى أوردها له فى إنباء الغمر ١/٥٢١ " شارك فى الفضائل ومهر فى الحساب وكان قصير القامة أحدب"؛ راجع أيضا عن مقبل ما ورد فى الإعلام لابن قاضى شهبة، ورقة ١١٩ ب.

٢٦١ — ومات فتح الدين صدقة [بن محمد] المعروف بأبي دقن ، كان في مبدأ أمره وكيلا بأبواب القضاة ثم إنه عمل مدولب وكالة قوصون ثم ترقى فاستقر ناظر المواريث . [مات] في أول جمادى الآخرة .

٢٦٢ — وتوفي السيد الشريف صدر الدين مرتضى بن غياث الدين إبراهيم ابن حمزة الحسني العراقي ؛ وكان والده خدم أعيان الدولة وأكابرها فحظي عندهم وتمكن منهم سيما الأمير يلبغا العمري فإنه كان منقادا له أن مات غياث الدين إبراهيم ليلة السبت ثالث ربيع الآخرة ، وكانت له جنازة مشهودة ، و[كان] دفنه بتربة الأمير يلبغا العمري التي هي خارج القاهرة ، وقرر باسم ولده ما كان يجريه على والده وزاده وقربه إليه كما كان أبوه ، وكثرت دخوله واتصاله في أهل المملكة فإنه كان رجلا شكلا حسنا طويلا بلحية ، أملح جميل الوجه طلق المحيا باسم الثغر منطقيا أصوليا تصريفيا يعرف بثلاثة ألسن هي : العربية والتركية والفارسية فساعدوه واستقر ناظر وقف الأشراف فأثرى ماله واستقام حاله ، ثم ولي نظر القدس والخليل عليهما السلام . [مات] في ليلة السبت ثالث ربيع الآخـــر .

٢٦٣ — ومات الشيخ زين الدين مقبل الصرغتمشي وكان جنديا وليس كهيئتهم[1] ، فقيها على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه مستحضرا لا سيما فيـــه[2] مفتنا في معرفة علم النحو ، وهو والد الظريف الأحدب الذي قدمنا وفاته ، ومات مقبل المذكور في أول شهر رمضان .

(١) ذكر ابن قاضي شهبة : الأعلام ، ورقة ١١٩ ب ، في ترجمته إياه نقلا عن بعض المؤرخين — وإن لم يسمهم — أنه كان من أجناد الحلقة .

(٢) أي في مذهب أبي حنيفة .

٢٦٤ — وتوفيت المحجبة خوند عائشة القردمية بنت الملك الناصر محمد ابن قلاون بعد أن كبر سنها وأتلفت أموالا لا تحصى بسّيء حزمها وتصريفها حتى إن الله ستَرها بالموت .

٢٦٥ — ومات السلطان أبو فارس متملك المغرب عبد العزيز بن أبي العباس أحمد بن أبي سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني صاحب فاس، وأقيم بعده في السلطنة أخوه أبوعامر عبد الله ، وكان مجاهدا في سبيل الله مقاتلا ومحاربا لأعداء الله ، له مكارم ومحاسن وفضائل لا تنسى ولا تحصى .

* * *

(١٥١) « الحمد لله على نواله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وصحبه وآله » .

فصـــل
فيما وقـع من الحـــوادث
فى السنة التاسعة والتسعين
بعــد التسعمائة

* * *

استهلت هذه السنة وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الظاهر أبو سعيد ابن أنص العثمانى، وخليفة الوقت المتوكل على الله وليس له نائب فى الديار المصرية، ونائب الشام تنم الحسنى المسمى أيضا تانى بك، وبحلب تغرى بردى الكمشبغاوى .

وفى أوائل محرمها انحطت أسعار الحبوب عما كانت، فأبيع إردب القمح من خمسين إلى ستين، والشعير إلى ثلاثين، والفول إلى خمسة وثلاثين بالفلوس، وطلع السلطان إلى سرياقوس يوم السادس عشر منه (١) فأقام ستة عشر يوما.

وفى يوم الاثنين ثالث صفر حضر الأمير تنم الحسنى من دمشق إلى الأبواب الشريفة حسب سؤاله، وتلقاه السلطان على المصطبة (٢) التى فى الصحراء ومد له

(١) الوارد فى السلوك أن خروجه إلى السرحة كان يوم العاشر المحرم حيث أقام بها حتى السادس والعشرين منه .

(٢) فى العينى : عقد الجمان ٢٥/٢ « مصطبة المطعم » .

سماط عظيم ، وجلس بين الأمير أيتمش وبين الأمير بكلمش ، وتوجّه في خدمة السلطان ونزل بالميدان بمورد الجبس [(١)] .

وفي يوم الثلاثاء الرابع من صفر قدّم [تنم الحسني] تقدمة عظيمة وهي من الخيول مائة وأربعون رأسا ، منها ثمانية بسروج ذهب وكنابيش ، وقماش زركش وحرير ووبر وصوف وغيرها وقسي حلقة خاص ، وحمّل جميع ذلك مائة وخمسون حمالا ، وفي جملتها سيف مثمن مسقط بالذهب ، وذُكر أن فيها من الذهب العين المصري عشرين ألف دينار ، ويقال مجموع ما قدّمه يبلغ ألفي ألف درهم فضة وقيل مائة ألف دينار وذلك كله خارجا عمّا قدّمه للأمراء وإخوانه وأصحابه .

وفي يوم الاثنين سابع عشر صفر أخلع على تنم المذكور — على عادته — أطلسين بدائر باولي زركش بشاش متمر وحياصة مجوهرة ، وقبّل الأرض لأجل الأمير جلبان قرا سقل نائب حلب — وكان — ليحضر من دمياط ويستقر على أتابكية الشام على إقطاع الأمير أياس ، وقرر للذخيرة الشريفة على أياس المذكور مبلغ مائة ألف دينار .

وفي يوم الاثنين [(٢)] المبارك خلع على القاضي شرف الدين بن الدماميني ، واستقر محتسب القاهرة على عادته عوضا عن [جمال الدين محمود العجمي] [(٣)] بحكم انفصاله .

(١) مورة الجبس وقد تعرف أيضا بموردة البلاط وهي من أراضي بستان الخشاب الذي كان من جملة حكر الست حدق ، وكان أكثر نازليه من السودان ، ثم أصبح يعرف بالمريس ، انظر في هذا المقريزي ، الخطط ٢ / ١١٥ ، ١٤٤ .

(٢) ورد هذا الخبر في العيني : عقد الجمان ٢٥ / ٤ على أنه وقع في ثاني ربيع الأول وليس في صفر .

(٣) فراغ في الأصل وقد أضيف ما بين الحاصرتين من العيني ٢٥ / ٤ لكنه ذكر أن ذلك كان بحكم وفاته لا عزله . أما المقريزي فلم يشر في السلوك ٢٠٠ ب إلى توليه الحسبة لكنه ذكر أنه في يوم الاثنين ٨ ربيع الأول استقر ابن الدماميني ناظر الجيش بعد موت ابن العجمي البقري على أربعة آلاف درهم فضة . ويستفاد من العيني أن مدة ولاية ابن الدماميني للحسبة كانت أسبوعا واحدا فقط .

وفى يوم الخميس العشرين منــه (١) خلع على تنم نائب دمشق خلعة السفر والوداع وسافر بعد صلاة الجمعة إلى دمشق على عادته .

وفى يوم الخميس السابع والعشرين منه حضر الأمير جلبان الكمشبغاوى —نائب حلب كان— من دمياط وتمثل بين يدى السلطان عشية نهاره عند حضور السلطان من الرماية من ناحية الجيزية ، ونزل فى بيت يونس وأقام فيه ثم سافر إلى دمشق فى يوم السبت الحادى والعشرين من ربيع الأول — فى هذه السنة .

وكان فى يوم الخميس الرابع من ربيع الأول خلع على القاضى بدر الدين ابن الطوخى واستقر وزيرا بالديار المصرية عوضا عن الصاحب سعد الدين ابن البقرى بحكم إفصاله والترسيم عليه وعلى ولده ، وخلع على حسام الدين حسين بن أخت الغرس شاد الدواوين على عادته ، وخلع على الأمــير فرج الحلبى —شادّ الدواوين كان— بسبب ما كان حصّله من موجود أياس أتابك دمشق .

وفى يوم السبت سادس ربيــع الأول أخلع على القاضى ســعد الدين ابن شمس الدين محمـــد المقسى واستقر فى نظر الأعمال الجيزية عوضا عن سعد الدين بن قارورة بحكم إفصاله .

وفى يوم الاثنين ثامن ربيع الأول خُلع على القاضى شرف الدين الدماميني المحتسب بالقاهرة واستقر ناظر الجيوش .

وفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول خلع على قاضى القضاة شمس الدين الطرابلسى الحنفى (٢) واستقر فى قضاء القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن القاضى جمال الدين محمود العجمى بحكم وفاته .

(١) أى من شهر صفر وليس ربيع الأول .

(٢) كانت هذه هى ولايته الثانية للقضاء ولم يبذل فيها مالا ولاسعى فيها .

وفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول خلع على بهاء الدين بن البرجى واستقر فى حسبة القاهرة عوضا عن شرف الدين الدماميني .

وفيه قرر على سعد الدين بن البقرى وولده ببيت ابن الطبلاوى مبلغ ألف ألف وثلاثمائة ألف : منها سبعمائة ألف تُحمل للمقام الشريف ، وستمائة ألف للأمير قطلبك أستادار العالية عن نظير ما أقرضه من المشار إليه من الديوان المفرد ؛ ثم فى العشر الأول فى جمادى ضرب هو وولده ضربا كبيرا بالمقارع والعصى وسُعطا بالملح مرات إلى أن توفى الصاحب سعد الدين بن البقرى سحر يوم الاثنين رابع جمادى الآخرة ودفن بالخندق وغسل بالميضأة ولم يمش فى جنازته أحد من خلق الله تعالى بعد حمله مبلغ أربعمائة ألف درهم فضة ، وقرر على ولده بعد وفاة والده مبلغ مائتى ألف درهم وخلص فى مستهل شعبان من هذه السنة .

وكان فى يوم الاثنين خامس عشر ربيع الأول حضر برهان الدين إبراهيم المحلى تاجر الخاص الشريف من اليمن وصحبته خادم[1] صاحب اليمن ومعه هدايا من مخدومه وذكر أن قيمة الهدايا تبلغ ستين ألف دينار ، وكانت فى جملة الهدية خمسمائة قطعة صينى مكتب باللازورد وقطع بشم[2] .

* * *

ذكر قدوم الأمير طولو على شاه فى هذه السنة

كان قدومه فى يوم[3] الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول حضر الأمير

(١) هو افتخار الدين فاخر . انظر فيما بعد ص ٢٠٣ س ٥٢ وما بعده

(٢) اليشم من الأحجار الثمينة وهو قريب من الزبرجد ، انظر Blochet: Hist. d'Egypte de Maqrizi, P. 116.

(٣) العبارة من هنا حتى " أعطيناها لك " ص ٤٤٣ س ١٨ منقولة من العينى ٢٥ / ٥ س ٥ — ٢٢ . ولم يزد المؤلف إلا ما أشار إليه من اختلاف المقريزى عن العينى فى تحديد تاريخ وصول الهدية .

طولو إلى القاهرة وأخبر أن أبا يزيد بن عثمان حارب مع ملك الأنكروس(١) وكسره وغنم منه غنيمة عظيمة ، وأخبر أن شمس الدين محمد بن الجزرى مقيم عنده معظم ، ورتّب له(٢) فى كل يوم مائة وعشرين درهماً فضة ، وكان قد هرب من القاهرة وهرب معـــه ابن تيمية وكانا قد نزلا فى المـــراكب فى الإسكندرية وطلعا إلى أنطاكية ، وكان لابن الجزرى تلميذ يقال له حاجى مؤمن(٣) مقيم عند صاحب أنطاكية فعـــرفه وعرف بقدره لصاحب أناطاكية فأكرمه صاحب أنطاكية ، وكان وصـــولهما من الإسكندرية إلى أنطاكية فى ثلاثة أيام ونصف فأقاما بأنطاكية ثمانية أيام ، ثم توجها منها إلى مدينة برسا — تخت ابن عثمان — فوصلا إليها فى ثمانية أيام ، وكان الملك أبو يزيد بن عثمان خارج المدينة فى السرحة فتلقاه أهل برسا وأكرموه ، ثم توجه إلى أبى يزيد فأكرمه وأعطاه تسعة رءوس خيل : ثلاث حجورة وثلاثة أكاديش وثلاثة بغال ، وأعطاه مماليك وجوارى ؛ وأخبر ابن تيمية أنه رآى الصاحب تاج الدين [عبد الرحيم] بن أبى شاكر فى بلاد الروم من حين هرب من الوزارة بالشام إلى بيروت فنزل منها فى مركب إلى قبرس فأقام بها شهرين ثم عدى منهـــا إلى برسا واجتمع بالملك أبى يزيد بن عثمان فسأله عن سبب هروبه فأخبر بأن السلطان غضب عليه ، فرتب [أبو يزيد] له فى كل يوم خمسين درهما فضة وقال له :

« إذا شغرت عندنا وظيفة تليق بك أعطيناها لك » .

---

(١) الأكروس فى السلوك ٢٥٦ أ .

(٢) أى لابن الجزرى .

(٣) فى العينى " مومى » .

ذكر(١) قدم افتخار الدين [فاخر] دوادار الملك الأشرف بن الملك الأفضل عباس صاحب اليمن إلى القاهرة ومعه هدية من أستاذه إلى الملك الظاهر برقوق وصحبته برهان الدين التاجر الكارمى فطلعوا به إلى الحوش السلطانى وكان يوم الأحد الحادى والعشرين من ربيع الأول، وأرخها(٢) المقريزى فى خامس عشره، وخالفه الشيخ بدر الدين العينى كما ذكرناه والله أعلم ، فقُدمت بين يديه وهى من الرقيق : عشرون رأسا، ومن الجوارى : ستة، وأصناف يذكر منها : سيف فولاذ مسقط بذهب بحلية عقيق، ومنها حياصة ذهب على حاشية حرير بعواميد عقيق ، ومهاميز ذهب فى رأس كل مسمار لؤلؤة ، ومنها وجه فرس مرآة هندية مغشى ظاهرها بفضة ومرصع بعقيق ملون، ومنها رماح خطية منها : مائتا رمح ، ومنها شطرنج عقيق أحمر وأبيض ، ومنها مراوح ــ مطرقة بذهب ــ أربعة ، ومنها مسكٌ ألفُ مثقال ، وعنبر خام ألف مثقال، وزباد : سبعون أوقية ، وغالية : مائة قنينة ، وعدد قاقلى وزن مائتى رطل وستة عشر رطلا ، ولبابة ثلاثمائة وإثنان وأربعون رطلا : وشند : أربع برانى : قطعتان زنتهما ثلاثمائة وأربعة وستون رطلا [٥١ ب] ، وتوتيا ضمن صندوق زنتها ثمانية وأربعون رطلا ، وما كاوى : جانب كبير ، وكابلى مربى قنطارين، وزنجبيل مربى : سبعون حقا ، وتوتيا مائتا حجر ، ودهن فيل ضمن مرطبان ، وصينى يشم : سبع عشرة قطعة : أزرق عشر قطع ، وأبيض سبع قطع ، ومنية مائتان واثنتان وأربعون قطعة ؛ ومنها قماش مدمج زبيدى عشرة ، وحبرات

(١) هذا الخبر منظور فيه بأكمله إلى العينى ٢٥/ ٥ ــ ٧ ولم يزد المؤلف إلا ما أشار إليه من اختلاف المقريزى عن العينى فى تحديد تاريخ وصول الهدية ، أنظر حاشية رقم ١٤ .

(٢) الواقع أن المقريزى فى السلوك ٦ ٥ ٢ ٢ أ س ١٦ جعل تقدمة الهدية يوم ٢١ من الشهر وليس ١٥ كما جاء فى المتن .

حرير ملون خمسة ، وثياب حرير ثلاثون ثوبا ، وشاشات خمس مائة وسبعون شاشا ، منها شمسي كبار مائتا شاش دجيل طرى ثلاثمائة وسبعون شاشا ، وازربيمرى عشرون ، وثياب حجرة خمسة ، ومخمل هندى ثلاثون ثوبا ، وفوطة ظفارى ، ومعنبر عشرون ، ونطوع مطرطقة بذهب خمسة ، وبسط هندى مفاريش أربعة ، ونطوع مواقد مائتان وأربعة وخمسون قطعة ، منهما سبعون جلدا وإثنا عشر نطعا وإثنا عشر جلدا . أحد وستون نطعا وست جلود مائة وأربعة وعشرون نطعا ، ومنها بهار وقرنفل مائتان وإثنان وسبعون رطلا ، وسنبل مائتان وخمسة وسبعون رطلا ، وبسباسه ثمانية وتسعون رطلا ، وجوز طيب ثلاثة وخمسون رطلا ، وهال أحد وخمسون رطلا ، وخولنجان ستون رطلا ، ولامى مائة وثمانية أرطال ، وحطب قرنفل مائتان وثلاثة عشر رطلا ، وفلفل خمسة وثمانون زكيبة ، الوزن عنها ثمانية وعشرون ألف وأربعمائة وأربعة وعشرون رطلا ، وزنجبيل بلدى خمس زكائب الوزن عنها ستمائة وسبعة وثمانون رطلا ، وقرفا وزنها ألف وأربع مائة وثلاثة عشر رطلا ، ونيل هندى خمسة وعشرون مرودا ، ولُك مائتان وتسعون رطلا ، وماء زنجبيل ونارجيل ألف وخمس مائة حبة . وذكر أن قيمة هذه الهدية ستون ألف دينار .

وفى(١) يوم الثلاثاء سادس عشره استقر القاضى تاج الدين البولاقى مستوفى الدولة الشريفة عوضا عن تاج الدين بن الرملى ، واستقر القاضى سعد الدين ابن قارورة ناظر(٢) دواليب الخاص الشريف رفيقا للقاضى تاج الدين بن سعد

(١) هذا الخبر والتالى له منظور فيهما إلى العينى ٢٥/٧ .

(٢) فى العينى .. عقد الجمان ٢٥/٨ «مهمل» .

المستوفى ، واستقر أناط ملك (١) الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن عمر بن أخى قرط بحكم انفصاله ، واستقر الأمير ناصر الدين العادلى فى ولاية قوص عوضا عن أناط .

واستقر فى ذلك اليوم بطرك جديد للنصارى الملكية عوضا عن البطرك الهالك .

وفى العشر الأوسط من ربيع الأول انحطت أسعار الحبوب فبيع الإردب من القمح بثلاثين درهما ، ومن الشعير والفول بخمسة وعشرين درهما .

وفى (٢) يوم الخميس ثالث ربيع الآخر رجمت العوام والغلمان القاضى بهاء الدين بن البرجى محتسب القاهرة وهرب منهم والتجأ لبيت سيدى أبى بكر ابن سنقر الحاجب ، واستقر عوضه عشية نهاره شمس الدين البجاسى على عادته .

وبتاريخ ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة ثالث جمادى الأول نقل محمود الأستادار من بيت شاد الدواوين إلى خزانة شمائل ، وبيع ما تأخر من ملابسه وأوانيه وأثاثه .

وفى العشر الأخير من جمادى الأول أبطل بدر الدين بن الطوخى الزكاة التى كانت تؤخذ من الغلة من التجار .

وفى يوم الثالث والعشرين منه (٣) أخلع على القاضى تقى الدين الزبيرى واستقر قاضى القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة

(١) فى الأصل « ناظر » والتصحيح من عقد الجمان .

(٢) هذا الخبر بأكمله منقول حرفيا من العينى ٢٥/٨ س ٦-٩ .

(٣) يستفاد من السلوك ٧ ١ ٥ ١ أن ولايته القضاء لم تكن تخطر ببال أحد بل طلبه السلطان بغتة فشق ذلك على المناوى وعظم عليه أنه عزل بنائبه .

صدر الدين المناوى بحكم إفصاله . ونزل فى خدمته إلى المدرسة الصالحيــة الأمير قلمطاى[(١)] الدوادار والأمير نوروز الحافظى رأس نوبة كبير والأمــير فارس حاجب الحجاب وسيدى أبو بكر الحاجب وأسنبغا الدوادار والقضاة الثلاثة وكاتب السر و ناظر الجيش وغيرهم .

وفى يوم السبت مستهل جمادى الأخرى استقر القاضى علم الدين كاتب يلبغا مستوفى الدولة الشريفــة عوضا عن الصاحب علم الدين الطناوى بحكم إفصــاله .

وفى يوم السبت ثامن جمادى الآخر استقر القاضى تاج الدين رزق الله ابن سماق ناظر الخواص ناظر اسكندرية عوضا عن فخر الدين بن غراب حسب سؤاله :

وفيه نفى طشبغا السيفى قشتمر المنصورى ــ متولى دمياط كان ــ إلى مدينة قوص .

وفى العشر[(٢)] الأوسط فيه ضرب محمد بن محمود الأستادار فوق أربعمائة عصاة وسُعِّط بسبب دواةٍ ذُكر أنها عنــده بألقاب اسمه مثل ألقاب السلطنة الشريفة، وحضرت الدواة ولم يثبت ما ذكر .

وفى يوم الجمعــة الثانى والعشرين منــه استقر القاضى كريم الدين ابن شمس الدين بن كريم الدين مستوفى الدولة عوضا عن الصاحب كريم الدين ابن مكانس بحكم إفصاله وإعفائه مضافا إلى النظر بالوجه القبلى .

---

(١) خبر الخلع على القاضى تقى الدين الزبيرى حتى هنا منقول من عقد الجمان ٢٥/٨ ، س ٦ ــ ١٠ .

(٢) هذا الخبر والثلاثة التالية له منقولة عن عقد الجمان ٢٥/٨ ، س ١٦ــ٢٤ .

وفى أوائل شعبان اعتقل ألجيبغا الجمالى بدمشق : وأحمد بن يلبغا العمرى بطرابلس

وفى يوم الاثنين السادس عشر من شعبان خلع على الأمير صرغتمش الخاسكى أحد الأمراء الطبلخاناه فىالديار المصرية واستقر فى نيابة اسكندرية عوضا عن الأمير قديد القلمطاوى بحكم إفصاله ونفيه إلى القدس الشريف بطـــالا .

وفيه مسك صلاح الدين [بن] تنكز ونُفى إلى الإسكندرية بطالا (١) ثم توجه إلى دمشق ، وخرج إقطاعه للأمير يشبك الخازندار ، واستقر ابن الطبلاوى أستادار الذخيرة عوضا عن ابن تنكز .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان استقر القاضى سعد الدين بن الهيصم ناظر الدولة الشريف صاحب ديوان الديوان المفرد مضافا لنظر الدولة .

وفى يوم الأحد الثانى والعشرين منه استقر شرف الدين شعبان [بن محمد ابن داود المصرى] الشاعر محتسب مصر عوضا عن القاضى نور الدين [بن عبد الوارث] البكري بحكم إفصاله .

وفى يوم الاثنين الثالث والعشرين منه حضر رسل ابن عثمان صاحب الروم ومعهم هدايا كثيرة [منها] مماليك وطيور جوارح وقماش فى البحر المالح من دمياط وصحبتهم خمسة أنفس من الفرنج الأسرى ذكر عنهم أنهم كانوا شركاء (٢) فى بلادهم ثم اهتدى منهم اثنان إلى الإسلام :

(١) يستفاد من رواية العينى فى عقد الجمان ٢٥/٩ أن والدة بيبرس تشفعت فيه لدى السلطان بأن يتوجه إلى الشام بطالا ويتعيش بأملاكه هناك وأرقائه فاستجاب لها السلطان .

(٢) الوارد فى العينى عقد الجمان ٢٥/٩ أنهم كانوا ملوكا ببلادهم .

وفى يوم الجمعة رابع رمضان استقر جمـــال الدين يوسف بن قطلوبك فى ولاية الأعمال الغربية عوضا عن خاله ناصر الدين محمد بن أيدمر بحكم وفاتـــه .

وفى يوم السبت السادس والعشرين من رمضان خلع على يلبغا [المجنون] المحمودى الأحمدى [الذى كان][1] كاشف الوجه البحرى واستقر أستادار الأستادارية وأستادار الديوان المفرد عوضا عن الأمير قطلبك بحكم إعفـــائه واستقر على تقدمه قطلبك ، واستقر قطلبك استادار أيتمش على عادته بامرة عشرين فارسا .

وفى يوم الأحد سابع عشريه استقر الأمير علاء الدين كاشف الوجه البحـــرى .

وفى يوم الخميس ثانى شوال توجه الأمير تمربغا المنجكى صاحب الميسرة على البريد إلى البلاد الشمالية للإصلاح بين التراكمين والكشف .

وفى العشر الأوسط من شوال مَسك (٥٢ أ) الأمير بكلمش أمير سلاح دواداره مهنى وأخذ منـــه مبلغ أربعمائة ألف وخمسين ألفا ، ثم صفى الدين الدميرى موقعه وأخذ منه مائتى ألف .

وفى[2] يوم الثلاثاء الحادى والعشرين منه سُفِّر إلى الإسكندرية من أمراء الحجاز المعتقلين بالبرج بالقلعة : عنان بن مغامس وأولاد مبارك بن رميثة وابن عطيفة للاعتقال .

(١) أضيف ما بين الحاصرتين ليستقيم الوضع لا سيا إذا لاحظنا أنه فى اليوم التالى ، ص ٩ — ١٠ ، استقر الأمير علاء الدين كاشف الوجه البحرى ، ويفسر هـــذا قول ابن قاضى شهبة : الإعلام ، ورقة ١٢٣ ب « أضيف إلى الأمير يلبغا نيابة الوجه البحرى فاستناب فيها » .

(٢) هذا الخبر والتالى له منقولان من عقد الجمان ٢٥/١٠ .

وفى تاريخه مسك جماز بن هبة بن جماز أمير المدينة النبوية وكان حضر للسعى فى الإمرة ، وسفر معهم إلى الإسكندرية .

وفيها حج بالناس الأمير بيسق أمير آخور[١] :

* * *

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٢٦٦ – قاضى القضاة جمال الدين أبو الثناء محمود[٢] بن نور الدين على الحنفى القيصرى الشهير بالعجمى الرومى ، قاضى القضاة الحنفية ، وناظر الجيوش المنصورة بالقاهرة المحروسة ، توفى يوم الأحد الثانى[٣] من ربيع الأول من هذه السنة ، [و] حضر جنازته أمراء القاهرة وأعيانها والقضاة وصلّوا عليه فى جامع المارداني ، ودُفِن بتربة المعلم شهاب الدين بن الطولونى بالقرافة ، وكان [جمال الدين القيصرى] رجلا عالما صادقا ذا أدب وحشمة ، سخى الكف على الطعام وعلى العطاء لمن يعتنى به ؛ قدم الديار المصرية فى الدولة الأشرفية وأقام فى مدرسة صرغتمش من جملة الطلبة ، وكان على فقر عظيم ، ثم لما صار الأمير طشتمر اللفاف أتابك العساكر المصرية اعتنى به وولاه[٤] الحسبة الشرفية بالقاهرة وأقام يباشرها زمانا ، ثم انقلبت[٥] به الأحوال إلى أن صار قاضى العسكر ثم قاضى القضاة الحنفية ، ثم جمع بين القضاء ونظر الجيوش ومشيخة الشيخونية ، والذى اتفق لهذا لم يتفق لغيره من أبناء جنسه ، ولقد

(١) هنا تنتهى أحداث هذه السنة فى مخطوطتنا هذه لكن راجع بقيتها فى العينى : عقد الجمان ٢٥/١٠–١٤ .

(٢) فى السلوك ٢٥٩ أ « محمود بن محمد القيصرى العجمى » ، و يلاحظ أن هذه الترجمة الواردة أعلاه منظور فيها لما جاء فى العينى .

(٣) فى السلوك ٢٥٩ أ وعقد الجمان ٢٥/١٠ ، و إنباء الغمر « السابع » .

(٤) فى الأصل « وولوه » .

(٥) لعلها « تقلبت » كما فى مصطلح مؤرخى هذا العصر ، لكن راجع فيما بعد ص ٤٥٥ س ٢ .

سمعته يقول : « هذا الذى حصل لى من غلطة الدهر » (١) ، وباشر أيضا عــدة وظائف أخرى من التدريس فى الصرغتمشية وغيرها والخطابة فى مدرســة السلطان الملك الظاهر برقوق ونظر الأوقاف ونظر المرستان المنصورى وغير ذلك ، وكان رجلا ذكيا لكن كان قليل المــادة والبضاعة ، وكان فصيحا فى العربية والفارسية والتركية ، وكان عنده بعض الدهاء ، وكان يخدم [أعيان] الدولة كثيرا ويهاديهــم بأنواع التحف ، ولولا خدمته لهم لكان ممن أسقط وأخمل ولا سيما فى حركة منطاش لمــا خطب بغزة يوم الجمعة حين توجهه مع العسكر المنصورى إلى الشام لأجل المحاربة مع الظاهر برقوق ، وذكر الظاهر بما لا يليق ذكره وأشاع ذلك عنه بين الناس ؛ وكان يتكلف كثيرا فى المآكل الطيبة والملابس البهية ، وخلّف موجودا كثيرا وكتبا حسنة ، وخلف ثمانية أولاد من الذكور والإناث . تولى القضاء عوضــه القاضى شمس الدين الطرابلسى ، وفى نظر الجيش شرف الدين بن الدمامينى كما ذكرناه ، رحمه الله :

٢٦٧ ـــ قاضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله محمد [بن أحمد] بن أبى بكر الطرابلسى قاضى القضاة الحنفية ، توفى يوم السبت الثامن والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان شيخا مهيبا ذا شيبة مليحة ، وكان فقيها فاضلا أصوليا وله مشاركة فى غيرها من العلوم ، وكان عارفا بصنعة الشروط وآداب القضاء وأقام مدة يباشر النيابة عن القضاة ثم استقل قاضيا على العزل والتولية ، وآخر توليته كان عن القاضى جمال الدين محمود العجمى واستمر قاضيا إلى أن قضى عليه فى التاريخ المذكور .

(١) لا يمكن أن يكون الضــمير هنا عائدا على ابن الصيرفى لأن مولده كان بعــد ذلك بتسع عشرة سنة مما يرجح معه أنه نقل هذه الترجمة عن غيره ممن سبقوه وفاته أن ينص على اسمه .

٢٦٨ — الأمير أبو يزيد الجرجاوى[١] أتابك العساكر بدمشق توفى عشية يوم الجمعة الثامن والعشرين من صفر من هذه السنة بالقاهرة بعد المصادرة والإهانة ، وقيل شرب زعفرانا وهلك فى الحبس ، وكان[٢] إياس رجلا عسوفا ظالم أهل طرابلس حين ولايته إلى ما لانهاية له ؛ ذُكر عنه أشياء تُوجِبُ كُفْرَ قائلها .

٢٦٩ — ومات الفقيه جنيد العينتابى ، كان فى الحبس أيضا لأجل الديون وشرب زعفرانا أيضا فهلك بعده بيوم .

٢٧٠ — الوزير سعد الدين نصر الله الشهير بابن البقرى توفى يوم الاثنين الرابع من جمادى الآخرة من هذه السنة بعد عزله ومصادرته وضربه وإهانته ، وأخذ جميع موجوده فضرب وسعط إلى أن توفى وغسل فى الميضأة ودفن فى الخندق ولم يمش أحد فى جنازته .

٢٧١ — الشريف إبراهيم[٣] الحسينى المشهور بالأخلاطى ، توفى فى العشر الأول من جمادى[٤] الآخرة بالقاهرة وعمره ما ينيف على ثمانين سنة ، وكان رجلا منقطعا عن الناس لا يروح عند أحد ولا يأذن لأحد فى الدخول عنده

(١) فى الأصل « الخوجادرى » وقد أثبت بالمتن بعد مراجعة عقد الجمان والنجوم الزاهرة وإنباء الغمر واسمه إياس بن عبد الله .

(٢) أورد المؤلف هذه الجملة حتى نهاية الترجمة فى ختام ترجمته للفقيه جنيد العينتابى وموضعها الصحيح هنا . فقد ذكر أبو المحاسن فى ترجمة سيف الدين إياس أنه كان « ظالما غشوما حاد المزاج كريه المعاشرة » .

(٣) فى الأصل «حسين» والتصحيح من إنباء الغمر ١ / ٥٠٢ ترجمة رقم ٢ ، والسلوك ٢٥٩ ب حيث ترجم له بقوله « مات الشريف إبراهيم بن عبد الله الأخلاطى فى يوم الأربعاء تاسع عشرين جمادى الاول » فقط .

(٤) ترددت المصادر العربية ما بين الجمادين ، أنظر إنباء الغمر ١ / ٥٣١ ، والإعلام لابن قاضى شهبة ١٢٥ أ ، والدرر الكامنة ١ / ٣٣ ، وشذرات الذهب ٦ / ٣٥٦ .

إلا لمن يختاره، وكان يعيش عيش الملوك فى المأكل والمشرب والملبس، وكان ينسب إلى عمل اللازورد وبعضهم ينسبه إلى الكيمياء وبعضهم إلى الاستخدام، والظاهر أنه كان على معرفة من علم الحكمة ويتعانى صنعة اللازورد. ومع هذا كان ينسب إلى الرفض فلهذا ما اشتهر عنه أنه حضر صلاة الجماعة ولا الجمعات، وكان يدعى بعض أصحابه أنه المهدى المنتظر فى آخر الزمان وأمثال ذلك من الترهات؛ وكان أول ما قدم (٥٢ ب) حلب انقطع مدة عن الناس فى مكان يسمى باب اللالا بطرف حاب من ناحية الشرق، ثم طُلب إلى الديار المصرية بسبب مداواة[(١)] السلطان الملك الظاهر من مرض حصل له فى رجله وأفخاذه، فقدم وأقبل عليه السلطان إقبالا عظيما، فأقام يداوى ابنه فلم ينجع، ثم إنه أقام فى الديار المصرية مستمرا على حالته المذكورة على شاطئ النيل إلى أن توفى فى التاريخ المذكور، وخلف موجودا كثيرا من أصناف القماش، ومن الذهب شيئا كثيرا، ومماليك وجوارى، ولم يوص لأحد بدرهم ولا عتق أحدا من مماليكه وجواريه ولا أوصى إلى أحد، ولما بلغ السلطان خبر وفاته رسم للأمير قلمطاى الدوادار أن ينزل إلى بيته وأن يحتاط على جميع موجوده فوجد فى جملة تركته جام ذهب وخمر فى قنانى وزنار الرهابين والإنجيل الذى بأيدى النصارى وكتب كثيرة مما تتعلق بعلوم الحكمة والنجوم والرمل وغير ذلك، ولم يخلف أحدا وارثا فورثه السلطان، ويقال وجد فى تركته صندوق فيه أنواع الفصوص والأحجار المقومة.

٢٧٢ ــ الأمير ناصر الدين محمد [بن عبد الله][(١)] الشهير بابن النشو، كان مشد المراكز [بدمشق][(٢)] ثم استقر من الأمراء الطبلخانات ومات بدمشق بسبب

(١) الإضافة من إنباء الغمر ١/٥٤٠.

(٢) نص ابن قاضى شهبة : الإعلام، ورقة ١٢٥ أ على أن السلطان طلبه من حلب ليطبب ابنه.

خدمته السلطان الملك الظاهر حين قدومه دمشق فى سفرته الأولى والثانيـــة فقتله عوام دمشق بالحجارة حين خرج أهل دمشق للاستسقاء لأجل الغلاء المفرط ، ثم قطعوا رأسه ثم أحرقوه بالنار وذلك كله لأجل تحدثه فى الغـــلال التى فى الشام ، فإنه كان ما يباع شىء منها إلا من تحت يده ، وكان أصله سمسارا فيها بالشام ولم يخرج هذا عن طبيعته فجرى ذلك ونائب دمشق غائب فى أواخر جمادى الآخرة ، وجاء الخبر إلى المقام الشريف الظاهرى فى يوم الاثنين ثالث رجب فبرز المرسوم الشريف إلى الأمير النائب بدمشق بتحصيل من كان بادئا فى هذا الأمر وتسميره وتوسيطه ، فشوش النائب على جماعة من أهل دمشق ثم تركهم ، وكان هذا الرجل ينسب إلى ظلم عظيم وجور وحيف وكلمات توجب كفر قائلها وإراقة دمه ، فإن كان الأمر كما ذكر فقد أخذ الحق حقه .

٢٧٣ — الأمير جمال الدين محمود بن على الطازى (١) أستادار العالية توفى يوم الأحد تاسع رجب من هذه السنة بخزانة شمائل ودفن بمدرسته التى أنشأها بالشارع قبالة بيته ، وحضر جنازته القاضى بدر الدين الكلستانى كاتب السر وسعد الدين بن غراب ناظر الخواص الشريفة وشرف الدين بن الدمامينى ناظر الجيوش المنصورة والأمير قطلوبك أستادار العالية والأمير علاء الدين ابن الطبلاوى ولم يدفنوه إلا بعد الكشف لجماعة من الشهود بأنه سالم من الخنق والسقى وغيرهما ، وأنه مات بقضاء الله وقدره بعد مسكه وضربه وإهانته ومصادرته وأخذ ما فوقه وتحته ، ويقال إن جملة ما اشتمل عليه المال الذى أخذ منه من الذهب العين ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار ، ومن الفضـــة ألف ألف درهم وخمس مائة ألف درهم خارجا عن القماش والمواشى والكراع والغلال والسكر وغيرها ، وهذا عاقبة الظلم وجزاء الجور والعسف فى دار الدنيا

(١) فى العينى : عقد الجمان ١٩/٢٥ « الظاهرى » .

وما عند الله أقوى وأبقى ، وكان أولا يتعانى الشادية فى بيوت الأمراء عـلى إقطاعاتهم ، ثم انقلبت به الأحوال إلى أن صار مشد الدواوين ثم ترقى إلى أستادار الأستادارية فى الدولة الظاهرية فباشر هذه الوظيفة بتدريب وتحصيل ، وجمع أموالا لا تعد ولا تحصى ، واحتاط على جميع المتاجر فى البـلاد المصرية والشامية ، وتقدم اسمه فى البلاد ، ومتنت حاله بين العباد ، واشتاع عسفه وظهر حيفه إلى أن أ دبّه على وجهه حصائد مظالمه وخربت آثار معالمه فأصبح كأن لم يكن مذكورا ولم يكن فى سعيه مشكورا ، لكنه خلف ما ينفعه عند الله إن شاء الله وهو : عمارة هذه المدرسة ووقف الكتب التى بها على الطلبة ، قيل إنها كتب الشـيخ عز الدين بن جماعة ، ووقف كتبا نظيرها بثغـر سكندرية ، رحمـه الله .

٢٧٤ ــ سيدى إسماعيل بن الملك النـاصر حسن بن الملك الناصر محمد ابن قلاوون الصالحى ، توفى يوم السبت الخامس والعشرين من شوال من هذه السنة وصلى عليه السلطان الملك الظاهر بالحوش ودفن بمدرسة والده بسوق الخيـل .

٢٧٥ ــ الحاج على بن [محمد] النوسانى مدرس[(١)] سندفا بالغربية ، توفى فى العشر الثانى من شوال منها ، يقال كانت صدقته فى كل يوم ألف درهم ، وخلف موجودا كثيرا من جملته ألف جاموسة وغير ذلك[(٢)] ، توفى فى هـذه السـنة .

* * *

(١) فى عقـد الجمان ٢٥/١٠ والسلوك ٥٠٩ أ أنه كان شيخ ناحية سـندفا . أما فيما يتعـلق بسندفا فراجع محمد رمزى : القاموس الجغرافى قسم ١ ص ٢٨٥ .

(٢) أشار ابن قاضى شهبة فى ترجمته بالإعلام ، ورقة ١٢٨ أ ، إلى أنه كان يسافر إلى الحجاز ومعه ما يقرب من خمسين جملا أو أكثر ، كما أنه كان يحمل معه جملة من الفقراء والفقهاء .

فصل

فيما وقع من الحوادث فى السنة الثمانمائة من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام

* * *

استهلت هذه السنة التى ينغلق بها القرنُ الثامنُ من قرون الهجرة الإسلامية المحمدية –على صاحبها السلام[1]– وخليفةُ الوقت المتوكل على الله أبو عبد الله ، والسلطان فى الديار المصرية والشامية الملكُ الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنس العثمانى وليس له نائب بالديار المصرية ، ونائبهُ فى دمشق تنم الحسنى ، وفى حلب تغرى بردي البشبغاوى وهو والد مخدومنا الجناب الجمال يوسف عين المؤرخين بالديار المصرية حفظه الله تعالى ، والحاكم فى قيسارية الروم وسيواس وما يضاف إليها القاضى أبو الفتح برهان الدين محمد بن أحمد ، وفى قونية وما والاها الملكُ علاء الدين بن قرمان ، وفى الأوجات بأسرها – وتختها برصة – الملكُ أبو يزيد بن مراد خان بن أرخان بن عثمان جق ، وفى

(١) فى الأصل « عليه » .

أرزنجان وبلادها الملكُ ظهير الدين ولكن من جهة تمرلنك، وفى ماردين وبلادها الملكُ الظاهرُ مجد الدين عيسى بن الملك المظفر ، وفى بغداد وبلادها ألقـان أحمد بن أويس ، وفى بلاد سمرقند وبخارى وما والاهما تمرلنك واسم السلطنة للقان محمود من ذرّية جنكزخان ، وفى بلاد اليمن الملك الأشرف [بن الملك الأفضـل] .

وفى يوم الثلاثاء ثانى المحرم منها خُلع (١٥٣) على الأمير فرج الحلبى (١) واستقر أستادار الأملاك والذخيرة عوضا عن علاء الدين بن الطبلاوى الحاجب؛

* * *

ذِكْرُ مَسْكِ كمشبغا الحموى وبكلمش العلائى وشيخ الصفوى

لمّـا كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من محرم هذه السنة قبض السلطان الملك الظاهر على ثلاثة (٢) من الأمراء وهم : الأمير كمشبغا الحموى أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية والأمير بكلمش العلائى أمير سلاح والأمير شيخ الصفوى

(١) كانت وفاته سنة ٨٠٣ هـ، وقد تنقل فى الخدم السلطانية مابين أستادارية الأملاك والذخيرة ونيابة الاسكندرية ، أنظر عنـه ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٢ / ٢٩٩ ، الضوء اللامع ٥٧٦/٦ .

(٢) تختلف رواية ابن الصيرفى عن رواية أبى المحاسن فى هـذا الصدد ، إذ أن رواية النجوم الزاهرة ١٢/ ٧٠ — ٧١ تذهب إلى القبض على كمشبغا الحموى وبكلمش العلائى فقط ، أما شيخ الصفوى فقد أنعم عليه بخلعة بنيابة غزة ثم ما لبث أن استعفى وطلب الإقامة بالقدس ، وليس هناك ما يشير إلى سبب انصرافه الغريب عن هذه النيابة إلا أن يكون قـد استقالها ، وقد وردت الإشارة فى الضوء اللامع ٣/١١٨٦ ، ١١٨٩ إلى أنه ألبس فى المحرم خلعة نيابة غزة « فخرج من يومه إلى الخانقاه السرياقوسية ثم استعفى من الغد وسأل فى الإقامة بالقدس بطالا فأجيب ، وتوجه إليه فلم يلبث أن نقل إلى حبس المرقب لشكوى المقادسة من تعرضه لأبنائهم وإكثاره من الفساد » ويشير ابن قاضى شهبة : الإعلام ، ورقة ١٣١ أ ، إلى أن شيخ الصفوى سأل السلطان أن يعفيه من نيابة غزة ويأذن له بالإقامة بالقدس ، فأجابه الظاهر ورسم له بالضياع التى كانت مع قنباى الأحـمدى وهى نصف بيت لحم ونصف بيت جاله ، راجع هنا وفيات سنة ٨٠١ ، وأنظر أيضا ص ٤٥٩ س ١١ — ١٥ .

الخاسكى أمير مجلس بكرةَ النهار المذكور، فمسك كمشبغا وبكلمش بالقصر الشريف واعتُقلا بالقلعة ذلك اليــوم، ثم سُيّرا فى آخره إلى اســكندرية للاعتقال فيها صحْبةَ الأمير سودون الظريف أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصــرية.

وأمّا شيخ الصفوى فإنّه حضرَ الخدمةَ الشريفةَ فى ذلك النهار فأرســل السلطانُ إليه الأمير قلمطاى الدوادار الكبير والأمير فارس حاجبَ الحجّاب ومعهما تشريفٌ بنيابة غزّة فلبّسوه(١) باصطبله وخرج وأقام فى تربة كوكاى، ودخلَ على الأمير قلمطاى وعلى الأمير تنباك أمير آخور كبير على أن يُدخلوا على السلطان ليعفيه من النيابة ويتوجّه بطالاً إلى القدس الشريف، فأجيب إلى سؤله ورُتّب له من الحوالى كل سنة مبلغُ مائةِ ألف درهم، وأَنعم عليه السلطان بألف دينار فسافر إلى القدس من غير ترسيم ولا قيد بعد أن أقام مدّةَ أيّام عند خانقاه سرياقوس، ورتّب حاله وأوصى ونظر فى أموره.

وأما السبب الموجب لمسكهم على ما ذكر [فهــو] أن الأمير كمشبغا حصل له رمد عظيم مدة طويلة فبعث السلطان إليه كحالا ليداوى عينيه وكان يداويه(٢)، فاغتاظ(٣) عليه يوما فقال له: «ما بَعَثَك السلطانُ إلى إلّا لتعمينى!» فبلغ هذا الكلامُ إلى السلطان الملك الظاهر إمّا من الكحال أو من غيره فاغتاظ(٤) عليه، فكان هذا سَبَبَ مسْكه.

---

(١) فى الأصل «نكبسوه» ومن الواضح أن كتابتها بهــذا الاسم لا تتفق مع مجريات الأحداث بالنسبة إليه حتى الآن، يؤيد هذا أنه بعد قليل التمس من قلمطاى الدوادار – ومعه تنبك أمير آخور – الدخول للسلطان لإعفائه من النيابة فاستجابا له، ولو كان «كبسه» قدتم على يد قلمطاى لما التمس منه الصفوى ما التمس ولما مضى قلمطاى فرفع إلى السلطان رجاءه، ولما أنعم عليه برقوق هذا الإنعام.

(٢) أى يداوى السلطان.

(٣) المقصود هنا أن كمشبغا اغتاظ على الكحال.

(٤) المقصود هنا أن السلطان اغتاظ على كمشبغا.

وأما بكلمش فإنه ضرب موقّعه صفى الدين الدميرى وصادره فشكاه إلى السلطان ، ومَدَح السلطانَ بأبيـاتٍ تتضمّن ذَمّ بكلمش من جملتها قوله : « أيأكلنى ذئبٌ وأنت لَيْثٌ؟» فسمع بذلك بكلمش فطلبه وضربه بالمقارع ، وكلما كانوا يضربونه يرشون عليه الملح وكلما يستغيث يقول له بكلمش : « قل للّيْث يخلصك من الذيب » ، فلم يزل يعاقبه حتى كان موتُه فيه ، فبلغ ذلك السلطانَ فاغتاظ فكان ذلك سبب مسكه(١) ، مع ما صدر منه من تحريك مماليكه على المحاربة مع مماليك أيتمش البجاسى حين جرى بينهم قتال وفَشْخُ رءوس وقلْعُ أسنانٍ وكَسْرُ أيدى ، ولم يزجرهم ولم يمنعهم بل حرضهم وأغراهم على مثـــل ذلك ، فلم يعجب السلطان ذلك ، وأيضا كان دائما يتكلم بين يَدَىْ السلطان بكلامٍ خشن ، والملوك لا يحتملون مثل ذلك .

وأمّا شيخ الصفوى فإنه كان اشتغل باللّهو عن النظر فى أحوال مماليكه وأمور إمارته(٢) فنصحوه مرارا فلم يقبل ، فآل أمره إلى الخـــراب ، فُسِك بسبب ذلك ؛ واستقرّ سودون ابنُ أختِ السلطان على تقدمةِ ألفٍ من إقطاع هؤلاء ، واســـتقرّ سيدى عبد العزيز — ولـــد السلطان الملك الظاهر — على طبلخانات سودون المذكور .

* * *

(١) أى مسك بكلمش .

(٢) يدل هذا الكلام من ابن الصيرفى على أن الصفوى قد تولى أمور إمارته فى غزة ، لكن يستدل من كلام السخاوى ص ٤٥٨ س ٥ — ١٠ ، على أنه لم يذهب إليها ، بل إن سوء سيرته تجلى فى أثناء إقامته — بالقدس بطالا ، كما يستدل على هذا أيضا من ابن قاضى شهبة : الإعلام ، ورقة ١٣٥ ب ، وكان ذلك فى العشر الأوسط من ذى الحجة .

ذكر من تجدّد من النوّاب والحكّام وأرباب الوظائف ومن تأمّر فى هذه السنة

لمّا كان يوم السبت الرابع من صفر منها خلع على الأمير طيفور(١) أمير آخور واستقر فى نيابة غزة عوضا عن الأمير آقبغا الجمالى أمير آخور ، ورُسم بانتقال هذا(٢) إلى نيابة طرابلس عوضا عن الأمير أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار ، ورُسم له(٣) بالانتقال إلى نيابة حلب عوضا عن تغرى بردى اليشبغاوي ، وطلب تغري بردى المذكور إلى الديار المصرية وخرجت له تقدمة الشيخ الصفوي وكان حضوره إلى الأبواب الشريفة يوم الخامس عشر من ربيع الأول منها وقدّم تقدمته يوم السبت سابع عشره وأقام على تقدمة ألف التى خرجت قبل حضوره .

وفى يوم الخميس سابع(٤) صفر أُخلع على الأمير أيتمش البجاسى واستقرّ أتابك العساكر المنصورة عوضا عن كمشبغا الحموى ، وأخلع على الأمير بيبرس ابن أخت السلطان الملك الظاهر واستقرّ أمير مجلس عوضا عن شيخ الصفوى .

وفى يوم الاثنين مستهل جمادي الأخرى أخلع على الأمير تغرى بردى نائب حلب كان ، واستقر أميرَ سلاح عوضا عن الأمير بكلمش العلائى

(١) هو باى (أو بيخجا) الشرفى الظاهرى طيفور وقد تولى نيابة غزة ثم حجوبية دمشق ثم ثار على فرج بقلعة دمشق سنة ٨٠٢ هـ ، أنظر النجوم الزاهرة ١٢ (فهرست الإعلام) والضوء اللامع ٥٦/٤ ، وإنباء الغمر ، وفيات سنة ٨٠٢ ؛ هذا و يذكر ابن الصيرفى فى ترجمته فى وفيات سنة ٨٠٢ أنه « كان متزوجا بخيلا » .

(٢) يعنى آقبغا الجمالى . (٣) الضمير هنا عائد على أرغون شاه الإبراهيمى الخازندار .

(٤) « السابع » فى الأصل ، ولكنها « ثانى » فى السلوك ، ٢٦٠ أ ، والأصح ما أثبتناه بالمتن ، يرجح هذا أنه ورد فى جدول سنوات ٨٠٠ هـ فى التوفيقات الإلهامية أن أول صفر كان الأربعاء ، و يؤيده أيضا قول ابن الصيرفى فيما بعد (ص ٤٦١ س ١٢) « وفى يوم الاثنين السابع والعشرين » .

المتقل ، وأخلع على الأمير بيبرس ابن أخت السلطان واستقر فى وظيفة الدوادار بحكم وفاته ، وأخلع على الأمير آقبغا (١) الطولونى المعروف باللكاش واستقر أمير مجلس عوضا عن بيبرس المذكور بحكم انتقاله إلى الدوادارية ، وأخلع على الأمير نوروز الحافظى رأس نوبة كبير فاستقر أمير آخور كبيرا عوضا عن الأمير تنبك اليحياوى بحكم وفاته ، وأخلع على الأمير عايباى الخازندار الكبير واستقر رأس نوبة كبيرا عوضا عن نوروز المذكور ، وأخلع على الأمير يشبك الخازندار الصغير واستقر خازندارا كبيرا على وظيفة على باى المذكور ، وأخلع على سيف الدين جركس الخاسكى المصارع واستقر دوادارا صغيرا على وظيفة كزل الإسماعيلى بحكم وفاته .

وفى [يوم] الاثنين سابع جمادى الأخرى خلع على الأمير بيبرس الدوادار واستقر فى نظر الأحباس المبرورة ونظر المدرسة الظاهرية البرقوقية .

وفى يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر أخلع على شمس الدين الشاذلى واستقر محتسب مصر عوضا عن زين الدين شعبان بحكم إنفصاله .

وفى يوم الجمعة ثانى ربيع الأول أخلع على الأمير بهاء الدين ــ شاد العرب كان ــ واستقر فى نيابة الجيوش المنصورة عوضا عن الأمير ناصر الدين ابن علاء الدين كلبك بحكم إنفصاله .

وفى يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر أخلع على الشيخ الإمام الفقيه الفاضل جمال الدين يوسف بن القاضى شرف الدين موسى الملطى الحنفى الحلبى واستقر قاضى القضاة الحنفية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة

(١) عرف آقبغا هذا بالطولانى و بالطولوتمرى و باللكاش و بآقبغا جيار ، وكانت وفاته سنة ٨٠٢ هـ .

شمس الدين الطّرابلسى بحكم وفاته (١)، ونزل فى خدمته كاتبُ السر بدرُ الدين السّرائى والأمير فارس حاجبُ الحجاب والأميرُ تمربغا المنجكى حاجبُ ميسرة وغيرُهم من الأكابر والأعيان ، وكان قدم إلى الديار المصرية يوم الثلاثاء بعد العصر الثامن عشر من ربيع الآخرة مطلوبا بمقتضى المرسوم الشريف :

[٥٣ ب] وفى يوم الأحد العشرين من شهر جمادى الآخرة أُخلع على فخر الدين بن غراب أخى ناظر الخواص الشريفة واستقر ناظر الإسكندرية عوضا عن الصاحب علم الدين بحكم إفصاله وارتفعت يد الأمير علاء الدين ابن الطبلاوى الحاجب من الكلام باسكندرية .

وفى يوم الاثنين حادى عشريه خُلع على الأمير ناصرالدين أستادار قلمطاى واستقر شاد الخاص الشريف عوضا عن ناصر الدين ابن عم الطبلاوى .

وفى يوم الخميس ثامن شهر رجب أخلـع على القاضى شمس الدين البجانسى واستقر فى الحسبة الشريفة بالقاهرة والوجه البحرى على عادته ، وأخلع على نفرين واستقرا أميرى خازندارية عوضا عن الأمير قجماس وطوغان بحكم وفاتهما .

---

(١) ظلت وظيفـة قاضى القضاة الحنفية شاغرة بموت ابن الطرابلسى مدة مائة وعشرين يوما حتى تولاها الملطى حيث طلبه السلطان من حلب إذ كان بها وقتذاك ، وقد علق أبو المحاسن على هـذه الولاية بقوله : « هكذا تكون ولاية القضاة » ، ولا ندرى علة هذا القول من أبى المحاسن إلا أن تكون سخرية منه : فقد اشتهر عن الملطى أنه كان يفتى بأكل الحشيش و بوجوه من الحيل فى أكل الربا ، ولذلك قال فيه المحب بن الشحنة :

عجبت لشيخ يأمر الناس بالتقى * وما راقب الرحمن يوما وما اتقى
يرى جائزا أكل الحشيشة والربا * ومن يستمع للوحى حقا تزندقا

انظر السخاوى : ذيل رفع الإصر ، ص ٤٠٩ .

وفي يوم الخميس رابع عشر شهر شعبان خُلع على الأمير الكبير أيتمش البجاسي[(١)] أتابك العساكر واستقر في نظر البيمارستان المنصوري ، وأخلع على الأمير شهاب الدين أحمد بن خاص ترك — البريدي كان — واستقر شاد الدواوين المعمورة عوضا عن الأمير حسام الدين حسين بن أخت الغرس بحكم إفصاله وعلى إقطاعه ، وخرجت طبلخانات علاء الدين بن الطبلاوي بحكم مسكه للأمير فرج الحلبي أستادار الأملاك والذخيرة ، وخرجت إمرة الأمير فرج للأمير ناصر الدين بن سنقر قلمطاي كان ، واستقر الشيخ زاده[(٢)] بن الشيخ الخلوتي صاحب ديوان البيمارستان عوضا عن شمس الدين الدميري .

وفي يوم الخميس الثامن والعشرين من شهر شعبان أخلع على القاضي شهاب الدين بن البرجي واستقر في حسبة القاهرة عوضا عن شمس الدين البجاسي بحكم إفصاله ، وعُزل شمس الدين الدميري عن نظر الأحباس ، واستقر بدر الدين حسن الشرفي .

وفي يوم الاثنين سابع ذي القعدة منها أُخلع على القاضي سعد الدين ابن غراب واستقر ناظر الجيش عوضاً عن شرف الدين بن الدماميني مضافاً إلى ما بيده من نظر الخواص الشريفة ، وقرر الأمير أيتمش البجاسي أميرا حضر نائباً عنه في نظر المرستان المنصوري عوضا عن الأمير قطاوبك الأستادار :

وفي يوم الخميس عاشر ذي القعدة أُخلع على شمس الدين الشاذلي واستقر محتسب مصر عوضا عن زين الدين شعبان بحكم إفصاله .

(١) الوارد في ابن قاضي شهبة ، الإعلام ، ورقة ١٣٣ أ ، أن الذي استقر في نظر البيمارستان المنصوري إنما هو يشبك الأتابك وذلك بدلا من ابن الطبلاوي .

(٢) هو الشيخ زاده العجمي الخرزباني الحنفي العجمي ، راجع ترجمته في الضوء اللامع ٣/٢٨٨ وسترد ترجمته في الجزء الثاني من نزهة النفوس والأبدان .

وفى يوم الثلاثاء خامس عشره أخلع على السيد الشريف شرف الدين على بن فخر الدين بن شرف الدين الأموى واستقر فى نقابة الأشراف ونظرها على عادته عوضا عن السيد الشريف جمال الدين عبد الله الطباطبي .

* * *

ذكر مسك علاء الدين بن الطبلاوى الحاجب وأخيه (١) ناصر الدين محمد متولى القاهرة

بتاريخ ليلة يسفر صباحها عن يوم الجمعة التاسع من شعبان من هذه السنة عمل القاضى سعد الدين بن غراب ناظر الخواص الشريفة دعوةً للختْم وعَزَمَ على الأمير علاء الدين بن الطبلاوى وأخيه ناصر الدين والى القاهرة ومن يلوذ بهما ،وعزم على الأمير يعقوب شاه الظاهرى الخزندار ، ثم قبض فى العشاء على علاء الدين المذكور وأخيه ناصر الدين المذكور وناصر الدين ابن عمته شادّ الخواص الشريفة وبقية المماليك والخطيب ابن عمه ودواداره والحجازى والشاذلى والقاضى كريم الدين بن الشيخ مستوفى البهار الكارمى والقاضى عبد الوهاب بن أبى شاكر نائبه فى الكارم والمتجر ،واعتُقلوا بقاعته .

وفى بكرة الجمعة المذكورة أُخلع على الأمير بهاء الدين نقيب الجيوش المنصورة واستقر فى ولاية القاهرة عوضاً عن ناصر الدين المذكور ، وأخلع عشيةَ نهارِه على الأمير ناصر الدين بن علاء الدين بن كلبك واستقر نقيب الجيوش المنصورة عوضاً عن بهاء الدين المنتقل إلى ولاية القاهرة .

(١) فى الإعلام لابن قاضى شهبة ، ورقة ١٣٢ ب ، أنه قبض على ابن الطبلاوى وعلى «ابن عمه تقى الدين بن الصاحب فخر الدين أبى شاكر» ثم يعود فيكرر نفس الشىء من حيث القرابة فى ورقة ١٣٣ أ ولكنه لا يلبث أن يولى « وعزل ناصر الدين ابن الطبلاوى من ولاية القاهرة » .

وبتاريخ يوم الأحد حادى عشره نقل هؤلاء إلى بيت الأمير يلبغا أستادار العالية ظُهْر النهار راكبين على الحمير فى الباشات والجنازير وسُلِّموا لمتولى القاهرة وأحضروا لهم ابن زِقْلم[1] كبير المشاعلية ، ثم توجهوا بالأمير علاء الدين إلى بيته فى زنجير صُحْبَة الأمير يلبغا الأستادار والأمير يعقوب شاه الخازندار وسعد الدين بن غراب ناظر الخواص الشريفة ، وأخرج لهم خبيةً ذهب تبلغ مائتين وخمسين ألف دينار ، ومن الفضة خمسين ألف درهم ، ومن الزركش والسّمور والوشق والسنجاب والصوف أكثر من عشرين حملا ثم عادوا به إلى بيت يلبغا المجنون .

وفى يوم الأربعاء رابع عشره توجهوا به أيضاً إلى بيته وعاقبوا أم ابنه وجواريه والخطيب ابن عمه وأخذوا أيضا من الذهب تسعة عشر ألف دينار .

وفى يوم السبت سابع عشره طلعوا بعلاء الدين المذكور بين يدى المقام الشريف بالحوش بالقلعة ، وطلب منه المقام الشريف ما أخذه من الأمراء الذين قتلهم فخرج ودخل ميضأة صندل الخازندار فضرب نفسه بسكين صغير كان معه ثلاث ضربات أثّرت فيه يسيرا ، ويقال كان قصدُه [أن] يضرب السلطانَ بها إذا خلا به ، والله أعلم حقيقة ذلك .

ثم نزلوا به إلى بيت يلبغا المجنون وأُخِـذ منه أيضا من الذهب المصرى مبلغ ستةٍ وثمانين ألف دينار ، ومن الفضة مائتى ألف دينار ، وباعوا قماش لبسه وبيوته بمبلغ مائة ألف درهم خارجا عن الخيول والغلال وسائر أنواع القماش والفضة الحجر التى بيع جميعها بمائة ألف درهم ، وأخذوا من حواشيه ستمائة ألف درهم ، ومن ابن عمه مائتى ألف درهم ، ومن أخيه خمسين ألف

(١) الضبط من الضوء اللامع ج ١١ ص ٢٤٩ .

درهم . ثم نقلوا علاء الدين من بيت يلبغا المجنون يوم الخميس الثامن عشر من شوّال منها إلى خزانة شمائل واعتُقل بالبرج الذى كان فيه محمود الأستادار ، ولم يمكن أحدٌ من الاجتماع به .

وفى يوم الاثنين سابع ذى القعدة خلص ناصر الدين ابن عمر علاء الدين وتسلمه الأمير فارس حاجب الحجاب ناصر الدين والى القاهرة وأخذه عنده ؟

* * *

ذكر فتنــة على باى ومقتله

بتاريخ يوم السبت التاسع عشر من ذى القعدة من هذه السنة كانت فتنة الأمير على باى أحد الأمراء مقدّمى الألوف بالديار المصرية ورأس نوبة كبير ، وذلك أنه كان قد قرر هــذه الفتنة والركوبَ على السلطان قبل هذا التاريخ بأيام . وكان قَصْدُهُ أن يقيم الفتنة يوم عمل السلطان مُهِمّ الأكرة وذلك يوم السبت الثانى من ذى القعدة المذكورة ولكن لم يتهيأ له ذلك ؛ وكان السلطان قد جمع فى ذلك اليوم سائر الأمراء والمماليك السلطانية بالميدان تحت القلعــة ومدّ لهم سماطا عظيماً بُكرةَ نهاره من أول الميدان إلى آخره ، وعمل فيه أنواع المطعم والحلوى والفاكهة وأنواع لحوم الطيور وغيرها ، وعُملت أدنان بوزة وأحواض من المشروب الذى يقال له « التمربغاوى » وأنواع المشارب من السكر ، وذبح فيه عشرة أروُس خيل ، وأخرج الأمراء المقدمون حجورة مسروجة بسروج ذهب وكنابيش زركش بسلاسل ذهب ، وهم : الأمــير أيتمش أتابك العساكر وتغرى بردى أمــير سلاح وآقبغا اللكاش أمير مجلس وعلى باى رأس نوبة كبير وبيبرس الدوادار ونوروز أمير آخور وفارس حاجب الحجاب وتمربغا المنجكى صاحب ميسرة ويلبغا أستادار العالية وبشباى [١٥٤] الخزندار الكبير وأرغون شاه البيدمرى وسودون ابن الحاجب السلطانى والأمير

بجاس وكان قويا مشهورا ؛ ثم إن على باى المذكور تضاعف متعمّدا ومتحيّلا وادّعى أنه وقع من الفرس عند لعب الرمح . وكسر سرج الفرس وخَرْبَش بعض جبهته زعماً منه أنّ السرج أصابه وأنه وقع ، وأظهر مرضا عظيما وأن فى قلبه وجعاً عظيماً وأنه كذا وكذا ، وكل ذلك كذب وزور ، ومراده الفتنة ، وأقام فى بيته — وهو بيت ألجاى اليوسفى — على بركة الفيل أمام الكبش (١) منقطعا عن الخدمة بناءً على أنه ضعيف ، فنزل إليه الأمراء وأعيان المدينة ، وأرسل إليه السلطان من يسأل عنه فصدّقه السلطان وسائرُ الناس على ما يذكره من الكذب المبطن الخفى الذى آل أمره إلى هلاكه واندراسه .

ولما كان يوم السبت التاسع عشر من ذى القعدة ، وهو يوم وفاء النيل وكسر الخليج ، و[لما] سمع بأن السلطان ينزل بنفسه إلى كسر الخليج وأنه يدخل عليه يعوده وقت عَوْده من البحر : جهّز حاله وعبى أمره ولبس من تحت قماشه وألبس مماليكه وخيوله فى إصطبله ، واتفق معهم — حين يدخل السلطان إلى اصطبله مع الأمراء — يحطمون عليهم وينزلون عليهم بالسيوف ويقتلونهم من أولهم إلى آخرهم (٢) ولا يمهلونهم .

وأوقف جماعة عند باب الاصطبل يرصدون مجىء السلطان عند عوده من البحر ليخبروا أستاذهم لينهض فيما طلبه من الباطل والشر ، ثم إن السلطان لما أُخبر بذلك اليوم بوفاء البحر ركب من ساعته ونزل فى خدمته الأمراء

(١) الكبش هى المنطقة الواقعة على جبل يشكر بجوار الجامع الطولونى ، وكان عليها ما يعرف بمناظر الكبش التى تشرف على باب زويلة والقاهرة ومدينة مصر وبر الجيزة ، وهى من إنشاء الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد ، على أنه فى سنة ٧٢٣ هدمها الناصر محمد بن قلاون «وأجرى الماء إليها وجدد بها عدة مواضع وزاد فى سوقها وأنشأ بها اصطبلا تربط فيه الخيول ، ثم أصبح مسكنا لغير من الأمراء أحدهم الأمير أسندمر الذى قبض عليه الملك الأشرف شعبان وأمر بهدمها فصارت خرابا حتى حكرها بعض الناس سنة ٧٧٥ هـ وأقاموا فيها المساكن ، انظر المقريزى : الخطط ٢/١٣٢ — ١٣٣ .

(٢) بعد هذا فى الأصل « من الأمراء » .

والمماليك على العادة من غير علم بهذه الأمور السخيفة ، وركب الحراقة السلطانية وطلع إلى المقياس على العادة ، ورجع ونزل فى المركب ليعود إلى القاهرة فإذا بشخص يقال له سودون الأعور أخبر السلطان بأن على باى أراد أن يركب على السلطان وأنه ألبس خيوله ، ومماليكه فى اصطبله منتظرون مجىء الركّاب الشّريف ، فما صدّقه السلطان حتى تواترت الأخبار فركب السلطان وفى خدمته الأمراء حتى قربوا من الكبش فإذا امرأةٌ تنادى من فوق الكبش : « يا مولانا السلطان : الأمير على باى يركب عليك ، وها هى خيوله ملبّسة ، ومماليكه ملبسون » ، فعند ذلك أشار بعضُ من عند السلطان من الأمراء أن يأخذوا الطريق الذى مِن وراء الكبش من عند الكيمان ، فلم ير السلطان ذلك صوابا وذلك لما فيه من نوع الخوف والفرار ، ولكن رسم بأن يتأخر السنجق(١) السلطانى عنه بخلاف العادة وذلك ليجوز السلطان من باب إصطبل عليباى وهم يظنون أن السلطان بعد لم يصل ، لأن العادة أن السلطان يكون تحت السناجق السلطانية ، فحطم السلطان بمن معه وهم يعدون مجرى الخيل إلى أن جازوا من باب الإصطبل الذى فيه على باى ومماليكه وهم يظنون أن السلطان لم يصل بعد إلى الباب ، فلما تحقق على باى أن السلطان جاز بمن معه مِن الأمراء احترق قلبه وأكل لحمَ يده وقرع سِنه وضَرب رقبة مَن أوقفه عند الباب ـ ليعلمه بمرور السلطان ـ بطبر كانت فى يده ورمى رأسه على الأرض ، فعند ذلك خرجت مماليكه وراء السلطان إلى مدرسة صرغتمش(٢) فجرحوا بعض المماليك وقتل بيسق الخاسكى المصارع وساق نكباى(٣) شاد الشراب خاناه لعلى باى وراء

(١) السنجق فى الأصل الرمح ، ويقصد به هنا العلم السلطانى الذى يشد إلى رمح يركب به السلطان ويحمله العلمدار ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى ٤/٨ ، ٥/٤٥٦ .

(٢) هى من إنشاء الأمير سيف الدين صرغتمش الناصرى فى سنة ٧٥٧ هـ ، وتقع بجوار جامع أحمد ابن طولون وجعلها منشؤها وقفا على الفقهاء الحنفية الأفاقية ، انظر الخطط للمقريزى ٢/٤٠٢-٤٠٣ .

(٣) يرى أبو المحاسن فى النجوم الزاهرة ١٢/ ٨٥ أن نكباى هو أصل هذه الفتنة ويشير إلى القصة كاملة ، كما أن علة هذا الموقف من جانبه ترجع إلى علاقته بجارية من جوارى آقباى الطرنطائى المتوفى سنة ٨١٢ هـ ، راجع عنه الضوء اللامع ٢/ ٩٩٣ وانظر أيضا الاعلام لابن قاضى شهبة ، ورقة ١٣٥ أ ، فقد ذكر قصة نكباى مفصلة وإن لم ينص على اسمه .

السلطان والسيف مسلول بيده إلى أن وصل إلى باب السلسلة فرموا عليه بالحجارة من باب السلسلة ، واجتمعت عليه المماليك السلطانية وهبروه تهبيرا بالسيوف وطلعوا به عند السلطان ولم يرفعوه إلا وهو ميت من كثر الضربات ، وهرب على باى واختفى فى مستوقد حمام النائب ، ثم رسم السلطان بنهب إصطبل على باى فنُهب ، ومن جملة ذلك بيّته إلى أن قلعوا الرخام الذى فيه والشبابيك ، ونُهب بيت يلبغا الأحمدى المجنون أيضا وهو البيت الذى بناه جديدا على البركة الناصرية عند جامع الإسماعيلى وغرم عليه جملة أموال وجعلوه قاعا صفصفا وقلعوا منه رخاما بجملة أموال .

ومُسك يلبغا الأستادار فى ذلك اليوم وذلك لأنه ركب فى ذلك اليوم بمماليكه وهم ملبسون ، ثم نودى بالمشاعلية على على باي فوجدوه فى نصف ليلة الأحد العشرين من ذى القعدة فى المستوقد المذكور وطلعوا به إلى السلطان ، فشتمه وحقّ له أن يشتمه وقرروه على من كان معه فلم يعترف على أحد ، وذكر أن الأمير يلبغا لم يكن له علمٌ من ذلك ، فأفرج السلطانُ عن يلبغا المذكور بكرة نهار الأحد العشرين من ذى القعدة ، وأخلع عليه واستقرّ على عادته ، ثم عُصر على باى وعوقب فلم يعترف على أحد وخُنق فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من الشهر المذكور ودفن فى الليل ، وسفرت البريدية بالبشائر بسلامة المقام الشريف السلطانى الملكي الظاهرى إلى سائر البلاد الشامية ، وسُيّر نجابان إلى المدينة النبوية ومكة المعظمة ووصلا إلى حجيج مصر عند أميرهم صراى تمر رأس نوبة وأحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية وبشروهم بسلامة المقام الشريف وما جرى من الوقعة والحجيج خارجون من مكة نازلون على بطن مر (١) ، وكانت قضية على باى مع السلطان

(١) فى الأصل «بطن مرو» والصحيح هو حذف الواو، وبطن مر — ومر بفتح الميم وتشديد الراء — كما ضبطها ابن عبد الحق البغدادى : مراصد الاطلاع ١/ ٢٠٥ من نواحى مكة وعندها يجتمع واديا النخلتين فيصيران واديا واحدا .

شبيهة بقضية أعرابى صاحب غنم ومواشى أخذ جرْوَ ذئب ورباه بلبن الغنم حتى إذا كبر يحفظ مواشيه وغنمه من الذئاب وغيرها، فلما كبر أخذ يفترس كل يوم خروفا من غنمه فمسكه وقتله وقال: « ربيتك فى حجرى بلبن الغنم لتنفع لى وترد عن غنمى، فما علمت أنى ربيت من يؤذينى » ثم أنشد:

أكلْتَ شُوَيهتى ونَشأْتَ فيهـا فَمَنْ أَنْباكَ أنَّ أَباكَ ذِئْبُ ؟

وكذا السلطان اشترى على باى وهو صغير وحسنه وعلمه القرآن وأمورَ دينه وربّاه مثل ولده فى حجره وجعله دواداره وأعطاه إقطاعا ثقيلا، ثم نقله فى أقرب مدة إلى الخازندارية الكبيرة عوضا عن قلمطاى العثمانى، ثم جعله أحد المقدمين الألوف بالديار المصرية ورأس نوبة كبيرا وقدّمه على كثير ممن كان قبله ولم يأخذ منه حساب الخزانة الشريفة، وكان عنـده بمنزلة عظيمة وكان لا يرد كلامه، وكان السلطان يأمن إليه ويركن فى أموره عليه، ولا تصور فى ذهنه أن تصدر عنه هذه الأمور الغريبة التى ظاهرها غدر وباطنها مكر، وقال عليه السلام: «لكل غادر لواء يوم القيامة يعرف به»، وما أقبح مايجىء الغدر ممن يرجى منه الخير وما أفظع مايجىء النفاق ممن يرجى منه الوفاق، وكثيرا ما أسمع « ما تجىء الخيانة والجفا إلا ممن تؤمل فيه الصدق والوفا » وما أبخس من يرضيك ظاهره ويقصد قتلك فى ضمائره، فمآل الغـدر إلى الغرور، ومجال الشر إلى الشرور، ولقـد غلب عليه البطر، وطار من نار شرره، كما ترى قد صدر من فتنة فيها حذر، وقال الشاعر:

يا راكنا للدَّهْـر فى سُـلْطانه أُنْظُر إلى الأيَّامِ كَيْفَ تَزُولُ
هى مَارأَيْتَ وما سَمِعْتَ سَبِيلُها التَّحْـويلُ والتَّقْتِيلُ والتَّبْـديلُ

لقد نسى المسكين أن السلطان مثل البحر، وقُرْبُ البحر مورد الهـلاك كما قال من قال:

إذَا أَدْنَاكَ سُـلْطَانٌ فَـزِدْهُ مِنَ التَّعْظِيمِ وانْصَحْه ورَاقِبْ
فَمَا السُّلْطَانُ إلَّا البَحْرِ عِظْماً وقُرْبُ البَحْرِ مَحْذُورُ العَوَاقِبْ

ثم إن يوم الأحد ثاني يوم وقعة على باي ركبت المماليك السلطانية كلهم ملبسين حتى امتلأت [٥٤ ب] الرميلة خوفا من وقوع فتنة أخرى، لأنه كان في اعتقادهم جزما أنّ على باي ما كان منفردا في هذه القضية بل كان معه ناسٌ آخرون. فلما قُتل على باي — كما ذكرنا — سكنت الفتنة وانطفت نارها، وأنعم السلطان على كل نفر من مماليكه بمبلغ ستمائة درهم وهم ثلاثة آلاف نفر، وذلك يوم الخميس الرابع والعشرين من ذى القعدة منها؛

* * *

ذكر مسك الأمير يلبغا الأحمدى أستادار العالية

بتاريخ يوم السبت السادس والعشرين من ذى القعدة منها نزل الأمير فارس حاجب الحجاب والأمير تمربغا صاحب الميسرة إلى بيت يلبغا المجنون وأخذاه بمفرده وتوجها به إلى البحر عند جزيرة الفيل وأنزلاه في مركب، وسفراه إلى دمياط.

وفي تاريخه (١) أخلع على الأمير ناصرالدين ابن سنقر واستقر أستادار قلمطاى الدوادار، واستقر (٢) عوض يلبغا المذكور في أستادارية العالية بالديوان المفرد واستقر على تقدمة ألف — بعده — بستين فارسا؛ واستقر على تقدمة يلبغا وإقطاعه الأميرُ بكتمر رأْس نوبة؛ واستقر الأمير أرسطاى رأْس نوبة صغير رأْس نوبة كبيراً على وظيفة على باى وتقدمته وإقطاعه عوضا عنه.

* * *

(١) تختلف رواية ابن قاضى شهبة، الإعلام، ورقة ١٣٣ ب عما هو وارد بالمتن إذ تشير إلى أنه «كان» أستادار قلمطاى وأنه استقر بإمرة عشرة عوضا عن الأمير فرج.

(٢) يعنى بذلك ناصرالدين ابن سنقر.

بقية حوادث هذه السنة

فى العشر الأول من جمادى الآخـــرة حضرت جماعة من عرب آل مهنا عرب الشام إلى الأبواب الشريفة وأخبروا بأن الأمير نعير بن حيار بن مهنـــا وقع(١) مع ابن عمه أبى ســـليمان بن عنقا بن مهنا أمير آل مهنا المتولى عوضه فى موضع يقال له « الطبقة » قريب من الرحبة ، فكانت الكسرة أولا على نعير ثم انتصر نعير وكسر الذين مع ابن عمه كسرا عظيما وقتل ابن عمه المذكور ، ولم يزل عسكر نعير يقتلونهم من الظهر إلى المغرب وأخذوا جمالهم وعروهم بحيث صاروا فقراء ومسكوا أكثرهم وكبراءهم .

وفى شهر ربيع الأول وقع فناء عظيم فى الشرقية والغربية من بلاد مصر واستمر مقدار ثلاثة أشهر ولم ينقطع حتى دخل فصل الشتاء، وأخبرنا ناس ثقات أن أكثر البلاد خليت من سكانها وأغلقت دورٌ كثيرة حتى [كان] الأصحاء ينقلون الأموات على الجمال ويرمونهم فى البحر وربما يحفرون حفيرة ويدفنون فيها أكثر من عشرين نفسا، وكان ضعفهم من الحمى البـــاردة والحـــارة .

وفى يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى هبت ريح شديدة فى القاهرة بحيث أن المشايخ من أهل مصر قالوا : « ما عهدنا مثل هذه الريح » ، وذرت ترابا أحمر على مصر والقاهرة يشبه تراب أرض برقة .

وفى هذه السنة كان غلاء شديد فى البلاد الشمالية .

وفى يوم الثلاثاء الرابع من رمضان منها قدم الأمير قطلوبغا(٢) الخليلى أمـــير آخور من بلاد المغرب ، [وهو] الذى كان [قد] توجه بسبب ابتياع الخيـــل

(١) فى الأصل « اتقع » ربعنى « وقع بينه وبين » .

(٢) يظن السخاوى فى الضوء اللامع ٦/ ٧٤ أنه كان من مماليك جركس الخليلى .

وصحبته ثلاثة رءوس من جهة ملوك المغرب وهم: صاحب فاس وصاحب تونس وصاحب تلمسان وصحبته أمير[1] آخور الأمير أيتمش الذى كان ضرب مقدم هجانة أيتمش وقطع ذراعه وهرب إلى المغرب من مدة أربع عشرة سنة — وأحضر قطاوبغا الخليلى صحبة الخيول التى ابتاعها وهى مائة وعشرون رأساً كلها فحولة ، وتقدمته عشرون رأسا .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشر رمضان قدّمت الرسل تقادمهم وهى من صاحب فاس أبى عامر : اثنان وثلاثون رأسا منها فحولة بسروج مغربية : ثلاثون رأسا وبغلان بسروج فرنجية ولُجُم الجميع مسقطة بذهب وفيها سروج بركب ذهب وفضة ، وذُكر لنا أنّ كل ركب منها زنته خمسمائة دينار ، وقماش حرير وجوارى وأكسية حرير وصوفٌ ونطوعٌ ومقاعد على مائة وخمسة وأربعين حمالا ، وسيوف ملبسة بذهب وفضة : إثنان وثلاثون سيفا ، ومهاميز ذهب وفضة : اثنان وثلاثون ؛ و[تقدمة] من أبى الفوارس عبد العزيز صاحب تونس : من الخيول ثلاثون رأسا : فحولة ستة وعشرون والباقى حجورة بأجلال حرير منها ثمانية بيض .

و [تقدمة] من صاحب تلمسان : من الخيول خمسة وعشرون ، وبغلان ، كلّها بسروجها منها اثنان بسروج مخرزان بالذهب ، وسيوف : ثمانية مسقطة بالذهب ، وقماش بأنواع كما ذكرنا على ستة وعشرين جملا .

وكانت مدة غيبة قطلوبغا الخليلى عشرين شهرا .

وفى العشر الأول من ذى الحجة برز المرسوم الشريف السلطانى بالإفراج عن الأمير بكلمش العلائى أمير سلاح المعتقل بالإسكندرية ، وتوجه إلى

(١) أشار ابن قاضى شهبة ، الإعلام ، ورقة ١٢٣ ب ، إلى أنه حضر معه يوسف بن على أمير عربان بلاد المغرب ، وقال عنه " وهو فى بلاد المغرب مثل نعير فى بلاد الشام " .

إحضاره قراكسك الخاسكي ، وحضر بتاريخ يوم الاثنين الثاني عشر من ذى الحجة إلى قبالة شبرا فى الحراقة وطلع من شبرا إلى سرياقوس وتوجه صحبة بريدى إلى القدس الشريف ليقيم بها .

وفي يوم السبت ثالث ذى الحجة أخلع على الأمير طولو – أحد الأمراء الطبلخانات – واستقر رأس نوبة أيضا عوضاً عن بكتمر بحكم انتقاله إلى التقدمة، وعلى سودون الظريف واستقر رأس نوبة أيضا عوضا عن أرسطاى بحكم انتقاله إلى التقدمة .

وفى يوم الأحد سابع ذى الحجة سُمِّر أربعة نفر من مماليك على باى وهم رأس نوبته وخازنداره سودون ودواداره وأمير آخوره، وأُشهروا .

وفى يوم السبت عاشر شهر ذى الحجة يوم عيد الأضحى كان السلطان متضعفا من مشى بطنه ولم ينزل إلى الميدان وصلى صلاة العيد بقلعة الجبل ولم يخرج يوم الجمعة نهار أمسه لصلاة الجمعة ولا ذبح هو الأُضْحية بنفسه، ولا حضر الخوان بالإيوان يوم العيد، ثم رسم السلطان بفحل من خيوله يسمى « فواز » فباعوه بثلاثمائة ألف وسبعين ألف درهم وتصدقوا به على الفقراء والمساكين .

وفيها وقع مطر عظيم فى بلاد فلسطين وغزة ورملة حتى أخبرنا ناس ثقات أن فى الرملة انهدم من كثرة المطر فوق ألف بيت، ووقع فى البلاد الشمالية ثلوج عظيمة حتى انسدت الأزقة والأبواب .

وفيها حج بالناس بالركب المصرى الأمير صراى تمر رأس نوبة ، وبالركب الأول دمرداش الأنجاوى وبالركب الشامى الأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بالشام، وحضر فى هذه السنة محمل اليمانيين ووقف بالجبل تحت المحمل الشامى، وكان المبشر من الحجاج ألطنبغا الحبشي الدوادار الظاهرى .

ذكر من توفى فيها من الأعيان

٢٧٦ — الأمير تانى بك اليحياوى أمير آخور كبير الظاهرى ، توفى في منتصف ليلة الخميس الثانى(١) عشر من شهر ربيع الآخر من هذه السنة ، ونزل السلطان إلى جنازته ، وصلى عليه فى مصلى المؤمنى ومشى راجلاً إلى المصلى وتوجه معه إلى تربته والأمراء كلهم فى خدمته ودفن فى الحوش السلطانى فى الصحراء ، وخلّف أموالاً كثيرةً من سائر الأصناف ولم يوص لأحد ، ولا أوصى بشىء من القربات ولا من غيرها ، وكان رجلا مسيكا ولكن كان عنده علم وحسن خلق وملاقاتٌ حسنةٌ للناس ، وكان يتجنب الكلام الفاحش لا ينطق به ، وكان عنده حرص وطمع فى جمع الأموال وقلّة مُبالاة فى أخذ الرشى والبراطيل ، سامحه الله تعالى سبحانه .

٢٧٧ — الأمير قلمطاى العثمانى الدوادار الكبير الظاهرى توفى بعد العشاء الآخرة ليلة السبت الرابع عشر من جمادى الأولى(٢) من هذه السنة ، ودفن صبيحةَ يوم السبت فى تربته التى أنشأها(٣) عند دار الضيافة تحت قلعة الجبل ولكن لم يكملها وأوصى بتكميلها ، ونزل السلطان وصلى عليه بالرميلة ، وتوجه معه إلى تربته ومشى قدامه من صهريج منجاك إلى تربته ، وحضر جنازته أمير المؤمنين الخليفة وجميعُ أكابر مصر من الأمراء والعلماء والقضاة ، وكان الذى صلى عليه بالناس القاضى بدر الدين محمود كاتب السر الشريف باستدعائه من السلطان له بذلك . وكان [قلمطاى] أوصى قبل موته بثُلث

(١) فى السلوك ، ورقة ٢٦٧ أ « ليلة الخميس رابع عشر ربيع الآخر » .

(٢) « جمادى الآخرة » فى الإعلام لابن قاضى شهبة ، ١٣٠ أ .

(٣) الوارد فى ابن قاضى شهبة ، ١٣٩ أ ، أنها تحت زاوية شيخ الشيوخ بالقرب من سبيل شيخون العمرى .

ماله لمماليكه المعتقين وجواريه العتقاء، وعيّن منه عشرين ألفًا لعمارة تربتـــه، وعشرين ألفا كفارةً عن صلواته الغافية؛ وتصدّق قبل موته بجملة على الفقراء والمساكين، وخلّف موجودا كثيرا من العين والقماش والغلال والمواشى، فقام الأوصياء فى بيع تركته مقدار سنة، ولقد رأينا بخط شهود بعض التركة (١٥٥) أن تركته بلغت إلى أربعة آلاف ألف وهى مائةُ ألف أربعين مرّة، وكان شابًا جميل الصُّورة مليح القامة ذا أدب وحشمة ووقار ومعرفة وخـــط حسن ومشـــاركة فى بعض المســـائل، وكان يحسن إلى أصحابه ومن يلوذ ببابه، ويقضى أشغال المسلمين ويحسن إلى الغرباء الواردين من البـــلاد، ويأخذ بأيديهم ويساعدهم، ويبرّ الفقراء والمساكين ويساعدهم ويعتقـــد أهل الصلاح ويخالط العلماء ويعاشرهم. وكان يعرف مقادير الناس ولكنه فى بعض الأوقات ما يسلم من وسائط الشر حتى علّموه فى آخر عمره أبواب الأخذ والطمع وجمع المـــال، رحمه الله ومَنّ عليـــه بلطفه وســـائر أموات المسلمين آمين.

٢٧٨ — الأمير يلبغا السودونى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية، توفى فى هذه السنة فى ربيع الآخر وخلف شيئًا كثيرًا.

٢٧٩ — الأمير آقبلاط أحد الأمراء العشرات، توفى فى هـــذه السنة بالقاهرة، رحمه الله.

٢٨٠ — الأمير سيف الدين طوغان الناصرى أحد أمراء العشراوات بالديار المصرية، توفى فى هذه السنة وكان نقيب الفقراء[(١)]، وكان فى أيام شبابه ذا قوة

(١) فى السلوك ٢٦٧ أ « العمرى »، وكان نقيب الفقـــراء السطوحية، وكانـــ موته فى أول ربيع الأول ».

عظيمة حتى قيل إنه كان يلطم الثور ويصرعه على الأرض، وأُعطِيَتْ إمرته لسودون من زاده صهر أحد المماليك السلطانية .

٢٨١ — الأمير قجماس البيبرسي أحد الأمراء العشراوات بالديار المصرية توفى فى هذه السنة وكان أيضا نقيبَ الفقراء .

٢٨٢ — الأمير عمر بن [إلياس بن] قرط متولى منفلوط ، قتله العرب فى أواخر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقتلوا ابنَ سعيد الدولة الناظر بها فبلغ الخبر بذلك إلى الأبواب الشريفة فى العشر الأول من جمادى الأولى ، وتولى عوضاً عنه ناصر الدين محمد بن المكلل .

٢٨٣ — الأمير موسى بن قَمَارِى أمير شكار ، توفى يوم الأحد حادى عشر رجب عَصْر نهارِه ودُفِن بُكرة يوم الاثنين ، وكانت مدُةُ ضعفه مائةَ يوم ، واستقر سيف الدين تمراز ابن أخيه بإمرة عشرة وهى إقطاع بكتمر جلق ، واستقر إقطاع أمير موسى — وهو خمسة عشر فارسا — باسم بكتمر جلق بتاريخ يوم الخميس خامس عشره ، واستقر إقطاع تمراز باسم محمد بن موسى المـــذكور .

٢٨٤ — الأمير سولى بن زين الدين قراجا بن ذلغادر كبير التركمان، قُتل فى العشر الأوسط من شهر رمضان من هذه السنة ، قتله رجل يقال له على خان بسكين ضربه بها فى خاصرته وهو نائم مع امرأته فى بيت خركاه فوق مرقده عند رقدة الناس وذلك بممالأة الملك الظاهر على ذلك سنين ، فلما قَتَـــل هَرَب فى حِنْدس الليل وأعمى الله عنه الأبصار إلى أن حضر إلى الأبواب الشريفة فأعطاه السلطان شيئا كثيرا وكتب مرسوما أن يأخذ من نائب الشام من مال السلطان خمسين ألف درهم فضـــة ، وأعطاه إمرة عشرة بمدينـــة أنطاكية .

وكان اتّصاله إلى الملك بسبب أنه كان فى خدمة ولده الأمير صـــدقة ، وكان سولى يأمن عليه ويثق به وأصله من تركمان تلك البلاد ، وأما سولى فكان له صيت عظيم وحُرْمةٌ عظيمة بين التراكمين الأوج، وكان يقال له « هيكل التركمان» ، وكان ينصف فى أيام ولايته أبلستين ومرعش ويعدل بين الناس، ويُمشّى الطرقات ويقطع التراكمين الذين يؤذون الناس فى الطرقات فيأخذ أموالهـــم فى أيام عزله وبطالته ويفـــرق عسكره إلى بلاد المسلمين فيقطعون الطـــرق على الناس ويفسدون على وجه الأرض . وكان سولى هـــو الذى ساعد منطاش على خراب البلاد الشماليـــة ولا سيما حين حضر معه على مدينة عينتاب وسلّط تراكمينه الذين لا يعرفون الله ولا رسوله على أهلها فنهبوا أموالهم وسبوا حريمهم وفسقوا فيها، وكان قبل هذا من الفتوح العظيمة للمسلمين ، وكان إذا وُعظ بالمواعظ الرائعة وأُخبر بالأحاديث الشريفة ليرفع شره عن المسلمين يُظهرُ الطاعة والقبولَ فى الظاهر ، ويضمر الســـوء والفحشاء فى الضمائر ، ومع ظلمه كان يتعانى اللواطة ويتعاطى شرب الخمر ، فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكان بطالا يوم وفاته ، ثم قدم الأمير صدقة ولده إلى الديار المصرية فأخلع عليه السلطان وولّاه ولاية أبيه عوضا عن الأمير ناصر الدين محمد بن خليل باك بن قراجا بن ذلغادر ، فلما وصل إلى محـــلّ ولايته وقع بينهما قتال عظيم ، ولم تزل هذه الطائفة يقتل بعضهم بعضا ولولا ذلك لكانوا أفسدوا الأرض ومن عليها .

٢٨٥ ـــ الأمير بكتمر الطشطمرى دوادار الأمير قلمطاى الدوادار ،وفى يوم توفى الأمير يلباك أمير آخور .

٢٨٦ — السيفي جانبك الساقي الخاص الظاهري ، غرق في النيل يوم الثلاثاء بعد العصر السابع من رجب من هذه السنة . وسببه أنه توجه إلى جزيرة أروى (١) وكان نصفها إقطاعه ، فلما وصل إليها أخرج إليه الفلاحون طعاما فأكله ثم قام وأراد أن يستحم في البحر وكان معه واحد من أصحابه فقال له : « إياك وأن تغرق » فقال ضاحكا : « أنا صغير حتى أغرق ؟ » فدخل فيه فغطس فيه غطسة ثم طلع وغطس أخرى فغرق ومات ، فوصل الخبر في الساعة إلى أهله إلى القاهرة فنزل الغطاسون وراءه فلم يظفروا به ، ثم بعد أيام وجدوه عند شطنوف وهو منتفخ قد أكل الحيوانُ بعضَ لحمه فأحضروه إلى القاهرة وغسلوه وصلوا عليه ودفنوه في حوش ، وخلّف شيئا مقداره أربع مائة ألف درهم أكثرها ذهبا وفضة ، رحمه الله .

٢٨٧ — القاضي صفي الدين الدميري موقع الأمير بكلمش أمير سلاح ، صادره بكلمش كما قدمناه وعاقبه بأنواع الضرب إلى أن أفضى ذلك إلى هلاكه في العشر الأول من محرم هذه السنة ، وكان عنده بعض فضيلة في الأدب والإنشاء .

٢٨٨ — الشريف جمال الدين عبدالله [بن عبد الكافي بن علي] الطباطبي نقيب الأشراف ، توفي في هذه السنة في أوائل (٢) ذي القعدة .

٢٨٩ — القاضي أمين الدين قروينه بن الصاحب مجد الدين بن قروينة ناظر المعاملات وكانت وفاته يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، رحمه الله .

(١) جزيرة أروى (حي الزمالك) ، انظرها في القاموس الجغرافي ، ق ١ ، ص ٢٠٥ .

(٢) الوارد في السلوك ، ٢٦٧ ؛ والنجوم الزاهرة (طبعة بوبر) ٥/٦٣٩ أنه مات ليلة ٢٤ ذي القعدة .

٢٩٠ — أخي محمود بن أحمد أخو يوسف العينتابي ، كان رجلا صالحا كريما صاحب زاوية مع فتوة ، وكان رجلا صالحا كما قدمنا يأكل في زاويته كل يوم من الفقراء والمساكين مائةٌ وخمسون نفسا من كدّ يمينه وعرق جبينه حسبةً لله تعالى ، وقد بنى في مدينة عينتاب عند حمام الطنبلاقى زاوية مليحة من ماله وأوقف لها أوقافا كثيرة من أملاكه كروما وبساتين وأراضي ، أثابه الله تعالى على فعله . وكان في كل ليلة جمعة يحضر إليه في زاويته جماعةٌ ويعمل إجلاسا فيجتمع في تلك الليلة الفقهاء والعلماء والصلحاء والفقراء والفضلاء يذكرون الله تعالى ويقرءون القرآن العظيم ويبحثون في العلم ويتحدثون في القال والقيل ، وبعد هذا يقدّم سماطًا هائلا من أنواع الأطعمة واللحومات ، وكان رحمه الله يأخذ كبشة طعامٍ ولحم بيده ويطعمه للجماعة بالغصب بعد الشبع ويقول : « هذه لقمة شيخ أوران ، وبعد هذا تعماون السماع ، الذي يقعد يقعد والذي يروح يروح » .

وكان رجلا شيخا طويلا وشكلا مليحا ، إذا قعد معه الرجلُ لا يشبع من صحبته ، [وكان] حلو اللسان إلّا أن في بعض كلامه خشونة ، وكان له ابن يسمى « أخي أحمد » [وهو] رجل مليح كريم سمين متوسط القامة ، وهو الذي أحيي موضع والده الآن ، ويقول الناس في حقه : « هو خيرٌ من أبيه في عيشته » ، سلمه الله تعالى يوم الحشر والنشر بحرمة محمد وآله ، وتوفى أخي محمود هذا — رحمه الله — في هذه السنة ، ودفن في مقبرة شمال عينتاب تسمى « مقبرة الغرباء » (١) .

* * *

(١) بقية وفيات هذه السنة حتى نهاية وفيات سنة ٨١٤ هـ ساقطة من نسخة السلوك .

فصل
فيما وقع من الحوادث
فى السنة الحادية بعد الثمانمائة

* * *

ستهلّت هذه السنة — وهى أول القرن التاسع من قرون الهجرة — وخليفة الوقت المتوكّل على الله أبو عبد الله. وسلطان البلاد المصرية والشامية الملك الظاهر أبو سعيد برقوق بن أنس العثمانى وليس له نائب فى الديار المصرية ، ونائبه فى دمشق تنم الحسنى ، وفى حلب أرغون شاه الخزندار ، وفى طرابلس (٥٥ ب) آقبغا الجمالى ، وفى حماة يونس بلطا ، وفى صفد شهاب بن الشيخ علىّ ، وفى غزة الأمير طيفور أمير آخور ، وفى اسكندرية صرغتمش ، وفى مكة الشريف حسن بن عجلان ، وفى المدينة الشريفة النبوية ثابت بن نعير(١) ، وأتابك العساكر بالديار المصرية الأمير أيتمش البجاسى ، وقاضى القضاة الشافعى تقى الدين الزبيرى ، وقاضى القضاة الحنفى جمال الدين يوسف بن الملطى ، وقاضى القضاة المالكى ناصر الدين بن التنسى ، وقاضى القضاة الحنبلى

(١) فى العينى : عقد الجمان ، ٢٥ / ٤٦ « نائب ابن نعيره » وهو خطأ من الناسخ .

برهان الدين ؛ وحاجب الحجاب فارس القطلوقجاوى ، وناظر الجيش سعد الدين بن غراب وكذلك هو ناظر الخواص، وكاتب السرّ بدر الدين السيرامى، والوزير بدر الدين الطوخى ، والمحتسبُ بهاءُ الدين بنُ البُرْجى ؛ وسائر ملوك سائر البلاد هم الذين ذكرناهم فى السنة التى قبلها، ثم وقع بعض التغيرات كما نذكره إن شاء الله تعالى .

* * *

ذكر من مُسك من الأمراء ومن عُزِل من أرباب الوظائف

لمـــا كان يوم السبت الثانى من المحرم عزل كريم الدين بن شمس الدين عن استيفاء الدولة واستقر عوضه سعد الدين بن قارورة .

وفى يوم السبت تاسع المحرم خُلع شمس الدين البجانسى واستقر محتسبَ القاهرة عوضا عن بهاء الدين بن البرجى بحكم إفصاله .

وفى يوم الخميس الثامن والعشرين منه استقر علاء الدين الحريرى كاشف الوجه البحرى عوضا عن علاء الدين الحلبى ، وتولىّ الحلبى الأعمال الغربية عوضا عن يوسف بن قطلبك بن المزوق بحكم إفصاله :

وفى يوم الجمعة الثالث عشر من صفر عصر النهار مسك الأمير نوروز الحافظى أمير آخور كبير بالمقعد بالاصطبل السلطانى، وسُفِّر عشية السبت رابع عشره إلى الإسكندرية للاعتقال فيها صحبة الأمير أرنبغا أحد العشراوات ومُسك معه ذلك اليوم ثلاثة أنفس من المماليك السلطانية، أحدهم شيرباش الأرغنشاوى وسُلِّموا للوالى فى الباشات والجنازير : . . .

وفى يوم السبت رابع عشر صفر[(١)] خلع على الأمير آقبغا الطولوتمرى اللكاش أمير مجلس لأجل نيابة الكرك، وخرج فى نهاره ذلك ثم أرسل إليه من مسكه عند وصوله إلى غزة فاعتقل بقلعة الصبيبة.

وفى يوم الثلاثاء سلخ ربيع الأول مُسك الأمير أزدمر - أخو إينال اليوسفى - أحدُ الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية ونفى إلى طرابلس بطالا، ومُسك معه الأمير محمد بن إينال اليوسفى أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية ونفى إلى دمشق بطالاً.

وفى أواخر رجب مُسك الأمير جلبان [الكمشبغاوى] أتابك العساكر بدمشق واعتُقل بقلعتها، ومُسك الأمير شهاب الدين أيضا المشهور بابن الشيخ على نائبُ صفد على يد بتخاص البريدى بسبب مكاتبة نائب الشام فيه بما يوجب مسكهُ.

* * *

ذكر من أنعم عليه بالوظيفة وبزيادة الإمرة ومَن جُدِّدَ من النواب والأمراء.

لما كان يوم الخميس التاسع من صفر خُلع على الأمير أرغون شاه البيدمرى أحد المقدمين واستقر أمير مجلس عوضا عن الأمير آقبغا اللكاش، وخُلع على الأمير سودون قريب الملك الظاهر واستقر أمير آخور كبيرا عوضا

(١) ذكر العينى فى عقد الجمان ٢٥ / ٤٦ أن هذا وقع فى العشر الأخير من صفر، ولم يحدد ابن قاضى شهبة : الإعلام، ١٤٠ ب سوى الشهر فقط، ولا نعرف الداعى لمثل هذا القبض الفجائى بعد الإنعام عليه إلا أن يكون مردّه إلى نزوات السلطان، على أن ابن قاضى شهبة «شرحه» ورقة ١٤١ أ يقول : «إنه لما كان وصل إلى قطيا أراد نائبها القبض عليه بمرسوم فلم يقدر وكذلك نائب غزة، وكان يدخل هذه البلاد لابسا السلاح ثم بعد خروجه من عنده قصده نائبها والعربان فقبضوا عليه وسجنوه بالصبيبة».

عن نوروز الحافظى بحكم اعتقاله باسكندرية، واستقرّ على تقدمة اللكاش الأمير تمراز النّاصرى أحد الأمراء الطبلخانات ورأس نوبة كان ، واستقر على تقدمة نوروز الحافظى الأمير سودون الماردانى شاد الشراب خاناه أحد الطبلخانات كان .

وفى العشر الأول من صفر استقر الأمير آقبغا الجمالى نائب طرابلس فى نيابة حلب عوضا عن أرغون شاه الخزندار بحكم وفاته ، وجهز الأمير إينال باى بن قجماس بتقليده فسافر على البريد دوداره من طرابلس إلى حلب ، واستقر فى طرابلس الأمير يونس بلطا نائب حماة ، واستقر فى حماة الأمير دمرداش الخاسكى أتابك حلب .

وفى يوم الخميس الحادى عشر من ربيع الأول خلع على الأمير سودون الظريف أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية ورأس نوبة واستقر نائب الكرك وتجهز وخرج فى ثالث عشريه .

وفى العشر الأول من ربيع الآخر استقر الأمير صراى تمر رأس نوبة أحد الأمراء الطبلخانات بالديار المصرية مقدم ألف وأتابك بحلب وتجهز وخرج .

وفى يوم الخميس التاسع من ربيع الآخرة أخلع على الأمير شهاب الدين ابن زين الحلبى واستقر فى ولاية القاهرة عوضا عن الأمير بهاء الدين ابن رسلان والى العرب .

وفى يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخرة خلع على القاضى فخر الدين عبد الغنى بن علم الدين الجيعان واستقر فى كتابة جيوش البلاد

الشامية مضافا لكتابة جيوش البلاد المصرية عوضا عن القاضى شمس الدين الميمونى بحكم إفصاله .

وفى يوم الخميس سلخ ربيع الآخر خلع على تاج الدين رزق الله بن نقولا متولى قطيا واستقر فى الوزارة بالديار المصرية عوضا عن الصاحب بدر الدين ابن الطوخى بحكم أفصاله والترسيم عليه ؛ واستقر أميرا مقدم ألف بستين فارس ، ومسك فى نهـاره القاضى برهان الدين الدمياطى ناظر المواريث الحشرية فرسم عليه وطولب بمال جزيل فكتب خط يده بمبلغ أربعمائة ألف درهم ، واستقر شهاب الدين بن خاص البريدى شاد الدواوين على عادته .

وفى يوم السبت ثانى جمادى الأولى خلع على زين الدين عبـد الرحمن ابن الكويز كاتب كمشبغا كان واسـتقر فى نظر الأملاك والذخيرة رفيقا للأمير فرج الحلبى أستادار الذخيرة والأملاك .

وفى يوم الاثنين الحادى عشر من جمادى الأولى خلع على القاضى فتح الله [بن معتصم بن نفيس الداوودى] رئيس الأطباء واستقر كاتب السر الشريف عوضا عن القاضى بدر الدين محمود السرائى بحكم وفاته .

وفى هذا التاريخ حضر الأمير يلبغا الأحمدى المجنون من دمياط إلى التمثل بين يدى المقام الشريف .

وفى يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأولى خلع على قاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى واستقر فى مدرسـة مشيخة صرغتمش عوضا عن كاتب السر الشريف فنزل وصحبته الأمير فارس حاجب الحجاب الناظر على المدرسة المذكورة ، والأمير تمربغا المنجكى صاحب الميسرة فجلس فى

فى الدرس من ذلك اليوم ، وكان القاضى المذكور معيدا فيها أيام الشيخ تقى الدين الأتقانى الفارانى[1] رحمه الله .

وفى يوم السبت سادس عشره خلع على الأمير ناصر الدين بن سنقر أستادار العالية خلعة استمرار واستقر على عادته .

وفى يوم الخميس العشرين من جمادى الآخرة خلع على الأمير فرج الحلبى أستادار الأملاك والذخيرة ، واستقر فى نيابة الإسكندرية عوضا عن الأمير صيرغتمش [المحمدى] الخاسكى بحكم وفاته ، وكان السلطان عين أولا لنيابتها الأمير قرا تغرى بردى الحلبانى الرماح أحد الأمراء الطبلخانات ، فاستعفى فأعفاه .

وفى يوم الاثنين الرابع والعشرين من جمادى الآخرة خلع على كمال الدين عبد الرحمن بن ناصر الدين صغيتمر ، وشمس الدين عبد الحق بن فيروز ، واستقر رئيس الأطباء على وظيفة القاضى فتح الله المنتقل إلى كتابة السر الشريف ، وجعل المعلوم بينهما نصفين بالسوية .

وفى يوم السبت سادس رجب أنعم على الأمير يلبغا بإقطاع الأمير حسن الكجكلى بحكم وفاته وحصر متحصله فوق أربعمائة ألف درهم ، وكان إقطاعه خمسين فارسا .

وفى يوم الخميس حادى عشر رجب خلع على تقى الدين بن علاء الدين المقريزى سبط المرحوم شمس الدين بن الصائغ الحنفى واستقر محتسب القاهرة عوضا عن شمس الدين البجانسى بحكم توجهه إلى الحجاز الشريف مع الرجبية .

(١) فى عقد الجمان ٢٥ / ٢٥ « قوام الدين » .

وفى يوم الاثنين خامس عشر رجب خلع على قاضى القضاة صدر الدين المناوى واستقر فى قضاء القضاة الشافعية بالديار المصرية عوضا عن قاضى القضاة تقى الدين الزبيرى بحكم إفصاله ونزل فى خدمته الأمراء والقضاة وأرباب الوظائف إلى الصالحية .

وفى يوم الاثنين التاسع والعشرين من رجب خلع على الأمير يلبغا المجنون واستقر أستادار العالية عن الأمير ناصرالدين بن سنقر ، واستقر ناصر الدين أستادار الذخيرة والأملاك عوضا عن أمير فرج الحلبى بحكم انتقاله إلى نيابة اسكندرية ، وفيه توجه أمير فرج إلى اسكندرية بعد أن بذل مبلغ أربعمائة ألف درهم .

وفى يوم الخميس ثانى شعبان خلع على الأمير يلبغا السالمى أحد الأمراء العشراوات واستقر ناظرا على مدرسة شيخون عوضا عن الأمير فارس حاجب الحجاب بحكم أفصاله .

وفى شعبان استقر الأمير ألطنبغا العثمانى حاجب الحجاب بدمشق فى نيابة صفد عوضا عن الأمير شهاب الدين بن الشـيخ على بحكم مسكه واعتقاله ، واستقر عوضه فى حجوبية دمشق الأمير طيفور نائب غزة ، واستقر فى نيابة غزة الأمير ألطنبغا قرقاس .

وفى الثالث والعشرين من شعبان خلع على القاضى أصيل الدين الشافعى واستقر قاضى القضاة الشافعية بدمشق عوضا عن القاضى شمس الدين الإخنائى بحكم إفصاله ، وبذل المذكور (١) على ذلك أكثر من مائتى ألف درهم .

(١) يعنى بذلك أصيل الدين .

وفى[1] يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان مسك الأمير علاء الدين ألطنبغا ملك الأمراء بالوجه القبلى وطولب بمبلغ مائتى ألف وخمسين ألفـا، ومسك أخو أبى بكر الأحدب واعتقل بخزانة شمائل ، وخلع على الأمير على نائب البحيرة كان واستقر ملك الأمراء بالوجه القبلى عوضا عن علاء الدين المذكور ، وخلع أيضا على عمر بن عبد العزيز شيخ هوارة عوضا عن ابن الأحدب المذكور ، وتدرك البلاد .

وفى هذا التاريخ استقر أناط كاشف الوجه البحرى فى ولاية قوص .

وفى[2] يوم الخميس مستهل رمضان منها خلع على الوزير تاج الدين بن نقولا وأخرج له فرس بسرج ذهب وكنبوش مزركش وذلك بسبب أنه توفى شخص يسمى تقى الدين وهبة قابض لحوم الأدر الشريفة — وكان بطالا منذ عشرين سنة — وخلف أربع بنات وذكر أنهن نصرانيات وما وَرَثوهن من موجوده، فوجد له من الذهب العين المصرى تسعة عشر ألف دينار وثلاثمائة دينار ، فجملة ثمنها مصارفة عن كل دينار باثنين وثلاثين درهما : ستمائة ألف درهم وسبعة عشر ألفا وستمائة درهم ، ومن الفضة مبلغ ألفين وستمائة درهم، ومن الفلوس الجدد معاملة تاريخه : أربعة وثلاثون ألف درهم ، ووجدت له حجج على النـــاس بمائتى ألف وثلاثين ألف درهم (٥٦ ا) فحمل الوزير المذكور جميع ذلك إلى المقام الشريف فخلع عليه بذلك السبب .

وفى[3] يوم الجمعة ثانى رمضان منها ولد للسلطان الملك الظاهر ولد ذكر وسماه سيدى إبراهيم .

(١) وردت هــذه العبارة فى العينى : عقد الجمان ٢٥ / ٤٩ س ٧ وما بعده على الصورة التـالية : « وفى يوم الجمعة ... ألطنبغا بن والى العرب ملك الأمراء » الخ .
(٢) هذا الخبر منقول من عقد الجمان ٢٥ / ٥٣ — ٥٤ .
(٣) هذا الخبر وارد فى عقد الجمان ٢٥ / ٥٥ .

وفى[1] يوم الخميس منتصف رمضان خلع على القاضى ولى الدين ابن خلدون المغربى المالكى واستقر قاضى القضاة المالكية بالديار المصرية عوضا عن القاضى ناصر الدين التنسى بحكم وفاته .

وفى[2] يوم الاثنين تاسع عشر رمضان خلع على القاضى شرف الدين بن الدمامينى ناظر الجيش كان واستقر فى نظر الديوان المفرد بحكم شغورها عن سعد الدين بن غراب من مدة مضافا إلى ما بيده من نظر الكسوة ووكالة بيت المال رفيقا للأمير يلبغا المجنون الأحمدى الأستادار .

وفى يوم الثلاثاء العشرين من رمضان أحضر إلى السلطان موجرد الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على نائب صفد المعتقل من قبل تاريخه وذلك[3] من المماليك عشرة أنفس ومن الخيول مائتا رأس ومن الهجن مائة وثمانون رأسا ، ومن الجمال ثمانية وسبعون رأسا وغير ذلك من الخيام والقماش ، وأربعة[4] صناديق سلاح وفيها من الفضة والذهب مبلغ مائتى ألف درهم .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين من رمضان خلع على الأمير مدود ، المشهور بركن الدين [عمر] بن أخى الحسين الكورانى واستقر فى ولاية مصر عوضا عن الصارم مقبل بحكم عزله .

وفى يوم الخميس التاسع والعشرين من شهر رمضان استقر زين الدين ابن الكورانى[5] فى نظر الدواوين المعمورة عوضا عن سعد الدين بن الهيصم ،

(١) هذا الخبر منظور فيه لعقد الجمان ٢٥ / ٥٤ .

(٢) هذا الخبر منظور فيه للعينى ٢٥ / ٥٤ .

(٣) يقصد بذلك موجود الأمير شهاب الدين أحمد بن الشيخ على .

(٤) فى الأصل : « أربع » .

(٥) « الكويز » فى عقد الجمان ٢٥ / ٥٤ .

وتاج الدين بن سمخ فى نظر ديوان الإملاك والذخيرة عوضا عن المذكور ، و [استقر] مجد الدين — صاحب ديوان قلمطاى كان — فى استيفاء دواليب الخاص الشريف عوضا عن ابن سمخ بحكم انتقاله .

وفى يوم الخميس السابع من شوال نفى الأمير علاء الدين ابن الطبلاوى إلى الكرك فخرج فى الترسيم ، ثم نقل إلى القدس الشريف .

وفى العشر الأول من شوال أفرج (١) عن الأمير شهاب الدين بن الشيخ على — نائب صفد كان — واستقر مقدم ألف بدمشق على إقطاع الأمير جلبان نائب حلب كان .

[و فى] يوم الاثنين العشرين من ربيع الآخر أنعم السلطان الملك الظاهر على جماعة من مماليكه بإمرات منهم : الأمير تغرى بردى الرماح أمير عشرة أنعم عليه بطبلخاناات خرجت عن الأمير سنباى الحاجب الصغير بحكم استعفائه عن الإمرة لحصول الفالج له ؛ وفيمن أنعم عليه منكلى بغا القراجا أنعم عليه بطبلخانات ، ومنهم سودون طاز أمير عشرة أنعم عليه بطبلخاناه ؛ ومنهم على بن يوسف الإنبابى أنعم عليه بطبلخاناة أخيه محمد الذى نفى إلى الشام بطالا ، ومنهم بشباى الخاسكى الجندى أنعم عليه بإمرة عشرة التى كانت لتغرى بردى الرماح ، ومنهم : جكم الخاصكى نائب رأس نوبة الجمدارية أنعم عليه بإمرة عشرين التى كانت باسم ابن يلبغا العمرى .

ومن الحوادث فيها أنه سمر سبعة نفر يوم السبت سادس [المحرم] (٢) أحدهم يسمى آقبغا فيل أخو على باى وثانيهم شخص عجمى كان يقول له على باى « أبى » والباقى مماليك .

(١) راجع ما سبق ص ٤٨٩ س ٨ — ٩ .

(٢) فراغ فى الأصل ، ويلاحظ أن أبا المحاسن : النجوم الزاهرة ١٢ / ٩١ نص على أن تسميرهم كان يوم السابع عشر من المحرم ، كما ذكر أيضا أن ممن سمروا معه « آخر من إخوة على باى ، والباقى من مماليك على باى » ، ولم يشر إلى أحد من الأعاجم ولم ينسب على باى أعجميا .

وفى العشر الأول من صفر باع السلطان فحلا من فحوله الخاص بمبلغ أربعمائة ألف درهم ، اشتراه الأمير أيتمش أتابك العساكر وتصدق بثمنه على الفقراء والمساكين شكرا على خلاصه من ضعف حصل له .

وفى يوم الجمعة الرابع عشر من جمادى الآخرة طلب السلطان الوزير المفصول وهو بدر الدين بن الطوخى ، فطلع قبل الصلاة ومعه الوزير المستقر وابن الهيصم ناظر الدولة وابن الرملى مستوفى الصحبة وبرهان الدين الدمياطى ناظر المواريث — كان — ومباشر الأعمال الجيزية ، وابن الأرمنى صيرفى الجيزية ، وكل منهم حاقق معه على مال أخذه منه ، وذكر أن جملته كانت ألفى ألف درهم ونزلوا به إلى بيت الوزير وعصر ووجد له فى مخزن قريب أربعة آلاف دينار ، وثانى يوم : أربعة آلاف دينار ، وثالث يوم : ألفا دينار ، فمجموع ذلك عشرة آلاف دينار ، ثم تسلمه سعد الدين بن غراب ناظر الخاص الشريف وأقام عنده فى بيته إلى السادس والعشرين من جمادى الآخرة والتزم عنه بمبلغ ثمانى مائة ألف درهم .

وفى يوم السبت التاسع والعشرين من جمادى الآخرة خلع على تاج الدين رزق الله الوزير وأخرج له فحل بسرج ذهب بكنبوش زركش ، وذلك بسبب التزامه للمقام الشريف أن يحمل ما جملته أربعة آلاف ألف عن الحاصل التى خرج عنها الوزير المنتقل ، وحمل معجلا من جملة ذلك ألف ألف وخمسمائة ألف [درهم] .

وفى(1) يوم الاثنين خامس عشر رجب خرج الأمير بيسق أمير آخور وصحبته الحجاج الرجبية ومعه صناع العمارة ، والمعلم شهاب الدين أحمد

(١) هذا الخبر والتالى له منقولان من عقد الجمان ٢٥ / ٥٦ س ١٣ — ٢١ .

ابن الطولونى المهندس لعمارة ما هدم من الحرم الشريف عند مجىء السيل العظيم ، وكانت الرجبية منقطعة من مدة ثمانى عشرة سنة .

وفى ليلة الجمعة الثامن عشر من رجب كانت زفة الأمير بيبرس الدوادار [ابن أخت السلطان] ودخوله على بنت الأمير جركس الخليلى [و] تسمى خديجة ، وكانت ليلة مشهودة ، وذكر أن الجهاز(١) المذكور كانت قيمته ألف ألف درهم ، وأن التقادم التى قدمت من الأمراء والأعيان وأرباب الوظائف من الغنم والخيل والشمع والسكر والدجاج والأوز قريب ألف ألف درهم .

وفيها(٢) كان رخص عظيم فى بلاد الشام وحلب فوق الوصف وكان أكثره فى بلاد الشام ، ووصل المكوك الشعير ثلاثة دراهم وأقل ، ومكوكهم أكثر من سبع ويبات مصرية ؛ والقمح الطيب باعوا المكوك منه بما دون العشرة .

وفيها دخل تمرلنك إلى بلاده(٣) وخلف الخان أمير زاه محمود فى سمرقند وخلف أحد أولاده فى الأطاغ قريب تبريز .

وفيها جاء الخبر بأن طقطمش خان — صاحب البلاد الشمالية(٤) — التقى مع بعض عسكر ابن عثمان صاحب بلاد الروم وأنه فقد من بين(٥) العسكر [كثير] غير من فقد بالموت .

---

(١) عمل الجهاز من مال السلطان وهو الذى عمله لها من ماله ، راجع ابن قاضى شهبة : الإعلام ، ورقة ١٤٢ ب .

(٢) أى فى هذه السنة وليس فى هذه الليلة .

(٣) فى عقد الجمان ٢٥ / ٥٧ « بلاد الهند » .

(٤) يعنى بذلك بلاد الدشت وسراى .

(٥) جاءت هذه العبارة فى عقد الجمان ، « من بين العسكرين » .

وفيها فى الخامس عشر من شعبان برز المرسوم السلطانى الظاهرى بتحديد إمامة الحنفية بالحرم الشريف النبوي ، ولم يكن قبل ذلك يصلى وراء الحنفى فى الحرم النبوى فخرج المرسوم بذلك كالمسجد الحرام والمسجد الأقصى .

وفيها توفى السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق رحمه الله .

* * *

ذكر وفاة السلطان الملك الظاهر أبي سعيد سيف الدين برقوق ابن الأمير الكبير أنس العثمانى الجركسى وذكر ترجمته وبعض مناقبه ، رحمه الله تعالى

قد كان بعض المنجمين وبعض من يتعانى علم الكهانة والرمل أشاعوا فى أواخر رمضان من هذه السنة أن السلطان الملك الظاهر يجري عليه شيء يوم عيد الفطر فإن أتى مجيء عيد الفطر ونجى منه السلطان تطول أيامه ، وطرق من ذلك شيء للمسامع الشريفة فلم[1] يصل السلطان صلاة العيد فى الميدان إلا وهو فى توهم عظيم من عروض أمر جسيم فأنجاه الله من ذلك وأوقعه فى أمر لم ينج منه ملك مقرب ولا نبي مرسل .

ولما كان يوم الثلاثاء الخامس من شوال من هذه السنة عرض له وجع الرأس والفؤاد وانقطع عن الحكم والانشغال بأمور الناس ، ودخل عند حريمه وأقام ضعيفا ولم يكن يخدمه إلا الجمدارية من الطواشية وكبيرهم شاهين الحسنى والقاضى فتح الله مقيم على باب الستارة لأجل المعالجة والدواء ، ولم يكن يدخل عليه إلا الأمراء وأصحاب النوبة بالإذن .

ولما كان يوم الأحد العاشر من شوال رسم بأن يتصدق عنه فتصدق عنه الأمير سودون أمير آخور كبير على كل فقير بأفلورى مشخص ، فجاءت جملة الصدقة خمسة عشر ألف أفلورى ، وكانت قيمة كل أفلورى فى ذلك اليوم ثلاثين درهما فضة بيضاء .

(١) عبارة «فلم يصل . . . ولا نبي مرسل» ص ١٣ منقولة من عقد الجمان ٢٥/٥٨ ، ص ١٩-٢١ .

وفى يوم الأربعاء الثالث عشر من شوال تخبطت المدينة ووقع الهرج بين الناس واشتاع الخبر بينهم أن الأمير أرسطاى ركب بمن معه ، فأغلقت أبواب المدينة وتحرك الزعر ونهب بعض شيء بأطراف المدينة، فعند ذلك ركب والى المدينة ومسك جماعة وضربهم بالمقارع ونادى بالأمان والاطمئنان والدعاء بعافية مولانا السلطان الملك الظاهر برقوق .

ولما كان يوم الخميس الرابع عشر من شوال قوى ضعف السلطان وأحس بالموت فعند ذلك طلب الخليفة المتوكل على الله والأمير أيتمش أتابك العساكر وسائر الأمراء الكبار والصغار (٥٦ ب) وطلب القضاة الأربعة وهم قاضى القضاة صدر الدين المناوي الشافعي ، وقاضى القضاة جمال الدين يوسف الملطى الحنفى وقاضى القضاة ولىّ الدين ابن خلدون ، وقاضى القضاة برهان الدين الحلبي [الحنبلى] ، فاجتمعوا كلهم ودخلوا على السلطان فى قاعة النساء وجلس الخليفة عند رأسه والقضاة الأربعة بين يديه ، فرسم للخليفة والقضاة أن يحلّفوا الأمراء بالأمر المعهود من الخلفاء والسلاطين بأنه إذا نزل به حادث الموت الذى كتبه الله على عباده وسوي به بين خلقه أن يكونوا متفقين على كلمة واحدة وأن تكون السلطنة باسم ولده سيدي فرج، ولا يخرج ذلك من بين أولاده الثلاثة وهم : سيدي فرج وسيدي عبد العزيز وسيدي إبراهيم ، وأن أى من تولى السلطنة منهم لا يخالفه أحد ولا يخامره ، وأن يكونوا كلهم معه مثلما كانوا مع والده ، وأن يستمر كل أحد فى وظيفته ، وأن يكون أيتمش هو الأمير الكبير على عادته ويكون المتحدث فى أمور المملكة وأن لا يخالفه أحد فى ذلك ؛ فتحالفوا على ذلك وتعاقدوا فشهد الخليفة والقضاة عليهم بذلك ، وتفرقوا على ذلك ، وأوصى السلطان بوصايا كثيرة منها أن يدفن فى الحوش الذى كان عمله لأجل مماليكه عند تربة يونس الدوادار ،

ومنها أنه عين لكل مملوك من مماليكه مبلغ خمسة آلاف درهم تعطى لهم إذا عرض تجريدة أو نحو ذلك . ومنها أنه أوصى أن تبنى عليه تربة ويعمل فيها جماعة من الصوفية ويرتب لهم طعام وخبز وزيت وصابون وحلوى . وعين لذلك مبلغ ثمانين ألف دينار ، ومنها أنه أوصى بعشرة حجج وعين لذلك مائة ألف درهم فضة ، وعيّن أن يكون كل أمير مقدم ألف من الديار المصرية والشامية وصيًّا ومتحدثا فيما أوصى من وصاياه ، ومن الطبلخانات الأمير قطلوبغــا الكركى ، ومن العشرات يلبغا السالمى .

ولمــا كانت ليلة الجمعة منتصف شوال المذكور توفى السلطان الملك الظاهر بعد النصف الأخير منها واندرج إلى رحمة الله تعالى ؛ فلما أصبح نهار الجمعة امتلأت القاهرة بخبر موته وحضر الأمراء كلهم عند الأمير أيتمش فى بيته الذى بجوار جامع آق سنقر الناصرى ، وحضر الخليفة والقضاة الأربعة فتشاوروا واتفقوا على تنفيذ ما أوصى به السلطان الملك الظاهر من نصب ولده فى السلطنة وإجلاسه على كرسى المملكة فطلعوا إلى الإصطبل السلطانى ، وقعدوا فى المقعد وأحضروا ولد السلطان من عند والدته وهو سيدى فرج ، وعقدوا له السلطنة بتولية أمير المؤمنين الخليفة المتوكل على الله أبى عبد الله محمد ابن الإمام المعتضد بالله أبى الفتح العباسى على ما نذكره الآن :

ثم رأى الأمير أيتمش أن يدفن السلطان بالليل فلم يرض بذلك أكابر مماليكه الخاصكية مثل الأمير يشبك الخزندار والأمير سودون طاز والأمــير أقباى الكركى وجركس الدوادار وغيرهم فقالوا : « ما نخرجه إلّا فى هذا الوقت » ، فنهضوا واشتغلوا بتجهيزه فغسّلوه أمام باب الزردخاناه السلطانية وأخرجوه قبل صلاة الجمعة وصلوا عليه فى رحبة باب القلة ، وكان الذى صلّى عليــه قاضى القضاة صدر الدين المناوى الشافعى ثم نزلوا به وتوجهوا معه إلى تربته ،

ومشى جميع مماليكه إلى تربته وبعض الأمراء معهم فدفنوه فى الحوش الذى ذكرناه بجوار الشيخ علاء الدين السيرامى رحمه الله والشيخ أمين الدين الخلوتى وغيرهما من المشايخ والصالحين رحمة الله عليهم، وكانوا مشتغلين بالمواراة وحثى التراب عليه، والمؤذنون يؤذنون لصلاة الجمعة، وكان عمره مقدار ستين سنة.

وكان السلطان — رحمه الله — اختار هذا المكان على تربته التى عمّرها فى مدرسته بين القصرين من ثلاثة وجوه، الأول: أنه استطاب هذه البقعة على بقعة المدرسة، والثانى: أنه اختار مجاورة أموات المسلمين ولا سيما منهم مشايخ وعالمون وصالحون، [و] الثالث: أنه اختار أن يدفن دفن السنة بخلاف من يدفن فى فساقى.

فالذى اتفق له من هذه الأمور والأحوال لم يتفق لغيره من سلاطين الترك ولا سيما من بعده الملك الناصر محمد بن قلاوون فإنه توفى يوم الأربعاء ودفن فى ليلة الجمعة نزلوا به من القلعة فى محفة بعد الثلث الأول منها ودفنوه فى المنصورية كما ذكرناه، وأما من بعده من السلاطين فمنهم من قتل (١) وأخفى حاله ومنهم من مات فى حنادس الليل وكذلك ما اتفق هذه الأحوال الأكثر من كان قبل الملك الناصر محمد بن قلاوون من السلاطين مثل الملك الأشرف خليل ومثل الملك العادل سلامش بن الظاهر وأخيه الملك السعيد بركة ووالدهما الملك الظاهر بيبرس ومثل الملك المعز أيبك التركمانى كما ذكرناه فى وفياتهم.

وكان رحمه الله رجلا شهما شجاعا باسلا فارسا ذا أدب وحشمة ووقار ومعرفة ورأى وتدبير وخبرة، وكان على مكانة عظيمة من الرأى والرزانة والتعبّد والتحمّل، وكان يلوح بين عينيه آثار الشجاعة والفروسية وتتبين من هيئته أنوار السعادة.

---

(١) العبارة من « قتل وأخفى ... محمد بن قلاوون » من ... ، ساقطة من النسخة الأزهرية .

وكان أصله جركسيا من طائفة يقال لهم كسا « بفتح » الكاف والسين المهملة ، وقع في الرِّقيَّة في يد شخص في مدينة قرم وهو صبي أمرد شاب فاشتراه[1] الأمير الكبير يلبغا العمرى الخاصكي في حدود سنة أربع وستين وسبعمائة وأعتقه ولم يزل عنده مكرما إلى أن جرى ما جرى عليه من مقاساة الفقر والضيق والخروج من الديار المصرية إلى الشام ، وخدم الأمير منجك اليوسفي حين كان نائب الشام وغير ذلك وهو ليس بأمير ولا جندى معتبر مشهور إلى أن تأمر في أيام قرطاى وأينبك البدرى دفعة واحدة فأمره طبلخاناه . ثم لما هرب أينبك البدرى في سنة تسع وسبعين وسبعمائة ركب الملك الظاهر في السادس عشر من ربيع الآخر من هذه السنة ومعه زين الدين بركة الجوبانى ويلبغا الناصرى وغيرهم ومسكوا جماعة من الأمراء منهم دمرداش اليوسفي وتمرباى الحسنى وغيرهما على ما ذكرناه مفصلا .

ثم بعد مدة طلع الظاهر إلى الاصطبل السلطانى وأنزل يلبغا الناصرى ثم في يوم الاثنين الثالث عشر من ذى الحجة من سنة تسع وسبعين استقر الملك الظاهر أتابك العساكر المنصورة بالديار المصرية ، واستقر زين الدين بركة رأس نوبة كبيرا وأيتمش أمير آخور كبيرا ، واستمروا على ذلك إلى أن مسك الظاهر بركة في العشر الأول من ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة على ما ذكرناه مفصلا ، فصفت له[2] المملكة واستمر على ذلك إلى أن تسلطن يوم الأربعاء التاسع عشر من رمضان من سنة أربع وثمانين وسبعمائة واستمر سلطانا إلى أن خلع يوم الثلاثاء السادس من جمادى الآخرة من سنة إحدى وتسعين وسبعمائة وتولى عوضه الملك المنصور صلاح الدين أمير حاج ابن الملك الأشرف شعبان على يد الأمير يلبغا الناصرى كما ذكرناه ، ثم مسك

(١) كان شراؤه إياه من الجلاب الخواجا التاجر عثمان . (٢) أى لبرقوق .

الظاهر بعد اختفائه يوم الثلاثاء الثالث عشر من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، وسفّر إلى الكرك ليلة الخميس الثانى والعشرين من جمادى الآخرة وحبس بقلعتها واستمر بها إلى أن خلصه الله تعالى منه ، وخلص فى السادس والعشرين من شوال من سنة اثنتين(١) وتسعين وسبعمائة على ما ذكرناه مشروحا ، واستمر بعد ذلك على سلطنته من غير معارض ولا منازع إلى أن جاءه الأمر المحتوم ، فتكون مدة تملكه الديار المصرية وأحكامه فيها وفيما يتبعها أميرا وسلطانا إحدى وعشرين سنة وعشرة أشهر ويومين ؛ أولها يوم الاثنين وآخرها يوم الخميس ، منها : كان أمير آخور كبيراً ثمانية أشهر ، ومنها أتابك العساكر الإسلامية أربع سنين وتسعة أشهر وأربعة وعشرون يوما ، وأما مدة سلطنته [بأيام] انخلاعه على يد يلبغا الناصرى فسبع عشرة سنة وسبعة وعشرون (٥٧ ا) يوما على التحرير ، فإذا أخرجت أيام انخلاعه من ذلك — وهى ثمانية أشهر وثمانية أيام — يبقى خالص سلطنته ست عشرة سنة وأربعة أشهر وثمانية أيام على التحرير .

* * *

وأما صفته — رحمه الله — فكان حسن القامة عريض الكتفين ، غليظ العضدين ، شثن الذراعين ، كث اللحية كبيرها قد وخطه الشيب ، أشم العرنين واسع العينين جهورى الصوت فصيح اللسان زكى الفهم عارفا بالفروسية ولا سيما بأبواب(٢) الرمح . قرأ بعض القرآن وسمع الصحيحين البخارى ومسلم ، وكان يعرف بعض المسائل الدينية ، وكان يعاشر العلماء والفقهاء ويعتقد فيهم ، وكان عنده تواضع لأهل العلم والفقراء والصلاح ، وتجبر عظيم لأرباب الدولة من الأمراء وأصحاب الوظائف ، وكان كثير الصدقات سرا وجهرا .

(١) « إحدى » فى عقد الجمان ٢٥ / ٦٢ . (٢) فى عقد الجمان ٢٥ / ٦٢ « بأنداب » .

أما الصدقات التي أخرجها في أيامه فلم يعهد لمثلها من غيره من السلاطين المتقدمين عليه، حتى إنه تصدق في بعض الأوقات في يوم واحد بأكثر من ثلاثمائة ألف درهم من الفضة والذهب، وكان ينزل إلى الإصطبل السلطاني ويحكم بين الناس يوم السبت والثلاثاء وينصف المظلومين من الظالمين بنفسه، وكان يصل إليه أدنى الناس وينتصف عنده، وكان يحكم بين الجندي وغلامه وبين الأمير وفلاحه وبين المولى وعبده وبين الشريف والوضيع والجليل والحقير والمسلم والذمي .

وجمع من المماليك من سائر الأصناف من الترك والجركس والروم والبلغار والآص وغير ذلك ما لم يجمعه غيره من السلاطين، وقيل وصل جميع من اشتراه من المماليك في أيامه بدفعات متفرقة إلى أكثر من عشرين ألف مملوك، ولم يمت حتى عمل منهم نواب البلاد وغالب أمرائها وغالب الولاة والكشاف من مماليكه الذين اشتراهم، فإنه حين توفى إلى رحمة الله تعالى كان أتابك الجيش بالديار المصرية مملوكه الأمير أيتمش فإنه اشتراه وأعتقه كما ذكرناه، ورأس نوبة كبير كان مملوكه واسمه أرسطاي وتغرى بردى اليشبغاوي كان مملوكه، وأمير مجلسه كان مملوكه أرغون شاه البيدمري، وشاد الشراب خاناه كان مملوكه سودون الماردانى، وأستاداره كان مملوكه الأمير يلبغا الأحمدي وحاجب الحجاب كان مملوكه فارس القطلوقجاوي، وخازنداره الكبير كان مملوكه يشبك اليشبغاوي، ودواداره الكبير كان بيبرس ابن أخته، وأمير آخوره الكبير كان مملوكه [سيدي] سودون قريبه، ونائب الشام كان مملوكه تنم الحسني، وحاجب الحجاب بها كان مملوكه الأمير طيفور، وأتابك العساكر بها كان مملوكه الأمير جلبان الكمشبغاوي ولكنه كان مسكه وحبسه بقلعتها، ونائب حلب كان مملوكه آقبغا الجمالي، وحاجب الحجاب بها كان

مملوكه نوروز الحضرى ، ونائب حماة كان مملوكه الأمير دمرداش الخاصكى ، ونائب طرابلس كان مملوكه يونس بلطا ، ونائب صفد كان مملوكه ألطنبغا العثمانى ، ونائب غزة كان مملوكه الأمير ألطنبغا قرا ماك (١) ، ونائب كرك كان مملوكه سودون الظريف ، وكان نائب ملطية الأمير جقمق الصفدى تولاها فى هذه السنة عوضا عن الأمير دقماق الخاصكى مملوكه ، ونائب إسكندرية كان الأمير فرج الحلبى ليس مملوكه .

فالترتيب الذى كان عنده والزينة والرونق الذى كان فى مماليكه داخل دولتـه وأمرائه ما كان فى غيرهم ممن تقدمهم فى دولة الترك من بعد دولة بنى أيوب ولا الجوامك والمرتبات التى صرفها هو لعسكره ومماليكه .

وكان — رحمه الله — كثير الصفح والتـجاوز عمن يقصد أذاه ، ولقـد كادوا به مرارا واتفقوا على قتـله فى أوقات شتى فرد الله كيدهم فى نحرهم وما مات إلا فى فراشه . وكان آخر الكيد به كيد مملوكه وخصيصه عليباى كما ذكرناه عن ذلك العهد ولم يركب ولم يخرج من القلعة إلى أن أُخرج على الجنازة ،

وكان رحمه الله — جمع من الأموال والخزائن ما لم يجمعه غيره ، وكان كثير المصادرات للوزراء والدواوين والولاة والكشاف وأرباب الوظائف ، وكان يحب المـال ويجمعه ، وكان اجتهاده دائما فى تدبير المملكة وسياسة الأمور ، ولم يكن مشتغلا باللهو والطرب ولا بالمتاجر مثل ما كان غيره من السلاطين . بل بعض الأوقات يوم الأحد والأربعاء كان يشرب القمز مع بعض خواصه من الأمراء لأجل انشراح صدره وإذهاب بعض غمه .

وقد أبطل بعض المكوس فى بلاده ، منها ما كان يؤخذ من أهل البرلس وشورى وبلطيم من شبيه الحالية وهو فى كل سنة مبلغ ستين ألف درهم ؛ ومنها ما كان يؤخذ على الملح وعلى الأملاك بمدينة عينتاب إذا بيع وإذا اشترى

(١) فى عقد الجمان ٢ / ٦٣ « قراقاش » .

كان يؤخذ منها المكس ، وقد أبطلها السلطان الملك الظاهر ؛ ومنها ما كان يؤخذ على القمح بدمياط عما يبتاعه الفقراء وغيرهم ، ومنها ما كان يؤخذ على معمل الفروج بالنحريرية وغيرها بالأعمال الغربية، ومنها ما كان يؤخذ على الدقيق بألبيرة ؛ ومنها ما كان مقررا لنائب طرابلس عند قدومه إليها وهو على كل نفر من القضاة والولاة بالمدينة وأعمالها بغلة أو ثمنها خمسمائة درهم ؛ ومنها ما كان يؤخذ على الدريس والحلفا ظاهر باب النصر بالقاهرة ؛ ومنها ما كان يؤخذ من ضمان المغانى بالكرك والشوبك وكذلك بمنية ابن خصيب بالأشمونين وزفتا بالغربية، وكذلك أبطل ما كان يقدم لمن سرح إلى العباسة فى كل سنة من الخيل والجمال والغنم وغير ذلك ، وكذلك أبطل رماية الأبقار على البطالين بالأعمال الغربية وغيرها بالوجه البحرى عند فراغ عمل الجسور.

وأما عمائره فكثيرة منها المدرسة العظيمة التى بناها بين القصرين ، بين مدرسة الملك الكامل و [مدرسة] الملك الناصر ، ورتب فيها مذاهب وصوفية وشيخ الحديث وشيخ التفسير وشيخ القراء وشيخ المعاد، وعين فيها الخطابة والمقرئين وغير ذلك؛ ومنها جسر الشريعة : طوله مائة وعشرون ذراعا فى عرض عشرين ذراعا ، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد بن الجمال عفى الله تعالى عنه وعن المسلمين :

أيا ملكا بنى جسرا بعدل   به حمل الأنام على الشريعه

له شرف على الجوزاء سام   وفوق الموت أركان منيعه

ومنها الجسر الذى بين الجزيرة والروضة وكان قد عجز عنه كثير من الملوك وكان المباشر عليه جركس الخليلى، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد العطار (٥٧ ب) المصرى :

راعى الخليلى قلب الماء حين طغى بنى على قلبـــه جسرا وعبره (١)
رآى ترمـــل أرضـــه وحدتها والنيل قد خاف يغشاها فجسره

ومنها : عمارة سور دمنهور بالبحيرة وتحصينها من الأعداء .

ومنها عمارة قناة العروب بالقدس الشريف ، ومنها عمارة الجبال الشرقية بالأعمال الفيوميـــة وكان لها من عشرين ســـنة خرابا . ومنها عمارة زريبة البرزخ بدمياط وكان البحر قد أكلها ؛ ومنها عمارة بركة كبيرة برأس وادى بنى سالم بطريق الحجاز الشريف ؛ ومنها ترميم المجراة الواصـــلة من النيل إلى قلعة الجبل ؛ ومنها عمارة الميدان الذى بسوق الخيل تحت القلعة ؛ ومنها عمارة الحوضين اللذين أحدهما تحت القلعة إلى جانب باب الميدان وهو الذى عمره السلطان الملك المظفر بيبرس الجاشنكير وأجرى المـــاء الحلو إليه من ماء النيل بعد أن أقام مدة طويلة لم يجر فيه المـــاء ، والحوض الثانى هو الذى عند باب القلعة إلى جانب باب الإصطبل السلطانى ؛ ومنها عمارة صهريج وسبيل فى (٢) وسط مدينة قارة ، ومنها جسر مليح فى قرية لاردة بين حلب وعينتاب ، وأيضا بنى باب قلعة عينتاب [و] كان قد أخربه منطـــاش .

* * *

وأما غير ذلك فكان نائبه فى الديار المصرية الأمير سودون الشيخونى ولم يستنب له غيره أحد ، وتوفى السلطان الملك الظاهر وليس له نائب فى الديار المصرية كما كان الملك الناصر محمد بن قلاوون رحمه الله .

ووزراؤه : علم الدين سن إبرة ، ثم شمس الدين إبراهيم كاتب أرنان ، ثم علم الدين ابن القسيس المعروف بكاتب سيدى ، ثم كريم الدين عبد الكريم

(١) و « حيره » فى عقد الجمان .

(٢) فى عقـــد الجمان ٢٥ / ٦٥ : « ومنهـــا عمارة صهريج وسبيل فى قلعـــة الجبل » ومنه عمـــارة الخان فى وسط مدينة قارة » .

ابن الغنام ثم موفق الدين أبو الفرج ، ثم سعد الدين بن البقرى ، ثم الأمير ناصر الدين محمد بن رجب ، ثم الأمير مبارك شاه الظاهرى . ثم الصاحب سعد الدين بن البقرى ، ثم الصاحب بدر الدين بن الطوخى ، ثم الأمير تاج الدين رزق الله .

أستاداريته : الأمير بهادر المنجكى ، ثم الأمير محمود ، ثم الأمير قرقماس الطشتمرى ، ثم الأمير محمود الظاهرى ، ثم الأمير يلبغا الأحمدى المجنون ، ثم الأمير قطلوبك الأيتمشى ، ثم الأمير ناصر الدين محمد بن سنقر ، ثم الأمير يلبغا الأحمدى .

دواداريته : الأمير يونس النوروزى ، ثم الأمير قرقماس الطشطمرى ، ثم الأمير بطا الطولوتمرى ، ثم الأمير أبو يزيد المعلم صهر الشيخ العالم أكمل الدين ، ثم الأمير قلمطاى العثمانى ، ثم الأمير بيبرس ابن اخته .

أمير آخوريته : الأمير جركس الخليلى ، ثم الأمير بكلمش العلائى ، ثم الأمير قانى بك اليحياوى ، ثم الأمير نوروز الحافظى ، ثم الأمير سودون قريب السلطان .

كتاب سره : القاضى بدر الدين محمود بن فضل الله العمرى ، ثم القاضى أوحد الدين عبد الواحد الحنفى ، ثم القاضى بدر الدين فضل الله ، ثم القاضى علاء الدين الكركى ، ثم القاضى بدر الدين فضل الله ، ثم القاضى بدر الدين محمود السرائى ، ثم القاضى فتح الدين فتح الله العجمى .

نظار جيشه : القاضى تقى الدين عبد الرحمن بن محب الدين ، ثم القاضى موفق الدين أبو الفرج ، ثم القاضى كريم الدين بن عبد العزيز ، ثم القاضى جمال الدين القيسرانى ، ثم القاضى شرف الدين بن الدمامينى ، ثم القاضى سعد الدين بن غراب .

قضاة الشافعية : القاضى بدر الدين بن أبى البقاء، ثم القاضى ناصر الدين ابن بنت الميلق الشاذلى ، ثم القاضى بدر الدين بن أبى البقاء على عادته ، ثم القاضى عماد الدين الكركى، ثم القاضى صدر الدين المناوى ، ثم القـــاضى تقى الدين الزبيري ، ثم القاضى صدر الدين المناوى على عادته :

وقد ذكرنا أنه خلف ثلاثة من الأولاد الذكور أحدهم الذى تولى السلطنة [وهو] السلطان الملك الناصر زين الدين فرج وكان عمره قريب الرهوق، [و] الثانى سيدى عبد العزيز وكان عمره قد ناهز التسعة ، والثالث سيدى (١) إبراهيم وكان قد ولد فى شهر رمضان من هذه السنة؛ وخلف ثلاثة أولاد من البنات، إحداهن الست سارة تزوج بها الأمير الكبير نوروز الحافظى بعد وفاة والدها مقدار ما يزيد على ثلاث سنين ، والثانية الست بيرم تزوجها الأمير إينال ابن الأمير قجماس بن عم الملك الظاهر فى التاريخ المذكور، والثالثة الست زينب وهى صغيرة تناهز ست سنين :

* * *

(١) كان ابنه سيدى إبراهيم هذا هو الوحيد من امرأة حرة من أهل الشام .

انتهى هنا الجزء الأول من تقسيمنا لكتاب "نزهة النفوس
والأبدان فى تواريخ الزمان" للخطيب على بن داود
الجوهرى الصيرفى ، ويبدأ الجزء الثانى
منه بذكر تولية السلطان الملك الناصر
أبى السعادات زين الدين فرج
ابن الملك الظاهر أبى سعيد
سيف الدين برقوق
العثمانى الجركسى

كشاف

الجزء الأوّل من نزهة النفوس والأبدان
فى تواريخ الزمان

كشاف (*) بأسماء الأعلام والقبائل والدول

(*) شارك فى عمل هذا الكشاف : الآنسة إيزيس زكا قرياقص والسادة محمود رزق ، ومصطفى طاهر من الباحثين بمركز تحقيق التراث ، والسيد / جمال جرجس ، فلهم الشكر .

(ح)

(خ)

(غ)

(ف)

(ق)

(ن)

(هـ)

(و)

(ى)

كشاف بأسماء الأماكن والبقاع

(ن)

(و)

(ى)

كشاف بالوظائف والألقاب والمصطلحات المملوكية الواردة فى النزهـــة

(أ)

(ن)

(و)

فهـــرس الجـــزء الأوّل

من كتاب نزهة النفوس والأبدان

فهـــرس الجـــزء الأوّل

من كتاب نزهة النفوس والأبدان